المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

إيلينا سيمينو

الاستعارة في الخطاب

ترجمة

عماد عبد اللطيف   خالد توفيق

2000

الاستعارة هي تلك الظاهرة اللغوية التي نلجأ إليها إذا ما أردنا الحديث عن شيء من خلال استخدام شيء آخر. تحاول المؤلفة "إيلينا سيمينو" في هذا الكتاب مناقشة ظاهرة الاستعارة من جوانب مختلفة؛ من حيث ظهورها داخل النص، والوظائف المتعددة التي تقوم بها، ووجودها الأساسي في كثير من أشكال الاتصال المختلفة، بدءًا من المحادثات اليومية المعتادة، وانتهاءً بالخطب السياسية. وتناقش المؤلفة استخدام الاستعارة من خلال مجموعة متنوعة من النصوص وأجناس الكتابة المختلفة بدءًا بالنصوص الأدبية، مرورًا بالنصوص السياسية والعلمية والتربوية والإعلانات، وصولاً للنصوص التي تتناول المرض النفسي. كما يحتوي كل فصل على مجموعة من دراسات الحالة المفصلة، مع التركيز على بعض النصوص المحددة، مثل المنشورات التي توزع أثناء الانتخابات، والمقالات العلمية المتخصصة. كما تعطي الكاتبة أهمية خاصة لطرائق تحليل المدونة باستخدام الحاسوب. ولا شك أن هذا الكتاب بما يحتويه من معلومات تتميز بالثراء والتنوع يمثل دليلاً وجليسًا لا غنى عنه لكل من يهتم بمجال الاستعارة.

تصميم الغلاف: عبدالحكيم صالح

الاستعارة في الخطاب

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 2000
- الاستعارة فى الخطاب
- إيلينا سيمينو
- عماد عبد اللطيف، وخالد توفيق
- الطبعة الأولى 2013

هذه ترجمة كتاب:

Metaphor in Discourse
By: Elena Semino

Copyright © 2008 by Elena Semino
First Published by the Press Syndicate of the University of Cambridge
Arabic Translation © 2013, National Center for Translation

All Rights Reserved

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

الاستعارة في الخطاب

تأليف: إيلينا سيمينو

ترجمة: عماد عبد اللطيف

خالد توفيق

2013

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

سيمينو، إيلينا
الاستعارة في الخطاب/ تأليف: إيلينا سيمينو، ترجمة: عماد عبد اللطيف، وخالد توفيق
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٣
٥٠٨ ص، ٢٤ سم
١ - البلاغة ٢- الخطابة
(أ) عبد اللطيف، عماد (مُترجم)
(ب) توفيق، خالد (مُترجم مشارك)
(ج) العنوان ٤٠٤

رقم الإيداع: ١٩٠٠٧ /٢٠١٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 - 718 - 080 - 1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومي للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربي وتعريفه بها، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

أشكال توضيحية

كارتون لستيف بيل

صفحة غلاف منشور للحزب القومي البريطاني

شبكة أخطبوط كوسلين وكوينج (١٩٩٢)

إعلان لوكوزاد

عينة تلازم كلمة rich في المدونة البريطانية الوطنية

إهـــداء

إلى جوناثان

وإيميلي

وناتالي

مقدمـــة

الاستعارة ظاهرة لغوية متغلغلة في النشاط اللفظي البشري، وهي تمثل فـــي الوقت الراهن أكثر الظواهر اللغوية خضوعا للدراسة في إطار الدراسات اللغويـــة بوجه خاص والدراسات الاجتماعية والإنسانية بوجه عام. وقد تحولـــت دراســـات الاستعارة بالفعل على مدار العقود الثلاثة الماضية إلى حقل بيني تتشارك فيه علوم اللغة بفروعها المختلفة وعلوم الأدب والبلاغة والفلسفة وعلم الـــنفس والاجتمـــاع والسياسة والقانون والاتصال. وكان ذلك متبوعا – أو مصحوبا – بتطور هائل في مناهج دراستها والنظريات المفسرة لعملها.

فمنذ نحو ثلاثين عامًا نشر الباحثان الأمريكيان جـــورج لاكـــوف ومـــارك جونسون كتابًا قُدِّر له أن يمارس تأثيرًا كبيرًا على العلوم الاجتماعية والإنسانية منذ ذلك الحين. أحدث الكتاب – الذي حمل عنـــوان "**الاســـتعارات التـــي نحيـــا بهـــا Metaphors we Live by**" – ثورة في المفاهيم المرتبطة بالاستعارة، ودورها فـــي حياة الإنسان. فمن خلال مئات الأمثلة المأخوذة من الحياة اليوميـــة للبـــشر أثبـــت المؤلفان أن الاستعارة ليست مجرد زينة أو زخرفة للكلام، كما أنها ليـــست حكـــرًا على النصوص الأدبية، بل هي أداة أساسية لفهم العالم والتفكير فيه والتحدث عنـــه، كما أنها موغلة في الانتشار في كل كلام أو نص بشري بغض النظر عـــن قيمتـــه الأدبية، أو اللغة التي كتب بها، أو الثقافة التي يعبر عنها. لقـــد بـــرهن المؤلفـــان، بواسطة نظرية المفاهيم الاستعارية التي فسَّرا بها طريقة عمل الاستعارة، أن العقل الإنساني يتشكل بدرجة أساسية عبر الاستعارة، وأن الاستعارات التي ننطـــق بهـــا تعكس على نحو شفاف رؤيتنا للعالم، وطرق تفكيرنا فيه.

على الرغم من أن أفكار لاكوف وجونسون الرائدة ظلت توجه فهم الباحثين لطبيعة الاستعارة ووظائفها منذ ذلك الحين؛ فقد جرى في نهر دراسات الاستعارة في السنوات العشر الماضية ماء كثير. والكتاب الذي نشرته مؤخرا دار نشر جامعة كمبريدج بعنوان "**الاستعارة في الخطاب Metaphor in Discourse**" يعد أحد أبرز الإسهامات الأكاديمية في نهر دراسة الاستعارة. فالكتاب الذي ألفته إيلينا سيمينو أستاذ اللغويات بجامعة لانكستر الإنجليزية يدرس الاستعارة في معظم الخطابات العامة المعاصرة مثل: الخطاب الأدبي والسياسي والإعلامي والتعليمي والعلمي والاقتصادي. كما أنه يدمج بين مدخلين مهمين لدراسة الاستعارة؛ هما نظرية المفاهيم الاستعارية التي سبقت الإشارة إليها، ونظرية أحدث، تطورت في العقد الأخير هي نظرية المزج الاستعاري. إضافة إلى ذلك فقد وظّفت المؤلفة ببراعة بعض تطبيقات علم اللغة الحاسوبي في تعزيز فهمنا لعمل الاستعارة في الخطاب العام.

يتألف الكتاب من مقدمة وستة فصول وخاتمة. في المقدمة حددت المؤلفة مفهوم الاستعارة وكيف يمكن التعرف عليها وقدمت أمثلة تطبيقية لها. ثم ناقشت بعض القضايا النظرية المرتبطة بدراسة الاستعارة؛ مثل الأغراض البلاغية للاستعارة، والعلاقة بين الاستعارة والفكر الإنساني في تقليديته وإبداعه. وقد تناولت المؤلفة بالتحليل على مدار ثلاثة فصول دور الاستعارة في مجموعة نصوص وأنواع تنتمي إلى أربعة حقول واسعة للأنشطة الاجتماعية – الثقافية: هي الأدب في الفصل الثاني، والسياسة في الفصل الثالث، والعلم والتربية في الفصل الرابع. بدأ كلٌ من هذه الفصول الثلاثة بتحليل مثال تمهيدي، تبعه موجز عام لاستخدامات الاستعارة ووظائفها في نصوص وأنواع مرتبطة بهذا الحقل الاجتماعي– الثقافي. ينتهي كل فصل بدراستي حالة، هما على وجه التحديد تحليل ممتد لنصوص محددة (مثل منشور سياسي) أو تحليل لظواهر استعارية معينة

تتضمن العديد من النصوص (مثل استخدام استعارة "خارطة الطريق" في علاقتها بالصراع الإسرائيلي - الفلسطيني).

يوسع الفصل الخامس المناقشة لتشمل دور الاستعارة في أنواع وخطابات أخرى، ويحتوى على دراستى حالة إضافيتين، هما تحليل إعلان تجاري، وبرنامج راديو عبر الهاتف يتناول موضوع الاكتئاب. في حين يركز الفصل السادس تحديدًا على استخدام تقنيات معتمدة على المدونة في دراسة الاستعارة، وينتهي بدراسة حالة تشرح بعض تلك التقنيات. وتأتي الخاتمة لتقدم نتائج الكتاب ككل.

كما ناقشت مؤلفة الكتاب عددًا من القضايا النظرية المهمة مثل الأسباب التي تكمن وراء تكرار نماذج استعارية معينة في لغة أو لغات معينة؛ مشيرة إلى دور الخبرات الجسدية المادية المحسوسة مثل المكان، في تأسيس خبرات مجردة ومعقدة وغائمة مثل الزمن. كما عالج الكتاب أسئلة أكثر تحديدًا مثل: لماذا تظهر نماذج واختيارات استعارية بعينها في نصوص أو أنواع أو خطابات بعينها؟ وهو نوع من الأسئلة أجابت عنه المؤلفة بالإحالة إلى دور المخاطِبين والمخاطَبين وهوياتهم وأهدافهم، والإدراك العام لعلاقاتهم المتبادلة، والسياق اللغوي والخارجي وثيق الصلة (ويشمل الأبعاد الموقفية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية).

تناولت المؤلفة أيضا بالتفصيل سلسلة رئيسية من وظائف الاستعارة في الخطاب ترتبط بتمثيل **representation** أبعاد معينة من الواقع. فنظرا لأن الاستعارة تنطوى على الكلام أو التفكير في شيء (مجال الهدف) بمفردات شيء آخر (مجال المصدر)؛ فإن اختيار "شيء آخر" للحديث عن شيء ما يؤثر في كيفية تمثيله. وعلى نحو أكثر تحديدًا، فإن الاستعارات يمكن أن تستخدم للإقناع بصياغات مفاهيمية جديدة للواقع وتبريرها وتقييمها وشرحها والتنظير لها.

عالجت المؤلفة كذلك دور الاستعارة في إنشاء العلاقات الشخصية والتفاوض حولها. فالاستعارة، على سبيل المثال، توظف للتعبير عن الاتجاهات والمشاعر، وتستخدم للتسلية أو الاندماج، أو تعزز الحميمية، أو تنقل الفكاهة، أو تحافظ على الوجه الإيجابي للآخرين أو تهاجمه، وهلم جرا. كما تساعد الاستعارة كذلك في البناء الداخلي لنص ما وتعزيز ترابط علاقاته النصية؛ فهي يمكن أن تستخدم لتقديم تلخيصات أو جذب انتباه المخاطبين إلى أجزاء معينة من النص.

تؤكد المؤلفة أن الاستعارات نادرًا ما تكون محايدة؛ "فإنشاء شيء بمفردات شيء آخر تنتج عنه وجهة نظر معينة حول "الشيء" موضوع الإنشاء، وينطوي غالبًا على اتجاهات وتقييمات محددة. وبمفردات نظرية الاستعارات المفهومية، فإن الاستعارة "تُبرز" بعض أبعاد المجال المستهدف و"تخفي" أخرى. انطلاقا من ذلك تطرح المؤلفة أحد أكثر الأسئلة إشكالية في مجال دراسات الاستعارة وهو: هل البشر مقيدون ومعصوبو الأعين تمامًا من خلال الاستعارات التي يستخدمونها؟ وإجابتها على هذا السؤال هي: بشكل عام، لا، لكن ذلك قد يكون صحيحًا في بعض الحالات. فمن جانب، يمكن للبشر أن يتغلبوا على تشوهات الاستعارات الفردية وقيودها – إلى حد ما على الأقل – من خلال استغلال استعارات تقليدية بديلة لنفس المجال المستهدف، أو من خلال ابتكار استعارات جديدة، ومن ثمَّ ابتكار سبل جديدة لإضفاء معنى على خبرات معينة. وقد لفت لاكوف وجونسون، على سبيل المثال، النظر إلى أن الحجاج في اللغة الإنجليزية يتم بناؤه تقليديا بمفردات مجالات مصادر أخرى بخلاف الحرب (هي تحديدًا: **الرحلات، الحاويات، الأبنية**)، واستكشفا تطبيقات لصياغة مفهومية افتراضية بديلة للحجاج تستخدم مفردات الرقص للتعبير عنه.

ترى المؤلفة مع ذلك أنه عندما تصبح استخدامات استعارية معينة هي الطريقة المهيمنة في الكلام عن بُعد معين من أبعاد الواقع في خطاب معين،

فإنه قد يكون من الصعوبة بمكان إدراكها وتحديها، نظرا لأنها تأتي لتمثل وجهة النظر "الشائعة" و"الطبيعية" للأشياء. في مثل هذه الحالات، يمكن رؤية الاستعارات المفهومية التقليدية بوصفها جزءًا مهمًا من سلسلة المعتقدات المشتركة، أو "الإيديولوجيا" التي تسم جماعة اجتماعية معينة.

لقد بدأ البعد الإيديولوجي للأنماط التقليدية للاستعارة في خطابات معينة يلقى اهتمامًا ملحوظًا. وقد عرضت المؤلفة بعض الدراسات التي أثبتت كيف أن خطاب إدارة الأعمال المعاصر يستخدم استعارات تعكس إيديولوجيا جنسية يبدو أنه يتقاسمها الصحفيون وجمهورهم، هي بالتحديد رؤية أنشطة إدارة الأعمال بوصفها تنافسية وعدائية وعدوانية، وتتضمن ميولا نحو تهميش المرأة أو استبعادها. كما عرضت بحوثًا أخرى درست الدور المركزي الذي تلعبه استعارات تقليدية في الخطابات المتعلقة بالهجرة واللجوء السياسي في سياقات تاريخية وثقافية مختلفة. وكيف أن اقتراح علماء الاستعارة لاستعارات بديلة جديدة، قد يؤدي إلى مداخل أكثر عدالة ومساواة وإنتاجية للمشكلات والأنشطة.

وبوجه عام فإن دراسة الاستعارة يمكن أن تزيد من الوعي بالدور الذي تلعبه في صياغة طرقنا التقليدية في الكلام والتفكير، وبذا يكون الأفراد أكثر قدرة على ملاحظة التعبيرات الاستعارية وعمليات الصياغة المفهومية، ويكونون قادرين على التفكير بشكل نقدي في صلاحيتها. وهكذا فإن جزءًا من حلمنا جميعًا بتغيير العالم الذي نعيش فيها قد نستطيع إنجازه بواسطة تغيير الاستعارات التي نستخدمها في وصفه وتحليله والكلام عنه.

لقد كان لي الحظ أن أقرأ أجزاء من هذا الكتاب وهو لا يزال مخطوطًا، وأن أفيد منها في مبحث من مباحث أطروحتي للدكتوراه، عالجت فيه الاستعارات السياسية في خطب الرئيس المصري الراحل أنور السادات. ومن اللحظة الأولى

فتتني البساطة الآسرة للغة التي كُتِب بها، والعمق الشديد للأفكار التي تناولها. وقد شاطرت مؤلفة الكتاب إعجابي به، فأخذت كلماتي على محمل المجاملة، على عادة كثير ممن عرفت من العلماء الغربيين في تواضعهم الأصيل.

لكن إعجابي الحقيقي بالكتاب كان حافزًا على اختياره للترجمة إلى العربية ضمن مجموعة أخرى من الكتب الأساسية في تحليل الخطاب كلّفني الدكتور جابر عصفور – مدير المركز القومي للترجمة في ذلك الوقت – فور عودتي من بعثتي إلى إنجلترا بانتقائها والعمل على ترجمتها؛ إيمانًا منه بضرورة إتاحة الكتابات الأساسية لهذا الحقل المعرفي المهم للباحثين العرب في العلوم الاجتماعية والإنسانية على اتساعها. وسعدت بأن شاركني في ترجمة هذا الكتاب الصديق الدكتور خالد توفيق وكلي أمل أن يجد الباحثون في هذا الكتاب عدَّة نظرية وإجرائية مفيدة لهم في فهم وتحليل مجموعة كبيرة من الظواهر الاجتماعية واللغوية التي تحيط بنا.

الدكتور/ عماد عبد اللطيف

القاهرة، فبراير ٢٠١٢

شكر وعرفان

لقد استمتعت للغاية بكتابة هذا الكتاب، ويرجع هذا في شطره الأكبر إلى أن أفكاري تطورت عبر العديد من الحوارات والأعمال المشتركة مع أصدقاء وزملاء في جامعة لانكستر وحول العالم، ولا أستطيع أن أذكر الجميع هنا، لكن هناك عدة أشخاص يستحقون اهتمامًا خاصًا.

على مدار السنوات الثمانية الماضية أفدت من العديد من ساعات النقاش مع أعضاء مجموعة براجليجاز "Pragglejaz" التسعة للاستعارة، وأدين على الخصوص لجيرارد شتين لأصالة ابتكاره للمجموعة ودعوتي للانضمام إليها.

وبشكل أكثر محسوسية فإن جون هيوود قد قرأ مخطوطة الكتاب بأكملها، وقدم العديد من التعليقات القيمة، وفي مناسبات عديدة وقاني من حرج محتمل. لقد أعطتني ماريا بورتلوزي وأليس ديجنان وفيرونيكا كولر بعض التغذية الراجعة على فصول مفردة. كتبت صوفيا لامبروبولو البرنامج الإذاعي الذي ناقشته في الفصل الخامس، وساعدني جيرارد هيرن في المراحل الأخيرة من المراجعة اللغوية. وقد أدى بيل بارتون من وكالة إعلان بيلينجتون كارتمل أكثر من واجبه؛ لكي يضمن الحصول على إذن بإعادة إنتاج الإعلان المدروس في الفصل الخامس.

اكتمل الكتاب في وقت معقول بفضل منحة تفرغ بحثي من مجلس البحث في العلوم الإنسانية والفن (رقم المنحة **AH/E503683/1**). أنا ممتنة لأندرياس موسلف على مساعدتها في عملية التقديم للمنحة.

كانت هيلين بارتون في جامعة كمبريدج معينة وداعمة على نحو استثنائي في كل مراحل تطور الكتاب.

على الرغم من أنني استمتعت بالعمل في الكتاب، فقد استمتعت ربما أكثر بأخذ فترات راحة منه؛ لكي أقضي بعض الوقت مع عائلاتي الممتدة في إنجلترا وإيطاليا، خصوصًا مع جوناثان وإيميلي وناتالي. لقد حرصت الفتاتان، على وجه التحديد، على ضمان أن لا آخذ نفسي على محمل الجد بشكل مبالغ فيه إلى حد أن أكون غير مبتهجة صحيا بالأشياء "المملة" التي أعملها. بالطبع، سوف تكون مهمتي هي العمل على تغيير أفكارهما. وفي نفس الوقت فإنني آمل أن قراء الكتاب سوف يختلفون مع ابنتيَّ.

المؤلفة والناشر ممتنان لمن سيرد ذكرهم لسماحهم بإعادة إنتاج بعض المواد التي لها حقوق تأليف: كاركنت لسماحه بإعادة إنتاج قصيدة "إجابات" لإليزابيث جنينجز (١٩٧٩) في الفصل الثاني، قصائد مختارة: كاركنت، ص ٣٢)؛ وستيف بيل للإذن لإعادة إنتاج الكرتون الذي ناقشته في الفصل الثالث، ولوكوزاد للإذن بإعادة إنتاج الإعلان المدروس في الفصل الخامس.

لقد بذلت كل جهد لضمان الأذون الضرورية لإعادة إنتاج المواد التي لها حقوق تأليف في هذا الكتاب، على الرغم من أنه في بعض الحالات ثبت استحالة اقتفاء أثر كل أصحاب حقوق التأليف. لو أننا تنبهنا إلى أيٍّ ممن لم يرد ذكرهم، فسوف نكون سعداء بتضمين عرفان مناسب عند إعادة الطبع في أية طبعة لاحقة.

الفصل الأول

مدخل إلى دراسة الاستعارة في الخطاب

تمهيـــــدات

دعني أبدأ بالتأمل في عنوان هذا الكتاب "الاستعارة في الخطـــاب". أقـــصد بـــ"الاستعارة" الظاهرة التي نتكلم وربما نفكر من خلالها في شيء مـــا بمفـــردات شيء آخر. ففي تعبير "الحرب على المخدرات"، على سبيل المثال، يتم التكلم عـــن محاولة تقليص عدد المتعاطين للمخدرات بمفردات الحرب. وربمـــا يعكـــس هـــذا ويعزز طريقةً معينة في التفكير حول صعوبات متشابكة (على وجه التحديد الأفعال والسياسات المرتبطة بإساءة استعمال المخدرات **drug abuse**) بمفردات العـــدوان العسكري والعمل العسكري. وسوف أقدم تعريفًا أكثر دقة للاســـتعارة فيمـــا بعـــد. أقصد بـــمصطلح "الخطاب"، كما تم استخدامه في العنوان، استخدامًا طبيعيًا متتابعًا للغة: أي أمثلة واقعية من الكتابة أو الكلام تم إنتاجها وتأويلها في ظـــروف معينـــة ولغايات معينة.

أناقش الاستعارة، على مدار هذا الكتاب، بوصفها ظـــاهرة لغويـــة واســـعة الانتشار، متنوعة في تجلياتها النصية، وشديدة المرونة فـــي الوظـــائف التـــي قـــد تؤديها، ومركزية للعديد من أنماط التواصل المتباينة، من التفاعـــل الحمـــيم عبـــر الخطب السياسية إلى التنظير العلمي. وسوف أستكشف، على نحو أكثـــر تحديـــدًا، أشكال الاستعارة ووظائفها في مجموعة من النـــصوص والأنـــواع تـــدور حـــول موضوعات متباينة، وأتأمل في العلاقة بين الاستعمالات الفردية للاســـتعارة فـــي سياقات محددة، والأنماط الاستعارية التقليدية في اللغة عامة، وأشدد على الاتجـــاه نحو التفاعل بين التقليدية والإبداعية في استعمال الاستعارة فـــي مجموعـــة مـــن

الأنواع المتباينة، وأتأمل في العلاقة المهمة - وإن كانت خلافية - بين الاستعمالات الاستعارية للغة من ناحية والتمثيلات الذهنية للفكر من ناحية أخرى.

يمكن تقديم المقاربة التي أتبناها في هذا الكتاب على أفضل نحو من خلال الإشارة إلى مثال محسوس. في ٨ يوليو ٢٠٠٥ نُشر مقال لجيمس لاندال **Landale** في الموقع الإلكتروني لإصدار المملكة المتحدة من أخبار هيئة الإذاعة البريطانية حمل عنوان "نصف ممتلئ أم نصف فارغ؟(١)". كان المقال مهتمًا بنتائج قمة الدول العظمى الثمانية **G8** التي كانت وقائعها قد انتهت للتو في مدينة جلين إيجلز الأسكتلندية، والتي كانت معنية بمبادرات الحد من الفقر في أفريقيا ومواجهة تغيرات المناخ. تلقت القمة قدرا كبيرًا غير عادى من الاهتمام الإعلامي بسبب اشتراك نجمي الروك بوب جلدوف **Geldof** وبونو **Bono**، اللذين كانا يزيدان الوعي العام ويكتلون الحكومات للتأكد من أن قادة الدول الثماني سوف يقدمون التزامات جوهرية (كان المقال مصحوبًا بصورة لجلدوف وبونو وهما يسيران مع كوفي عنان السكرتير العام للأمم المتحدة). قام جلدوف وبونو كذلك بتنظيم سلسلة من حفلات البوب الراقية عبر أنحاء العالم عشية القمة، بهدف تحريك الرأي العام كما هو الحال مع حفل **Live Aid** الذي نظمه جلدوف قبل نحو عشر سنوات لجمع تبرعات لضحايا المجاعة في إثيوبيا.

يركز المقال تحديدًا على المناظرات المعتادة التي تتبع أحداثًا من هذا النوع، ويقدم فيها أشخاص مختلفون تقييمات متباينة لنتائج المناقشات، بعضها يكون أكثر إيجابية، والآخر أكثر سلبية. لقد اخترت المقال للمناقشة هنا بسبب الدور البارز

---

(١) انظر، الرابط الآتي للنص الكامل:

.http://news.bbc.co.uk/1/hi/uk_politics/4665923.stm

الذي تلعبه الاستعارة فيه. في مفتتح المقال، يصرح كاتب التقرير بلا مواربة أنه بعد كل الأنشطة والمفاوضات، اختزلت القمة في "معركة استعارات":

النموذج الأول:

> **في النهاية، بعد كل المحادثات، والتكتل والمساومة حول المفردات، تحولت قمة الدول العظمى الثمانية إلى معركة استعارية.**
>
> **كيف يوصف على أفضل نحو العمل الذي تم على مدار الأيام الثلاثة الماضية في هذا الخليج المنبسط والمركز الفروسي الإسكتلندي؟**
>
> **لقد تساءل البعض: هل كان الكوب نصف ممتلئ أم نصف فارغ؟**

وفي الواقع، كما سأوضح، فإن الأشخاص البارزين ممن تم الاستشهاد بتصريحاتهم في المقال، استخدموا استعارات مختلفة لنقل وجهات نظرهم وتقييماتهم الخاصة لما تم إنجازه. كما أن عنوان المقال نفسه استغل تعبيرًا استعاريًا تقليديا (نصف فارغ أم نصف ممتلئ؟) ليوجز الطريقة التي قام من خلالها البعض بتصوير نفس سلسلة القرارات بوصفها نجاحًا، بينما صورها آخرون بوصفها فشلا.

الاستعارة والأغراض البلاغية

لقد تم تمثيل "القصة" في المقال من خلال الآراء المختلفة التي عبرت عنها مجموعة متنوعة من الأشخاص حول القرارات التي اتخذها قادة الدول الثماني.

يتضمن الكتاب على وجه التحديد العديد من الاقتباسات المباشــرة مــن تــصريحات استخدم فيها ثلاث من الشخصيات البارزة استعارات مختلفة للتعبير عــن تقييمــات متعارضة لنتائج القمة. وفي سلسلة من الاقتباسات المنفصلة، يكتب بونو تقريره كمــا لو أنه يصف ما تم إنجازه وما زال قيد الإنجاز بمفــردات تسلق سلسلة من الجبال:

النموذج الثاني:

> **لقد أعلن بونو Bono نجم فرقة يو تو U2 للروك، "أننا قد تسلقنا جبلا"، وكان بونو بمصاحبة رفيقه في جمع التبرعــات للفقراء بوب جدلوف يلبدان في أحراش هذه القمة.**
>
> **قال بونو "لكن"، وقد كانت "لكن" كبيرة ردد صداها هنا جيش العاملين في جمع التبرعات ولوبي المساعدات:**
>
> **واصل بونو كلامه: "لكن الجبل تم تسلقه فقــط لكــي يكشف عن قمم جبال أخرى على الجانب الآخر".**
>
> **واستمر قائلا إنه لا يرغب أن يبدو سلبيًا للغاية "لكــن دعنا أيضًا نلقي نظرة أسفل، على الوادي الذي جئنا منه".**

يشكل تعبير "جبل تم تسلقه" قمة الدول العظمى الثمانية استعاريًا بمفــردات تسلق جبلي صعب وإن كان ناجحًا في النهاية، في حين أن الإشارة التاليــة "للقمــم الجبلية الأعلى على الجانب الآخر" تقدم المشاكل الباقية بوصــفها جبــالا إضــافية تحتــاج إلى أن يتــم تسلقها(١). ويشكــل بونو في دعوته لإلقــاء "نظــرة أســفل،

(١) كلمة قمة summit ذاتها مأخوذة من الكلمة (summum) اللاتينية التي تعنــي "الأعلــى"، ويمكــن أن تعني أيضًا "قمة جبل" في الإنجليزية المعاصرة. بصياغة أخرى، فإن معنى الاسم وثيق الصلة بالمقال (أي لقاء بين قادة) مشتق استعاريًا من المفهوم المادي لوضع الصعود. مع ذلك يمكن فحسب أن نخمن بأن اختيار بونو للاستعارة ملهم على نحو جزئي بالمعنى المادي لكلمة "قمة".

على الوادي الذي جئنا منه" الموقف قبل القمة مستخدمًا مفردات الموضع الأدنى الذي يبدأ منه التسلق الاستعاري، ويقترح أنه من المناسب الآن تجريب نفس إحساس الإنجاز الذي يشعر به المتسلقون حينما يطلون من فوق قمة الجبل على الوادي أسفلهم.

الآراء التي عبر عنها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، الذي كان أحد قادة الدول الثماني، تم تقديمها كذلك من خلال استشهادات يصف فيها ما تم إنجازه بواسطة مفردات الحركة. فقد نقل عنه قوله بخصوص التغير المناخي أنه يوجد "ممر لحوار جديد"، وأصر فيما يتعلق بالقمة بوجه عام على أن:

النموذج الثالث:

"السياسة هي إنجاز الأشياء خطوة بخطوة. هذا تقدم، ويجب أن نكون فخورين به".

تشكل تعبيرات مثل "ممر لـ"، و"إنجاز الأشياء خطوة بخطوة" ما تم تحقيقه على نحو إيجابي باستخدام مفردات الحركة للأمام (خطوة بخطوة) أو بمفردات الكيانات التي تجعل الحركة للأمام ممكنة (الممر). ومع ذلك فإن هذه التعبيرات تقترح أيضًا أن ما أُنجز هو جزء من عملية أطول، وليس النتيجة النهائية المطلوبة.

وفي المقابل تم الاستشهاد بكلام ممثل لجماعة من جماعات مقاومة الفقر يقدم تقييمًا سلبيًا لقمة الدول الثماني في مقارنة مع حفل **Live 8** بواسطة استعارة ذات علاقة بالصوت:

النموذج الرابع:

> **قال الدكتور كومي نايدو، من تجمع الجماعات المقاومة للفقر G-Cap، "بعد "الزئير" الذي أنتجه Live 8، نطق قادة الدول الثماني "همسًا".**

يمكن أن تكون الإشارة للزئير وصفًا غير استعاري للصوت الذي صنعه الجمهور في الحفل. مع ذلك فإن استخدام "الهمس" في علاقته بالقمة هو بوضوح وصف استعاري (سلبي) للعائد من المناقشات بمفردات صوت يتسم بافتقاد علو الصوت. ومن ثمَّ، فإن المقابلة من زاوية علو الصوت بين الأصوات التي وصفت "بالزئير" و"الهمس" استخدمت استعاريًا لتأسيس تقابل بين قوة المشاعر والالتزامات التي تم التعبير عنها من خلال جمهور الحفل، وافتقاد الحل والفاعلية الذي أظهرته قمة الدول الثماني(١).

استخدم المتكلمون الثلاثة جميعًا الاستعارة للمساهمة في أغراضهم البلاغية، التي تتجاوز التعبير البسيط عن آرائهم بطريقة فعالة. كل من بونو وبلير انخرطا على نحو مكثف في قمة الدول العظمى الثماني، وإن كان ذلك بطرق مختلفة، وبناءً على ذلك ووجها بضرورة إحداث توازن جيد عندما طُلب منهما الحكم على نتائج القمة: كان عليهما أن يزعما درجة من النجاح لكي لا يفقدا صورتهما الإيجابية من ناحية، ولا يخربا آفاق التعاون المستقبلي البناء مع الآخرين، من ناحية أخرى. وكان عليهما أن يعترفا بأن النجاح لم يكن كاملا، لكي يحتفظا بمصداقيتهما،

---

(١) من الشيق أن التعبيرين الاسميين الاستعاريين "الزئير" و"الهمس" هما هنا الجزآن الوحيدان اللذان استُشهد بهما من كلام الدكتور نايدو على نحو مباشر، عبر تقنية وصفت بأنها "استشهاد ضمني" (انظر سيمينو وشورت، ٢٠٠٤ Semino and Short 2004، ١٧١).

وأن يؤكدا أن هؤلاء المشاركين احتاجوا إلى الاستعداد لمجهودات إضافية. من المثير للاهتمام أن كليهما أنجز فعل التوازن البلاغي هذا من خلال إحالات استعارية إلى الاستكمال الناجح/جزء من رحلة. وفي المقابل فإن دكتورة نايدو لم تشترك على نحو مباشر في القمة، ومثّلت منظمة هدفها هو وضع ضغوط على الحكومات حول موضوع الفقر العالمي. واختيارها للاستعارة، بناء على ذلك، يعبر عن خيبة أمل، ويركِّز على التناقض بين قرارات السياسيين وطموحات البشر العاديين في الحفل.

ثمة وصف أرسطي شهير يصف "امتلاك زمام الاستعارة" بأنه "علامة على العبقرية" (كوبر ٢٠٠٥). وفي حين أننا قد نتردد في استخدام كلمة "عبقرية" بشأن هؤلاء المتكلمين الثلاثة المستشهد بهم في المقال، فإن كلاً منهم يظهر مهارة وخبرة في استخدام الاستعارة لنقل وجهة نظره بإيجاز، وحيوية وفعالية، وليوفر لوسائل الإعلام مادة سهلة الاقتباس. مع ذلك فإن المقال يوضح أن "العبقرية" التي يتكلم عنها أرسطو ليست مقتصرة على السياسيين أو الشخصيات الإعلامية. فمؤلف المقال جيمس لاندال **Landale**، لا يلحظ فحسب أن التقابل بين الاستعارات سوف يصنع قصة خبر لطيفة، لكنه سوف يؤثر أيضًا بقوة على استخدام الاستعارة نفسها؛ فهو على سبيل المثال يصف الاستعارات المتقابلة التي يستخدمها أفراد مختلفون بوصفها "معركة" (انظر النموذج الأول)، ويستغل التعارض الاستعاري التقليدي بين رؤية كوب بوصفه نصف ممتلئ أو نصف فارغ لكي يقدم عنوانًا جذابًا لمقاله. في الواقع فإن نظرة فاحصة على التعبيرات الاستعارية المتنوعة التي ناقشتها تكشف أن "عبقرية" من أنتجوها تكمن في استغلال بعض الاستعارات التي شاع استخدامها بواسطة متكلمي الإنجليزية عمومًا إلى أقصى حد.

الاستعارة والتقليدية والفكر

الاستعمالات الاستعارية للغة التي تنسب لبونو وبلير والدكتورة نايدو في المقال لافتة بما يكفي لأن يلاحظ كاتب التقرير استعاريتها، وأن يقرر أن قراءه سوف تكون لديهم القدرة على ملاحظتها أيضًا. وفي الواقع فإنه من المحتمل أن نستنتج نحن كذلك أن التعبيرات الاستعارية المتنوعة استخدمها المتكلمون الثلاثة بوعي وعن قصد، لكي يعبروا عن آرائهم بأقصى قدر ممكن من الفعالية. ومع ذلك فإنه عبر العقود الثلاثة الماضية توجه اهتمام أكبر لحضور عدد كبير من التعبيرات الاستعارية شديدة التقليدية في اللغة، التي عادة ما نستخدمها ونفهمها دون أن نكون على وعي باستعاريتها. ففي سلسلة من الأعمال المؤثرة لفت جورج لاكوف وزملاؤه النظر إلى أن التعبيرات الاستعارية متغلغلة الانتشار في اللغة، وأنها تميل إلى تشكيل سلاسل نسقية مثل التالية[١]:

النموذج الخامس:

ادعاءاتك لا يمكن الدفاع عنها

هاجم كل النقاط الضعيفة في حجتي

انتقاداته أصابت الهدف تمامًا

هدمتُ حجته

لم أنتصر في حجاج معه قط

هل أنت غير موافق؟ إذن أطلق النيران

---

(١) انظر: Lakoff and Johnson 1980b; Lakoff and Turner 1989; Lakoff 1993.

لو استخدمت تلك الاستراتيجية، فإنه سوف *يدكك* (يبيدك)
لقد قتّل كل حججي

النموذج السادس:

لديه نقطة انطلاق في الحياة. إنه يفتقد البوصلة في حياته. أنا موجود حيث أريد أن أكون في الحياة. أنا في مفترق طرق حياتي. سوف يرتاد آفاقًا في حياته. لم يكن ليدع أحدًا يقطع عليه طريقه. لقد اجتاز الكثير في حياته.

فالتعبيرات في النموذج الخامس تصف الحجج اللفظية بمفردات العدوان المادي، بما فيها على وجه التحديد نوع العنف المسلح المرتبط بالحرب. أما التعبيرات في النموذج السادس فإنها تصف أبعادًا متنوعة من الحياة بمفردات الموقع والحركة والرحلات.

لقد أوضح لاكوف وجونسون على نحو مشهور في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها" أن العديد من أمثال هذه السلاسل المترابطة من التعبيرات الاستعارية التقليدية توجد في اللغة الإنجليزية. وحاججا بأن تلك التعبيرات ليست ببساطة طرقًا في ***الكلام*** عن شيء بمفردات شيء آخر، لكنها أدلة أيضًا على أننا **نفكر** في شيء بمفردات شيء آخر. وعلى وجه أكثر تحديدًا، من وجهة نظر لاكوف وجونسون، فإن مجموعات التعبيرات مثل تلك التي سبق ذكرها تعكس أنماطًا تقليدية في التفكير، تُعرف بـ"الاستعارات المفهومية". وعُرِّفت الاستعارات المفهومية بوصفها "سلسلة نسقية من التناظرات أو الروابط عبر مجالات مفاهيمية، يتم بواسطتها تأسيس مجال "هدف" (مثل معارفنا المتعلقة بالجدال) على نحو جزئي بمفردات

مجال "مصدر" مختلف (مثل معارفنا المتعلقة بالحرب)[1]. المجالات المفهومية هي تمثيلات ذهنية غنية: إنها شرائح من معارفنا القبلية التي ترتبط بخبرات أو ظواهر محددة، وربما تشتمل على عناصر (مثل المسافرين) وعلاقات (مثل تلك التي توجد بين المسافرين ومحطات وصولهم) وأنماط استدلال (مثل أنه لو وصل شخص ما إلى نهاية زقاق مغلق فإنه لن يستطيع الاستمرار في التحرك للأمام)[2]. السلاسل التقليدية للتعبيرات الاستعارية مثل تلك المقدمة في (النموذج الخامس، والنموذج السادس) يُنظر إليها بوصفها تحققات لغوية لاستعارة مفهومية تقليدية: فالتعبيرات في النموذج الخامس مقدمة بوصفها تحققات لغوية للاستعارة المفهومية **الحجاج حرب**، حيث **الحرب** هي مجال المصدر **والحجاج** هو المجال المستهدف، والتعبيرات في النموذج السادس قدمت بوصفها تحققات لغوية للاستعارة المفهومية **الحياة رحلة** حيث **الرحلة** هي مجال المصدر **والحياة** هي المجال المستهدف. تتضمن الاستعارة المفهومية "**الحجاج حرب**" تناظرا بين المشاركين في الحجاج مع الخصوم أو الأعداء، واستراتيجيات الحجج مع الهجوم أو الدفاع، ونتائج الحجاج مع النصر أو الهزيمة، وهلم جرا. على نحو مشابه، الناس في استعارة (**الحياة رحلة**) يتناظرون مع المسافرين، والأفعال مع التحرك للأمام، والاختيارات مع مفترق الطرق، والمشكلات مع عوائق السفر، والغايات مع محطات الوصول. وعلى نحو مهم فإنه يمكن إسقاط بنية جديدة من مجال المصدر على المجال

(١) انظر أيضا الاستعارات الأساسية 'basic' metaphors، عند MacCormac 1985، وتماثلات الجذور root analogies، عند Goatly 1997

(٢) انظر، see Lakoff and Turner 1989: 63-4. وهناك مصطلحات أخرى للتمثيلات الذهنية العامة تكاد تكون متطابقة مع "المجال" منها "الخطاطة schema"، و"السيناريو script"، والإطار "frame".

المستهدف. تأمل، على سبيل المثال، التركيب الاستعاري التقليدي للزمن بوصفه مصدر دخل، أو على وجه التحديد بوصفه مالا، الذي يتحقق لغويًا من خلال تعبيرات مثل "لقد استنفدتُ كلَّ وقتك" و"استثمرتُ الكثير من الوقت في هذا المشروع"[1]. بعض المواد التي تمَّ إسقاطها من مجال المصدر (مصدر دخل/مال) ليست بالضرورة جزءًا من المجال المستهدف (الوقت) بشكل مستقل عن الاستعارة. وينطبق هذا، على سبيل المثال، على تصورات أن الزمن يمكن "توفيره"، أو "إهداره"[2]. هذه النظرة للاستعارة، وهي تُعد حاليًا النموذج الإرشادي المهيمن في الدراسات الاستعارية، تُعرف بنظرية الاستعارة "المعرفية" أو "المفهومية"[3].

يشدد منظرو الاستعارة المفهومية على أن مجالات الهدف تتناظر على نحو تام مع حقول الخبرة التي تكون مجردة أو معقدة أو غير مألوفة أو ذاتية أو ضعيفة التحديد نسبيًا مثل الوقت أو المشاعر أو الحياة أو الموت. وفي المقابل فإن مجالات المصدر تتناظر على نحو تام مع الخبرات الملموسة والبسيطة والمألوفة والمادية والمحددة بدقة مثل الحركة والظواهر الجسدية والأشياء المادية وهلم جرا. وينطبق هذا تحديدًا بوضوح على الاستعارة المفهومية (**الحياة رحلة**)، حيث المجال المستهدف (**الحياة**) أكثر تعقيدًا وتجريدًا نسبيًا من مجال المصدر (**الرحلة**).

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1999: 161-64.

(٢) انظر، Lakoff and Johnson 2003: 252-3.

(٣) انظر أيضًا، Gibbs 1994; Lakoff and Johnson 1999; Kövecses 2002. وليس لدي في هذا الكتاب مساحة كافية لأناقش بالتفصيل الطريق الذي تم تطوير نظرية الاستعارات المفهومية من خلاله في السنوات الأخيرة، لكن انظر على سبيل المثال

Grady (1997a), Lakoff and Johnson (1999) and Lakoff and Johnson (2003: 242-76).

علاوة على ذلك، فإن مجال المصدر (الرحلة) يضرب بجذوره في الخبرة المادية الأساسية والبسيطة في التحرك عبر طريق من نقطة إلى أخرى. في إطار نظرية الاستعارات المفهومية، فإن مثل هذه الخبرات الأولية تم الإمساك بها بمفردات التمثيلات الذهنية البسيطة والهيكلية المعروفة بـ "مخططات الصورة **image schemas**". فاستعارة (**الحياة رحلة**) على سبيل المثال ترتبط بمخطط صورة (**الطريق**)، وهي بنية معرفية مصغرة تتكون من نقطتين متباينتين، وطريق بين النقطتين، واتجاه للحركة من موقع لآخر[١].

في النسخة التي اقترحها جرادي من نظرية الاستعارات المفهومية، يُنظر إلى الاستعارات المفهومية من قبيل (**الحياة رحلة**) بوصفها نتيجة للتركيب بين روابط مفاهيمية عديدة أكثر أساسية وتعميمًا مثل (**الأهداف هي محطات وصول**)، و(**الأفعال حركة لها قوة دفع ذاتية**)[٢]. هذه الارتباطات الأساسية، أُطلق عليها "استعارات أولية **primary metaphors**" وزُعم بأنها متأصلة في الروابط النسقية بين خبراتنا المحسوسة والمادية من ناحية (مثل الوصول إلى محطة) وخبراتنا المعنوية والذاتية (مثل تحقيق هدف). بصياغة أخرى فإن الاستعارة المفهومية (الحياة رحلة) زعم أنها مشتقة في النهاية من ارتباطات خبراتية أساسية بين أداء الأفعال والحركة، والوصول لمحطات الوصول وتحقيق الأهداف، وهلم جرا. وفي الحقيقة، حتى الاستعارة المفهومية (**الحجاج حرب**)، حيث مجال المصدر (**الحرب**) أكثر تعقيدًا، يمكن رؤيتها بوصفها تنهض من الخبرة الأساسية للصراع الجسدي بين الأفراد ذوي الغايات المتعارضة[٣]. وسوف أعود إلى هذه الاستعارة بعينها في الفصل السادس.

---

(١) انظر، Johnson 1987.

(٢) انظر، Grady 1997a.

(٣) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 62; 2003: 265.

هناك ادعاء في المقاربات السابقة بأن الاستعارة تقوم علـــى تـــشابهات بـــين كيانات مختلفة، على الرغم من الاعتراف بأنه في بعض الدراسات يمكن للاستعارات أن تخلق تشابهات جديدة بدلا من أن تقوم بالاعتماد ببساطة علـــى تـــشابهات ســـابقة الوجود و"موضوعية"[١]. تلعب فكرة التشابه دورًا أكثر محدودية في إطـــار نظريـــة الاستعارات المفهومية، وغالبًا ما يتم شرح الاستعارات المفهومية التقليدية بمفـــردات تكرار العلاقات في التجربة، كما ذكرت للتو. مع ذلك فقد تم الاعتراف أيـــضًا بـــأن بعض الاستعارات لا يمكن ردها إلى العلاقات الخبراتية، لكن أساسها يكمن بدلا مـــن ذلك في التشابهات أو المشابهات المدركة، أعني فـــي إدراك الخـــصائص أو البنـــى المشتركة بين كيانات أو حقول خبرة متباينة. ويمكن لهذا أن يفـــسر، علـــى ســـبيل المثال، الجمل الخبرية الاستعارية مثل "أخيل أسد"، أو الاستعارات المفهومية التقليدية مثل (**الحياة لعبة مراهنة**)، التي تتأسس وفقًا لكوفيكس Kövecses[٢] علـــى إدراك أن بعض أبعاد الحياة تتشابه مع بعض أبعاد ألعاب المراهنة (قارن على ســـبيل المثـــال تعبيرات مثل "**الحياة لعبة نرد**" أو "**تلك مراهنات خطرة**"، و"لو لعبت **أوراقـــك** علـــى نحو جيد، تستطيع إنجاز الهدف")[٣]. [التشديد في الأصل]

دعنا الآن نعود إلى التعبيرات الاستعارية من مقال الدول الثمـــاني، الـــذي ناقشته في القسم الفرعي السابق. الاستعمال الاستعاري "للمعركة" في تعبيـــر مثـــل "معركة الاستعارات" – من منظور نظرية الاستعارة المفهومية– هو جـــزء مـــن

---

(١) انظر على سبيل المثال، Black 1962.

(٢) انظر، Kövecses (2002: 71-2، Grady 1999.

(٣) لا أناقش في هذا الكتاب نظريات أخـــرى للاستـــعارة، لكن انظر علـــى سبيل المثال:
MacCormac (1985), Kittay (1987), Glucksberg (2001), Sperber and Wilson (1995), Stern (2000) and Gentner and Bowdle (2005).

نموذج تم التمثيل له في النموذج الخامس، أو أنه، بصياغة أخرى، تحقق لغوي للاستعارة المفهومية "الحجاج حرب"، ويصف كاتب التقرير استعاريًا استخدام استعارات متباينة من جانب البشر الذين لديهم آراء متباينة بمفردات ميدان في حالة حرب. وهو بفعله ذلك يقوم باستغلال المعنى الاستعاري التقليدي لكلمة "معركة"، الذي عادة ما يتم إدراجه في مداخل القواميس بمصاحبة المعنى غير الاستعاري للقتال بين جيشين متصارعين.

أما استعارات الحركة التي استخدمها كل من بونو وبلير فهي من بقايا التعبيرات التي وردت في النموذج السادس بوصفها تحققات لفظية للاستعارة المفهومية (**الحياة رحلة**). وفي الواقع فإنه يمكن شرحها -كما ذكرت سابقًا- على نحو جيد بمفردات التركيب بين سلسلة محدودة من الاستعارات الأولية، تتضمن على وجه التحديد (**الفعل حركة مُسيَّرة ذاتيًا، والغايات محطات وصول**)[١]. كل من بونو وبلير يؤسس استعاريًا قمة الثماني بوصفها جزءًا من رحلة صعبة، ويؤسس الإنجازات التي تحققت بوصفها حركة للأمام. ومع ذلك فإنه في الحالتين، ما تزال هناك حاجة لحركة إضافية، ولم تقدم أية إشارة واضحة إلى نقطة نهاية الرحلة، التي يفترض أنها تتناظر مع الغايات التي لا يمكن الوصول إليها تقريبًا، وهي الخلاص من الفقر العالمي ومن تخريب البيئة. مع ذلك فإن التعبيرين الاستعاريين اللذين استخدمهما بلير (الممر، وخطوة بخطوة) هما أكثر تقليدية من هاتين اللتين استخدمهما بونو؛ وفي الواقع فإن القراء ربما يكونون واعين باستعاريتهما فقط، لو وعوهما، بسبب تجاور التعبيرين مكانيًا، وربما كذلك بسبب الإشارة المباشرة إلى "معركة الاستعارات" في مفتتح المقال. وعلى خلاف ذلك فإن بونو يبدأ بتعبير أكثر تقليدية (تم تسلق جبل)، ثم يجسد سيناريو تسلق الجبل باستخدام تعبيرات أقل

(١) انظر، Grady 1997a: 286-87; Lakoff and Johnson 1999: 52-3.

تقليدية بكثير (القمم المرتفعة، الوادي الذي جئنا منه..إلخ). سوف أعود إلى الاستغلال الإبداعي للتعبيرات الاستعارية التقليدية في حديثي عن أنماط الاستعارة في الخطاب فيما يأتي.

استخدام الدكتورة نايدو الاستعاري "للهمس"، وإلى حد ما "للزئير" ليس مرتبطاً على نحو واضح بالاستعمالات التقليدية للاستعارة. ربما يفسر هذا علة أن ثمة احتمالا محدودًا لإدراكها بوصفها "تعبيرًا مسكوكًا **clichéd**" مقارنة باستعارات بلير، وإلى حد أقل استعارات بونو. مع ذلك فإن اختيار دكتورة نايدو للاستعارة يتسق على الأقل مع بعض التعبيرات الاستعارية التقليدية التي يتم فيها تقييم علو الصوت إيجابيًا، والربط بينه وبين الفعالية، كما في قول "للأفعال صوت أعلى من الأقوال **actions speak louder than words**".

من الممكن المحاجاة بأن مهارة أشخاص مثل بلير وبونو كمتحدثين جماهيريين تكمن تحديدًا في قدرتهم على استغلال استعارات مفهومية تقليدية لتحقيق أغراضهم البلاغية، من خلال مطها وتكييفها بإبداع لكي تنقل أفكارًا معينة. على وجه أكثر تخصيصًا، فإن نوع الاستغلال الإبداعي للاستعارات المفهومية التقليدية الذي تمثله تصريحات بونو ينجز حلا وسطًا بلاغيًا مهمًا: فمن ناحية تؤكد الأساس التقليدي لاستعارات بونو أنه يمكن فهمها بسهولة، وعلى نطاق واسع، ومن الناحية المقابلة فإن العناصر الإبداعية تضيف حيوية لتصريحاته، وتساعده في الآن ذاته على نقل شعور بالرضى عن الإنجازات الحالية، والحاجة إلى التركيز على التحديات المستقبلية. وفي إطار نظرية الاستعارات المفهومية فإن الأنماط المختلفة للظواهر المذكورة بوصفها أدلة لوجود استعارات مفهومية تتضمن بالفعل القدرة السلسة على إنتاج وفهم استخدامات إبداعية للاستعارة مثل "قمم الجبال" لدى بونو[1].

---

(١) انظر، Lakoff and Turner 1989; Lakoff 1993: 205.

مع ذلك فإن معظم التعبيرات الاستعارية تقليدية على نحو كبيـر، لـذلك فـنحن، عمومًا، لا نكون واعين عن قصد باستعاريتها حين ننتجها أو نؤولها. يحتوي مقال الدول الثماني على العديد من مثل هذه التعبيرات مثل، الاستخدام الزمنـي لظـرف المكان "على"، في عبارة "على مدار الأيام الثلاثة الماضية" في النموذج الأول على سبيل المثال، وسوف أعود إلى الاستخدامات الاستعارية لحروف الجر أثناء الكـلام عن تنويعات التعبيرات الاستعارية فيما يأتي.

لا يعترف منظرو الاستعارة التقليدية عادة بأي دَين فكري للدراسات السابقة حول الاستعارة. بل يصفون بالأحرى عمل علماء الاستعارة السابقين بأنـه أفكـار خاطئة على نحو كامل، ويقدمون مدخلهم الحالي لدراستها بوصفه تصحيحًا ثوريًـا لأخطاء الماضي(١). وهذا من وجهة نظري غير دقيق. لقد قامت نظرية الاستعارة المفهومية بالفعل بتجديدات في مجالات عديدة حاسمة، وتعارضت بالفعل مع وجهة النظر المعرفية للاستعارة بوصفها أداة زخرفة، تتضمن ببساطة استبدال مـصطلح غير حرفي بمصطلح حرفي للدلالة على مفهوم ما.

ومع ذلك فإن استبصارات ومبادئ النظرية الاستعارية المفهومية سبقت إليها العديد من الدراسات السابقة حول الاستعارة، وإن كان ذلك من منظورات مختلفـة وانشغالات متباينة(٢). وعلى سبيل المثال، فإن أرسطو، الذي قُدِّم غالبًـا بوصـفه مصدر الأفكار الخاطئة التالية، أدرك بالفعل البعد الإدراكي للاستعارة، كمـا أدرك قوتها البلاغية(٣). كذلك ناقش عدد من الفلاسفة واللغويين الأوروبيين علـى مـدار قرون عديدة التطبيقات المعرفية للاستعارة وكلية وجودها اللغوي، بما فيهم الفلاسفة

---

(١) انظر، Lakoff and Turner 1989: 110-39.

(٢) لرؤية عامة انظر، Jäkel 1999; Cameron 2003.

(٣) انظر، Mahon 1999; Cameron 2003.

جون لوك وجيمباتيستا فيكو وإيمانويل كانط وهارلاد فينريش[١]. وحديثًا أدرك فلاسفة أنجلو أمريكيون ونقاد أدب بارزون مثل آي.إيه. ريتشاردز وماكس بلاك[٢] أن الاستعارة يمكن أن تقود إلى بناء معان جديدة من خلال جلب ودمج أفكار وأنظمة معرفية مختلفة. كذلك قدم ريتشاردز في عمله حول الاستعارة بعض المصطلحات المؤثرة التي لا يزال يتم تداولها على نطاق واسع حتى الآن. تتضمن هذه المصطلحات تحديدًا مصطلحات مثل "الحامل **vehicle**" للإشارة إلى معنى مجال المصدر للتعبير الاستعاري (مثل معنى "القتال" في كلمة "معركة" في التعبير "معركة الاستعارات") ومصطلح "المحمول **tenor**" للإشارة إلى العنصر الذي يتم بالفعل التحدث عنه من المجال المستهدف (مثل التعارض في استخدام الاستعارات في تعبير "معركة الاستعارات").

من وجهة نظري، لا يقلل التداخل بين نظرية الاستعارة المفهومية والأعمال السابقة حول الاستعارة من الإنجازات التي قدمها لاكوف وزملاؤه، لكنها تقدم بالأحرى دعمًا إضافيًا لأطروحاتهم. إن أصالة الإسهام الذي قدمته نظرية الاستعارة المفهومية يكمن على وجه التحديد في تركيزها على أنماط التعبيرات الاستعارية التقليدية، وفي تأكيدها على الطبيعة الضمنية للعديد من الاستعارات التقليدية، وتفسيرها لكيف يمكن للاستعارات أن تشكل وعينا بالعالم على نحو نسقي. من ناحية أخرى فإن الأعمال الكلاسيكية في نظرية الاستعارة المفهومية مثل كتاب لاكوف وجونسون (الاستعارات التي نحيا بها) يتضمن عددًا من نقاط الضعف التي كان لها تأثيرات مباشرة على اهتمامات هذا الكتاب.

---

(١) انظر، Jäkel 1999.

(٢) انظر، I. A. Richards (1936) and Max Black (1962; 1993).

فتصورات مثل المجالات المفهومية conceptual domains وخطاطة الصورة image-schemata ليست دومًا كافية لتفسير الظواهر الاستعارية التي يمكن ملاحظتها في استعمال اللغة. وقد كانت بعض الدراسات الحديثة أكثر نجاحًا في تفسير استخدام الاستعارة في اللغة من خلال عمل إحالات إلى التمثيلات الذهنية مثل "المشاهد scenes" أو "السيناريوهات scenarios[(١)]"، وهي مفاهيم أضيق وأقل تعقيدًا من المجالات المفهومية، لكنها أكثر غنى في المحتوى من خطاطة الصورة. مفهوم "السيناريو" الاستعاري على وجه التحديد، سوف يُستخدم على نحو متكرر على مدار هذا الكتاب للإشارة إلى التمثيلات الذهنية لمواقف وأماكن وكيانات وأغراض وأفعال محددة، ترتبط بها (مثل سيناريو "**المعركة**" في مقابل مجال مفهومي أوسع هو "**الحرب**").

وعلى نحو أكثر حسمًا بالنسبة لأهداف هذا الكتاب فإن نظرية الاستعارة المفهومية معنية أساسًا ***بالاستعارات المفهومية***، في حين اعتبرت التعبيرات الاستعارية في اللغة ذات أهمية ثانوية. وقد نتج عن هذا نقص عام في الاهتمام بالتحققات النصية للاستعارة وفي كون البيانات اللغوية التي تقدم بوصفها دليلا بيانات حقيقية. لقد اعتمد الخصوم الرئيسيون لنظرية الاستعارة المفهومية غالبًا على أنها اعتمدت على أمثلة مصطنعة لدعم ادعاءات أصحابها، الذين لم يطوروا منهجية واضحة لاستقراء الاستعارات المفهومية من البيانات اللغوية. وقد أضفى هذا شكوكًا على إمكانية الاعتماد على الأطروحات الخاصة بالاستعارات المفهومية التقليدية، وعلى شمول التفسير الذي قدمه منظرو النظرية للاستعارة في اللغة[(٢)].

---

(١) انظر، Musolff 2004.

(٢) انظر، (Steen 1999; Low 2003; Semino and Short 2004; Deignan 2005.

لمواجهة مناطق الضعف هذه، سوف أحتفظ في هـذا الكتـاب بالتبـصرات والمبادئ الرئيسية لنظرية الاستعارة المفهومية، لكنني سوف أبني كذلك على أعمال عدد من العلماء الذين استكشفوا استخدام الاستعارة في خطاب حقيقـي[١]. وعلـى وجه أكثر تحديدًا فإنني سوف أستخدم غالبًا -حين أقدم ادعاءات بشأن الاسـتعارات اللغوية التقليدية والاستعارات المفهومية الكامنة- أدلة من مدونات لغوية (مفردهـا مدونة)؛ أي مجموعات ضخمة من النصوص الحقيقية المقروءة آليًا[٢]. كما سأولي اهتمامًا تفصيليًا للسمات الشكلية للتعبيرات الاستعارية، وللنمـاذج النـصية وبـين النصية التي هي جزء منها. وهدفي هو الجمع بين الوعي بالحالة التقليدية للكثيـر من استخدامات الاستعارة، والأخذ في الاعتبار تفرد وخصوصية التحققات الفردية، كما برهنـت بشكل موجـز فيما يتعلق بمقال الدول الثماني. وبمفـردات سـوان Swan (2002) فإن التزام نظرية الاستعارة المفهومية الصارم بأن "تصف ما هـو عادي، وثابت وقابل للتعميم عبر عينة من الشواهد قابلـة للتعـديل **open-ended**، لا يمنع بالضرورة المقاربة المعرفية للاستعارة من أن تضم وصفًا لبنيتها النـسقية التي تفسر أداءات محددة وسياقية للمعنى"[٣].

الاستعارة في اللغة

سوف أبدأ هذا القسم بتقديم تعريف أكثر دقة للتعبيرات الاستعارية، ثم أدرس مجموعة من التجليات المختلفة للاستعارة في اللغة، بما فيها: الاستخدام الاستعاري

---

(١) مثل (e.g. Cameron 2003; Charteris-Black 2004; Musolff 2004; Deignan 2005).

(٢) انظر الفصل السادس لمزيد من التفصيل.

(٣) انظر، Swan. 2002: 450-1.

لأجزاء مختلفة من الكلام والتعبيرات متعددة المفردات، والتمييز بين الاستعمالات الاستعارية التقليدية والابتكارية للغة، وتنميط التعبيرات الاستعارية في النصوص ووظائفها المحتملة.

تعيين التعبيرات الاستعارية

لقد اشتغلت حتى الآن بمفهوم واسع للاستعارة على أنها الظاهرة التي نتكلم بها، وقد نفكر بها، في شيء بمفردات شيء آخر. وقد قدمت على نحو ضمني أثناء عرضي لنظرية الاستعارة المفهومية تمييزًا مهمًا بين التعبيرات الاستعارية في اللغة (مثل الاسم "معركة" في تعبير "معركة استعارات") واستعارة مفهومية (مثل **الحجاج حرب**). وفي إطار نظرية الاستعارة المفهومية ينظر للتعبيرات الاستعارية في اللغة بوصفها تحققًا لغويًا للمفاهيم الاستعارية. وقد آن الآون لكي أدقق في ما أقصده حين أتحدث عن "الاستعارات المفهومية"، أو "التعبيرات الاستعارية"، أو "الكلمات المستخدمة استعاريًا". وهذا موضوع تركه العلماء غامضًا إلى حد ما، لكن بدأ البعض مؤخرا في التعرض له بشكل أكثر مباشرة وتنظيمًا(١).

تقوم مقاربتي لتعيين التعبيرات الاستعارية على "إجراء تعيين الاستعارة **MIP**"، الذي اقترحته جماعة من العلماء المعروفين بجماعة براجليجاز **Pragglejaz Group**، التي أحظى بعضويتها(٢). وهذا الإجراء هو كما يأتي:

١. اقرأ النص-الخطاب بأكمله لتؤسس فهمًا عامًا للمعنى.

---

(١) انظر على سبيل المثال: Goatly 1997; Cameron 2003; Deignan 2005.

(٢) تشكل اسم Pragglejaz من الحروف الأولى لأسماء الأعضاء العشرة المكونين للجماعة وهم: Peter Crisp, Ray Gibbs, Alan Cienki, Gerard Steen, Graham Low, Lynne Cameron, Elena Semino, Joseph Grady, Alice Deignan and Zoltan Kövecses.

٢. حدد الوحدات المعجمية في النص-الخطاب

٣. (أ) قم بتأسيس المعنى السياقي لكل وحدة معجمية في النص، أي كيف تنطبق على كيان، أو علاقة، أو نعت في الموقف المستدعى من خلال النص (المعنى السياقي). ضع في الاعتبار ما يأتي أولا قبل وبعد الوحدة المعجمية.

٤. (ب) حدد بالنسبة لكل وحدة معجمية ما إذا كان لها معنى معاصر أكثر أساسية في سياقات أخرى مغايرة لهذا السياق. وبالنسبة لأهدافنا فإن المعاني الأساسية تميل إلى أن تكون:

- أكثر تحديدًا (فما تستدعيه أسهل في التخيل والرؤية والسمع والإحساس والتشمم والتذوق)؛
- مرتبطة بالفعل الجسدي
- أكثر دقة (في مقابل الغموض)
- أقدم تاريخيًا
- ليس من الضروري أن تكون المعاني الأساسية هي المعاني الأكثر تكرارًا للوحدة المعجمية.

(جـ) لو أن للوحدة المعجمية أكثر من معنى أساسي راهن ومعاصر في سياقات أخرى غير السياق المتعين، فعليك أن تقرر ما إذا كان المعنى السياقي يتعارض مع المعنى الأساسي ولكن يمكن فهمه بمقارنته به.

٥. لو أن الإجابة بنعم، ميِّز الوحدة المعجمية على أنها استعارية[١].

---

(١) انظر، Pragglejaz Group 2007: 3.

الإحالة إلى "الوحدات المعجمية" في الإجراء هي اعتراف بأنه لا توجد أية وحدة تحليل غير إشكالية عندما نفحص اللغة بعامة واللغة الاستعارية بخاصة. تأمل على سبيل المثال عبارة "لقد تم تسلق جبل"، التي تنسب إلى بونو في مقال الدول الثماني. يمكن المحاجاة بأن هذه العبارة يجدر التعامل معها بوصفها كلا متكاملاً وتحليلها كاستعارة لغوية مفردة، ومن المقبول أنها تشكل تعبيرًا شبه ثابت، وتوفر وصفًا استعاريًا مفردًا لإنجازات القمة. في المقابل فإنه يمكن أيضًا قبول أن تعبير بونو يمكن تحليله كلمة كلمة: فكلمة "جبل" مثلا تشير استعاريًا إلى المشاكل التي تواجه منظمي قمة الدول الثماني، في حين أن "تُسلِّق" تشير إلى عملية معالجة هذه المشاكل. وفي الواقع، هناك بعض التنويعات في شكل التعبيرات الاستعارية لـ "تسلق الجبل" في الإنجليزية. تتضمن المدونة البريطانية الوطنية **The British National Corpus**، التي تحتوي على ١٠٠ مليون كلمة من الإنجليزية البريطانية في أواخر القرن العشرين، العديد من شواهد الاستعمالات الاستعارية لكل من التعبيرات الآتية: "جبل للتسلق **a mountain to climb**"، و"لديه جبل للتسلق **have a mountain to climb**"، و"تسلق جبل/الجبل **climb a/the mountain**". وصيغة بونو الخاصة غير عادية قليلا، في أنها مبنية للمجهول، وليس لها مقابلات في المدونة البريطانية الوطنية(١).

قد يُعرِّف العديد من الباحثين الوحدة المعجمية بشكل مختلف، اعتمادًا على أهدافهم وافتراضاتهم النظرية. وفي هذا الكتاب أفترض عمومًا أنه يمكن عمل القرارات حول الاستعارية على مستوى الكلمات المفردة، حتى لو كانت – كما سأشير – الكلمات المستخدمة استعاريًا تتكرر غالبًا كجزء من تعبيرات متعددة

---

(١) انظر Moon 1998 لدراسة مؤسسة على مدونة للتعبيرات الثابتة، وانظر أيضا Gibbs 1994: 265ff.

الكلمات، وليست مفردة[1]. دعني الآن أشرح تطبيق إجراء تعيين الاستعارة على استعمال كلمة "معركة" في تعبير "معركة الاستعارات" (انظر النموذج الأول)، وهو مثال في الصميم ولا يقبل الجدل.

بقراءة المقال بأكمله (خطوة ١)، استنتجتُ أنه معني بوجهات النظر المتباينة حول عائد قمة الدول الثماني التي اختتمت أعمالها حديثًا. ثم تأملت الاسم "معركة" بوصفه وحدة معجمية مفردة (خطوة ٢)، ثم أسست معناها السياقي، الذي ربما أصوغه في مفردات مثل "التقابل، الاختلاف، التباين" (خطوة ٣-أ)[2]. ثم بعد ذلك أدرس موضوع ما إذا كان للاسم أكثر من معنى أساسي في سياقات أخرى، وأقرر أن تلك هي الحالة بالفعل (خطوة ٣ ب). تم التعبير عن المعنى في قاموس مكميلان للغة الإنجليزية للمتعلمين المتقدمين **Macmillan English Dictionary for Advanced Learners (2002)** كما يأتي: "قتال بين جيشين في حرب" (يدرج قاموس مكميلان كذلك على الأقل معنيين استعاريين آخرين يتناظران بالكاد

---

(١) مفهوم ما هو "كلمة" يعد إشكاليًا بالطبع. وحين أحلل نصوصًا مكتوبة أطبق مصطلح "كلمة word" بشكل كتابي، بالتحديد للإشارة إلى تتابع من الحروف التي لديها مسافات فاصلة في بدايتها ونهايتها. وحين أكون بصدد تحليل الكلام speech فإنني سأستخدم المصطلح إجرائيًا بطريقة تداولية pragmatic من خلال ربط تتابع محدد من اللما أو رءوس الكلمات lemmas or headwords في القواميس. مع ذلك توجد حالات حيث أتعامل مع تعبيرات متعددة الكلمات بوصفها وحدات معجمية مفردة، على وجه التحديد عندما لا يمكن أن يؤخذ معنى التعبير الكامل من معاني المفردات التي تكوّنه، كما في حالة "بالطبع of course"، و"حسنًا all right" و "على الأقل at least" (انظر Pragglejaz Group 2007). ومع ذلك فإن التعبيرات غير المركبة non-compositional expressions نادرة (انظر Gibbs 1994, Moon 1998).

(٢) لا تفترض هذه الخطوة في الإجراء أن التعبيرات الاستعارية لها ما يوازيها في الصياغات غير الاستعارية. وببساطة تضمن هذه الخطوة تأسيس ما تعنيه الوحدة المعجمية ذات الصلة في سياق لغوي وخارجي وثيق الصلة، مهما كان هذا المعنى غامضًا أو غير قابل للتعبير عنه.

مع المعنى السياقي "للمعركة" في مقال الدول الثماني). المعنى الأساسي يكون أكثر ملموسية من المعنى السياقي (القتال المادي في مقابل التقابل أو الاختلاف)، وكذلك مرتبط عن قرب بالفعل الجسدي، وأقدم تاريخيًا، وفقًا لقاموس أكسفورد للغة الإنجليزية. لقد لاحظت إثر تحديد معنى سياقي أساسي أن هذا المعنى يتقابل مع المعنى السياقي (المعارك المادية تتقابل بشكل دال مع الاختلافات في التعبير عن الآراء)، وأن المعنى السياقي يمكن أن يُفهم بالمقارنة بالمعنى الأساسي: يمكن أن تُفهم الخلافات اللفظية، بما فيها الخلاف في استخدام الاستعارة، بمفردات القتال المادي بين جيوش متعارضة (خطوة ٣ ج). وأستنتج نتيجة لذلك أن "المعركة" هي كلمة مستخدمة استعاريًا في الجملة الثانية من مقال دول الثماني (خطوة ٤). لابد أن أشير إلى أن هذا الاستنتاج لا يعني أنني أزعم أن الكاتب أو القراء سوف يتعرفون بوعي على الكلمة كاستعارية أو حتى يقوموا بمعالجتها عبر ربط عابر للمجالات: إنه يعني ببساطة أنه يمكن تحليل هذا النوع من الاستخدام الخاص بوصفه استعاريًا في تقابله مع استخدامات الحالة الأخرى، وأنها من ثمَّ لديها "إمكانية" أن يتم التعرف عليها ومعالجتها بوصفها استعارية(١).

على الرغم من أن إجراء تعيين الاستعارة لا يشير مباشرة إلى أية نظرية معينة للاستعارة، فإن خطوة (٣) يمكن صياغتها بمفردات نظرية الاستعارات المفهومية. فالمعنى الأساسي والمعنى السياقي يتناظران مع عناصر في المجالات المفهومية المختلفة: في هذه الحالة فإن المعنى الأساسي لـ"المعركة" يمكن رؤيته

---

(١) بمفردات كاميرون (1999) Cameron، فإنني أعرِّف الاستعارة في اللغة على مستوى "النظرية"، وليس على مستوى "المعالجة" أو المستوى "العصبي". لبعض الأعمال حول معالجة التعبيرات الاستعارية انظر على سبيل المثال:

Gibbs (1994), Steen (1994), Giora (2003) and Gentner and Bowdle (2005).

بوصفه عنصرا للمجال المفهومي "**للحرب**"، بينما يمكن رؤية المعنى السياقي بوصفه عنصرًا في المجال المفهومي **للحجاج**. علاوة على ذلك فإن المعنى السياقي يمكن فهمه بمفردات التأطير العابر للمجالات من **الحرب** إلى **الحجج**، بحيث يتناظر البشر متباينو الرأي مع الجيوش، ويتناظر التعبير عن تلك الآراء المتباينة مع المعركة. حقيقة أن المعنى السياقي يظهر كذلك في القاموس تثبت تقليدية هذا التعبير الاستعاري، التي تقدم – بمصاحبة استخدامات تقليدية مشابهة لمفردات الحرب– دليلا على الاستعارة المفهومية التقليدية "**الحجاج حرب**".

ربما يعتقد بعض القراء عند هذه النقطة أنني استخدمت تحليلا شاملا واسعًا لكي أعلق على مشكل نصي بالغ الضآلة، نظرا لأن معظم الناس قد يوافقون بحدسهم على أن استخدام كلمة "معركة" - الذي وصفته للتو - هو استخدام استعاري. بالطبع، أنا أعتمد على حدسي كذلك في تحليل البيانات، وقد حددت بحدسي أن "المعركة" مستخدمة استعاريًا قبل أن أخضع الاسم لإجراء تعيين الاستعارة. على الرغم من ذلك، فإن الحدوس ليست صريحة ومنظمة بالضرورة، وتميل إلى التنوع من شخص إلى شخص، بما فيهم العلماء. علاوة على ذلك، لقد تم الاعتراف عموما بأن الاستعارية هي مسألة درجة، وأن الفواصل بين التعبيرات الاستعارية وغير الاستعارية ضبابية. إن إجراءً مثل الذي وصفته للتو يجبر المحللين على أن يكونوا صريحين ودقيقين ومتسقين بقدر الإمكان، وأن يستخدموا مصادر أخرى بخلاف حدوسهم للتعامل مع الحالات الإشكالية والواقعة على التخوم.

وفي الواقع فإنه قد توجد العديد من الحالات الإشكالية في مقال الدول الثماني. تأمّل على سبيل المثال تعبير "يحدث تقدمًا" في الجملة التالية:

النموذج السابع:

وبالنسبة للتجارة، فإنه حتى رئيس الوزراء سلَّم بأنه فشل في أن يُحدث تقدمًا make progress.

هنا الفعل "make" استخدم ليعني شيئًا مختلفًا عمًّا يمكن أن نعتبره المعنى الأكثر أساسية للفعل، وهو المعنى الذي يعرّفه القاموس كالتالي: "أن تبتكر أو تنتج شيئًا بواسطة العمل". المشكلة، على الرغم من ذلك، أن فعل "make" ينتمي إلى مجموعة من الأفعال الإنجليزية غير القاموسية بدرجة كبيرة التي فقدت الكثير من محتواها الدلالي، والتي يمكن أن تستخدم للإشارة إلى فعل ذى معنى عام جدا ومجرد (انظر كذلك أفعال مثل "take"، "get"). من ثمَّ، فإنه يمكن التناقش حول ما إذا كان المعنى السياقي لـ"make" في النموذج السابع يمكن أن يُبنى بوضوح كافٍ لتحديد تقابل مع المعنى الأساسي. يمكن أن يقرر المحلل بناء على ذلك، لغرض دراسة معينة، أن الأفعال غير المعجمية تفتقد إلى معنى سياقي كافٍ لتحليل الاستعارية. ومع ذلك، يمكن تقديم أطروحة مناقضة. فيمكن ادعاء أن "make" في "make progress" لها معنى سياقي لإنجاز شيء ما. يمكن للمرء من ثمَّ أن يحدد تقابلا بين المعنى الأساسي للفعل، ويقرر أن إنجاز شيء ما قد فُهم بالمقارنة مع الفعل المادي لخلق شيء (ملحوظة: يشرح إجراء تعيين الاستعارة أن المعاني الأساسية لا يشترط أن تكون أكثر المعاني تكرارًا للوحدات المعجمية، وربما ينطبق هذا هنا). وهكذا فإن استخدام الفعل في النموذج السابع يمكن النظر إليه على أنه استخدام استعاري. على مدار هذا الكتاب أركز في الغالب على حالات استعارية واضحة، لكنني أفترض أن استخدامات "Make" على هذا النحو هي استعارية بالفعل، وإن كانت ضعيفة[1].

---

(١) انظر. Cameron 2003: 72-3; Pragglejaz Group 2007: 29.

يقدم اسم "progress" في عبارة "make progress" في النموذج السابع مثالا لنوع مختلف من الحالات غير الحاسمة. المعنى السياقي هنا متصل بالتغير الإيجابي، وخصوصًا إقناع الآخرين باتخاذ قرارات حول التجارة سوف تؤثر إيجابيا على الأمم الإفريقية الفقيرة. يتناظر هذا مع المعنى الحالي الرئيسي للكلمة، الذي يعبر عنه قاموس ماكميلان بأنه "عملية تطوير أو تحسين". لو أننا تعاملنا مع هذا على أنه المعنى الأساسي لكلمة "progress"، فإن استخدام الاسم في مقال الدول الثماني سوف لا يكون استعاريًا على نحو واضح. ومع ذلك فإن اسم "progress" له معنى أكثر محورية هو "التحرك للأمام"، الذي ضُمِّن في قاموس ماكميلان لكن مع الوصف "حرفيًا بشكل أساسي" (تم إعطاء مثال في القاموس هو "التحرك الأمامي البطيء للسفن في بيرل هاربور). لو نظر إلى هذا المعنى على أنه المعنى الأساسي، فإن كلمة "progress" تُعد مستخدمة استعاريًا.

من المسلم به، من وجهة نظر تاريخ الكلمة، أن المعنى السياقي لـ"progress" تطور كاستعمال استعاري للمعنى المادي للتحرك للأمام. يمكن شرح هذا، من زاوية نظرية الاستعارة المفهومية، بمفردات الاستعارات المفهومية "**التغير حركة**" و"**الأهداف محطات وصول**". ترجع الحالة الوسيطة لـ"progress" فيما يتعلق بالاستعارية إلى حقيقة أن المعنى الأساسي غير الاستعاري يصبح مطلقًا، مصحوبًا بتبعة فقد التقابل بين الاستخدامات الاستعارية وغير الاستعارية في الإنجليزية الراهنة. لو استمرت هذه العملية فإن استعارية "progress" سوف تتبقى في تاريخ الكلمة فحسب، كما هو الحال في كلمة "declared" بحسب ما استخدمت في النموذج الثاني السابق على سبيل المثال. فليس للفعل في الإنجليزية المعاصرة أي معنى أساسي يتقابل مع معناه السياقي وهو "قول شيء بطريقة رسمية". ومع ذلك فإن الفعل مأخوذ من الكلمة اللاتينية "declarare" الذي يعني في الأصل

"جعل شيء ما واضحًا" (والصفة 'clarus' كانت تعني "واضحًا، براقًا"). وبصياغة أخرى فإن الفعل قد طور معناه الراهن من البنية الاستعارية للاتصال بوصفه إتاحة الرؤية[1]، لكن ليس له مقابل غير استعاري في الإنجليزية المعاصرة. لقد وصفت تعبيرات مثل هذه بأنها استعارات "تاريخية" أو "تأثيلية **etymological**"[2].

حقيقة أن إجراء تعيين الاستعارة يوضح أن المعاني الأساسية تحتاج إلى أن تكون "معاصرة" أو "راهنة" قصد منه تحديدًا التمييز بين استعارية "**battle**" في النموذج الأول واستعارية "**declared**" في النموذج الثاني. فقد استخدمت "**battle**" استعاريًا لأنه يمكن مقابلة معناها في المقال بالمعنى الذي تعبر عنه الاستخدامات غير الاستعارية الراهنة. أما "**declared**" فهي غير مستخدمة استعاريًا لأن معناها في المقال لا يمكن مقابلته باستخدامات غير استعارية راهنة. واستخدام "**progress**" في النموذج السابع يقع في مكان ما بينهما[3].

إن استخدام إجراء واضح مثل إجراء تعيين الاستعارة يمكن أن يساعد المحللين في تحديد الأنماط الرئيسية للحالات الإشكالية، والتعامل معها بشكل نسقي ومنظم. كما أوضحت من قبل، فإن القواميس ربما تكون مفيدة كذلك في تحديد معاني حالية، على الرغم من قصورها الذي لا يمكن تجنبه. مع ذلك فإن القواميس المُستخدمة لهذا الغرض - بشكل نموذجي- لابد أن تكون مؤسسةً على مدونة؛

---

(1) انظر، Semino 2005.

(2) انظر، Deignan 2005; Knowles and Moon 2006.

(3) بالطبع سوف يكون من المحتمل تكييف إجراء تعيين الاستعارة لكي يشمل الاستعارات التأثيلية. ومما هو جدير بالذكر أيضًا أن اتجاه المعاني المبكرة للمفردات إلى أن تكون أكثر محسوسية من المعاني اللاحقة هو أمر مشهور في اللغويات التاريخية، انظر،

Sweetser 1990. Traugott and Dasher 2002.

وعلى وجه التحديد لابد وأن تتوافق مع الإحالة لمدونات ضخمة وثيقة الصلة باللغة، كما هو الحال مع قاموس ماكميلان **Macmillan** الذي أشرت إليه في هذا القسم[1]. مناسبة المدونات للبحث في الاستعارة سوف يتم البرهنة عليها على مدار هذا الكتاب، وهي موضوع الفصل السادس.

التشبيهات

المقاربة التي وصفتها للتو لتحديد التعبيرات الاستعارية لا تستوعب كل التجليات الاستعارية في اللغة، أو بمصطلحات نظرية الاستعارات المفهومية، كل الظواهر اللغوية التي قد تتحقق فيها روابط عبر مجالات مفاهيمية متباينة. إحدى هذه الظواهر التي يتم وصفها نسقيًا في هذا الكتاب هي التشبيه: وهو تعبير صريح للمقارنة بين شيئين متباينين، يتم نقلها عبر استخدام تعبيرات مثل "يشبه **as**"، "كما لو **as if**"..إلخ. تأمل على سبيل المثال القطعة التالية من رواية زادي سميث **Smith** "حول الجمال **On Beauty**" (٢٠٠٦). في المقتطف يكافح جيروم **Jerome** – الذي عاد لفترة قصيرة من الجامعة – لإبقاء محادثته مستمرة مع أخيه الأصغر المراهق ليفي **Levi**:

النموذج الثامن:

> كان كلاهما يومئ برأسه كثيرًا. غمر الحزن جيروم. لم يكن لدى كليهما أي شيء يقال للآخر. فجوة الأعوام الخمسة التي تفصل بين الأخوين تشبه حديقة تحتاج إلى عناية مستمرة. حتى الشهور الثلاثة المنصرمة أتاحت للبذور أن تنمو بينكما[2].

---

(١) انظر، Pragglejaz Group 2007.

(٢) انظر، Smith 2005: 403.

في الجملة الثالثة من المقتطف، استخدم تشبيه للتعبير عن إدراك محدد لعلة كون الأخوين يجدان الكلام بينهما صعبًا: "فجوة الأعوام الخمسة التي تفصل بين الأخوين تشبه حديقة تحتاج إلى عناية مستمرة". فالاسم "حديقة" ليس تعبيرا استعاريًا وفقًا لمقاربات مثل إجراء تعيين الاستعارة، نظرًا لأنه في الحقيقة استُخدم بمعناه الأساسي المادي. على الرغم من ذلك، فإن التشبيهات – مثل التعبيرات الاستعارية – هي طريقة في الكلام عن شيء ما (فجوة الأعوام الخمسة التي تفصل بين الأخوين) بمفردات شيء آخر (حديقة تحتاج إلى عناية مستمرة). في الواقع فإنه في إطار نظرية الاستعارات المفهومية، نُظِر إلى الاستعارة والتشبيه على أنهما من أنماط التحقق اللغوي للربط عبر المجالات، على الرغم من أن بعض الدراسات اقترحت اختلافات مهمة عديدة بين التشبيهات والاستعارات[1]. في المقتطف السابق، يستدعي استخدام التشبيه في الجملة الثالثة ما يمكن أن نطلق عليه سيناريو مصدر **الحديقة**، ويدعو القراء إلى ربط بعض المواد في هذا السيناريو بالمفهوم الهدف لفجوة السنوات الخمس بين الأخوين. في الجملة التالية، استُخدم العديد من البنود المعجمية المرتبطة بنفس سيناريو المصدر استعاريًا لتحديد أي أبعاد هذا السيناريو يتم ربطها بالهدف (انظر "بذور"، "تنمو"، "بين"). بصياغة أخرى، فإن وصف فجوة العمر بوصفها حديقة تم التعبير عنه أولا من خلال التشبيه، ثم من خلال الكلمات المستخدمة استعاريًا. على مدار الكتاب، أناقش أمثلة

(١) انظر، Glucksberg and McGlone 2001; Gentner and Bowdle 200 ، ومن المهم ملاحظة أنه ليست كل التصريحات المتضمنة لمفردات مثل "يشبه" هي تشبيهات بالمعنى المقصود هنا. أنا معنية بحالات حيث يكون عنصرا المقارنة جزأين من مجالات مفاهيمية مختلفة. ينطبق هذا – على سبيل المثال– في حالات مثل "دوائر المعارف تشبه مناجم الذهب"، لكنه لا ينطبق على حالات مثل "دوائر المعارف تشبه القواميس". انظر، Ortony 1993.

إضافية لهذا النوع من التفاعل النصي بين التشبيهات والاستخدامات الاستعارية للمفردات، وهي شائعة على نحو خاص عندما تكون المقارنة الاستعارية غير تقليدية، كما في النموذج الثامن.

التنويع في التعبيرات الاستعارية: فئة الكلمة والتعبيرات ذات المفردات المتعددة والتقليدية

لقد بدأت بالفعل في توضيح أن التعبيرات الاستعارية ربما تحدث ككلمات مفردة تنتمي إلى طبقات مختلفة للمفردات، أو كمجموعات من المفردات المترابطة تحدث بالقرب الشديد من بعضها بعضا. كما أشرت بالفعل إلى بعض درجات التنوع في درجة تقليدية أو جدة الاستخدامات الفردية. في هذا القسم أتأمل بتفصيل أكبر هذه الأبعاد لتنوع التعبيرات الاستعارية.

الاستعارة وفئة الكلمة

تميل الأمثلة الأكثر نمطية للتعبيرات الاستعارية إلى إدماج أسماء مثل "معركة" في "معركة استعارات" (انظر النموذج الأول)، و"همس" في عبارة "العظماء الثمانية نطقوا "همسًا" (انظر النموذج الرابع). ولأن الأسماء نمطيًا تشير إلى كيانات، فإنها تميل مباشرة على نحو معقول إلى تأسيس، وربما إدراك، التقابل بين المعاني السياقية والمعاني الأساسية[1]. مع ذلك فإن العديد من التعبيرات

---

(١) انظر، Goatly 1997: 83.

الاستعارية ليست في الواقع أسماءً. علـــى ســبيل المثـــال وجـــدت كـــاميرون[١] Cameron في دراستها عن التفاعل داخل الفصل، أن الاستعارات اللغويـــة التـــي تتضمن أسماء أو تعبيرات اسمية تمثل نسبة ١٣% من كل الحالات. هـــذه النـــسبة كانت أقل من تلك التي حصلت عليها الاســـتعارات المتـــضمنة لأفعـــال (٤٧%) والاستعارة بحروف جر (٣٤%). تتضمن أمثلة الأفعال المستخدمة اســـتعاريًا فـــي مقال الدول الكبرى الثماني "يتسلق"، في عبارة "جبل تم تسلقه"، "ينظر لأســـفل"، و "يجيئ" في "دعنا ننظر لأسفل على الوادي الذي جئنا منه" (انظر النموذج الثـــاني) والاستخدام غير المعجمي لكلمة "يقوم بـــ" في عبارة "لقد فشل فـــي القيـــام بتقـــدم" (انظر النموذج السابع). في بيانات كاميرون، كانت حالات الـــصفات المـــستخدمة استعاريًا غير متكررة، (فقط أكثر بقليل من ٣% من إجمالي الحالات)، لكن مقـــال الدول الثماني يشتمل على عديد من الأمثلة مثل "ممتلئ"، و"فـــارغ" فـــي عنـــوان المقال، و "كبير" في "كبير ولكن" (النموذج الثاني). وربمـــا كانـــت الاســـتعمالات الاستعارية للظروف أقل تكرارا في بيانات كاميرون، حيث تسهم فحسب بـــــ ١% من الاستعارات اللغوية. تشمل الشواهد القليلة التي احتواها مقال الـــدول الثمـــاني كلمة "بَعْدُ **longer**"، في عبارة "لا يجب أن تُجبر الأقطار الإفريقية بَعْد على تحرير أسواقها"، وكلمة "بُعد **far**" في عبارة "تخفيف الديون لا يصل إلى البعد الكافي"[٢].

مفردات "الفئة المغلقة **Closed-class** "(وتعرف كذلك "بالوظيفة" أو الكلمـــات "النحوية") تتنوع في قابليتها للاستخدامات الاستعارية كما تم تعريفهـــا فـــي هـــذا

---

(١) انظر، Cameron 2003: 88.

(٢) انظر أيضًا Koller (2004)، Deignan (2005)، اللذان وجدا تكرارت نسبية لتعبيـــرات اســـتعارية تنتمي إلى فئات كلمات متباينة يمكن أن تتنوع بالاعتماد على مجال المصدر.

الفصل، بالاعتماد على ما إذا كان لها محتوى دلالي كاف لتأسيس التمييز بين المعاني الأساسية والسياقية. تميل حروف الجر إلى التمتع بمعنى أساسي مادي محدد بدقة، يعطي دفعة لعدد كبير من المعاني الاستعارية المجردة وعالية التقليدية. يتضمن مقال دول الثماني أمثلة عديدة لحروف الجر المستخدمة استعاريًا مثل "على over"، في "على مدار الأيام الثلاثة الماضية" (انظر النموذج الأول) و"حول On[١]" في جملة "حول التجارة، تم إرجاؤه لمحادثات التجارة في هونج كونج أواخر هذا العام". لكلا حرفي الجر معان مكانية أساسية، لكن "over" استخدمت في الاقتباسات السابقة في علاقة بالزمن، وحرف الجر "on" استخدم ليشير إلى موضوع المناقشات والقرارات. هناك معانٍ نحوية بالغة التجريد لأنماط أخرى من الكلمات الوظيفية، لا يمكن بسهولة استغلالها لأنواع الاستخدامات الاستعارية التي أدرسها في هذا الكتاب. ومع ذلك فإن المقال يحتوي على عدة أمثلة إضافية مثل استخدام الاسم الموصول الدال على المكان "where" للإشارة للحالة السابقة على القمة في عبارة "الوادي الذي جئنا منه" (انظر النموذج الثاني).

كما ذكرت فيما سبق، فإنني في هذا الكتاب لا أدرس عادة الاستعارات "التاريخية" أو "التأثيلية"، وبالتحديد تلك الحالات التي يكون فيها المعنى الحالي للكلمة استعاريًا في أصله، لكن لا يكون لها أية استخدامات غير استعارية. ينطبق هذا على، سبيل المثال، على الفعل "يعلن **declare**"، الذي نوقش فيما سبق، والفعل "يفهم **comprehend**" المأخوذ من الكلمة اللاتينية "**comprehendere**"؛ وتعني "يمسك بـ". مع ذلك فإن التعبيرات الاستعارية التي أدرسها بالفعل تتنوع بشكل دال في درجة تقليدية استخداماتها الاستعارية في الإنجليزية. تم اقتراح عدد من

---

(١) لحروف الجر معان متعددة، وقد ترجمنا حرف الجر on بالظرف (حول) لكونه الأكثر اقترابًا من المعنى السياقي في هذه الجملة. (المترجمان)

التصنيفات للتمييز بين الأنماط المختلفة للتعبيرات الاستعارية التقليدية[١]. أزعم هنا أن التقليدية هي مسألة درجة، لكنني غالبًا ما أشتغل – لغرض تحليلاتي – مستندة إلى تمييز واسع بين التعبيرات الاستعارية التقليدية والجديدة. أعتبر التعبيرات الاستعارية تقليدية عندما يصبح المعنى الاستعاري وثيق الصلة معجميًا، لذلك عادة ما يكون متضمنًا في القواميس بمصاحبة معان (أساسية) غير استعارية. ينطبق هذا تقريبًا على كل التعبيرات الاستعارية في مقال الدول الثماني، بما فيها "معركة" (انظر النموذج الأول)، و"جيش" (انظر النموذج الثاني)، إلخ. مع ذلك، سوف تتنوع التعبيرات الاستعارية التقليدية في المدى الذي يمكن للمستخدمين العاديين للغة أن يدركوها بوصفها استعارية: فعلى سبيل المثال في النموذج الأول فإن استعارية كلمة "معركة" تسهل ملاحظتها عن استعارية كلمة "قمة"، وعلى نحو مشابه فإن استعارية "قمة" يسهل ملاحظتها أكثر من استعارية "حول **on**"، في "حول التجارة **on trade**".

على خلاف ذلك فإنني أنظر إلى التعبيرات الاستعارية على أنها جديدة أو إبداعية أو مبتدعة عندما لا يصبح المعنى الاستعاري وثيق الصلة معجميًا، وحين لا يكون بناء على ذلك متضمنًا في القواميس. يترتب على ذلك أن التعبيرات الاستعارية التي أصفها بالجدة سوف تتنوع كذلك بشكل بيِّن من زاوية قدرتها على لفت النظر وأصالتها وتأثيراتها الجمالية المحتملة. لا يزخر مقال الدول الثماني بالتعبيرات الاستعارية الجديدة، لكن استخدام "**peaks**"، و"همس **whisper**" في (النموذج الرابع) يمكن اعتباره ممثلا لهذه الحالات. وسوف أنجز بحثًا في المدونات حينما يتسنى ذلك لكي أؤسس درجة التقليدية لاستخدامات استعارية محددة، نظرًا لأنه، كما يقول ديجنان **Deignan**:

(١) انظر، Goatly 1997: 31ff.; Deignan 2005: 39ff.

الحدود الفاصلة بين الاستعارات المبتدعة والتقليدية ضبابية وليست صارمة. [..]. [..] ومع ذلك ففي تحليل توثيقات الاتساق، فإن صعوبة أخذ قرار بشأن حالات الاستعارة المبتدعة تظهر فقط بشكل نادر، لأن الاستعارات المبتدعة نادرة. يمكن استخدام تكرارات المدونة كمرشد عام: أي أن كل معنى للكلمة يوجد أقل من مرة في كل ألف توثيق يمكن أن يعتبر إما مبتدعًا أو نادرًا[1].

في الفصل التالي سوف أدرس موضوع التقليدية والإبداعية من زاوية الاستعارات المفهومية.

كما ذكرت للتو، فإن التنوع في درجة التقليدية يؤثر على إلى أي مدى يُحتمل أن يكون الاستخدام الاستعاري لتعبير معين واعيًا ومقصودًا من جانب مستخدمه، وأن يتم إدراكه والتعامل معه من قِبَل متلقيه على هذا النحو. هناك أشياء أخرى على قدم المساواة، فبقدر ما تكون استعارة ما تقليدية، فإنه من غير المحتمل أن تكون مستخدمة بشكل واع، أو أن يتم إدراكها بوصفها استعارة. على الرغم من ذلك، فليست الأشياء متساوية دومًا، وربما يجذب السياق اللغوي **co-text** (ويشمل كلا من اللغة والصور) الاهتمام إلى استعارية تعبيرات استعارية عالية التقليدية. على سبيل المثال، فقد وصفت الفعل "التقدم **progress**" على أنه حالة تخومية فيما يتعلق بالاستعارية، نظرا لأن معناه الأساسي المتصل بالحركة للأمام أصبح بائدا. مع ذلك فإن استخدام بلير لـ"تقدم" في النموذج الثالث مسبوق باستعارة حركية أخرى في قوله "السياسة تدور حول أداء الأشياء خطوة بخطوة". ويقلل هذا من إمكانية أن يصبح القراء المعتادون على المعنى الحركي لكلمة "تقدم" واعين باستعاريته.

---

(١) انظر، Deignan 2005: 40.

من الممكن كذلك لشخص أن يلفت الانتباه إلى استعارية التعبيرات الاستعارية التقليدية بهدف خلق تأثيرات فكاهية. المقتطف التالي هو تسجيل لجزء من محادثة جرت في يناير ٢٠٠٧ بين مستمعة ومقدم برنامج إذاعي هاتفي في القناة البريطانية كلاسيك إف إم Classis FM. قالت المستمعة للتو إنها على الرغم من كونها في الثانية والستين من العمر فإنها تتعلم العزف على البيانو، وأنها قد اجتازت للتو اختبار المرحلة السادسة:

النموذج التاسع:

مقدم البرنامج: أنا نفسي أردت دومًا أن "أتعلم العزف على **pick up**" البيانو

المستمعة: ليس بشكل حرفي

استخدم مقدم البرنامج التعبير "يرفع" بالمعنى الاستعاري بالغ التقليدية وهو "تعلم شيء جديد". بقولها "ليس بشكل حرفي" تجذب المستمعة الانتباه إلى استعارية هذا الاستخدام لفعل "**pick up**"، في مقابل المعنى الأساسي "رفع شيء ما". هذه الفكاهية تستدعي سيناريو يقوم فيه مقدم البرنامج برفع الآلة الموسيقية بدلا من تعلم كيفية العزف عليها، مبرهنة على أنه حتى التعبيرات عالية التقليدية يمكن التعرف عليها بوصفها استعارية. ويطلق جوتلي على هذه الظاهرة "إعادة إحياء" الاستعارات(١).

هناك تقابل آخر أقل وضوحا بين تأويلي تلفظ مقدم البرنامج يدور حول معنى اسم "البيانو". فلو أن الفعل "يرفع" مستخدم استعاريًا، فإن "البيانو" لا يشير إلى

---

(١) انظر، Goatly (1997: 276-7).

الآلة بوصفها شيئًا ماديًا، لكنه بالأحرى يشير إلى عملية العزف عليه. وهذا مثال للكناية، التي تتضمن الحديث عن شيء ما بمفردات شيء آخر وثيق الارتباط به، عادة من خلال علاقة التجاور. وبمفردات نظرية الاستعارات المفهومية، فإن عنصران الكناية (مثل البيانو بوصفه شيئًا وعملية تعلم العزف على البيانو) هما عنصران لنفس المجال المفهومي، وليسا عنصرين لمجالين مختلفين، كما هو الحال في الاستعارة. بصياغة أخرى تنطوي الكناية على ربط بين عناصر يمكن رؤيتها كجزء من نفس المجال المفهومي، وليس بين عناصر تنتمي إلى مجالات مفاهيمية مختلفة[١]. الاستعارة والكناية ظاهرتان منفصلتان لكنهما مختلطتان، وغالبًا ما تتفاعلان في الاستعمال اللغوي[٢]. وعلى الرغم من أنني لا أركز تحديدًا على الكناية، فإنني سوف أناقش حالات إضافية لتفاعلها مع الاستعارة على مدار هذا الكتاب.

الاستعارة والتعبيرات متعددة المفردات

برهنت الأمثلة التي درستها حتى الآن في هذا القسم على أن المفردات المستخدمة استعاريًا غالبًا ما تحدث كجزء من تعبيرات متعددة المفردات وليس كمفردات مستقلة. تتنوع التعبيرات متعددة المفردات في الطول والبنية ودرجة الثبات. لقد ذكرت بالفعل كيف أن تعبير "جبل قد تم تسلقه" هو بالأحرى صيغة سلبية شاذة من تعبير شبه، ثابت عادة ما يكون في صيغة جزء من جملة ويكون له العديد من التنويعات التقليدية. ينطبق الأمر نفسه على التعبيرات المستغلة

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 35ff.; 2003: 265-6; Kövecses 2002ff.: 143ff.

(٢) انظر، Goossens *et al.* 1995; Deignan 2005: 53ff.

في العنوان الرئيسي "نصف ممتلئ أم نصف فارغ؟"، الذي تكرر بعد ذلك في متن المقال بصيغته الكاملة: "تساءل البعض، هل كان الكأس نصف ممتلئ أم نصف فارغ؟"، وفي المقابل فإن "يلعب الكرة" في التعبير "بوب جلدوف لن يلعب الكرة"، الوارد في مقال الدول الثماني، يتكون من فعل وفاعله المباشر ويسمح بشكل طبيعي بتنويعات أقل رسمية، بخلاف الصيغ المتنوعة من الفعل "يلعب".

أشار ديجنان إلى أن المفردات المستخدمة استعاريًا لديها ميل واضح إلى الحدوث في تعبيرات ثابتة أو شبه ثابتة، تتمتع غالبًا بمعاني اصطلاحية(١). في بعض الحالات يمكن أن تُشرح استعارية تلك التعبيرات متعددة المفردات من زاوية الاستعارات المفهومية التقليدية العامة، مثلما هو الحال في السيناريو الاستعاري لتسلق الجبل عند بونو(٢). في حالات أخرى يمكن شرح التعبيرات متعددة المفردات فقط من زاوية تأطيرات محددة تعتمد على سناريوهات مصدرية بالغة التحديد. وينطبق هذا على سبيل المثال على التعبير المستخدم في عنوان "نصف ممتلئ أم نصف فارغ؟". ويناقش مون كذلك تنوع درجة "الشفافية" الدلالية للتعبيرات الاستعارية الثابتة(٣). لبعض التعبيرات معان استعارية شفافة على نحو معقول، يمكن الوصول إليها على أساس المعرفة الكونية العامة، كما في حالة "تدق أجراس التحذير". هناك تعبيرات أخرى أكثر غموضًا، غالبًا لأن السيناريو الذي تقوم عليه لم يعد مألوفًا بعد لمستخدمي اللغة. وينطبق هذا على سبيل المثال على عبارة "تمرير الوعل **passing the buck**"، التي تأتي من ممارسة استخدمها لاعبو البوكر

---

(١) انظر أيضًا Moon 1998.

(٢) انظر أيضًا Gibbs 1994: 290ff.; Moon 1998: 202ff

(٣) انظر، Moon 1998: 22ff.

في أمريكا في القرن التاسع عشر (لكي يتم تجنب الغش)، حيث يتناوب اللاعبون التعامل مع ورق اللعب، واللاعب الذي سوف يأتي دوره في ذلك سوف يُعطى علامة، اشتهرت بـ"الوعل buck" لأنها كانت عادة مطواة بيد مصنوعة من قرن الوعل، وحين كان اللاعب يأخذ دوره أو لا يرغب في اللعب، كان يقوم بتمرير الوعل للشخص التالي".

يمكن أن تستغل استعارية التعبيرات الثابتة إبداعيًا من خلال تجاوز مدى التنويعات التقليدية في الصيغة والاختيارات المعجمية. وهذا هو الحال في استغلال بونو لتعبير "يوجد جبل للتسلق"، في مقال الدول الثماني: فكما ذكرت بالفعل فإن بونو لا يستخدم فحسب صيغة المبني للمجهول، لكنه يواصل التكلم عن "قمم أعلى **peaks higher**"، وعن "الوادي الذي جئنا منه" وهما ليسا جزءًا من التجليات اللغوية التقليدية لاستعارة تسلق جبل. يتلاعب مؤلف مقال الدول الثماني كذلك إبداعيًا بالتعبير الثابت "رفيق سلاح" من خلال تحويله إلى "رفيق **alms**" (انظر النموذج الثاني)، حيث **alms** مجانسة صوتيًا لـ **arms**، ومناسبة دلاليًا لأنشطة جلدوف وبونو.

هناك حالة أخرى للاستغلال الإبداعي معروضة في المقتطف التالي، الذي أرسله أحد زملائي عبر الإيميل إلى قائمة أعضاء هيئة تدريس قسم علم اللغة بجامعة لانكستر في مايو ٢٠٠٤، بعد تقييم ناجح لكفاءة التدريس في القسم. عضو هيئة التدريس المسئول عن تنسيق التقييم كان للتو قد قام بتوزيع رسالة شكر للزملاء على تعاونهم. وقد تبع هذا سلسلة من الإيميلات المهنئة للمنسق نفسه، بما فيها الإيميل التالي (وهو إيميل يهنئ أيضًا مسئولة القسم، التي تم تغيير اسمها إلى "**carole**"):

النموذج العاشر:

يجب علينا أن نواصل التحديق في الغابة بوضوح keep sight of the wood حيث يوجد الكثير من النمو المتزايد للغاية – وبكثير من السرعة – وهو ما يستلزم الكثير من العمل: أحسنتَ عملا، وأنت كذلك يا كارول.

يستغل كاتب الإيميل بإبداع التعبير التقليدي "أن يفشل في رؤية الغابة بسبب الاستغراق في رؤية الشجيرات"، الذي يتم فيه تقديم التبعات السلبية للتركيز الشديد على التفاصيل بمفردات السيناريو الساخر حيث تحُول رؤية المرء لكم كبير من الأشجار بينه وبين رؤية الغابة التي تشكلها هذه الأشجار. لا يذهب الإيميل فقط إلى ما وراء المدى الطبيعي لتنويع التعبير، باستخدام "يواصل التحديق"، بدلا من "يرى" على سبيل المثال، لكنه كذلك يشمل بعض الشواهد على المفردات المعجمية الاستعارية التي تستغل بشكل إضافي السيناريو الاستعاري "الغابة" من خلال تقديمها على أنها تنمو، وتنمو بسرعة. ويبرز هذا إنجاز المنسق ومسئولة القسم، اللذين تمت تهنئتهما لقدرتهما على التكيف مع تعقيدات سلسلة متزايدة من المهام دون أن ينسحقا تحت وطأتها.

لقد ناقشت حتى الآن التقليدية والابتكار من زاوية السمات المعجمية والشكلية لاستخدامات استعارية معينة لمفردات أو تعبيرات متعددة المفردات. سوف أتعامل في الفصل التالي مع التقليدية والابتكار من زاوية الروابط المفهومية(١). وسوف أتحول في القسم التالي إلى تنميط التعبيرات الاستعارية داخل النصوص.

---

(١) انظر، Lakoff and Turner 1989.

تنميط الاستعارة في الخطاب

يحتاج المرء لكي يقدر وظيفية الاستعارات في النصوص أن يتأمل الأنـــواع المتنوعة للتجليات النصية التي يمكن أن تعرضها الاستعارة. سوف أستند في هـــذا القسم على عدد من الدراسات السابقة(١) لكي أقدم الأنماط الرئيسية للظواهر النصية التي سيتم إظهار أنها ذات مغزى عبر أنواع **Genres** مختلفة في الفصول الآتيـــة. لابد أن أؤكد أن الظواهر المتنوعة التي أصفها لا توجد بينها حدود فاصلة قاطعـــة، لكنها غالبًا ما تتداخل مع بعضها بعضا وتشترك في الحدوث معًا.

التكـــــــــرار

النوع الأكثر بساطة للنمط يتضمن تكرار تعبيرات استعارية محـــددة علـــى مدار نص ما. يحتوي مقال الدول الثماني على العديد من شواهد التكـــرار، التـــي تختلف كذلك عن بعضها البعض بطرق مثيرة للاهتمام. الاسم "**progress** تقـــدم"، الذي ناقشته بوصفه حالة للتخوم الاستعارية، تكرر أربع مرات في المقال: حـــالتين من الأربعة ينسبان إلى بلير، بينما استخدم الآخران مؤلف المقال نفسه. مـــع ذلـــك فإن كل الأمثلة لها معانٍ سياقية مشابهة (أي معاني إنجاز تغير إيجـــابي)، ويمكـــن بناء على ذلك أن نُشرح بلغة نفس الربط المفهومي الكامن لتصور التحرك للأمـــام نحو التطور (الإيجابي). على نحو مشابه، فـــإن التعبيـــرات متعـــددة المفـــردات المستخدمة في عنوان "تصف ممتلئ أم نصف فارغ؟"، تم تكرارهـــا فـــي صـــيغة

---

(١) خاصة Goatly 1997, Darian 2000, Cameron and Stelma 2004.

مكتملة في مفتتح المقال (انظر النموذج الأول)، واستُخدمت في الحالتين للإمساك بحقيقة أنه توجد تقييمات إيجابية وسلبية لنتائج القمة. هذا النوع من التكرار يميل إلى أن يرتبط على نحو وثيق بموضوع النص وحجته، ويسهم في تماسكه المعنوي الداخلي.

في المقابل فإن صفة "كبير"، تكررت أربع مرات في المقال، اثنتان منهما على الأقل استعاريتان وفقًا للمعايير المعطاة سابقًا. مع ذلك فإن المعاني السياقية مختلفة في كل حالة. في عبارة (كان كبيرا "لكن") (انظر النموذج الثاني)، استُخدمت الصفة فيما يتعلق بجدية وأهمية الاعتراض الذي قدمته أداة الاستدراك "لكن" (لاحظ أن أداة الاستدراك هنا ترمز على نحو كنائي إلى الاعتراض نفسه). تستخدم صيغة المقارنة للصفة في تعبير "خفض قيمة الموجودات يجب أن يكون كبيرا" في ارتباطها بكميات الأموال المضمَّنة في إلغاء ديون الدول الإفريقية. في الحالتين، فإن المعنى الأساسي وثيق الصلة هو كبر الحجم، لكن المعاني السياقية متباينة، ويمكن شرحها بلغة استعارات مفاهيمية كامنة مختلفة؛ هي على وجه التحديد **"الأهم أكبر IMPORTANT IS BIG"** بالنسبة للاستخدام الأول السابق، و**"الكمية حجم QUANTITY IS SIZE"** بالنسبة للاستخدام الثاني[1]. يميل هذا النوع من التكرار إلى أن يصبح مرتبطًا بحرية أكبر بموضوع النص الذي يحدث فيه، ويكون بالأحرى مؤشرا على الإنتاجية الاستعارية لمفاهيم معينة مثل الحجم، التي يمكن تطبيقها استعاريًا على مجموعة من مفاهيم أخرى أكثر تجريدًا. ويكشف هذا المثال أيضًا عن نوع أكثر حرية من التكرار من زاوية الصيغ، نظرا لأن "أكبر"، و"كبير" هما تنويعتان صرفيتان لنفس الصفة[2].

---

(١) انظر، Grady 1997a: 285; Lakoff and Johnson 1999: 50.

(٢) انظر، Goatly 1997: 257-8 and Darian 2000.

التـــواتــــــر

توجد ظاهرة أخرى مشابهة هي التواتر، التي تتضمن اســتخدام تعبيــرات مختلفة فيما يتصل بنفس مجال المصدر الواسع في أجزاء مختلفة من نص مـــا[١]. لقد حددتُ في مقال الدول الثماني، على سبيل المثال، ثلاثــة تعبيــرات اســتعارية مختلفة يمكن أن تتصل بمجال مصدر "الحرب"، هي "معركة اســتعارات" (انظــر النموذج الأول)، "جيش من العاملين في المؤســسات الخيريــة" (انظــر النمــوذج الثاني)، و"محاربة تغير المناخ". مع أن التعبيرين الأخيرين غير مــرتبطين نــصيًا على نحو مباشر، فإنهما يعكسان ميلا عامًا تقليديا لبناء الكيانــات الــصعبة بلغــة الكفاح والأعمال العسكرية. يضيف هذان التعبيران في مقال الدول الثماني إلى بناء نصي أكثر تحديدًا للفعل المضاد للفقر وللدمار البيئي بمفردات الحرب. وكما ذكرت بالفعل فإن استخدام "معركة" في النموذج الأول، يعكس ميلا عامًا نحو بناء الحجــج بمفردات الصراع الجسدي، وكذلك ميلا لاستراتيجية نصية لإضفاء طابع درامــي وتهويلي على الخلافات حول نتائج القمة.

بصياغة أخرى فإن التواتر غالبًا ما يكون ظاهرة مهمة من جــانبين علـــى الأقل. فهو من ناحية، مؤشر على كيف يتم إنشاء بعض أبعاد الواقع في نص مـــا (أو في نصوص متباينة تتناول نفس الموضوع). كما أنه قد يكــون، مــن ناحيــة أخرى، مؤشرا على أنواع مجالات المصدر التي تميل إلى أن تطبق بشكل تقليــدي على تنويعة من مجالات الهدف: فمجال الحرب على سبيل المثال، يــتم اســتغلاله

---

(١) انظر أيضا تصورات Darian 2000 و Goatly عن "تقييد المعنى modification" و"تعدد المكافئات multivalency".

تقليديا ليس فحسب لإنشاء حجج لكن كذلك لإنشاء شراكات صــعبة بنحــو عــام. وبمفردات كوفيتش فإن مجالات مصدر مثل **الحرب** تتمتع بـــ"أفق" استعاري واسع.

وكما سأوضح عبر هذا الكتاب فإن المزج بين التكرار والتــواتر يمكــن أن يؤدي إلى تشكيل "سلاسل" تعبيرات استعارية مترابطة في النصوص(١).

التعنقـــد Clustering

لقد سبق أن لوحظ أن التعبيرات الاستعارية تكون غالبًا موزعة بشكل غيــر منتظم في النصوص، وأن بعض أجزاء النص على الخصوص ربما تكشف عــن كثافة عالية للمفردات المستخدمة استعاريًا. يمكن أن نطلق على استخدام تعبيــرات استعارية عديدة متباينة مأخوذة من مجالات مصدرية مختلفة وقريبة مكانيًا "عنقود Cluster" استعارات(٢). من الصعب تعريف العناقيد الاستعارية وتحديدها بدقة، لأن القرارت بشأنها تنطوي على افتراضـــات أو حـــسابات حـــول الكثافـــة "العاديـــة" للتعبيرات الاستعارية في نوع معين من البيانات، وتحديد أي أجزاء النص تكـــون فيه الكثافة الاستعارية أعلى من العادي(٣). المثال التالي هو مقتطف مـــن الجـــزء المنطوق للمدونة البريطانية الوطنية، الذي جاء على الفور عقب إعلان امرأة أنهـــا عانت من اكتئاب ما بعد الولادة بعد ولادة ابنها الثاني. وقد وضعتُ خطًـــا تحـــت الكلمات التي رأيت أنها استخدمت استعاريًا.

---

(١) نظر أيضا Koller 2003.

(٢) انظر، Koller 2003; Cameron and Low 2004; Cameron and Stelma 2004.

(٣) انظر، Cameron and Stelma 2004.

النموذج الحادي عشر:

لقد حاربته لزمن طويل وأردت أن أرد الضربات كـي أعود حيث كنت من قبل، لأنني شعرت أنني مظللة بالغمام.

في هذه الشذرة من النص (الذي تم تسجيله بوصفه جملة مفردة في المدونة)، صنفتُ ٩ كلمات من بين ٢٦ كلمة بأنها استعارية. ويتناظر هذا مع نسبة ٣٥% من الكلمات؛ أو ٣٥٠ كلمة لكل ١٠٠٠ كلمة. وقد وجدت كاميرون Cameron في دراسات متنوعة على البيانات المنطوقة أن متوسط الكثافة الاستعارية في النصوص يتراوح بين ٢٧ و١٠٧ كلمة لكل ١٠٠٠ كلمة[١]. ويقترح هذا أن النموذج الحادي عشر يتمتع بكثافة استعارية عالية غير عادية.

مع ذلك فإن أهمية العناقيد الاستعارية تتجاوز البعد الإحصائي لها. وعلى سبيل المثال، فإن العناقيد الاستعارية في الصحافة غالبًا ما تُستخدم في مواضع استراتيجية لأغراض بلاغية. فالعناقيد الاستعارية، مثلا، ربما تقع في بداية المقالات الصحفية لكي "تؤطر" الموضوع الذي يتم مناقشته، وفي نهاية المقال لكي تلخص الحجة العامة بطريقة إقناعية وملفتة[٢]. لقد وجد أن العناقيد الاستعارية في الكلام تتناظر مع نقاط دالة محددة، حيث يقوم المتكلمون بفعل شيء محوري لأهدافهم الكلية، مثل تقديم شروح أثناء المحاضرات، أو إنجاز التقارب في أحاديث التصالح[٣]. في النموذج الحادي عشر مثلا، تحاول المتحدثة أن تنقل مشاعرها بخصوص مرحلة صعبة على وجه التحديد في حياتها، عندما كانت تجتاز خبرة

(١) انظر، Cameron and Stelma 2004: 20.

(٢) انظر، Koller 2003.

(٣) انظر، Corts and Pollio 1999; Cameron and Stelma 2004.

صعبة على النقل للآخرين بدون لغة غير استعارية. وفي الواقع فإن التعبيرات الاستعارية التي استخدمتها ترتبط أساسا بحالتها العقلية أثناء الاكتئاب (مظللة بالغمام)، ومحاولتها التعافي منه (حاربت، أرد الضربات كي أعود حيث كنت من قبل). تؤسس هذه التعبيرات تجربة المرأة بمفردات مجالات مصدر عديدة متنوعة، هي على وجه التحديد: **الحرب/صراع جسدي (تقاتل)**، و**الحركة/ضربات** ("أرد الضربات كي أعود حيث كنت من قبل") **الهبوط/طقس** (مظللة الغمام)[١]. وسوف أدرس استعارات الاكتئاب بالتفصيل في الفصل الخامس.

الامتداد الاستعاري

الظاهرة المعروفة تقليديا بالاستعارة "الممتدة" **extended metaphor** يمكن أن تُرى بوصفها نمطا من التجمع، حيث تُستخدم العديد من التعبيرات الاستعارية التي تنتمي إلى نفس الحقل الدلالي أو تستدعي نفس مجال المصدر مجاورة لبعضها البعض مكانيًا في علاقة بنفس الموضوع، أو بعناصر من نفس المجال المستهدف. وكما هو الحال مع العناقيد الاستعارية فإنه من الصعب تعريف وتحديد هذه الظاهرة بدقة كاملة. فالتعريفات متنوعة، ولا تتسم عادة بالوضوح الكامل فيما يتعلق بالعدد المطلوب تضمنه من المفردات المستخدمة استعاريًا أو ماهية الحدود النحوية المطلوب عبورها لكي تتحقق الاستعارة الممتدة[٢]. أستخدم المصطلح في هذا الكتاب عندما توجد مفردتان مستخدمتان استعاريًا على الأقل، وتنتميان إلى عبارتين مختلفتين تصفان نفس مجال/ سيناريو الهدف بمفردات نفس

---

(١) انظر أيضًا، Goatly's 1997 notion of 'diversification'.

(٢) انظر، Leech 1969: 159; Goatly 1997: 264-5; Darian 2000.

مجال/ سيناريو المصدر. وبشكل واضح فإن استعارة "تسلق الجبل" المنسوبة إلى بونو تتضمن استعارة ممتدة؛ نظرا لأنه تم استخدام العديد من البنود المعجمية من سيناريو المصدر في أربعة تعبيرات متباينة.

أعطي مثالا آخر في المقتطف اللاحق الذي أُخذ من مقال صحفي يعلق على حزب المحافظين البريطاني أثناء المؤتمر القومي لعام ٢٠٠٤:

النموذج الثاني عشر:

> **لقد بدأ المحافظون مؤتمرهم [..]، سقيمون للغاية ومجهَدون. الأضواء القائدة في الحزب شلتها أنيميا مهدِّدة للحياة، وفقدان الشهية، وأوهام العظمة. القوات العسكرية أعلنت استسلامها لبكتريا حزب المملكة المتحدة المستقل القاتلة superbug Ukip[(١)]، التي دمرت الانتخابات الفرعية في الهارتلبول Hartlepool، وهددت بنشر جراثيمها على اتساع القطر[(٢)].**

هنا تم وصف حالة المحافظين في مفتتح مؤتمرهم بمفردات المرض الجسدي عبر عدد من التعبيرات المختلفة في جملتين متتابعتين. لقد وضعتُ خطًا، في المقتطف، تحت ما أراه تعبيرات استعارية وثيقة الصلة (لكن ليس كل التعبيرات الاستعارية، التي قد تشمل على سبيل المثال "الأضواء" في الجملة الثانية، و"القوات

---

(١) مصطلح superbug مشهور للقارئ البريطاني، لأنه عادة ما يستخدم في وسائل الإعلام للإشارة إلى بكتريا قوية للغاية، تسبب عدوى بين مرضى المستشفيات. وكلمة UKip هي اختصار لـ"حزب المملكة المتحدة المستقل"، الذي قوّض شعبية التوريين (المحافظين) في بعض أنحاء القطر.

(٢) انظر، Trevor Kavanagh, *The Sun*, 4 October 2004.

العسكرية"، و"دُمِّرت" في الجملة الثالثة). لم تكن القرارات حول ما يمكن وضع خط تحته صارمة، وربما تقرر أنك كنت لتقوم بالأمر بشكل مختلف. بعض التعبيرات الاستعارية هي ذات علاقة وثيقة بالمرض والفيروسات (مثل الأنيميا وبكتريا superbug والجراثيم)، وأخرى أقل ارتباطا بها مثل ("فقدان الشهية"، "أوهام العظمة")؛ وبعض التعبيرات تقليدية للغاية (مثل "مشلول القدم") وأخرى أقل "مثل بكتريا superbug")، وبعض التعبيرات تشير إلى أمراض (مثل "الأنيميا")، وأخرى لأعراض المرض (مثل "فقدان الشهية")؛ وأخرى لأسباب المرض (مثل "بكتريا superbug"، و"الجراثيم"). يمكن المحاجاة، مع ذلك، بأن وقوع "المرض" في أول جملة في المقتطف يسهل تأويلا تكون فيه كل تلك التعبيرات جزءًا من حقل معجمي مفرد وتستدعي سيناريو استعاريًّا مفردًا **للمرض**. اقترح كاميرون ولو (٢٠٠٤) أنه ما إن تتأسس الاستعارة نصيًا حتى يمكنها أن "تجتذب" تعبيرات استعارية أخرى تربطها بها علاقة طيعة. ويمكن الزعم أن استخدام "مريض" في الجملة الأولى للنموذج الثاني عشر "يجذب" باتجاه تعبيرات استعارة ممتدة مفردة، تختلف من منظور مدى تقليديتها وقوة ارتباطها مع المرض (على سبيل المثال فإن مفهوم "أوهام العظمة" كعرَض للمرض الذهني يمكن أن يُربَط بما نحن فيه هنا، على النقيض من سياقات أخرى).

كل هذا بأجمعه يبرز الفكرة المهمة القائلة بأن "المجالات" أو "السيناريوهات" المفهومية لا يجب أن يُنظر إليها على أنها تمثيلات ذهنية ثابتة ومستقرة بشكل كامل، بل على أنها بالأحرى بنى معرفية مرنة يتم بناؤها على أساس المُدخل النصي **textual input**. يوضح النموذج الثاني عشر أيضًا أن الاستعارات الممتدة غالبًا ما يتكرر حدوثها وتفاعلها مع استعارات أخرى. فالمقتطف، في الواقع، يمكن أن يُرى كمثال على تجمع يضم استعارة ممتدة بمصاحبة استعارات غير ممتدة

أخرى، مثل وصف أعضاء الحزب بأنهم "قوات عسكرية troops". وسوف أعود إلى هذا المثال فيما يأتي.

التركيب والمزج

غالبا ما تقع التعبيرات الاستعارية المأخوذة من مجالات مصدر مختلفة بالقرب من بعضها البعض، ويمكن أن تتفاعل بطرق مختلفة. يقدم استخدام كلمة "قوات عسكرية" في النموذج الثاني عشر استعارة عسكرية داخل الاستعارة الممتدة "للمرض" التي وصفتها للتو. ينتج عن هذا سيناريو استعاري يكون فيه أعضاء الحزب جنودًا يسقطون مرضى بشكل متوال. بصياغة أخرى، فإن استعارة "القوات العسكرية" متسقة مع استعارة "المرض" ويمكن أن تندمج معها لإنتاج سيناريو استعاري مفرد أكثر تعقيدًا.

ومع ذلك فإن الموقف مختلف بالنسبة للوصف السابق لقادة الحزب في "الأضواء القائدة في الحزب مشلولة من خلال..". الوصف الاستعاري للمحافظين المرموقين "كأضواء" يحتمل التصادم مع وصفهم بأنهم "قادة" داخل نفس المركب الاسمي ومع وصفهم بأنهم "معوّقون" في المركب الاسمي التالي (الذي يكون فيه "أضواء قائدة في الحزب" هو الفاعل النحوي). استعارة "الأضواء" على وجه التحديد لا يمكن أن تندمج بسيناريو "المرض". هذا النوع من الصدام (المحتمل) بين الاستعارات المتباينة تمت الإشارة إليه تقليديًا كـ"استعارة ممزوجة"، ووصمت بأنها مؤشر على فقر الكفاءة اللغوية. وفي الواقع فإن التعبيرات الاستعارية المتصادمة تُستخدم على نحو متكرر للغاية متجاورة مكانيًا للغاية من بعضها البعض، لكن تنافرها المتبادل غالبًا ما يمر دون ملاحظة، كما يحتمل أن يكون

الحال معك عندما قرأت النموذج الثاني عشر لأول مرة. توجد بالإضافة إلى ذلك حدود ضبابية لا يمكن الخلاص منها بين مجموعات الاستعارات المنسجمة، وخليط الاستعارات المتنافرة.

المعارضات الاستعارية الحرفية

ربما تُستدعي على الفور المعاني الاستعارية والأساسية لتعبيرات محددة في شذرات معينة من النصوص، غالبًا لإنجاز تأثيرات فكاهية(١). على سبيل المثال، حمل مقال حول الصراع بين جنوب إفريقيا والمغرب على الصحراء الغربية عنوان "الصحراء الدبلوماسية"(٢). استخدم الاسم "صحراء" هنا استعاريًا للإشارة إلى تقليص العلاقات الدبلوماسية بين البلدين نتيجة للخلافات بينهما.

مع ذلك فإن المعنى الحرفي "للصحراء" ينطبق كذلك على الموقف الموصوف في المقال، نظرا لأن الأرض المتنازع عليها هي جزء من صحراء "الصحارى". هذا النوع من التورية **punning** الاستعارية هو سمة خاصة بعناوين الصحف. يمكن في تلك الحالات أن يوصف اختيار الاستعارة بأنها "محفزة بالموضوع **Topic-triggered**": وهو أن يُلهِم بُعد من أبعاد الموضوع المدروس (مثل صحراء الصحارى الغربية) اختيار مجال أو سيناريو مصدر استعاري يُستدعى عبر التعبيرات الاستعارية المستخدمة في النص(٣). على مدار هذا الكتاب،

(١) انظر، Goatly's 'literalization of vehicles'; Goatly 1997: 272ff.

(٢) انظر، *Guardian Unlimited*, 27 September 2004.

(٣) انظر، انظر أيضا Kövecses 2005: 236ff.

سوف أوضح كيف تستطيع الاستعارات المحفزة بالموضـــوع أن تُـــستخدم كـــذلك لأغراض بلاغية غير خلق الفكاهة.

الإيمـــــاء Signalling

في بعض الحالات، يمكن أن تكون التعبيرات الاستعارية مصحوبة بـــأدوات لغوية تجذب الاهتمام إلى حضور الاستعارية في السياق اللغوي الآني، ويحتمل أن يوجه هذا تأويلات "القراء" أو "المستمعين". يتم الإشارة إلى هـــذه الأدوات اللغويـــة بوصفها "إيماءات" أو "أدوات رنانة **tuning devices**"، وتتـــضمن تعبيـــرات مثـــل "التكلم استعاريًا"، "حرفيًا"، "لنقل بالدارجة **so to speak**"، "نوعًا ما"، "تخيَّل"، وهلـــم جرا[١]. وقد ضربت مثالين من المدونة البريطانية الوطنية فيمـــا يـــأتي. النمـــوذج الثالث عشر مأخوذ من محاضرة في كلية حقوق، والنموذج الرابع عشر جزء مـــن استشهاد مأخوذ من السيرة الذاتية لمايكل رمزي **Ramsey** رئيس الأســـاقفة، وقـــد وضعتُ خطًا تحت التعبيرات الإيمائية.

النموذج الثالث عشر:

> **الجولة الأولى مصممة لكي تكون الجولة التي تعطي (..) تجعلك معتادًا على الدفاع القضائي، أن تكون غير مهدد، وأن تكون شخصًا تستطيع ببساطة أن تعثر على قدميك <u>حرفيًا</u>، وأن تعتاد على الدفاع على هذا النحو.**

---

(١) انظر، Goatly 1997; see Cameron and Deignan 2003: 168ff.

النموذج الرابع عشر:

صور نفسه كرجل يستحق الإنصات له. تكلم برزانة (..) أُنتجت الكلمات عن قصد و- كما لو كانت - موضوعة فوق المائدة.

في النموذج الثالث عشر يسبق الظرف "حرفيًا" التعبير الاستعاري "تعثُر على قدميك find your feet"، بينما في النموذج الرابع عشر تسبق عبارة "كما لو كانت" الشرطية، التعبير الاستعاري "موضوعة فوق المائدة". يبدو أن الأدوات الإيمائية في كلتا الحالتين تجذب الاهتمام إلى استعارية ما يأتي بعدها. بالإضافة إلى ذلك فإن الاستخدام الساخر إلى حد ما لتعبير "حرفيًا" كإيماءة إلى الاستعارية، غالبًا ما يؤكد على ملاءمة اختيار التعبير الاستعاري، في حين يميل تعبير "كما لو كانت" إلى تخفيف أو تلطيف قوة الاستعارة[١]. هذه الميول العامة يمكن المحاججة بأنها تنطبق على الأمثلة السابقة.

للتعبيرات الإيمائية المتباينة تأثيرات متباينة محددة، وأنماط استخدام مختلفة محددة[٢]. مع ذلك فإنها تبدو في المحصلة النهائية مستخدمة أساسًا لتوجيه تأويل الاختيارات الاستعارية التي ربما تكون غير متوقعة جزئيًا في السياق اللغوي والخارجي الذي تحدث فيه[٣]. وقد نوقشت مجموعة متباينة من الأمثلة على مدار هذا الكتاب.

---

(١) انظر، Goatly 1997: 173, 193.

(٢) انظر، Goatly 1997: 168ff.

(٣) انظر، Cameron and Deignan 2003.

العلاقات التناصية Intertextual relations

يوضح مقال الدول الثماني (نسبيًا) كيف أن التعبيرات الاستعارية المبتدعة والبارزة غالبًا ما توفر مادة قابلة للاقتباس في إنتاج نصوص وسائل الإعلام، ومن ثمَّ تشترك في تأسيس علاقات نصية بين نصوص مختلفة (مثل العلاقات بين مقال الدول الثماني والتصريحات الأصلية لبونو وآخرين). سوف أناقش على مدار هذا الكتاب مجموعة إضافية من حالات التناص التي غالبًا ما تكون أكثر تعقيدًا في استخدام الاستعارة[١]. ويتطلب هذا بعض الكلمات التوضيحية بشأن موضوعات اصطلاحية.

أستخدم مصطلح "نص text" للإشارة إلى شواهد استعمال لغوي فردية أو متضمنة ذاتيًا بشكل نسبي. ينطبق المصطلح بشكل أكثر مباشرة على شواهد كتابة (مثل مقال الدول الثماني، والإيميل المقتبس كمثال في النموذج العاشر، ورواية زادي سميث حول الجمال)، لكنها تشمل كذلك شواهد من استعمالات اللغة المنطوقة (مثل خطبة لتوني بلير، والمحاضرة التي أخذ منها النموذج الثالث عشر). يصعب إدراج شواهد الاستعمال اللغوي المنطوق الأقل رسمية، مثل التلفظات أو تبادل الكلام في المحادثات، ضمن مصطلح "النص". مع ذلك فإنني في معظم الحالات أستخدم مصطلح "النص" بمعنى واسع ليشمل كل أنواع شواهد استعمال اللغة. وفي بعض الحالات، أذكر مصطلح "ملفوظات utterances" بمصاحبة "نصوص" لكي أؤكد على قابلية تطبيق مسألة ما على ما هو منطوق وما هو مكتوب. لا أتعامل

---

(١) انظر أيضًا Musolff 2004، ليس لدي المساحة لتبرير الظواهر المختلفة التي يمكن أن تندرج تحت مصطلح "التناص"، والكتابات الهائلة التي كرست له (انظر أيضًا الآن Allen 2000 لعرض عام).

على نحو نسقي مع نصوص متعددة العلامات، لكن سوف أدرس بعض شواهد الاستعارة البصرية على مدار الكتاب.

أستخدم مصطلح "نوع genre" أو "نمط النص text type" للإشارة إلى الاستعمالات التقليدية للغة التي تتصل بأنشطة معينة مثل مقالات الصحف والروايات والإعلانات المطبوعة والمحاضرات والمحادثات الشخصية وهلم جرا[١]. وأستخدم مصطلح "خطاب discourse" كاسم معدود (جمعه خطابات) للإشارة إلى طرق للكلام أو الكتابة حول موضوعات معينة (مثل الخطاب الطبي) أو في أماكن وظروف محددة (مثل خطاب التدريس)، عادة من منظورات معينة[٢]. يختلف هذا عن استخدام مصطلح "خطاب" كاسم غير معدود (بدون صيغة جمع) للإشارة بشكل عام إلى استعمال لغوي يحدث بشكل طبيعي، كما في عنوان هذا الكتاب.

يمكن أن تكون التعبيرات الاستعارية جزءا من العلاقات التناصية بين نصوص مختلفة بطرق متباينة. يمكن لاحقًا أن يُستغل ويطور استخدام استعاري بارز و/أو مثير للجدل في نص معين، في نصوص أخرى من أنواع مختلفة؛ لكي يُعبر عن الاتفاق أو الاختلاف مع المنتج الأصلي للاستعارة[٣]. أوضح في

---

(١) انظر، (see Fairclough 1992: 126; Wodak and Meyer 2001: 66).

(٢) ربما تكون التسميات التي أستخدمها للإشارة إلى الخطابات وصفية أو تأويلية قليلا أو كثيرا؛ أعني أنها ربما تصبح معتمدة قليلا أو كثيرا على وجهات نظري وتقييماتي الخاصة كمحللة: ففي حين أن تسمية 'خطاب التدريس' على سبيل المثال وصفية على نحو كبير فإن تسمية "خطاب عنصري racist discourse" هي تسمية تأويلية (انظر لمزيد من المعلومات حول هذا التمييز Sunderland 2004، انظر كذلك Fairclough 1992: 127-8, Wodak 2001: 66).

(٣) انظر أيضا، Musolff 2004.

الفصل الثالث كيف استغل صحفيون وخصوم سياسيون تصريحًا استعاريًا بارزًا قدمه رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أثناء خطبة مؤتمر في عام ٢٠٠٣ بشكل متكرر للتعبير عن عدد كبير من الآراء الناقدة له. ربما تصبح استعارة معينة، في حالات أخرى، مرتبطة على نحو وثيق بموضوع معين، وينتج عن ذلك روابط نصية في استخدام الاستعارة عبر نصوص تتعامل مع نفس الموضوع، وإن كان ذلك يتم بوسائل متنوعة. أناقش بالتفصيل، في الفصل الثالث، استعارة "خارطة الطريق **Road Map**" لحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، التي استخدمت في الأصل في وثيقة رسمية بارزة، ثم أصبحت لفترة ما على الأقل، مكونًا مركزيًا من الخطاب المحيط بمشكلات الشرق الأوسط[١].

لم تعدل النظرة العامة التي قدمتها في هذا القسم بين كل الأنماط المتنوعة من النماذج والظواهر النصية التي قد تكون وثيقة الصلة بدراسة الاستعارة، لكنها تقدم التصورات الرئيسية التي استخدمت على مدار الكتاب. وقد نوقشت ظواهر متصلة أخرى في علاقتها بأمثلة معينة في الفصول التالية[٢]. ولابد أن أؤكد مرة أخرى على أن أنماط النماذج النصية التي ناقشتها ليست ظواهر مستقلة تمامًا، لكنها غالبًا ما تتداخل وتشترك في الحدوث مع بعضها بعضا في النصوص.

---

(١) قدم زينكن (2003) Zinken تمييزا بين الاستعارات "الترابطية correlational" و"التناصية intertextual": فالأولى تقوم على ترابطات منهجية في خبرة جسدية، بينما الثانية ثقافية في جذرها (مثل: "التقدم العلمي يؤدي إلى فرانكشتاين جديد"). وقد وجد زينكن في مدونة بحثه أن الاستعارات التناصية الخالصة لا يتجاوز عددها ١٠% من الحالات، لكنها أكثر تكرارا في الأجزاء الحساسة من النصوص، خاصة العناوين الرئيسية والتعليقات المكتوبة أسفل الصور والبدايات والنهايات. وأنا معنية هنا بظاهرة مختلفة، هي -على وجه التحديد- الروابط التناصية بين استخدامات متباينة للاستعارات ذات الجذور "المفهومية" أو "الترابطية" بشكل عادي.

(٢) انظر، Goatly 1997: 255ff. لإطلالة واسعة مفيدة.

فعلى سبيل المثال، يمكن، كما رأينا، أن يكون شاهد من شواهد الاستعارة الممتدة جزءا من تجمع استعاري أكبر، وربما يكون من الصعب في بعض الحالات تمييزه عن التواتر: إن كون تعبيران استعاريان مترابطان يشكلان استعارة ممتدة أو متواترة يتوقف على ما إذا كانا حُللا بوصفهما متقاربين أم متباعدين نصيًا، وهو تمييز ليس من السهل دائمًا عمله. إضافة إلى ذلك فإن بعض شواهد الاستعارة المتواترة ربما تكون أيضًا ممتدة نصيًا. ومهما يكن من أمر فإن المفاهيم التي قدمتها حتى الآن سوف تثبُت فائدتها في مناقشة التجليات النصية للاستعارة في بقية هذا الكتاب.

وظائف الاستعارة في الخطاب

لقد ذكرت بالفعل أكثر وظائف الاستعارة عمومية في اللغة والفكر، وهي على وجه التحديد إمكانية الكلام والتفكير في شيء ما بمفردات شيء آخر. لقد زُعم في إطار نظرية الاستعارات المفهومية بشكل أكثر تحديدًا أن الاستعارة تمكننا من التفكير والكلام عن خبرات مجردة و/أو معقدة و/أو ذاتية و/أو غائمة بمفردات خبرات محسوسة و/أو بسيطة و/أو مادية و/أو واضحة، ترتبط غالبًا بأجسادنا الشخصية. وهذا يجعل الاستعارة ظاهرة لغوية ومعرفية حاسمة، ويفسر قدر الاهتمام الذي تلقته عبر القرون الماضية وفي السنوات الأخيرة. وفي الواقع فقد اقتُرح أن الاستعارة هي جزء مهم من القدرة على الإبداع والابتكار التي تؤدي إلى تطوير البشرية الحديثة على مدارج الارتقاء[١].

مع ذلك يحتاج المرء – لكي يفسر استخدام الاستعارة في الخطاب – أن يدرس عددًا من الوظائف الأكثر تحديدًا التي يمكن أن تقوم بها الاستعارة

(١) انظر، Mithen 1998.

في التواصل. ينطبق هذا بالخصوص عندما تُختار التعبيرات الاستعارية من بين بدائل أخرى عديدة ممكنة، أو حين تُتضمن أيضًا نماذج نصية وإبداعية. على سبيل المثال، فإن الاستعمال الزماني الزماني لحروف الجر المكانية مثل "في"، أو "على" (مثل "في عام ١٩٤٥ in 1945"، و"في ذلك اليوم on that day") ليس فحسب شديد التقليدية، بل هو تقريبًا إجباري، نظرا لأنه يتم بناء الزمن في اللغة الإنجليزية (وفي لغات أخرى عديدة)، نسقيًا بمفردات المكان[1]. على خلاف ذلك، فإن التعبيرات الاستعارية في مقال الدول الثماني مثل "المعركة" في "معركة الاستعارات"، أو "الجيش" في "جيش العاملين في الجمعيات الخيرية" أو "التصدي لـ" في "التصدي للتغير المناخي"، استخدمت كبدائل لتعبيرات استعارية أو غير استعارية أخرى ممكنة مثل "الاختلاف" أو "عدد كبير"، أو "التعامل مع". من ثمَّ فإنها لا تعكس فحسب المنظور الاستعاري الواسع لمجال مصدر **الحرب** في اللغة الإنجليزية، والاستعارة المفهومية "الحجاج حرب" في حالة "معركة". فمن الممكن أيضًا أن ترتبط باتجاه معاصر أكثر تحديدًا لتصوير المناقشات حول التنمية والبيئة بمفردات الحرب، وبهدف الكاتب من إضفاء طابع درامي على الأحداث وتضخيم التقابلات لكي يؤكد استحقاق محتويات المقال للنشر الصحفي.

بصياغة أخرى، فإن النظريات العامة للاستعارة مثل نظرية الاستعارة المفهومية تدرس أسئلة عامة من قبيل: **لماذا تتكرر نماذج استعارية معينة في لغة أو لغات معينة؟** هذا النوع من الأسئلة يُجاب عنه بالإحالة إلى دور الخبرات الجسدية المادية المحسوسة – مثل المكان – في تأسيس خبرات مجردة ومعقدة وغائمة مثل الزمن. لقد تنامى كذلك وضع دور الثقافة في الحسبان[2]. مع ذلك فإن

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1999: 137ff.

(٢) انظر، Kövecses 2005.

دراسة الاستعارة في الخطاب تتضمن كذلك أسئلة أكثر تحديدًا مثل: **لماذا تحدث نماذج واختيارات استعارية بعينها في نصوص أو أنواع أو خطابات بعينها؟** هذا النوع من الأسئلة يُجاب عنه بالإحالة إلى دور المخاطِبين والمخاطَبين وهوياتهم وأهدافهم، والإدراك العام لعلاقاتهم المتبادلة، والسياق اللغوي والخارجي وثيق الصلة (ويشمل الأبعاد الموقفية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والثقافية). لهذين النمطين من الأسئلة تجليات مختلفة لكنها كذلك مترابطة. أنا معنية في هذا الكتاب بشكل أساسي بالنوع الثاني من الأسئلة، لكني سوف أضع كذلك في الاعتبار بشكل منظم العلاقة بين الاستخدامات المحددة للاستعارة في النصوص التي أحللها والنماذج التقليدية في اللغة بشكل عام.

السلسلة الرئيسية من وظائف الاستعارة في الخطاب ترتبط بتمثيل **representation** (أبعاد معينة من) الواقع. فنظرا لأن الاستعارة تنطوي على إنشاء شيء بمفردات شيء آخر، فإن اختيار "شيء آخر" (أو مجال مصدر) يؤثر في كيفية تمثيل "الشيء" (أو المجال المستهدف). على نحو أكثر تحديدًا، فإن الاستعارات يمكن أن تستخدم للإقناع بصياغة مفاهيمية جديدة للواقع وتبريرها وتقييمها وشرحها والتنظير لها وتقديم صياغة مفهومية جديدة لها، وهلم جرا. على سبيل المثال، فإن المتكلمين الثلاثة الذين أقتبس من كلامهم في مقال الدول الثماني يستخدمون استعارات متباينة ليقدموا تمثيلات متباينة لنفس الحدث، تهدف أساسًا إلى إقناع آخرين بتبني نفس وجهات النظر. يمكن أن ترتبط هذه الاستخدامات التمثيلية للاستعارة بالوظيفة "الفكرية **ideational**" للغة عند مايكل هاليداي، التي تتعامل مع دور اللغة في فهم الواقع وبنائه[1]. السلسلة الأخرى من وظائف

---

(١) انظر Halliday 1978; Halliday and Hasan 1985.

الاستعارة في الخطاب يمكن على نحو مشابه أن ترتبط بالوظيفتين الأخريين اللتين اقترحهما هاليداي للغة؛ أي الوظيفتين "بين-الشخصية **interpersonal**"، و"النصية **textual**". وهما تتعلقان تباعًا بإنشاء العلاقات الاجتماعية والشخصية في التفاعل، وبإنشاء النصوص بوصفها وحدات متماسكة من الاستعمال اللغوي[١].

يمكن أن تُستغل الاستعارة في إنشاء العلاقات بين الشخصية والتفاوض حولها، على سبيل المثال، عندما تستخدم للتعبير عن اتجاهات ومشاعر، وتسلية أو اندماج، أو تعزز الحميمية، أو تنقل الفكاهة، أو تحافظ على الوجه الإيجابي للآخرين أو تهاجمه، أو تمكّن من الانتقال من موضوع إلى موضوع آخر أثناء التفاعل وهلم جرا[٢]. يمثل استخدام الاستعارة في الرسالة الإلكترونية المستشهد بها في النموذج العاشر حدثًا بطريقة معينة للتعبير عن الامتنان والإعجاب نحو المخاطَب، ومن ثم يسهم في القصد التهانئي **congratulatory** للرسالة. وتستخدم الاستعارة - في العديد من الأمثلة التي اقتبستها فيما سبق - لكي تخلق تأثيرات فكاهية، ومن ثم تُسلي المخاطَبين وتعزز من علاقة المتكلم بهم.

يمكن أن تسهم الاستعارة كذلك في البناء الداخلي لنص ما وعلاقاته النصية؛ فهي يمكن أن تستخدم لتقديم ملخصات أو جذب انتباه المخاطبين إلى أجزاء معينة من النص، وهلم جرا. فقد أوضحتُ في مقال الدول الثماني، على سبيل المثال، أن ثمة استعارة استخدمت في عنوان المقال ثم تواترت لاحقًا في متن النص. ويقوم مفهوم "معركة استعارات" بوظيفة تشبه نوعًا من "الاستعارة الشارحة

---

(١) انظر،
Halliday 1978. Halliday and Hasan 1985; see also Goatly 1997: 148ff; Koller 2004b: 15ff.

(٢) انظر، Brown and Levinson 1987; Drew and Holt 1998.

meta-metaphor"، ويوفر العمود الفقري للمقال ككل. بالإضافة إلى ذلك، فإن تواتر التعبيرات الاستعارية ذات الصلة بالحركة والحرب في نقاط مختلفة من المقال يسهم بشكل إضافي في تماسكه الداخلي(١). على مدار هذا الكتاب، سوف أعرض أمثلة للوظائف المتنوعة التي ذكرتها حتى الآن، وأدرس عددًا إضافيًا من الوظائف التمثيلية وبين- الشخصية والتناصية. وأبرز كيف أن استخدام الأفراد للاستعارة يميل إلى أداء وظائف متباينة عديدة في نفس الوقت: ففي الرسالة الإلكترونية المقتبسة في النموذج العاشر، على سبيل المثال، استُغل إبداعيًا تعبير استعاري ثابت في تقديم تمثيل معين لبعد من أبعاد الواقع، وفي تهنئة المخاطَبين، وفي بناء نص الإيميل ذاته. وسوف أدرس الوظائف المهيمنة في نصوص تنتمي إلى أنواع معينة (مثل وظيفة الإقناع في الخطب السياسية، والشرح في النصوص التعليمية)، لكنني سأوضح أيضًا كيف يمكن أن تستخدم الاستعارة لتؤدي وظائف متعددة داخل نصوص وأنواع فردية (مثل أنها ربما تُستخدم في المقالات العلمية لأغراض توليد الفكاهة وكذلك لأغراض الشرح).

الاستعارة والإيديولوجيا

لقد اقترحت بالفعل في أقسام سابقة أن الاستعارات نادرًا ما تكون محايدة: فإنشاء شيء بمفردات شيء آخر تنتج عنه وجهة نظر معينة حول "الشيء" موضوع التساؤل، وينطوي غالبًا على اتجاهات وتقييمات محددة. وبمفردات نظرية الاستعارات المفهومية، فإن الاستعارات "تُبرز" بعض أبعاد المجال المستهدف

(١) لمناقشة مفيدة لوظائف التعبيرات الاستعارية انظر Goatly 1997: 148ff.

و"تخفي" أخرى[١]. فاستعارة "**الحجاج حرب**"، على سبيل المثال، تبرز الأبعاد التنافسية والعدائية والصراعية للحجج، وتخفي أبعادها التعاونية والبناءة. ربما يؤثر هذا ليس فحسب على طرق تكلمنا وتفكيرنا في الحجج، لكن يحتمل كذلك أن يؤثر على السبل التي نتصرف بواسطتها أثناء الحجاج[٢]. هل يعني هذا، بناء على ذلك، أننا مقيدون ومعصوبو الأعين تمامًا من خلال الاستعارات التي نستخدمها بشكل تقليدي؟ إجابتي على هذا السؤال هي: بشكل عام، لا، لكن ذلك قد يكون صحيحًا في بعض الحالات[٣].

فمن جانب، يمكننا أن نتغلب على تشوهات الاستعارات الفردية وقيودها – إلى حد ما على الأقل– من خلال استغلال استعارات تقليدية بديلة لنفس المجال المستهدف، أو من خلال ابتكار استعارات جديدة، ومن ثمَّ ابتكار سبل جديدة لإضفاء معنى على خبرات معينة. يلفت لاكوف وجونسون، على سبيل المثال، النظر إلى أن الحجج في اللغة الإنجليزية يتم كذلك بناؤها تقليديا بمفردات مجالات مصدر أخرى بخلاف **الحرب** (هي تحديدًا: **الرحلات، الحاويات، الأبنية**)، ويستكشفان تطبيقات لصياغة مفهومية افتراضية بديلة للحجج بمفردات الرقص[٤].

---

(١) في مدخلهما للغويات المعرفية يقدم كروفت وكروز Croft and Cruse (2004: 55ff.) الاستعارة بوصفها واحدة من عديد من "العمليات التوصيفية construal"، والتحديد كإحدى عمليات صياغة المفاهيم التي نوظفها لكي نفكر أو نتحدث عن خبراتنا.

(٢) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 10ff.

(٣) بصياغة أخرى، فأنا أتبنى نسخة مخففة من فرضية سابير-وورف Sapir-Whorf hypothesis، التي تؤكد أن أبنية اللغة التي نتكلمها تقيد تفكيرنا وصياغتنا للمفاهيم.

(٤) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 4-5; 87ff.

مع ذلك فمن ناحية أخرى، عندما تصبح استخدامات استعارية معينة هي الطريقة المهيمنة في الكلام عن بُعد معين من أبعاد الواقع في خطاب معين، فإنه قد يكون من الصعوبة بمكان إدراكها وتحديها، نظرا لأنها تأتي لتمثل وجهة النظر "الشائعة" و"الطبيعية" للأشياء. في مثل هذه الحالات، يمكن رؤية الاستعارات المفهومية التقليدية بوصفها جزءًا مهمًا من سلسلة المعتقدات المشتركة، أو "الإيديولوجيا" التي تسم جماعة اجتماعية معينة:

> **الإيديولوجيا، سواء في معانيها المحايدة أو "المشحونة"، هي نسق من المعتقدات والقيم يتأسس على سلسلة من النماذج المعرفية؛ أي التمثيلات الذهنية – وهي لغوية في جزء منها وغير لغوية في جزء آخر – للظواهر الحالية وتأويلاتها في الثقافة والمجتمع(١).**

على نحو مشابه ينظر فان دايك إلى الإيديولوجيا من زاوية معرفية – اجتماعية بوصفها "أساس التمثيلات الاجتماعية التي يتقاسمها أعضاء جماعة ما"، ويعرِّف "التمثيلات الاجتماعية" بوصفها "تجمعات منظمة من المعتقدات التي يتم تقاسمها اجتماعيًا"، وتشمل مخططات، وسيناريوهات، وأطرًا، واتجاهات، وآراء، وهلم جرا"(٢). ومن منظور نظرية الاستعارات المفهومية، فإن العديد من تلك التمثيلات الذهنية المتقاسمة يتم بناؤها، بشكل جزئي على الأقل، عبر استعارات مفهومية تقليدية.

---

(١) انظر Dirven. Frank and Pütz 2003: 1-2.

(٢) انظر van Dijk 1998: 8; 46.

مع ذلك، فإن المنظور الإيديولوجي -كما يشير فرانك وبوتز- لا يحدده فحسب اختيار استعارة مفهومية معينة "لكن تحدده أيضًا، وبشكل حاسم بالقدر نفسه، التعبيرات اللغوية المتنوعة المجهزة للاستعارة المفهومية الكامنة"[(١)]. بالإضافة إلى ذلك، فإن التطبيقات الإيديولوجية لنماذج معينة من التعبيرات الاستعارية تتنوع استنادًا إلى كيفية استخدام تلك الأنماط تقليديا عبر نصوص وأنواع. ويقدم كاميرون تمييزا مهمًا بين ثلاثة أنماط من "تسقية **systematicity**" التعبيرات الاستعارية. النسقية "المحلية" تنطبق عندما تكون استعارة أو استعارات لغوية معينة مقصورة على نص واحد أو حدث خطابي واحد. أناقش بعض الأمثلة الأدبية لهذا النوع من النسقية في الفصل الثاني.

تتحقق نسقية "الخطاب" عندما تُستخدم استعارات لغوية معينة داخل "جماعات خطاب **discourse communities**" معينة (مثل مدرسي اللغة، أو أعضاء حركة سياسية معينة)؛ وبالمفردات المستخدمة في هذا الفصل فإن نسقية الخطاب تتحقق أيضًا عندما تسم استخدامات معينة للاستعارات أنواعًا أو خطابات محددة، مثل تقارير الأخبار الرياضية أو الخطاب المتصل بالشرق الأوسط. تتحقق النسقية "الكونية" عندما تحدث استخدامات معينة للاستعارة عبر عديد من الأنواع والخطابات، كما هو الحال في الاستعارات المكانية للزمن. وفي حين أن كل استخدامات الاستعارة ربما يكون لها تطبيقات إيديولوجية، فإن تلك التي تعد نسقية خطابيًا هي تحديدًا ذات مغزى، نظرا لأنها يمكن أن يُنظر إليها بوصفها انعكاسًا للمعتقدات والمسلمات التي يتقاسمها أعضاء جماعات معينة[(٢)]. وسوف أعود إلى تلك الأنماط المختلفة من النسقية في حديثي عن المزيد حول الاستعارة والخطاب والإيديولوجيا فيما يأتي.

---

(١) انظر، Dirven. Frank and Pütz 2003: 8.

(٢) انظر أيضًا، Wolf and Polzenhagen 2003.

لقد بدأ البعد الإيديولوجي للأنماط التقليدية للاستعارة في خطابات معينة يلقى اهتمامًا ملحوظًا. فقد أوضحت كولر (2004b)، على سبيل المثال، كيف أن خطاب إدارة الأعمال المعاصر يتسم بنماذج استعارية نسقية مشتقة من سلسلة صغيرة من حقول المصدر المتمركزة حول الحرب. وتحاجج بأن هذا يعكس إيديولوجيا جنسية يبدو أنه يتقاسمها الصحفيون وجمهورهم، هي بالتحديد رؤية أنشطة إدارة الأعمال بوصفها تنافسية وعدائية وعدوانية، وتتضمن ميولا نحو تهميش المرأة أو استبعادها. لقد ناقش جواتلي (٢٠٠٢) عدم التناسق والمحدودية في الاستعارات التي تسم الخطاب التعليمي الرسمي في هونج كونج، في حين أن عددًا من البحوث درست الدور المركزي الذي تلعبه استعارات تقليدية في الخطابات المحيطة بالهجرة واللجوء السياسي في سياقات تاريخية وثقافية مختلفة[١]. في بعض الحالات، اقترح علماء الاستعارة بحيوية استعارات بديلة جديدة، توفر من وجهة نظرهم مداخل أكثر عدالة ومساواة وإنتاجية للمشكلات والأنشطة[٢]. مع ذلك فإن دراسة الاستعارة بشكل أكثر عمومية يمكن أن تزيد من الوعي بالدور الذي تلعبه في طرقنا التقليدية في الكلام والتفكير، وبذا يكون الأفراد أكثر قدرة على ملاحظة التعبيرات الاستعارية وعمليات الصياغة المفهومية، ويكونون قادرين على التفكير بشكل نقدي في صلاحيتها. سوف أعود إلى دور الاستعارة في الخطابات والإيديولوجيات في نقاط متنوعة على مدار هذا الكتاب[٣].

---

(١) انظر، el Refaie 2001; see O'Brien 2003.

(٢) انظر، Goatly 2002, 2007; Koller 2004b.

(٣) انظر على وجه التحديد القسم (٣-٣)، وانظر أيضا Dirven, Frank and Pütz 2003; Goatly 2007.

بنية هذا الكتاب

بعد أن قدمت مدخلا عامًا في هذا الفصل، أناقش في الفصول الثلاثة التالية دور الاستعارة في مجموعة من نصوص وأنواع تنتمي إلى أربعة حقول واسعة للأنشطة الاجتماعية – الثقافية: الأدب (الفصل الثاني)، السياسة (الفصل الثالث)، العلم والتربية (الفصل الرابع). كل من هذه الفصول الثلاثة يبدأ بتحليل مثال تمهيدي، يتبعه موجز عام لاستخدامات ووظائف الاستعارة في نصوص وأنواع مرتبطة بالحقل الاجتماعي – الثقافي وثيق الصلة. ينتهي كل فصل بحالتي دراسة، هما على وجه التحديد تحليل ممتد لنصوص محددة (مثل منشور سياسي) أو تحليل لظواهر استعارية معينة تتضمن العديد من النصوص (مثل استخدام استعارة "خارطة الطريق" في علاقتها بالصراع الإسرائيلي – الفلسطيني). يوسع الفصل الخامس المناقشة لتشمل دور الاستعارة في أنواع وخطابات أخرى، ويحتوي على حالتي دراسة إضافيتين، هما على وجه الترتيب، تحليل حول إعلان، وبرنامج راديو عبر الهاتف يتعلق بموضوع الاكتئاب. يركز الفصل السادس تحديدًا على استخدام تقنيات معتمدة على المدونة في دراسة الاستعارة، وينتهي بحالة دراسة تشرح بعض تلك التقنيات. ويقدم لنا الفصل السابع بعض نتائج الكتاب ككل.

لقد بذلت جهدًا كبيرا لكي أكتب كل فصل بشكل يجعل من المستطاع قراءته منفردًا، من قبل قراء لهم اهتمامات محددة بأنواع أو خطابات أو مقاربات معينة. مع ذلك فإنه، للإفادة المثلى من هذا الكتاب، يتعين على القراء ممن لا يمتلكون معرفة سابقة حول دراسة الاستعارة في اللغة أن يقرأوا هذا الفصل التمهيدي (لو لم يكونوا قد قاموا بذلك بالفعل) قبل قراءة أيٍّ من الفصول اللاحقة.

الفصل الثاني

استخدام الاستعارة في الأعمال الأدبية

مثال تمهيدي: استخدام الاستعارة للإشارة إلى مرض الشقيقة في إحدى الروايات:

يصور لنا الروائي أيان مكوين **Ian McEwan** في الفصل السادس من روايته "**تكفير**" **Atonement** (صدرت عام ٢٠٠١) معاناة إيميلي تاليس **Emily Tallis** – وهي إحدى الشخصيات الرئيسية في الرواية – من النوبات المتكررة لمرض الشقيقة (الصداع النصفي) التي تكدر صفو عيشها هي وأسرتها. ويصور لنا المشهد التالي أحد أيام الصيف القائظة في عام ١٩٣٥، بينما إيميلي ترقب الاستعدادات والنشاط الذي دب في أوصال قصر آل تاليس في مدينة سيري **Surrey**، وتترقب الهجمة الوشيكة للألم والوجع. ويبدأ الفصل بالفقرة التالية (قمت بوضع رقم أمام كل جملة لتيسير الإشارة إليها).

النموذج الأول:

> **فبعد تناول وجبة الغداء بفترة قصيرة وبعد أن تأكدت إيميلي أن أطفال أختها وبريوني Briony قد شبعوا، وأنهم لن يحنثوا بوعدهم بالابتعاد عن المسبح لساعتين على الأقل، انسحبت إيميلي إلى غرفتها لكي تنعم بالقر والظلام بعيدًا عن حر الظهيرة، وضوضائها (١) فلم تكن تشعر بأي ألم بعد، ولكنها كانت تنعزل بعيدًا لكي تتأهب لهجمته الشرسة (٢) وبدأت تشعر بثقل في الجزء الأعلى من النصف الأيمن لرأسها، يشبه ثقل جسم حيوان ملتف غلبه النعاس، ولكنها حينما لمست رأسها، وضغطت عليها، اختفى هذا الجسم (٣) فقد انتقل إلى**

أعلى الجزء الأيمن، وخيل إليها أنها تستطيع أن تقف على أطراف أصابع قدميها، وتمد يدها اليمنى لتلمسه (٤) ولكنها كانت تعي أن هذا الكائن كامن، ولعن الله من أيقظه؛ لأنه بمجرد أن يتحرك من محيط الرأس إلى مركزها، فإن الألم الحاد سوف يعتصرها بحيث يمحو الوجع أية أفكار، ومن ثم يذهب أمل تناول طعام العشاء مع ليون Leon والأسرة الليلة أدراج الريح (٥) وهذا الحيوان لم يكن يسبب لها أي أذى أو ضرر، ولا علاقة له بحالة البؤس والشقاء التي تعيشها (٦) فهو يتحرك كأنه سنور جلس في قفص، ولأنه حينما يستيقظ - ودفعًا للملل أو ربما رغبة في الحركة ذاتها - يتحرك بلا سبب أو وعي. (صفحتي ٦٣ -٦٤).

ويخصص المؤلف بقية الفصل السادس لوصف مشاعر إيميلي، وأحاسيسها، وأفكارها وهي ترقد على سريرها تنتظر أن يتلاشى ذلك الألم. وفي هذا الموضع فإني أركز بشكل خاص على الطريقة التي يصف بها مكوين تجربة الألم الذي يفتك بإيميلي من خلال استخدام التعبيرات الاستعارية المبتكرة والمؤثرة، والتي تميز الأعمال الأدبية عن غيرها.

وأرجو أن يتفق معي القارئ في أن أبرز الاستعارات المستخدمة في النموذج السابق، هي تلك الاستعارة التي تصف الألم التي تحس به إيميلي داخل رأسها، بأنه حيوان نائم، والذي من الممكن أن يتحرك من مكان إلى آخر داخل رأسها مسببًا لها ألمًا لا يطاق، ووجعًا لا ينتهي. وهذه الاستعارة تمتد وتتطور تدريجيًا في كل جمل النموذج السابق. فتبدأ هذه الاستعارة بوصف ما تشعر به إيميلي، بأنه يشبه ثقلاً في الجملة الثالثة، ويأتي هذا متبوعًا بعبارة "يشبه ثقل حيوان

ملتف غلبه النعاس". وفي الجملة التالية يصف لنا الكاتب الراحة المؤقتة التي أحست بها إيميلي، بالضغط على ذلك الجزء من رأسها الذي يسبب لها الألم بعبارة: "اختفى هذا الجسم". وفي الجزء الأخير من النموذج السابق، يُوصف هذا "الحيوان الذي غلبه النعاس" بأنه "كائن كامن" يمكن "إيقاظه" (ربما بسبب حركة إيميلي نفسها)؛ وبالتالي "يتحرك من محيط الرأس إلى مركزها" مسببًا لها ألمًا شديدًا، يشل حركتها. أما في الجملتين السادسة والسابعة، فيوسم هذا الحيوان بعدد من السمات مثل أنه: "لم يكن يسبب لها أي أذى أو ضرر" كما أنه "لا علاقة له بحالة البؤس والشقاء التي تعيشها". كما أن حركاته تشبه (من خلال استخدام أحد التشبيهات) "سنور جلس في قفص" يتحرك يمنة ويسرة "بلا سبب أو وعي". أما في الجملة الرابعة فنرى أن إيميلي تتخيل سيناريو مختلفًا للأمور، حينما تتخيل نفسها وهي "تقف على أطراف أصابع قدميها – وهي داخل رأسها – لتلمس ذلك الحيوان الذي غلبه النعاس[١].

ويحتوي النموذج السابق على عدد من التعبيرات الاستعارية – الأقل في الأهمية – التي تعبر عن الألم، وتشكل هذه التعبيرات نسيجًا، مع تلك الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحيوان **animal metaphor** والتي أشرت إليها آنفًا. ففي الجملتين الأولى والثانية، توصف إيميلي بأنها تنسحب "إلى غرفتها لكي تنعم بالقر، والظلام، بعيدًا عن حر الظهيرة وضوضائها" لتتأهب لهجمة الألم الشرسة؛ فالفعل "ينسحب" مأخوذ من مفردات الحرب، والتي أصبحت تستخدم استعاريًا للإشارة إلى محاولة تجنب شيء غير مبهج، أو كريه للنفس.

---

(١) يتناسب هذا السيناريو الذي تتخيل فيه إيميلي نفسها وهي داخل رأسها، مع التحليل الذي يتبنى نظرية المزج Blending Theory.

ولكن في سياق النموذج السابق، تدب الحياة في هذه التعبيرات الاستعارية التقليدية، نتيجة لوجودها في نفس السياق مع جمل أخرى ملازمة لها تكمل هذه الصور المجازية. ويوجد وصف استعاري آخر في الجملة الخامسة، حينما توصف حركة الحيوان داخل رأس إيميلي بأنها تسبب ألمًا "يعتصرها بحيث يمحو الوجع أية أفكار". وأود أن ألفت النظر هنا إلى أن الفعل "يمحو" **obliterate** يستخدم أصلاً مع المحو (التدمير) الحسي المادي، ولكن استخدامه الاستعاري (التقليدي) هنا يتوافق مع تشخيص الألم كعدو (تتأهب إيميلي لهجمته الشرسة)، ولا شك أن وصف هذا الألم بالحاد **knifing**، يؤكد تلك الصورة الاستعارية، ويضيف لها أبعادًا جديدة؛ لأن استخدام كلمة "حاد" التي ترتبط عادة بوصف السكين، تضيف كثيرًا للصورة المرسومة للألم.

أما في بقية الفصل السادس من هذه الرواية، فيلجأ الكاتب مرة أخرى إلى استخدام الاستعارات في بداية الفقرات، وتمتد هذه الاستعارات حيث تشكل لنا ما يمكن أن نسميه بسلسلتين من التعبيرات الاستعارية **chains of metaphorical expressions**. ويحاول الكاتب أن ينقل للقارئ ما تحس به إيميلي من وعي يطغى عليه القلق، من النتائج المحتملة لأية حركة لذلك الحيوان الكامن، من خلال بعض الإشارات الاستعارية التي تحتوي على كلمة السكين وملحقاتها:

النموذج الثاني:

> **فهي ترقد خائفة مترقبة كمن يجلس تحت تهديد السكين held at knife-point، وهي تعلم علم اليقين أن الخوف سوف يُذهب النوم من عينيها، ويبقى الأمل في أن تظل في حالة السكون. (صفحة ٦٤).**

النموذج الثالث:

> **الخوف من الألم جعلها تقبع في مكانها، تنتظر أسوأ الأمور، حينما تنشب في عصبها البصري مجموعة من السكاكين الحادة sharpened knives، مخلفة ألمًا يسبب ضغطًا لا يطاق على الأماكن التي تلي هذا المكان، بحيث يجعلها الألم تنزوي وحيدة، بعيدًا عن أعين الناس. (صفحة ٦٧).**

ففي النموذج الثاني، يشخص التعبير "تحت تهديد السكين" الألم في صورة شخص يهجم عليها بعنف، ممسكًا سكينًا في يده(١). أما في النموذج الثالث، فيقدم لنا الكاتب الذكرى التي تحملها إيميلي لهجمات الألم السابقة من خلال الإشارة إليها استعاريًا، بأنها "تشبه مجموعة من السكاكين الحادة" التي تنشب في عصبها البصري.

كما يستخدم الكاتب الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحيوان **animal metaphor** في أماكن عديدة من هذا الفصل؛ للإشارة إلى المراحل المختلفة لتطور نوبة الألم، التي تسببها الشقيقة لإيميلي:

النموذج الرابع:

> **حينما بدأت إيميلي تشعر أن ذلك الحيوان ذا الفراء الأسود بدأ في التحرك، نأت بأفكارها بعيدًا عن ابنتها الكبرى (صفحة ٦٥).**

---

(١) أحب أن أوضح أنني أتعامل مع التشخيص personification على أنه نوع من الاستعارة، حيث يشخص الكاتب ما هو غير إنساني، ويضفي عليه من الصفات الإنسانية (انظر الفصل الرابع لمزيد من التفاصيل).

النموذج الخامس:

> وبدأ هذا الحيوان الذي عذبها يتلاشى ويختفي، وأصبحت الآن قادرة على الوقوف على قدميها، بمساعدة وسادتين، وضعتهما على لوح السرير الخشبي (صفحة ٦٩).

النموذج السادس:

> ومن ثم وضعت إيميلي رأسها على الوسادة مرة أخرى لبضع دقائق، بعد أن انسل ذلك المخلوق الذي كان يسكن رأسها خلسة؛ وبدأت تضع الخطط لنفسها بصبر وأناة، ثم أخذت تراجع هذه الخطط، ثم وضعتهم الخطة تلو الأخرى في نظام لا يختل (صفحة ٧٠).

ففي النموذج الرابع، نقل لنا الكاتب شعور إيميلي ببداية الألم، في صورة "ذلك الحيوان ذى الفراء الأسود (الذي) بدأ في التحرك". أما في النموذج الخامس، فإن خفوت الألم يشبه (استعاريًا) تلاشي "هذا الحيوان الذي عذبها". أما في النموذج السادس، فيشعر القارئ أن نوبة الألم التي تعاني منها إيميلي قد انتهت، حينما ينسل "ذلك الحيوان الذي كان يسكن رأسها خلسة".

ويمثل استخدام مكوين للاستعارة لنقل تجربة إيميلي مع مرض الشقيقة، أحد الظواهر المهمة ليس فقط في هذا الفصل، ولكن في بقية الرواية ككل. وتضم هذه الظواهر استخدام الاستعارة للتعبير عن الخبرات الذاتية، التي يصعب وصفها **ineffable**، واستخدام الاستعارات التقليدية بطريقة مبتكرة وخلاقة، واستخدام الاستعارات المبتكرة واللافتة للنظر؛ للتعبير عن تلك الخبرات التي تتميز بالأصالة والواقعية، فضلاً عن خلق أنماط نصية معقدة **complex textual patterns**. وليسمح لي القارئ بتناول هذه الظواهر باختصار شديد.

كما أوضحت في الفصل الأول فإن الاستعارة تلعب دورًا مهمًا في التعبير عن أكثر تجاربنا الذاتية حميمية، كالتعبير عن المشاعر، وردود الأفعال، والأحاسيس الجسدية، وخاصة الإحساس بالألم (ولعل أهم الأمثلة على ذلك الدراسات التي قام بها كل من كوفيكستش **Kovececes** في عام ٢٠٠٠، ولودج **Lodge** في عام ٢٠٠٢، ولاسكاراتو **Lascaratou**). ولكن نوبات الألم التي يسببها مرض الشقيقة عادةً ما يعبر عنها الذين يعانون منها بشكل متفرد. ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أنه يصعب على أي إنسان أن يعبر بشكل مباشر ودقيق عن آلام شخص آخر، كما أن اللغة الحرفية **literal language** تقف عاجزة عن نقل ما نشعر به من ألم إلى الآخرين. ففي حالة مرض الشقيقة عادة ما يلجأ من يعاني من هذا المرض إلى الرسم للتعبير عن تجاربه مع الألم، وعادة ما يتضمن هذا الرسم استعارات مرئية قوية **visual metaphors**، مثل أن يقوم البعض برسم البرق يضرب مكانًا بقوة، أو رسم مطرقة تدق بعنف على رأس من يعاني من أحد نوبات الألم (ويستطيع القارئ الحصول على العديد من الأمثلة الأخرى بمجرد أن يكتب كلمة الشقيقة في أحد المحركات البحثية على الإنترنت).

- علاوة على ذلك، فإن الأدب يرتبط بشكل خاص بالتعبير الخلاق والإبداعي عن التجارب الإنسانية التي تتسم بالقوة والحميمية، ولكن التعبير الخلاق لا يتنافى مع الواقعية. ففي الفصل السادس من رواية **تكفير**، يعبر مكوين عن شيء لا يمكن في واقع الأمر التعبير عنه، وأقصد بهذا التجربة الذاتية لإحدى الشخصيات التي تعاني من الألم الذي تسببه الشقيقة، وهذا يعني أن الكاتب يستخدم الأساليب الاستعارية التقليدية، ويتعداها إلى آفاق بعيدة في نفس الوقت.

عادة ما يرتبط النمط الاستعاري الذي يتضمن الإشارة إلى السكين بالتعبيرات الاستعارية التقليدية عن الألم، فالألم الذي ليس له سبب خارجي،

عادة ما يوصف من خلال استخدام المفردات التي تشير إلى اعتــداء، أو اختــراق خارجي يؤدي إلى خلل أو تدمير جسدي تسببـــه أدوات أو أجسام لامـــست الجسم أو اخترقته، كما هو الحال في الأمثلة التالية: "مثلُ هذا الألم كمثل الألم الذي يسببه غرز إبرة في عضلة أو وريد"، أو تعبير "إنها نيران داخليـــة لا تُبقـــي ولا تـــذر" (مأخوذ من كتاب ديسوزا وفرانك **De Souza and Frank** الذي صدر فـــي عـــام ٢٠٠٠، صفحتي ٢١٢، ٢١٣).

وكان أن خطر لي أن أستقصى هذا الأمر أكثر وأكثر؛ فقمـــت بالاســـتعانة بالمدونة البريطانية الوطنية **British National Corpus (BNC)**، والـــذي يحتـــوي على مائة مليون كلمة من الكلمات المتصاحبة **collocates**، وبحثت عـــن الكلمـــات التي عادة ما تتصاحب مع كلمة "الألم" "**pain**"، فوجدت أن هناك أربع صفات تأتي في مقدمة قائمة تحتوي على أربعين لفظة مختلفة، وهذه الصفات هـــي: مختـــرق **stabbing**، ولاذع أو واخز **stinging**، وحاد **sharp**، وحـــارق **burning**. وهـــذه الصفات الأربع لها معان استعارية تقليدية ترتبط بالألم الذي لا ينتج عن التعـــرض لأجسام حارقة[١] أو حادة ولنقرأ المثال التالي المأخوذ مـــن المدونـــة البريطانيـــة الوطنية:

أ) بماذا تشعر حينما ترفع شيئًا أو تسحبه؟

ب) أشعر بألم يخترق جسمي اختراقًا.

ويجب أن أشير أن استخدام كلمة "حاد" في النموذج الثاني الذي أشرنا إليه سابقًا، والذي يصف الألم هو في واقع الأمر أقل انتشارًا وشيوعًا من استخدام كلمة

---

(١) يشير التصاحب اللفظي هنا إلى الكلمات التي يتكرر ورودها مع كلمة "الألم"، سواء أكـــان هـــذا قبـــل الكلمة، أم بعدها.

"مخترق"، ولكن هذا لا يعني أن كلمة "حاد" لا ترد كوصف للألم في كثير من الأحيان. فمن ضمن سبعة أمثلة اطلعت عليها في المدونة البريطانية الوطنية وجدت كلمة "حاد" مستخدمة في مثالين يصفان الألم، ولا يتضمنان أي ذكر لسكاكين أو آلات حادة أخرى (قد تسبب هذا الألم).

وكما أوضحت سابقًا فإن استخدام مكوين للاستعارة التي تحوي ذكرًا للسكين **knife metaphor** عند الحديث عن الألم الذي تسببه الشقيقة، هو استخدام ينطوي في كثير من الأمر على قدر كبير من الإبداع والابتكار؛ فهو يستخدم تعبيرات لوصف الألم عادة لا ترد معه، أو تتصاحب معه لفظيًا؛ وهذا ما يخلق سيناريو استعاريًا **metaphorical scenario** به الكثير من التفاصيل والثراء، وخاصة حينما يصور الألم كشخص عنيف يهاجم إيميلي تحت تهديد السكين (انظر النموذج الثاني)، ويمتد هذا السيناريو الاستعاري ليشمل عددًا من السكاكين التي تخترق رأس إيميلي (انظر النموذج الثالث).

على النقيض من هذا، تتسم الاستعارة التي تتضمن ذكرًا للحيوان **animal metaphor** بالجدة، بل والتفرد، وتظهر تلك الاستعارة في استخدام التعبيرات التي تشير إلى الشعور بوجود ثقل ما (مثل تلك الجملة التي وجدتها في المدونة البريطانية الوطنية والتي تقول "حينما وضعت يدي على قلبي شعرت بثقل يجثم على صدري"). وتستخدم هذه التراكيب الاستعارية؛ للإشارة إلى ما يهاجم الجسم من خارجه فيسبب الألم، أو الألم الداخلي والذي يوصف بأنه "ألم يقرض الجسم قرضًا" أو "ألم يشبه القرض بالمقاريض" **gnawing pain**.

على الرغم من ذلك، فإن هذه الاستعارة تتضمن عددًا من الجوانب التي تتسم بالأصالة الواضحة: أولا: لا يوجد من بين المفردات التي ترسم، وتحدد هذا السيناريو الحيواني **animal scenario** مثل حيوان **"animal"**، وذو الفراء الأسود

"black-furred"، ومخلوق "creature"..إلخ ما له معان استعارية تقليدية ترتبط بالألم. **ثانيا**: لا يوصف الألم عادة بأنه حيوان يتحرك داخل أجسامنا. ولعل الجدة والابتكار في الاستعارة التي استخدمها مكوين تكمن في وصف الألم بأنه حيوان يتحرك داخل رأس إيميلي، وليس في وصف الألم بأنه مخترق "stabbing"، أو حاد "knifing". **ثالثًا**: لا يُصور لنا الحيوان على أنه معتد خلا قلبه من الرحمة، بل بأنه يتصرف بشكل طبيعي، لا يقصد من ورائه أذى وضررًا. **وأخيرًا**: فإن مكوين قد برع في إضافة التفاصيل الدقيقة والمهمة،التي تكمل ذلك السيناريو الاستعاري الأصلي.

يصف لنا الكاتب رأس إيميلي **head** (والتي يشار إليها في أثناء هذه الاستعارة الممتدة بكلمتي المخ "brain"، أو العقل "mind") بأنها مكان خاو، بل ويشير إلى "الجزء الأعلى من النصف الأيمن"، و "محيط الرأس إلى مركزها". كما أن الكاتب يشير إلى ذلك الحيوان الذي يتسبب في الألم (استعاريًا) من خلال استخدام سلسلة من التعبيرات التي تضيف مزيدًا من التفاصيل، والصور المرئية مثل: "ثقل مثل حيوان ملتف غلبه النعاس"، و"الكائن الكامن"، و"سنور حبس في قفص"، "هذا الحيوان الذي عذبها".

بالإضافة إلى ذلك فإن السيناريو الحيواني يوفر للكاتب إطارًا سرديًا **narrative frame** للمراحل المختلفة للتجربة التي مرت بها إيميلي، ونقصد بها تلك الهجمة من الألم التي سببتها الشقيقة(١). وهذه المراحل تشمل الوعي بدنو الألم، الذي يشبه الوعي بثقل حيوان غلبه النعاس في رأسها، والحركة ونتائجها، والتي تشبه إثارة ذلك الحيوان الذي يغط في نوم عميق وإيقاظه، والشعور بالألم الشديد،

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها موسولف Musolff في عام ٢٠٠٦.

والذي يشبه حركة ذلك المخلوق داخل رأسها، وتوقف الألم والذي يشبه مغادرة ذلك الحيوان لرأسها.

من المهم أن ألفت النظر إلى ذلك السيناريو الاستعاري الذي يغاير الاستعارات التقليدية، التي عادة ما تصور الألم على أنه شيء لا يطاق. فإذا كان يمكن للإنسان أن يتحمل الألم الذي تعرض له نتيجة التعرض للحرق أو الطعن، فإن تحمل الإنسان الواعي (أو الحي) للألم الجسماني الذي يسببه حيوان يتحرك داخل رأسه يبدو ضربا من المستحيل. ومن ثم، فإن تلك الاستعارة الفريدة المتفردة تتطلب أن يقفز خيال القارئ فوق أسواره التقليدية؛ ليعي هذه الاستعارة التي تختلف، وتبتعد كثيرًا عن تلك الاستعارات التقليدية التي تصور الألم.

يرتبط هذا النوع من الاستعارات المبتكرة ببعض التأثيرات الممكنة على القارئ، وهي تلك التأثيرات التي عادة ما تميز الأعمال الأدبية عن غيرها. فمن ناحية، فإن هذه الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحيوان تأتي في طليعة تلك الصور الاستعارية التي رسمها الكاتب، والتي يصعب على القارئ نسيانها أو تجاهلها، بل إنها تصل بالقارئ إلى رؤية جديدة أو بصيرة نافذة لتلك التجربة التي ترتبط بالألم الذي يسببه مرض الشقيقة[1].

بل إننا يمكن أن نقول إن بعض القراء قد يشعرون أنهم يعرفون طبيعة الألم الذي يسببه مرض الشقيقة، على الرغم من أن أحدًا منهم لم يمر بهذه التجربة من قبل، والفضل هنا يرجع إلى وصف مكوين الابتكاري. ومن ناحية أخرى يشعر الذين يعانون من ألم الشقيقة أن مكوين قد وضع إصبعه بكل دقة على الطريقة التي

---

(١) انظر كتاب ليتش Leech الصادر عام ١٩٦٩، والدراسة التي قام بها موكاروفيسكي Mukarovsky عام ١٩٧٠.

يشعر بها هؤلاء الناس حينما تهاجمهم نوبات الألم. وهذا التلاقي معروف في الأعمال الأدبية، بمعنى أن الكاتب يستطيع أن يعبر بطريقة مبتكرة عن تجربة شعورية يمر بها الكثير من الناس، ولكنهم لا يستطيعون أن يعبروا عنها بتلك الدقة والابتكار(١).

وبالطبع قد يجد بعض القراء الآخرين أن الطريقة التي عبر بها الكاتب تبدو متكلفة، وبعيدة عن الحقيقة **far-fetched**، بل ومنفرة **repulsive**. وهذا يجعلنا نقول إن الاستعارة كلما اتسمت بالابتكار والجدة، كلما كانت المخاطرة أكبر في أن يضع الكاتب قطاعًا من المتلقين في نوع من الحيرة، بل قد يصل الأمر إلى أن ينعزل هذا الجمهور عن العمل الأدبي(٢).

وفي النهاية من المهم أن نتوقف قليلاً؛ لنتأمل الطريقة التي امتدت بها الاستعارات المختلفة المعبرة عن الألم عبر النص، وكيف امتزجت بوصف نوبة الألم التي تعرضت لها إيميلي. فالاستعارة التي تضمن ذكرًا للحيوان ترد في عدد من الجمل المتعاقبة في الفقرة الافتتاحية للفصل السادس، وتتكرر في مواضع أخرى في نفس الفصل، حيث تتطور، وتمتد بشكل أكبر وأكثر عمقًا. كما أن الاستعارة التي تتضمن ذكرًا للسكاكين **metaphor knives** ترد داخل وصف السيناريو الحيواني الذي سبق وذكرناه، ولكن الكاتب يعيد استخدامها بطريقة مبتكرة ومستقلة في بقية الفصل. بل إن تشخيص **personification** الألم كعدو يرد حتى قبل أن تذكر الاستعارتان السابقتان، كما أن هذا التشخيص يمتزج بتمثيل الألم

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها مارجولين Margolin في عام ٢٠٠٣، صفحة ٢٨٥.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها تولان Toolan عام ١٩٨٨.

representation of pain كمعتد يمسك سكينًا في يده، ويمتزج أيضًا بفكرة تمثيل الألم كحيوان ولكن بشكل أقل. وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى وجود سلاسل وعناقيد من الاستخدامات المبتكرة للاستعارة التي تسهم في خلق ترابط وتلاحم في الفصل السادس، لا يغفل عنه القارئ بصفة عامة؛ وهو ما قد يلعب دورًا في تلقي القراء للعمل، وتقييمهم وتقديرهم للأسلوب الأدبي الذي استخدمه الكاتب، وخاصة فيما يتعلق بالجدة والابتكار(١).

وهذه الظواهر سوف نناقشها لاحقًا في هذا الفصل، إلى جانب مجموعة من الجوانب المختلفة التي تميز استخدام الاستعارة في الأعمال الأدبية، وسوف أبدأ بمناقشة فكرة الابتكار الاستعاري metaphorical creativity بمزيد من العمق والتمحيص، ثم أنتقل لمناقشة الاستعارة باعتبارها ظاهرة قد تميز جنسًا أدبيًا بعينه، أو كاتبًا، أو نصًا بعينه(٢). وأنهي هذا النقاش والتحليل بذكر مثالين، وهما قصيدة للشاعرة إليزابيث جينينجز Elizabeth Jennings، ورواية للكاتبة جوان هاريس Joanne Harris، والتي يظهر فيها بوضوح استخدام الكاتب للاستعارة؛ لتقديم وجهات نظر شخوص الرواية في الحياة.

---

(١) في واقع الأمر، فإن "الهجوم" الاستعاري الذي عانت منه إيميلي يمكن أن يُرى على أنه استباق لهجوم حقيقي تتعرض له إحدى الشخصيات في الرواية، وهو حدث سيشكل لحظة فارقة في أحداثها.

(٢) نظرًا لاعتبارات تتعلق بحجم هذا الكتاب، وموضوعه، سوف أتغاضى عن الحديث عن أمرين وهما: العلاقة بين الاستعارة ومعاني الأيقونات ودلالاتها (انظر الدراسة التي قام بها هيراجا Hiraga الصادرة في عام ٢٠٠٥)، والموضوع الثاني هو تبني نظرية المزج في تفسير الإبداع والابتكار الاستعاري (انظر كتاب فوكونير وتيرنر Fauconnier and Turner الذي صدر في عام ٢٠٠٢).

التقليدية والابتكار الاستعاري في الأدب:

كان هناك جدل كبير استمر لفترة في السنوات الأخيرة، حول حقيقة وجود شكل من اللغة يميز الأعمال الأدبية، وهي تختلف عن بقية الأشكال الأخرى (غير الأدبية). ففي أوائل القرن العشرين، وفي منتصفه، كان هناك رأي سائد يتزعمه علماء الأدب واللغويون، يقضي باحتمالية تحديد السمات اللغوية للأدب والتي تجعله مميزًا لغويًا عن بقية الأعمال (غير الأدبية) الأخرى. وكانت هذه السمات تشتمل - بوجه خاص - على ما يسمى بالانحراف اللغوي **linguistic deviation**[١]، والأنماط اللغوية **linguistic patterns**، أو التوازي (اللغوي) **parallelism**[٢].

أما في هذه الأيام، فقد أصبح معظم المعنيين بالأدب يؤمنون أن الأدب هو في الأساس بناء ثقافي واجتماعي، ولا يمكن تمييزه بشكل مباشر - من حيث المصطلحات اللغوية على الأقل - عن الأجناس والاستخدامات اللغوية التي تندرج تحت ما يمكن أن نسميه بالأعمال غير الأدبية (ولعل من الأمثلة المهمة ما ذكره كارتر **Carter** وناش **Nash** في كتابهما الصادر عام ١٩٩٠، وكارتر في كتابه الصادر عام ٢٠٠٤). فقد حاول كارتر وناش (١٩٩٠) أن يُعرّفا فكرة "الأدبية" **literariness**، بأنها مجموعة من الخصائص المميزة للنصوص والمواد المقروءة، واقترحا وجود مقياس أدبي يمكن أن تقاس عليه درجة "أدبية" النصوص، والأجناس الإبداعية المختلفة. فعلى سبيل المثال تتمتع الإعلانات **advertisement** بدرجة

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها موكاروفسكي Mukarovaky عام ١٩٧٠.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ياكوبسون Jackobson عام ١٩٦٠.

أدبية تزيد عما تتمتع به العقود القانونية **legal contracts**، وينطبق نفس الشيء على قصائد الشعر الغنائي **lyrics**، إذا ما قارناها بالتقارير الإخبارية **News reports**.

ولكي نكون أكثر تحديدًا، فقد أوضحت بعض الدراسات التي أجريت في الآونة الأخيرة أن استخدامات اللغة التي توصف بأنها تتسم بالإبداع **creative**، لا تقتصر فقط على الأدب، أو أنها تختص بنصوص معينة، أو أجناس أدبية بعينها، ولكنها ظاهرة سائدة في العديد من السياقات، والأجناس الأدبية، بما في ذلك اللغة المستخدمة في الحياة اليومية(١).

فقد اعتدنا أن ننظر للاستعارة على أنها ظاهرة لغوية شديدة الإبداع، ترتبط بعدد محدد من الأجناس الأدبية، وخاصة الشعر، وهذه الأجناس هي البنية الطبيعية لدراسة هذه اللغة. وقد نتج عن هذا التوجه العديد من التحليلات المتقنة، التي تضمنت العديد من التفاصيل التي تتعلق بالاستخدامات الواضحة للاستعارة في الأدب. وكانت هذه التحليلات تهدف بصفة عامة إلى إبراز القيمة الفنية **artistic value**، والمغزى الدلالي، والتفرد الذي تميزت به اختيارات وأنماط استعارية محددة، في نصوص بعينها، لمؤلفين محددين(٢).

فالاستعارة التي تضمنت ذكرًا للحيوان، التي وردت في رواية **تكفير**، وناقشناها في الصفحات السابقة هي نموذج للاستعارات التي تتميز بالأصالة والجدة، والتي تمثل في جوهرها مكافأة لمن يتوقف عندها بالفحص والدرس، كما

---

(١) انظر كتاب كارتر الصادر عام ٢٠٠٤، والدراسة التي قام بها كل من كارتر ومكارثي في نفس العام.

(٢) انظر على سبيل المثال التحليلات التي قام بها ناوتني Nowottny في عام ١٩٦٢، وليتش Leech في عام ١٩٦٩.

أنها إحدى الركائز التي يستند عليها المرء للحديث عن التميز الأسلوبي لأديب بعينه. وفي واقع الأمر فإن هذا المدخل التقليدي جعل الأدباء هم المبدعون الأساسيون للاستعارة، والتي تفقد "استعاريتها" **metaphoricity**، حينما ترد في الاستخدام التقليدي والعادي للغة. وقد عبر الكاتب أر. دبليو. إيميرسون **R.W.Emerson** عن هذه الحقيقة، حينما وصف اللغة بأنها في الأصل شعر متحجر **fossil poetry** (ورد هذا الرأي في الدراسة التي قام بها ليتش عام ١٩٦٩، صفحة ١٤٧).

أما في الثلاثين سنة الأخيرة، فقد أسهمت نظرية الاستعارة المعرفية **Cognitive Metaphor Theory** (ويشار إليها اختصارا بـ **CMT**) في تحويل الأنظار إلى أنماط التعبيرات الاستعارية التقليدية، المستخدمة في لغة الحياة اليومية، وهذه الأنماط تعد دليلاً على وجود الاستعارة كمفهوم في عقول الناس ووجدانهم (انظر الفصل الأول). ولعل الأمر الأكثر أهمية، هو ما قام به لاكوف **Lakoff** وتيرنر **Turner**[1] من إعادة النظر في الاستعارة المستخدمة في الأعمال الأدبية، في ضوء نظرية الاستعارة المعرفية، وتوصلا إلى أن الشعراء لا يميلون لابتكار أنواع وأشكال جديدة من الاستعارات، بل يقومون باستغلال الاستعارة التقليدية المستخدمة في لغة الحياة اليومية، ولكن بشكل مبتكر.

ومن ثم، وطبقًا لهذه الرؤية، فإن الاستعارة تنشأ في اللغة المستخدمة في الحياة اليومية، ثم يستخدمها الشعراء سعيًا وراء إحداث تأثير معين. إن الاستعارات التي تعبر عن المفاهيم العامة، ليست في واقع الأمر ابتكارا متفردا ينسب للشعراء، ولكنها جزء من الطريقة التي يعبر بها أفراد ينتمون لثقافة معينة عن خبراتهم،

---

(١) انظر كتابها الصادر عام ١٩٨٩.

في إطار من المفاهيم. وبما أن الشعراء في نهاية الأمر هم أفراد ينتمون لثقافاتهم، فإنه من الطبيعي أن يستخدم الشعراء هذه الاستعارات؛ لكي يتمكنوا من التواصل والاتصال مع قرائهم[1].

ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن كل من لاكوف وتيرنر يؤمنان بوجهة النظر التقليدية التي ترى أن الاستعارات التي نقرأها في الأعمال الأدبية هي أكثر جدة وابتكارية، من تلك التي نقرؤها في أعمال أخرى (غير أدبية). وهذه الاستعارات تجعلنا نعيد النظر في تجاربنا، وخبراتنا، بشكل جديد يغلب عليه التبصر والنفاذ إلى جوهر الأشياء[2].

وكما ذكرت من قبل فإن الدراسات التي أجريت في الآونة الأخيرة عن الإبداع والابتكار في لغة الحياة اليومية تتحدى الفرضية السابقة. وسوف أحاول أن ألقي الضوء في سياق هذا الكتاب على الابتكار الاستعاري، والذي يوجد بشكل واضح في العديد من النصوص غير الأدبية. وعلى الرغم من ذلك فإن الاستخدام الإبداعي والابتكاري للاستعارة يمكن أن يلعب دورًا مهمًا، في تصورنا عن فكرة الأدبية **literariness** (كون النص يتسم بصفة الأدب أم لا)، وهذا يظهر جليًا وبشكل متكرر في الأجناس الأدبية المختلفة، وخاصة الشعر.

وقد قام جوتلي **Goatly** بدراسة كمية وإحصائية نادرة في عام ١٩٩٧، حيث قام بعقد مقارنة بين نسبة الاستعارات المبتكرة والجديدة، من بين كل التعبيرات الاستعارية المستخدمة في ستة أجناس أدبية وإبداعية مختلفة؛ وتوصل إلى أن الشعر الغنائي الحديث **modern lyric poetry** يحتوي على أكبر نسبة من

---

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر Lakoff and Turner الصادر في عام ١٩٨٩، صفحة ٩.

(٢) انظر المرجع السابق، صفحة ٩٢.

هذه الاستعارات المبتكرة (بنسبة ٥٨ %)، بينما جاءت الرواية الحديثة في المرتبة الثانية (بنسبة ٢٨ %)، وجاءت إعلانات المجلات في المرتبة الثالثة (بنسبة ٢٢%). ولا شك أننا في حاجة ماسة إلى مثل هذه الدراسات والإحصائيات؛ لكي نستطيع أن نقول برأي موثّق، حول مدى استخدام الاستعارات المبتكرة في الأجناس الأدبية والإبداعية المختلفة، سواءً أكانت أعمالا أدبية أم غيرها.

وأود أن ألفت نظر القارئ إلى أنني في هذا الفصل أتناول الابتكار والإبداع الاستعاري كظاهرة مهمة في النصوص، والأشكال الإبداعية، التي تعد أعمالا أدبية، ولا أتناولها كخصيصة لتعريف الأدب بصفة عامة. فهدفي الرئيسي هو الأشكال، والصور المختلفة للابتكار، والإبداع الاستعاري، وعلاقات هذه الأشكال والصور بالأنماط التقليدية، والمغزى المتوقع لها في النصوص، والأجناس الإبداعية التي ترد فيها.

وسوف أقدم في الصفحات القادمة تفسير لاكوف وتيرنر للإبداع والابتكار الاستعاري في الشعر، والذي يتضمن دراسة لرموز الاستعارات المبتكرة، من خلال استخدام الربط المفاهيمي **conceptual mapping**؛ ثم أقوم بمناقشة العلاقة بين هذه الرموز وبين المدخل اللغوي السائد الذي تبنيته في الفصل الأول؛ للوصول إلى وجهة النظر التي أؤمن بها، والتي تقول إن الوصف الدقيق والملائم للإبداع والابتكار الاستعاري يحتاج إلى أخذ كل من المستويين اللغوي والمفاهيمي للاستعارة في الاعتبار.

دراسة لاكوف وتيرنر لرموز الاستعارات المبتكرة في الشعر:

يرى لاكوف وتيرنر (المرجع السابق، صفحة ٦٧) في معرض حديثهما عما أسمياه "بالقوة المفهومية للاستعارة الشعرية" **poetic metaphor conceptual power** وجهة النظر الآتية:

يستخدم الفكر الشعري poetic thought آليات الفكر السائد في الحياة اليومية، ولكنه يُدخل مزيدًا مـــن التفاصـــيل، وقدرًا من الإتقان على هذه الآليات، بل ويجمع بينها في شكل أساليب ترقى، وتعلو فوق تلك التي نستخدمها في لغة الحيـــاة اليومية (المرجع السابق، صفحة ٦٧).

ولا شك أن الإشارة إلى الفكر الشعري تشير إلى اهتمام كل من لاكـــوف وتيرنر بالإبداع، والابتكار كظاهرة لها علاقة بالمفاهيم، وليس كظاهرة لغوية، على الرغم من أنه لا مناص من الإشارة إلى النصوص المختلفة لضرب أمثلـــة علـــى الظواهر الإبداعية المتنوعة. ولمزيد من الدقة قاما بتحديد أربعة أساليب رئيـــسية، يقوم الشعراء من خلالها باستخدام الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفـــاهيم، وهـــي: التمديـــد **extension**، والتفـــصيل **elaboration**، والتركيـــب والجمـــع **combination**، والتشكك في الاستعارات التقليدية التـــي لهـــا علاقـــة بالمفـــاهيم **questioning**(١).

فحينما يتحدث لاكوف وتيرنر عن تمديد الاستعارات التقليدية التـــي لهـــا علاقة بالمفاهيم، يشيران في حقيقة الأمر إلى كيفية "تمديـــد" الاســـتعارة التقليديـــة، ونقلها من مجال أو نطاق إلى مجال أو نطاق آخر، أكثر رحابة، وابتكارية. وقـــد ذكرا السطور الآتية المأخوذة من مسرحية شكسبير الشهيرة **هاملت**، والتي تـــصور الموت في صورة النوم، كمثال على ما ذهبا إليه:

---

(١) انظر كتاب كوفيكستش الصادر في عام ٢٠٠٢ الصفحات من ٤٣ إلى ٥٣ لمعرفة المزيد عن الأفكـــار والتصنيفات التي قال بها لاكوف وتيرنر.

فأنا إن نمت، ربما تأتيني الأحلام، وهنا تكمن المعضلة

فما هي يا ترى الأحلام التي ستأتيني في الرقدة النهائية؟[1]

ويرى كل من لاكوف وتيرنر، أن شكسبير في هذا المثال يمد الاستعارة التقليدية، التي تشبه الموت بالنوم؛ لتشمل احتمالية الحلم (المرجع السابق صفحة ٦٧). ويجب أن أنوه هنا إلى فكرة لاكوف وتيرنر عن التمديد الاستعاري، والتي يمكن تعريفها من خلال الإشارة إلى الربط المبتكر **novel mapping** للعناصر الاستعارية، التي تنقل أو تؤخذ من مجال أو نطاق إلى آخر؛ وهذا يتعارض مع الفكرة التقليدية عن الاستعارة الممتدة **extended metaphor** التي تناولتها في الفصل الأول، وهي في واقع الأمر عبارة عن ظاهرة نصية **textual phenomenon**، تستعمل بمقتضاها تعبيرات متعددة من المجال أو النطاق الأصلي **source domain**، وتنقل إلى نفس المجال أو النطاق المستهدف **target domain**، وتمتد طيلة النص.

لا شك أن هذين النوعين من الامتداد (الاستعاري) يعتبران ظاهرتين مختلفتين، ولكن إذا وضعنا الممارسة العملية (الإبداعية) نصب أعيننا، فسوف نجد أن امتداد المفاهيم **conceptual extension** الذي قال به كل من لاكوف وتيرنر يمكن إدراكه لغويًا، عن طريق الامتداد النصي **textual extension**. وهذا يمكن ملاحظته في الفقرة التالية المأخوذة من رواية كين كيسي **Ken Kesey** الشهيرة **طار فوق عش المجانين One Flew Over the Cuckoo's Nest** (وتعرف أيضا بين قراء العربية باسم **طيران فوق عش الوقواق**)، حيث يقوم الراوية الذي يتحدث

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر الصادر في عام ١٩٨٩ صفحة ٦٧.

بضمير المتكلم first-person narrator، ويدعي برومدين Bromden بوصف فئة من المرضى النفسيين وصفًا استعاريًا فريدًا:

النموذج السابع:

> فالمرضى المزمنون – أو معظمنا– عبارة عن آلات بها عطب داخلي، لا سبيل لإصلاحه، وهذا العطب ولدنا به، أو أصاب رؤسنا عبر فترة طويلة من الزمن، بحيث ملأ هذه الرؤوس بمخلفات صلبة، حتى جاء الوقت الذي اكتشفت فيه المستشفى أن هذا المريض ينزف صدأ في قطعة أرض فضاء(١).

ويمكن القول إن وصف برومدين للمرضى النفسيين على أنهم آلات خربة، هو استخدام مبتكر للاستعارة التقليدية التي تصور العقل على أنه آلة The mind is a machine، وهو ما نجده في كثير من العبارات التي نستخدمها كل يوم مثل عبارة: "لقد أصابني القليل من الصدأ اليوم I am a little rusty today". كما أن أصلها يمكن أن يكون قولنا: الناس عبارة عن آلات People are machines، ويظهر هذا في عبارة "لقد أصابني عطب" I feel all run down(٢). فإذا كنا نرى أنه من التقليدي استخدام المشكلات الميكانيكية mechanical problems لرسم صورة أو خريطة للمشكلات الذهنية mental problems، وهذا ما نراه بشكل تقليدي في بعض العبارات مثل: "صواميل عقله فكت He has a screw loose"،

---

(١) انظر الرواية، الطبعة الصادرة في عام ١٩٧٣، صفحة ١٧.

(٢) انظر كتاب لاكوف وجونسون Lackoff and Johnson الطبعة الصادرة في عام ١٩٨٠، صفحة ٢٧، وتلك الصادرة في عام ١٩٩٩، صفحة ٢٤٧، وكتاب كوفيكستش الصادر عام ٢٠٠٢، صفحة ١٢٢.

ولكن الشيء غير التقليدي الذي قام به كيسي هو استخدام صورة "العطب الذي لا سبيل لإصلاحه"؛ للإشارة إلى مشكلة نفسية وعقلية، لا سبيل لحلها، أو علاجها. وهذا ينطبق أيضًا على استخدام تعبيرات "المخلفات الصلبة" للإشارة لأسباب المشكلات النفسية، واستخدام صورة الآلات الملقاة في قطعة أرض فضاء؛ للإشارة لأناس يعانون من مشكلات نفسية خطيرة.

وطبقا للمصطلحات والتعبيرات التي يستخدمها لاكوف وتيرنر، يمكننا القول إن الاستعارة التقليدية التي تصور العقل البشري كآلة (وتلك التي تصور الناس كآلات على الرغم مما قد يثار حولها من جدل)، قد تعرضت لعملية تمديد من خلال هذه الصور غير التقليدية؛ للإشارة إلى نظرة بروميدين الشخصية للمرض العقلي[١]. وقد انعكس تمديد المفاهيم لهذه الاستعارة لغويا من خلال التمديد النصي، حيث جاء وصف المرضى النفسيين بأنهم آلات في عدة عبارات، شغلت عددًا من السطور داخل النص.

أما فكرة التفصيل التي قال بها لاكوف وتيرنر، فهي تشير إلى تلك الحالات الإبداعية التي يقوم فيها المبدع "بملأ الفجوات بطريقة غير مألوفة، بدلاً من أن يمدد الاستعارة لتخلق لنا مزيدًا من الفجوات[٢]". ويصف كوفيكستش التفصيل (الاستعاري) بشكل أكثر وضوحًا:

> **لا شك أن التفصيل (الاستعاري) يختلف عن التمديد (الاستعاري)، في أنه يقوم بإضافة تفاصيل لعنصر موجود بالفعل**

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها كل من سيمينو وسويندلهرست Semino and Swindlehurst عام ١٩٩٦، للاطلاع على تحليل الاستعارة في الرواية المذكورة.

(٢) انظر كتاب لاكوف وتيرنر الصادر في عام ١٩٨٩، صفحة ٦٧.

في الأصل المنقول منه، ولكن بطريقة غير مألوفة. ومن ثم فإن التفصيل الاستعاري لا يضيف عنصرًا جديدًا للأصل، أو المجال المنقول منه، ولكنه يلفت الانتباه (أو يقبض على) عنصر موجود بالفعل، ولكن بطريقة جديدة وغير تقليدية(١).

فعلى سبيل المثال يرى لاكوف وتيرنر أن وصف هوراس **Horace** (الشاعر الروماني الشهير) للموت على أنه "المنفى الأبدي لمركب العمر"، هو في واقع الأمر تفصيل للاستعارة التقليدية للموت على أنه سفر بلا عودة **Departure without return**، وهذا يظهر في كثير من العبارات التقليدية التي نستخدمها في الحياة اليومية للإشارة إلى موت إنسان، حينما نستخدم تعبيرات مثل: "رحل عن عالمنا"، أو "انتقل إلى العالم الآخر". فالفكرة العامة للسفر أو المغادرة قد حُددت من خلال طريق المنفى (الأبدي)، كما أن الفكرة العامة المتمثلة في وسائل الانتقال إلى العالم الآخر قد حددت باستخدام كلمة مركب (العمر).

هذه التركيبات الاستعارية المبتكرة تثير تداعيات لا تثيرها التركيبات الاستعارية التقليدية في نفس المتلقى، مثل فكرة النفي، أو ربما فكرة تلك الرحلة غير المريحة، التي لا يُرجى منها وصولاً. وبعبارة أخرى فإن تفصيل المفاهيم التي تحملها الاستعارات التقليدية قد يؤدي بالمتلقى إلى تأمل مجموعة من طرق وأساليب التفكير الجديدة، التي ترتبط بالمفهوم الذي هو بصدده(٢).

---

(١) انظر كتاب كوفيستش الصادر عام ٢٠٠٢، صفحة ٤٧.

(٢) انظر كتاب لاكوف وتيرنر، صفحة ٦٧، ٦٨، ويعترف لاكوف وتيرنر أن الاستعارة التي استخدمها هوراس ربما تكون مأخوذة من صورة الموت في الأساطير اليونانية، لكنهما يعتقدان أن استخدام فكرة النفي للتعبير عن الموت تتناقض مع الاستعارات التقليدية التي تستخدم للإشارة لفكرة الموت.

وتعد الفقرة التالية المأخوذة من رواية ديفيد لودج **David Lodge** المعروفة باسم يفكر **Thinks** مثالاً آخر للتفصيل الاستعاري:

النموذج الثامن:

> **كانت أكبر نوبة من نوبات الاكتئاب هي تلك التي أصابتني منذ سبع أو ثماني سنوات. فلمدة ستة أشهر كنت كمن ألقي به الوهن والضعف في قاع مكان سحيق، يشبه غيابة جب لا ماء فيه. وقد أدى هذا الموقف إلى أن يصاب كثير من أحبابي بالحيرة - ومنهم مارتن- الذين نظروا إلي من أعلى الجب، وحاولوا أن يسروا عني، أو أدلوا إلى بدلوهم، الذي كان يحتوي على الترياق والنصح[١].**

ولا شك أن وصف هيلين ريد **Helen Reed** لنوبة الاكتئاب التي أصابتها، هي تفصيل للاستعارة التقليدية، التي تصف شعور المرء بالسعادة بالصعود إلى أعلى **Happy is up**، وتشير إلى شعوره بالشقاء بالانحدار إلى أسفل **Unhappy is down**، وهو ما شاع في كثير من تعبيراتنا اليومية: "أشعر بأن روحي المعنوية في السماء" **I'm feeling up**، أو أن "نفسيته في أسفل سافلين هذه الأيام" **He's realy low these days**، أو "وقع (سقط) في هوة الاكتئاب" **I feel into a depression**[٢]. فهذه التعبيرات التقليدية تشير إلى مساحة مكانية بين موضعين: الأعلى للسعادة والحبور، والأدنى للحزن والاكتئاب، ولكنها معانٍ عامة لا خصوصية فيها. ولكن في الفقرة السابقة استُخدمت هذه الفكرة التقليدية، ولكن بمزيد من الخصوصية،

---

(١) انظر طبعة ٢٠٠١، صفحة ٢٠٢.

(٢) لو عدنا لأصل كلمة depression في اللغة اللاتينية، لوجدناها مشتقة من فعل de-premere، ويعني "يضغط إلى أسفل"، انظر كتاب لاكوف وجونسون الصادر عام ١٩٨٠، صفحة ١٥.

التي ظهرت في استخدام بعض التعبيرات المبتكرة مثل: "قاع مكان سحيق" والذي يشبه "غيابة جب لا ماء فيه". وهذه الخصوصية تعطي مجالاً لمزيد من اللمسات التي تكمل هذا السيناريو، عن طريق ذكر بعض الشخصيات (مجموعة من الناس)، فضلاً عن هيلين وزوجها مارتن **Martin** "الذين نظروا إليّ من أعلى الجب" وحاولوا أن يسروا عنها "بأن أدلوا إليّ بدلوهم الذي كان يحتوي على الترياق والنصح".

ولا شك أن تفصيل لودج لهذه الاستعارة التقليدية أعطى لها قيمة مجازية، أسمى وأرقى من الإشارة إلى العلو أو السقوط، وأن هذا التفصيل جعل لهذه الاستعارة تأثيرًا أبعد، وأصبحت تثير في نفس القارئ تداعيات أعمق. فمثلاً استخدامه لوصف "قاع مكان سحيق" يؤكد على الشعور بالانعزال وعدم الراحة، اللذين كانت تشعر بهما هيلين، فضلاً عن إحساسها بالمسافة بينها وبين الآخرين، الذين لا يستطيعون الوصول إليها، على الرغم من نيتهم الصادقة في مساعدتها.

كما توجد لمسة دعابة في الوصف السابق تتمثل في صورة الناس الذين ينظرون إليها من أعلى الجب، كما تتمثل في هذه العبارة الجامعة **zeugma**: "أدلوا إليّ بدلوهم الذي كان يحتوي على الترياق والنصح". فحرفيًا وواقعيًا لا نستطيع أن نضع الترياق في دلو ندلي به لمن يحتاجه، وهذا ما ينطبق على النصح أيضًا. وعلى الرغم من ذلك فإن تعبير "أدلوا بدلوهم" يعد في حد ذاته تعبيرًا استعاريًا؛ لأنه يشير إلى محاولة الناس تقديم المساعدة لهيلين أثناء الفترة التي كانت تعاني فيها من الاكتئاب.

ويرى كل من لاكوف وتيرنر[1] أن أقوى أسلوب يمكن أن يستخدمه الشعراء عند استخدام التعبيرات الاستعارية التقليدية هو التركيب

---

(١) انظر كتابهما، صفحة ٧٠.

والجمع combination ما بين هذه التعبيرات (انظر مناقشة موضوع تركيب الاستعارات وجمعها، الذي ذكرته في الفصل الأول). وقد ضربنا مثالاً على هذه الأساليب بالأبيات التالية التي وردت في إحدى سونيتات sonnet شكسبير (السونيتة قصيدة تتكون من أربعة عشر بيتًا)، وهي السونيتة رقم ٧٣:

النموذج التاسع:

في وجهي ترين شفق يوم

غاب في غياهب الغروب

وجاء الليل البهيم فأخذه إلى عالم الغيوب

صنو الموت الذي يقودنا لنهاية الدروب

ويرى لاكوف وتيرنر أن وصف المتحدث في القصيدة لنذير الموت في هيئة حسية، يحمل في طياته خمسة تركيبات استعارية تقليدية على الأقل تتمثل في: تجسيد النور في شكل مادي، والأحداث هي الأفعال، وتصوير الحياة على أنها شيء ثمين، وأن العمر يشبه اليوم الذي يمر حثيثًا، وأخيرا أن الحياة نور وضياء. كما أنهما يريان أن عبارة: "وجاء الليل البهيم فأخذه (الشفق) إلى عالم الغيوب" تحتوي على الآتي:

تركيبة استعارية ترى العمر كيوم يمر حثيثًا، وترى الموت كأنه الليل البهيم، وأن النور عبارة عن مادة، وأن الحياة شيء ثمين، وأن الأحداث هي الأفعال. وتجمعت هذه الاستعارات بطريقة تشير إلى أن الليل هو الموكل إليه أن يخفي النور، والذي يشير استعاريًا إلى الحياة، التي تبدو كشيء ثمين يُسرق[١].

---

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر، ١٩٨٩، صفحة ٧١.

ويرى كل من لاكوف وتيرنر أن الجمع بين الاستعارات التقليدية كما حدث في أبيات شكسبير يخلق "مجموعة من الروابط الاستعارية أكثر ثراءً وتعقيدًا، وتوحي بإشارات، ودلالات أكثر من تلك التي تنبع من كل استعارة على حدة" (المرجع السابق، صفحة ٧١).

ويوجد مثال خاص لحالة معقدة من التركيبات الاستعارية التقليدية، وتتمثل في قصيدة الشاعرة إليزابيث جيننجز "إجابات" **Answers**، والتي تبدأ أبياتها كما يلي:

النموذج العاشر:

احتفظت بإجاباتي الصغيرة بالقرب مني

ووخزت عقلي القضايا الكبرى ولكنني

اتخذت إجاباتي الصغيرة وجاءً من الخوف

فالشاعرة في هذه الأبيات تحاول أن تنقل للقارئ كيف حاولت أن تتجنب التفكير في القضايا الكبرى، بأن حافظت على إجاباتها الصغيرة بالقرب منها. فعلى الرغم من أن القضايا الكبرى تداهم عقلها من آن لآخر، فإنها ركزت على الأفكار المباشرة التي لها زمام وخطام؛ لكي تتجنب الخوف المرتبط بالقضايا الكبرى: "اتخذت إجاباتي الصغيرة وجاءً من الخوف". وبعبارة أخرى فإن القصيدة تهتم بالأنشطة العقلية، ولكنها تتكون في الأساس من كلمات وتعبيرات لها معان مادية وملموسة في المقام الأول، ويظهر هذا في استخدام بعض الكلمات مثل "صغيرة"، و"وخزت".

فمن منظور نظرية الاستعارة المعرفية، يمكننا القول إن الحياة الذهنية للمتحدث في القصيدة قد وصفت استعاريًا عن طريق تعبيرات جمعت مجموعة من الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم **conceptual**. وإذا ما طبقنا ما قال به لاكوف وتيرنر(١)، فإن استخدام الصفات الممثلة في كلمتي "صغيرة" و"كبرى" في الحديث عن الإجابات والقضايا يمكن اعتباره تجسيدًا وتحقيقًا لبعض الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم، والتي تصور الأفكار في شكل مجسمات، وتشير إلى ما هو هام من القضايا بكلمة "كبرى". كما أن استخدام فعل "احتفظت" عند الحديث عن الإجابات، هو تجسيد وتحقيق لمفهوم الأفكار في شكل مجسمات، وأن القضايا المهمة يمكن وصفها "بالكبرى". كما أن استخدام تعبير "بالقرب مني" في البيت الأول هو تجسيد وتحقيق لفكرة أن الألفة هي القرب. كما أن البيتين الأخيرين هما تجسيد وتحقيق لعدة أفكار منها: أن العقل عبارة عن جسد أو شخص، وأن الصعوبات عبارة عن خصوم، وأن الإيذاء هو الجرح الجسماني(٢).

فمن خلال هذه التركيبة وهذا التجميع للاستعارات، قدمت لنا الأبيات الأولى من القصيدة خبرة عقلية وعاطفية معقدة، من خلال سيناريو يتميز بالثراء والترابط الاستعاري، حاولت الشاعرة في القصيدة من خلاله أن تحيا حياة هادئة لا تحيط بها فيها إلا الإجابات الصغيرة، ولكنها لا تسلم من التهديد الدائم الممثل في الهجوم العدواني الذي تشنه القضايا الكبرى. وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى استنتاجات ممكنة أو تداعيات عاطفية، لا يمكن إثارتها في ذهن المتلقي عن طريق استخدام كل استعارة على حدة (فعلى سبيل المثال، فإن الاختلاف في الحجم بين القضايا "الكبرى"، والإجابات "الصغرى" يجعل الأمر شديد الصعوبة على تلك

---

(١) انظر الكتابين الصادرين في عام ١٩٨٠، ١٩٩٩.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها جريدي Grady عام ١٩٩٧، صفحتي ٢٩١ و٢٩٥.

الإجابات "الصغرى" أن تكون وجاء وموئلاً أمام القضايا الكبرى، التي تؤدي بالإنسان إلى الشعور بالخوف والاضطراب في نهاية المطاف). وتتضمن بقية القصيدة تجسيدا وتحقيقًا لهذه الاستعارات أبعد من هذا، فضلاً عن تعبيرات أخرى تشير إلى استعارات أخرى تسهم بدورها في نقل الصعوبات التي تعاني منها الشاعرة. وسوف أتناول هذه القصيدة لاحقا بمزيد من التحليل.

كما أن خبرتي باعتباري قارئة ودارسة للأدب تتوافق مع ما ذهب إليه لاكوف وتيرنر من أن تركيب وتجميع الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم يتسم بقوة التأثير، وأضيف أنا أنه يتسم أيضا بالابتكار والإبداع الاستعاري (لاحظ على سبيل المثال الربط بين الاستعارات المختلفة عند الحديث عن الألم الذي يسببه مرض الشقيقة، الذي ذكرناه في بداية الفصل، أو وصف نوبات الاكتئاب التي أصابت هيلين بأنها كبيرة). وهذا يتناقض مع فكرة التشكك **questioning** في الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم؛ والتي تتسم بقوة التأثير، على الرغم من عدم استخدامها بشكل موسع. فالتشكك يحدث عندما يوضح الكاتب محدودية، وقصور الاستعارة التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم، كما يظهر في الأبيات الآتية، من إحدى القصائد العاطفية للشاعر اللاتيني كاتولوس **Catullus**:

النموذج الحادي عشر:

تغرب الشمس وتعود من جديد

ولكن حينما يخبو نورها القصير العمر

فإنه ينام في أحضان ليل سرمدي[١].

---

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر ١٩٨٩، صفحة ٦٩.

ويعلق كل من لاكوف وتيرنر على هذه القصيدة، بقولهما إن كاتولوس يستخدم فكرة أن العمر عبارة عن يوم يمر حثيثًا، ويشيران إلى كيف تأتي هذه الفكرة إلى لحظة الانهيار أو التعطل، وأقصد بها، لحظة ذكر الفناء والموت(١).

وحتى الآن نرى أن أوجه الإبداع والابتكار الأربعة: التمديد، والتفصيل، والتركيب والجمع، والتشكيك، تنطوي على استخدام الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم ولكن بطريقة مبتكرة وجديدة. ويرى لاكوف وتيرنر أن معظم الإبداع والابتكار الاستعاري في الشعر يمكن تفسيره على هذا النحو.

والمصدر الآخر للإبداع الاستعاري الذي تناولاه بمزيد من التفصيل، يكمن فيما أسمياه بالاستعارات التصويرية **image metaphors**، وهي الاستعارات التي تخلق لوحة من الصور المرئية، بدلا من تلك المجالات المعقدة التي لها علاقة بالمفاهيم والتي يرد فيها ذكر فكرة رحلة الإنسان القصيرة في الحياة، أو تشبيهه بالآلات(٢). ومن ثم فإن الاستعارات التصويرية لا تتكون من علاقات منتظمة بين مجالات مختلفة، لخلق أنماط ثرية من الاستنتاجات والاستدلالات، ولكنها تتضمن لقطة لصورة بلاغية تُفرض بالقوة على صورة أخرى. فعلى سبيل المثال يدفعنا التشبيه الذي استخدمه رابيليه **Rabelais** حينما قال: "إن أصابع قدميه مثل لوحة مفاتيح آلة السبينيت **spinet**" إلى وجود صورتين ذهنيتين للفكرة المجازية المبنية على علاقة الجزء بالكل **part-whole structure**، بمعنى وجود لوحة مفاتيح تتكون من عدة مفاتيح، وقدم بشرية تتكون من مجموعة (خمسة) أصابع.

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) انظر المرجع السابق نفسه، الصفحات من ٨٩ إلى ٩٦.

وعلى الرغم من ذلك، توجد بعض الحالات التي لا تكون الصور التي أثارها تعبير بعينه من زمرة الصور المألوفة، ومن ثم "تشوش الصور المتخيلة على ما نعتقد أننا نعرفه عن المجال المستهدف (المجال الذي نتحدث عنه)[1]". وقد تعرض لاكوف وتيرنر بالتحليل (للترجمة الإنجليزية) للقصيدة السيريالية التي كتبها الشاعر الفرنسي أندريه بريتون **Andre Breton**، المعروفة باسم **الزواج المتحرر Free Union**، والتي تحتوي على الأبيات التالية:

النموذج الثاني عشر:

زوجتي

التي لها خصر كالساعة الرملية

وكخصر ثعلب الماء وهو بين فكي النمر

(المرجع السابق، قصيدة الزواج المتحرر لأندريه بريتون،
ترجمة ديفيد أنتن David Antin،
وجاء ذكرها في صفحة ٩٣).

ويرى لاكوف وتيرنر أن البيت الذي يقول: "التي لها خصر كالساعة الرملية" يثير استعارة تصويرية تقليدية؛ لأنها تتضمن لوحة من الصور المرئية التي نعتقد أنها تتشابه في الشكل[2]. وعلى النقيض من هذا، فإن السطر الثالث يحتوي على صورة أصلية غير تقليدية، ولا تشكل لدى القارئ بشكل مباشر صورة

---

(١) انظر المرجع السابق، صفحة ٩٢.

(٢) في واقع الأمر فإن بريتون ولد قبل فترة حكم الملك إدوارد لإنجلترا (١٩٠١ – ١٩١٠)، وهي الفترة التي شاع فيها ارتداء النساء للكورسيه (المُخصّر) ليكون لين خصر يشبه "خصر" الساعة الرملية.

مستهدفة لخصر المرأة. وفي مثل هذه الحالات، يرى لاكوف وتيرنر أنه يتوجب على القارئ أن يشكل صورة مبتكرة في ذهنه لخصر المرأة، يتخذ شكل خصر ثعلب الماء، والذي سيكون أكثر نحافة ودقة وهو بين فكي النمر. وإذا ما نظرنا للقصيدة ككل نجد أن الارتباطات والتداعيات التي تتولد عن مزج فكرة الموت بالحياة، قد تسهم في تكوين صورة لزوجة المتكلم في القصيدة كامرأة جامحة، يصعب التنبؤ بتصرفاتها، ومثيرة للجدل، وشديدة الحساسية في نفس الوقت(١).

الابتكار البلاغي ما بعد لاكوف وتيرنر:

لا شك أن الدراسة التي قام بها لاكوف وتيرنر في عام ١٩٨٩ قد أسهمت بشكل كبير، في الارتقاء بوعينا، وفهمنا لكل من الاستعارة والأدب. ولكنها في الوقت نفسه لم تبد الاهتمام الكافي بظاهرتين مهمتين وهما: الجدة في اختيار بعض التراكيب الاستعارية، والأبعاد اللغوية والنصية للابتكار الاستعاري. وسوف أحلل في الصفحات التالية هاتين الظاهرتين.

يتحدث كل من لاكوف وجونسون في كتابهما الاستعارات التي نحيا بها **Metaphors We Live By** عن احتمالية وجود استعارات جديدة على مستوى المفاهيم:

> **وسوف نتحول الآن لمناقشة الاستعارات التي تخرج عن المنظومة التقليدية للمفاهيم، وهي استعارات تقوم على التخيل والابتكار. وتستطيع هذه الاستعارات أن تجعلنا نفكر بشكل جديد ومبتكر في خبراتنا، بمعنى أن هذه الاستعارات تعطي معان**

---

(١) انظر المرجع السابق، صفحة ٩٥.

جديدة للماضي الذي عشناه، وحاضرنا الذي نحياه، وللأمــور التي نعرفها ونعتقد فيها[1].

ويرى لاكوف وجونسون أن الاستعارة التي تقول إن: "الحب عمل فني يقوم على التعاون"، هي مثال للاستعارة المبتكرة التي لها علاقة بالمفاهيم، والتي يمكــن تطويرها إلى مجموعة من العلاقات المتعددة التي تربط بين المجــالات المختلفــة، والتي تؤدي إلى خلق أنماط ثرية من الاستدلال والاستنتاج.

وعلى النقيض مــن هــذا، يقــصر لاكــوف وتيرنــر (١٩٨٩) تحليلهمــا للاستعارات المبتكرة التي لها علاقة بالمفاهيم، على تلك الحالات التي ترسم للقارئ صورًا مرئية، "تتسم بأنها كصورة الكاميرا، بمعنى أنها عبارة عن صورة خاطفــة (لقطة)، وأن من سماتها أنها لا تثير صورة موازية لمعرفة متعمقــة، أو تركيــب استدلالي"[2]. وهذا الرأي في واقع الأمر يظلم حالات أخرى راديكالية وأصلية من الابتكار الاستعاري، التي يمكن أن نجدها في الشعــر، وفــي بعــض الأجنــاس الأدبية الأخرى.

ودعوني أعود مرة أخرى للاستعارة، التي تتضمن ذكرًا للحيوانــات، التــي ذكرتها سابقًا عند الحديث عن مرض الشقيقة، في بداية هذا الفــصل. ففــي واقــع الأمر يتضمن السيناريو الأصلي صــورًا مرئيــة، بينمــا لا يتــضمن الــسيناريو المستهدف (التعبير عن الألم الذي يسببه مرض الشقيقة) أي صور مرئية. وعلــى الرغم من ذلك، فإن الصورة المأخوذة من الــسيناريو الأصــلي إلــى الــسيناريو المستهدف ليست إلا صورة مرئية.

---

(١) انظر المرجع السابق، صفحة ١٣٩.

(٢) انظر كتاب لاكوف وتيرنر الصادر عام ١٩٨٩، صفحة ٩١.

وكما قلت سابقا فإن ذلك السيناريو الذي يتضمن ذكرًا للحيوانات لـــه بنـــاء سردي narrative structure، يأخذ شكل مراحل مختلفة، تعبر عن تلك التجربـــة من الألم والوجع؛ فإحساس الشخصية (إيميلي) بدنو الألم يماثـــل الإحـــساس بثقـــل حيوان نائم، كما أن الإحساس بقمة الألم يماثل الإحساس بحيـــوان يتحـــرك داخـــل رأسها، كما أن الإحساس بنهاية الألم يماثل الإحساس باختفاء هذا الحيوان.

وإذا كنت قد قلت سابقًا، إنه من الممكن إيجاد علاقة ورابطـــة مـــع الـــشكل الاستعاري التقليدي للألم، من خلال الحديث عنه في شكل غزو خارجي يتعـــرض له الجسد، فإننا لو صنفنا هذه الاستعارة التي استخدمها مكوين علـــى أنهـــا حالـــة تفصيل وزيادة لاستعارة تقليدية تعبر عن مفهوم بعينه، نكون قـــد بخـــسنا الرجـــل أشياءه؛ لأن في هذه الاستعارة من التفرد والتميز ما يجعلها تتعدى هـــذه الحـــدود. ومن ثم يمكنني القول إن هذه الاستعارة عبارة عن تعبير لغوي لاســـتعارة شـــديدة الأصالة والجدة، والتي يمكن أن تتناغم مع الاستعارات التقليدية، التي تعبـــر عـــن مفاهيم بعينها، إلا أنها لا تتدرج أو تصنف بأي حال من الأحوال تحت أيٍّ منها.

وتوجد اعتبارات مشابهة تنطبق على بعض الحالات الأخرى مثل الاستعارة الشهيرة التي استخدمها جون دَن John Donne في قصيدته "**وداعًا: حـــداد كـــالح بغيض**" **A Valediction: Forbidding Mourning**، وأقصد بها تلك الاستعارة التي ورد فيها شكل البوصلة **compass**. فالمتحدث في القصيدة يعبر عن حـــب يكـــسوه السمو والرقي، حب يجمعه مع من يحب في شكل اتحاد روحي يستمر، ويزدهـــر، ويينع، حتى ولو لم تتلاق الأجساد. ويعبر الشاعر عن هذه الحالة من الحب الراقي من خلال استخدام مجموعة من التشبيهات والتعبيرات الاســـتعارية، التـــي ترســـم صورة لبوصلة تمثل فيها المرأة الإبرة الثابتة **fixed foot** (ونلاحظ أن ضمير الجمع **they** يشير إلى روحي المتحدث ومحبوبته):

النموذج الثالث عشر:

نحن روحان
تشبهان إبرتيّ البوصلة
روحك تشبه تلك الثابتة
التي لا تتحرك إلا إذا تحركت الأخرى
وعلى الرغم من أنكِ في مركز البوصلة ساكنة
فإنه حينما تتحرك الإبرة الأخرى
تميلين وتصغين
وتقومين حينما تعود الأخرى
وهكذا أنت لي
كالإبرة الأخرى التي أدور حولها بميل
فثباتك يجعلني أدور بانتظام
وأنتهي من حيث بدأت[1].

ففي هذا السيناريو الذي يعد المصدر الاستعاري الأصلي، لا تتحرك الإبرة الثابتة، ولكن تتكيف وتتأقلم مع حركات الإبرة، وتشكل دائرة كاملة الاستدارة، حيث تستطيع أن تعود من حيث بدأت. وبنفس الطريقة والمنطق، فإن البعد الجسدي بين الحبيبين لا يعد خطرًا على اتحاد روحيهما؛ لأن ارتباط المرأة الروحي بالرجل، يجعله قادرًا على أن ينجح فيما يعمل، ثم يعود إليها صاغرًا ملبيًا.

(١) وردت القصيدة في كتاب أبرامز Abrams الصادر في عام ١٩٧٩، صفحة ١٠٧٠.

ولكن يجب أن أقول إن البعض قد يرى أن هذه الاستعارة التي يستخدمها الشاعر بشكل مبتكر، تقوم على توجه تقليدي للحديث عن العلاقات الاجتماعية والعاطفية من خلال الروابط المادية البدنية (مثل تلك "التعبيرات التي تتحدث عن علاقات قرابة الدم أو العصب blood relationships، أو تلك التي تتحدث عن روابط الصداقة المتبادلة"[١]).

وإذا ما نظرنا إلى هذه الاستعارة بهذا المنطق، فستتحول في نهاية الأمر إلى حالة من التفصيل لاستعارة تقليدية لها علاقة بالتعبير عن المفاهيم وهي: العلاقات عبارة عن روابط مادية بدنية، وقد فصّل الشاعر الفكرة العامة لهذه الروابط، من خلال استغلال فكرة البوصلة. ولكن هذا النوع من التحليل يعد ظلمًا فادحًا وبينًا لتلك الجدة التي تغلف هذه الصورة؛ فالبوصلة لا تستخدم عادة كصورة استعارية لتقريب الشتيتين اللذين تفرقا. ومن ثم فإن اختيار الشاعر لهذه الصور يعد ابتكارًا وتجديدًا في ذاته، حتى لو كانت هذه الصورة تندرج تحت الاستعارة التقليدية التي ترى العلاقات كروابط مادية بدنية.

وتوجد حالة أخرى من الجدة أكثر راديكالية وأصالة، وأقصد بها تلك الصورة الموجودة في قصيدة سيلفيا بلاث Sylvia Plath، وعنوانها **أغنية الصباح** "Morning Song"، والتي تدور حول أم تخاطب رضيعها[٢].

النموذج الرابع عشر:

لم أعد أمًا لك

أكثر من تلك السحابة التي حولتها الريح

لقطرات من المطر على سطح مرآة

---

(١) انظر كتاب كوفيكستش الصادر في عام ٢٠٠٠، صفحة ٩٤.

(٢) انظر كتاب سيمينو الصادر عام ١٩٩٧، صفحتي ١٨١-١٨٢.

فأنا أرى من قراءتي لهذه الأبيات أن العلاقة بين الأم ورضيعها (استعاريًا)، لا تتعدى تلك العلاقة بين السحابة، وذلك السطح المائي الذي ينتج عن تلك السحابة، حينما تمطر السماء. وبمعنى أدق فالسحابة تماثل الأم، ويماثل المطر فكرة أن يكون لهذه الأم رضيع، وهذا الرضيع يشبه قطرات الماء على الأرض(١)، أو بركة صغيرة من الماء، وتماثل الطريقة التي تعكس بها هذه البركة السحاب في السماء، الطريقة التي يشبه بها هذا الرضيع أمه (سواءً أكان المقصود الشبه الجسماني أم أي شبه آخر). وتماثل الطريقة التي تعكس بها البركة الاختفاء التدريجي للسحابة بسبب الريح، وعى الأم لفقدها لهويتها، وحريتها وشبابها، بسبب إنجابها لهذا الطفل.

وبعبارة أخرى فإن الشاعرة قد عبرت عن فكرة الأمومة باستخدام استعارة شديدة الابتكار والجدة، ليس لها علاقة من بعيد أو من قريب – على حد علمي – بالطرق والأساليب الاستعارية التقليدية، التي تتحدث عن فكرة الأمومة. وقد نتج عن هذا الابتكار الاستعاري صورة شديدة الأصالة – وربما شديدة الإزعاج – لتجربة إنسانية عامة، والتي تبتعد بشدة عن كل وجهات النظر التقليدية والحالمة، التي تتحدث عن الأمومة، وعن الأمهات الجدد (والتي ذكرت واحدة منهن في القصيدة).

فقد قدمت لنا الشاعرة العلاقة بين الأم وطفلها استعاريًا، من خلال عمليات مادية بدنية تخلو من المشاعر والود، كما قدمت لنا الطريقة التي ترى بها الأم نفسها بشكل مبتكر، وهو الذوبان (والتحول إلى قطرات). ولهذا فإن هذه الاستعارة ليست مجرد استعارة مبتكرة، ولكنها تمثل تحديًا للتصوير التقليدي لخبرة بعينها.

---

(١) أعتقد أن التشبيه الذي استخدمته الشاعرة يندرج تحت ما يمكن أن يسمى بالتشبيهات السلبية.

وتعد هذه الاستعارة مخاطرة وجرأة من الشاعرة؛ لأن بعض القراء قد لا يعي هذه الفكرة أو يستسيغها؛ فالبعض قد يراها فكرة غير لائقة، بل وعنيفة[١]. ومن ناحية أخرى، قد يرى بعض القراء أن هذه الصورة هي أقرب الصور لتجربة شخصية تمر بها جميع النساء في فترة ما بعد الولادة، والتي لا يُعبر عنها عادة بالشكل المناسب.

وقد أبدى كل من تيرنر وفوكونير Turner and Fauconnier مزيدًا من الاهتمام بالاستعارات المبتكرة في الكتب والدراسات التي صدرت لهما مؤخرًا. وقد حاولا تفسير وتحليل تلك الاستعارات من خلال الظواهر المعرفية العامة، وتكامل المفاهيم conceptual integration، والدمج/ المزج merging، وجوانب أخرى ليست محل اهتمامنا في هذا الكتاب[٢].

ويتجاهل المدخل المبني على فكرة الدمج، والمدخل الآخر للشعر الذي اقترحه لاكوف وتيرنر بوضوح البعد اللغوي لعملية الإبداع، أو أنهما يتعاملان مع اختيارات المبدع اللغوية على أنها مجرد محفزات لتفعيل صور استعارية تعبر عن مفاهيم بعينها.

ويمكنني القول إن الجوانب المتعلقة باللغة، والمفاهيم الخاصة بعملية الإبداع والابتكار الاستعاري، والدراسة الرمزية للاستعارات المبتكرة، التي قام بها لاكوف وتيرنر في عام ١٩٨٩، يمكن جمعها ودمجها مع المدخل الذي أشرت إليه في الفصل الأول لتحليل التعبيرات الاستعارية داخل النصوص. ويذكر لاكوف وتيرنر

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها تولان Toolan عام ١٩٨٨.

(٢) انظر كتاب فوكونير وتيرنر الصادر عام ٢٠٠٢، وللتطبيقات الأدبية انظر الأبحاث التي نشراها عام ٢٠٠٦ في الدورية العلمية المعروفة باسم اللغة والأدب **Language and literature**.

صراحة الحاجة إلى التمييز بين المستوى المفاهيمي والمستوى اللغوي عند تحليل الاستعارة، وبين خصوصية اللغة، وخصوصية الفكر عند تحليل استخدام الاستعارات المبتكرة. ولعل اهتمامهما الأول هو تعريف فكرة الإبداع والابتكار من خلال الخرائط الاستعارية للمجالات المختلفة التي لها علاقة بالمفاهيم.

وقد اقترحت في الفصل الأول مدخلاً عامًا (وبسيطًا إلى حد كبير) للإبداع والابتكار، وعلاقتهما بالاستعارات اللغوية الفردية (انظر الفصل الأول). واقترحت قاعدة بسيطة وهي: أن التعبير الاستعاري يعد مبتكرًا، إذا كان معناه الاستعاري المستخدم في سياق محدد، لا يقوم على أحد المعاني التقليدية التي نعرفها (والذي لا يحدده الحدس والبديهة فقط، بل والمعاجم، والمادة الإلكترونية الضخمة). ومن ثم فإن هذا التوجه يجعلنا نقول إن السطور التالية المأخوذة من رواية **تكفير** لمكوين، تنقل لنا تجربة الألم الذي يصاحب مرض الشقيقة، من استخدام بعض التعبيرات الاستعارية المبتكرة (وقد وضعت خطا تحت الكلمات التي استخدمت بشكل استعاري).

النموذج الخامس عشر:

"حينما تنشب في عصبها البصري مجموعة من السكاكين الحادة"

النموذج السادس عشر:

"ذلك الحيوان ذو الفراء الأسود بدأ في التحرك"

لا يوجد تعبير واحد من تلك التعبيرات التي وضعت خطًا تحتها، له معان استعارية تقليدية لها علاقة بتجربة الألم. وعلى الرغم من ذلك، يوجد اختلاف في درجة جدة وابتكارية السيناريوهات الاستعارية التي أثارها الاقتباسان. وكما أشرت

من قبل فإن التعبيرات المبتكرة في الاقتباس الأول، يمكن أن يكون لها علاقة بتعبيرات مشابهة، تستخدم بشكل تقليدي استعاري للإشارة إلى الألم (مثل كلمة مخترق مثلاً). وإذا استخدمنا التعبيرات والمصطلحات التي يستخدمها لاكوف وتيرنر للحديث عن نفس الاقتباس، فيمكننا أن نقول إن الكاتب قد استخدم (عن طريق التفصيل إلى حد كبير) تعبيرًا استعاريًا تقليديًا للإشارة إلى الألم، والذي يمكن التعبير عنه، أو تلخيصه في عبارة: "إن الألم هو عبارة عن اختراق للجسد" **.Pain is insertion of sharp object**

وعلى النقيض من هذا، فإن التعبير الاستعاري المبتكر المستخدم في الاقتباس الثاني لا يستخدم أو يستغل أية تعبيرات استعارية تقليدية لها علاقة بالمفاهيم، ولكنه يخلق – كما سبق أن أشرت – مفهومًا غير تقليدي للألم الذي تسببه الشقيقة، ممثلاً في حركة حيوان داخل رأس الشخص الموجوع. وبعبارة أخرى، إذا أخذنا في الاعتبار البعد المفهومي للاستعارة، فإن هذا سيجعلنا نفرق بين نوعين مختلفين من الإبداع والابتكار في استخدام الاستعارة في اللغة.

وعلى الرغم من ذلك فإن الحالة لا تختلف كثيرًا؛ لأن تركيز لاكوف وتيرنر بشكل أساسي على الاستعارة كظاهرة مفهومية (١٩٨٩) يظلم ذلك الدور الذي تلعبه الظواهر اللغوية والنصية في فهمنا، أو استيعابنا لفكرة الإبداع والابتكار في استخدام الاستعارة. وكما أشرت من قبل في أول هذا الفصل في تلك الفقرة التي تتحدث عن آلام مرض الشقيقة، وجدت أن المفردات والتعبيرات الفردية تختلف سواءً من حيث كونها ذات معان استعارية تقليدية أم لا، ومن حيث درجة تقليدية هذه المعاني، ومدى تكرارها. فمثلا كلمة "مخترق" لها معان استعارية تقليدية لها علاقة بالألم الداخلي، بينما لا ينطبق هذا الكلام على تعبير مثل "الحيوان ذو الفراء الأسود". وكلمة "حاد" يمكن أن تستخدم استعاريًا للإشارة إلى الألم، ولكنها ليست

بنفس درجة التكرار، والشيوع، التي تستخدم بها كلمة "مخترق" (على الأقل في الأمثلة الموجودة في المدونة البريطانية الوطنية).

وعلاوة على ما ذكرته، فإن ذكر كلمة "حاد" في الفقرة المشار إليها، في تلك الاستعارة التي تحتوي ذكرًا للحيوان ذي الفراء الأسود، وكذلك في التشخيص الذي سبقه، يمكن أن تكون أكثر استعارية وابتكارية من نفس الكلمة في سياقات أخرى. ليس هذا فحسب، فإن تكرار تلك الاستعارة التي تحتوي على ذكر للسكين **knife metaphor**، وتلك التي تحتوي على ذكر للحيوان **animal metaphor**، في ذلك الفصل الطويل الذي يصف فيه مكوين نوبة الألم التي أصابت إيميلي، يخلق سلسلتين استعاريتين منفصلتين متصلتين. وكما ذكرت من قبل فإن تلك الاستعارة التي تحتوي على ذكر للحيوان تمتد في فقرة كاملة، عند ذكرها لأول مرة.

ويركز لاكوف وتيرنر على ذلك النوع من الابتكار، والإبداع الذي ينطوي على الابتعاد **departure** عن الأنماط التقليدية، أو عن الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم كما سبق وأشرنا. ويظهر هذا النوع من الابتكار والإبداع في الدراسات الأدبية تحت ما يسمى بفكرة الانحراف **deviation** (عما هو معتاد)، وهذا النوع من الانحراف يكمن في أن يختار المبدع اختيارًا، يبعد كثيرًا عن مجموعة من الاختيارات المألوفة(١).

ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن فكرة الإبداع والابتكار في اللغة يجب أن تنطوي على خلق أنماط **creation of patterns**، وأقصد بهذا الاستخدام المتكرر – طيلة النص – لمجموعة من التعبيرات التي تتشابه في الجَرس، والمفردات،

---

(١) انظر لبيتش في كتابه الصادر عام ١٩٦٩، وموكاروفسكي Mukarovsky في الدراسة التي قام بها عام ١٩٧٠، وكارتر في كتابه الصادر عام ٢٠٠٤.

والقواعد النحوية، والمعنى، إلخ. وهذا ما يشار إليه عند الحديث عن فكرة التوازي parallelism، وهو ما ينتج عنه عادة – مثل الانحراف اللغوي – مجموعة من الفقرات داخل نص معين توصف بأنها خروج عن المعتاد. وهذه الفقرات تتميز بأنها مؤثرة، وممتعة، كما أنها تعلق في ذهن القارئ(١). ويمكننا أن نقول – تأسيسًا على ما سبق – إن خلق أنماط من التعبيرات الاستعارية المتصلة هو أحد السمات المهمة للابتكار والإبداع الاستعاري، ويظهر هذا بوضوح في إحدى فقرات النص (من خلال التمديد النصي textual extension على سبيل المثال)، أو على مدار النص بأكمله (من خلال السلاسل الاستعارية metaphorical chains على سبيل المثال)، أو من خلال عدد من النصوص (من خلال الروابط النصية intertextual connections على سبيل المثال).

ومن ثم يجب النظر إلى الابتكار الاستعاري من خلال عدة زوايا: درجة الجدة والابتكار في رسم صورة لمفهوم بعينه، وأصالة وأهمية الاختيارات والأنماط الاستعارية، التي تميز كاتبًا عن غيره. وأنا أحاول في هذا الكتاب أن أجمع بين المدخل الذي قال به لاكوف وتيرنر من ناحية، والتجلي النصي للاستعارة الذي ناقشته في الفصل الأول من ناحية أخرى. وسوف أستمر في منهجي في وصف الاستعارات بأنها تقليدية أو مبتكرة في حد ذاتها، من خلال وجود المعاني الاستعارية، التي استطاع المبدع أن يعبر عنها من خلال المفردات. ولكنني سوف أتعرض بالدراسة والتحليل للابتكارية المحتملة والممكنة لبعض الأنماط داخل التعبيرات الفردية، فضلاً عن مدى تقليدية، وابتكارية الاستعارة المستخدمة للتعبير عن مفهوم بعينه.

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها ياكبسون عام ١٩٦٠، وكتاب ليبتش الصادر في عام ١٩٦٩، وكتاب فان بيير Van Peer ١٩٨٦، وكتاب كارتر الصادر عام ٢٠٠٤.

الأدب وتنوع الاستخدام الاستعاري:

ركزت معظم الدراسات التي تناولت استخدام الاستعارة في الأعمال الأدبية على الاستخدام المتميز للاستعارة في الأجناس الأدبية المختلفة، في أعمال بعض المؤلفين، أو في أعمال أدبية بعينها. وتركز هذه الدراسات على الاختيارات والأنماط الاستعارية المبتكرة، والمؤثرة، وعادة ما تتناول هذه الدراسات الاستعارة جزءًا من الأسلوب الذي يميز جنسًا أدبيًا، أو نصيًا بعينه، أكثر من تركيزها على كونها جزءًا لا يتجزأ من الاستخدام اللغوي بصفة عامة(١).

الاستعارة والجنس (النوع) الأدبي:

كنت قد تناولت باختصار في الفصل الأول الكناية **metonymy** كظاهرة، يشار من خلالها لكيان عن طريق كيان آخر يمثل جزءًا من نفس المجال (من المفاهيم) الذي نحن بصدد الحديث عنه. فمثلاً عندما نقول: "أصدر البيت الأبيض بيانًا"، فإن تعبير "البيت الأبيض" في واقع الأمر يشير إلى الرئيس الأمريكي وإدارته، من خلال الإشارة إلى المبنى الذي يعد مقر إقامة الرئيس، ومركزًا للحكم. وقد درج المتخصصون على الإشارة إلى أن العلاقة التي تبنيها الكناية بين مفهومين، هي في واقع الأمر علاقة تجاور **contiguity**، وهذه العلاقة تختلف عن تلك العلاقة التي تقوم عليها الاستعارة، وهي علاقة من التشابه **similarity** بين المفهوم الأصلي، والمفهوم المستهدف.

---

(١) انظر كتاب كوفيكستش الصادر عام ٢٠٠٥، صفحة ٩٥.

وقد أشار ياكبسون في دراسته المهمة، والتي نشرت في عام ١٩٥٦، إلى أن الفرق بين الاستعارة والكناية يمكن أن يستخدم للتفرقة بين أساليب الكلام، والكتابة المختلفة:

> يمكن رؤية تطور الخطاب من خلال خطين دلاليين مختلفين: فقد يقود موضوع إلى موضوع آخر من خلال التشابه أو التجاور/ التماس. وتعد الاستعارة هي أكثر التعبيرات المناسبة للحالة الأولى (التشابه)، بينما تعد الكناية التعبير الأنسب للحالة الثانية (التماس). وتستخدم كلتاهما بشكل مستمر في السلوك اللفظي العادي، ولكن الملاحظة المتأنية تكشف لنا، أنه نتيجة لتأثير النمط الثقافي، أو الشخصية، أو الأسلوب اللفظي، قد يفضل المرء إحداها على الأخرى[1].

وعلى الرغم من أن ياكبسون قد طور هذا الاختلاف، وأضاف إليه في دراساته التي تناولت اضطرابات الكلام **speech disorders**، فإنه كان دائمًا يقول إن هذا الاختلاف له علاقة وثيقة الصلة بدراسة الفن اللفظي **verbal art**. ويرى ياكبسون أن المدارس الأدبية المختلفة تتميز عن بعضها بعضا، في تفضيلها للاستعارة أو الكناية، كأحد المبادئ الأساسية المنظمة للنص. فعلى سبيل المثال تفضل كل من المدرسة الرومانسية والمدرسة الرمزية الاستعارة، بينما تفضل المدرسة الواقعية الكناية[2].

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها ياكبسون عام ١٩٥٦، صفحتي ٩١،٩٢.

(٢) انظر المرجع السابق، صفحتي ٩١،٩٢.

وقد طور ديفيد لودج **David Lodge** هذه البديهية التي قال بها ياكبسون؛ لتتحول إلى مدخل متعمق لدراسة كيفية التمييز بين الحركات، والمدارس، والفترات الأدبية المختلفة، بالإضافة إلى فحص التطور الذي طرأ على أعمال كاتب بعينه(١). وكان لودج يرى أن النصوص المختلفة يمكن ترتيبها على مقياس للخطاب له قطبان: أحدهما قطب الاستعارة، والآخر هو قطب الكناية(٢). فعلى سبيل المثال، وضع لودج أي مدخل (مادة) في دوائر المعارف عند قطب الكناية، بينما وضع قصيدة تي إس إليوت **T.S.Eliot** الشهيرة **الأرض الخراب The Waste Land**، عند القطب الاستعاري.

وبين هذين القطبين وضع لودج العديد من النصوص (بادئًا من القطب الاستعاري متجهًا إلى قطب الكناية)، مثل رواية تشارلز ديكينز **المنزل الكئيب Bleak House**، ورواية فورستر **Forester**، **الطريق إلى الهند Passage to India**، ومقال من جريدة **الجارديان The Guardian**. ويرى لودج أنه يمكن وضع بعض القواعد العامة التي تحكم تلك المسألة؛ فاللغة الأدبية هي لغة استعارية في المقام الأول، بينما ترتكز اللغة غير الأدبية على الكناية. أما داخل الأدب نفسه، فيرى لودج أن الشعر هو أكثر الأجناس الأدبية استعارية، بينما ترتكز الرواية على الكناية. بل أراد لودج أن يكون أكثر تحديدًا وخصوصية، حينما أراد الربط بين المدارس والأجناس الأدبية المختلفة من ناحية، وبين التوجه لاستخدام الاستعارة أو الكناية من ناحية أخرى. فعلى سبيل المدارس يفضل مؤلفو الرواية الحداثية الاستعارة (ويظهر هذا جليًا في عناوين هذه الروايات مثل **قلب الظلام Heart of Darkness**، و**عوليس Ulysses**)، بينما يفضل مؤلفو الروايات الواقعية الكناية.

---

(١) انظر الكتاب الصادر في عام ١٩٧٧، صفحة ١٢٤.

(٢) انظر المرجع السابق، صفحة ١٠٤.

وتتسم التعريفات التي تبناها كل من ياكبسون ولودج بأنها تعريفات أكثر عمومية، من تلك التي أستخدمها أنا في هذا الكتاب. فكلاهما مهتم بشكل أساسي بمدى إمكانية أن يكشف ترتيب التفاصيل، والصور البلاغية، أو الموضوعات في النصوص المختلفة، عن وجود التماس (مثل تلك التي تقوم بين الشخصيات والأماكن التي تدور فيها الأحداث على سبيل المثال)، أو التشابه (كتلك التي قد تبدو بين شخصية وطائر مثلاً).

ولا يركز لودج خاصة على التعبيرات الاستعارية التقليدية، بل على التعبيرات الاستعارية المبتكرة والممتدة (غالبًا)، والتي تشبه تلك التي سبق أن ناقشناها وحللناها في هذا الفصل، أو تشبه ذلك التشبيه الذي استخدمته فيرجينيا وولف **Virginia Woolf** في روايتها **السيدة دالووي Mrs Dalloway**: "إن اللحظات مثل هذه اللحظة تشبه البراعم الصغيرة على شجرة الحياة"[1].

وبصفة عامة، تبدو نظرية لودج – من وجهة نظر الدراسات الحالية عن الاستعارة – محدودة من عدة أوجه: **أولاً**: تبدو التعريفات التي ذكرت للاستعارة والكناية شديدة العمومية. **ثانيًا**: لا يوجد اهتمام كاف بالتفرقة بين الجدة والابتكار من ناحية، والتقليدية من ناحية أخرى. **ثالثًا**: لا يوجد دليل كمي **quantitative evidence**. **رابعًا**: توجد بعض التعميمات الساذجة التي تُذكر بين الفينة والأخرى (مثل الاختلافات بين الأعمال الأدبية وغيرها).

ومن ناحية أخرى، فإن آراء لودج حول الاختلافات بين المدارس الأدبية، والمؤلفين، يدعمها كم ضخم من الاقتباسات المأخوذة من نصوص أدبية، وأعمال نقدية، وكلها أمور تبدو بديهيًا مقنعة. فمثلاً رأيه أن الكتاب الحداثيين يستخدمون

---

(١) انظر المرجع السابق، صفحة ١٨٦.

استعارات مبتكرة، أكثر من الكتاب الواقعيين، يبدو أمرًا مقبولاً لدى القارئ، حتى في عدم توفر دليل كمي وإحصائي. وفي واقع الأمر، فإن كثيرًا من الرؤى التي أطرحها في هذا الكتاب، تقوم على الجمع بين التحليلات النموذجية (بمعنى نموذجًا لكاتب بعينه، أو جنس أدبي بعينه...) وبين القبول البديهي، وليس على الأرقام والإحصائيات الجامدة.

فمعظم الدراسات التي تناولت استخدام الاستعارة في بعض الأجناس الأدبية بعينها، لم تهتم في واقع الأمر بتكرار التعبيرات الاستعارية، وإنما بأنواع الاستعارات التي يميل الكتاب لاستخدامها. فعلى سبيل المثال يرى كريسب **Crisp** أن الشعر التصويري **Imagist poetry** (والذي ارتبط ببعض الأسماء مثل عزرا باوند **Ezra Pound**، وإيمي لويل **Amy Lowell**)، يميل إلى الاعتماد على ما أسماه لاكوف وتيرنر (١٩٨٩) باستعارات الصورة **image metaphors**، وهي تلك الاستعارات التي تتضمن رسم صورة مرئية. والأبيات التالية لعزرا باوند مأخوذة من واحدة من أشهر قصائد الشعر التصويري:

النموذج السابع عشر:

في محطة المترو

تظهر الوجوه بين الزحام

كبتلات على غصن أسود مبلل

ويرى كريسب أن وصف الوجوه بأنها كالبتلات، يخلق تأثيرًا جماليًا **aesthetic effect**، يقوم بشكل كامل على خبرة مرئية ملفتة للنظر، لا يمكن تفسيرها، أو إعادة صياغتها، من خلال معان واضحة. وهذه الصورة – كما يرى كريسب – تمثل إحدى سمات الشعر التصويري كجنس أدبي، كما أنها تخلق تحديات "ممتعة" لنظرية الاستعارة نفسها.

ويطبق تسور Tsur (١٩٩٢، ٢٠٠٣) فكرة جديدة على دراسته للأجناس الشعرية، وأقصد بها تقسيمه للاستعارة إلى نوعين: استعارات مقسمة التركيز split focus، وأخرى أحادية التركيز integrated focus، فالاستعارات المقسمة التركيز تؤكد على العناصر المتنافرة والمتضاربة للمفهوم الأصلي، والمفهوم المنقول للقارئ. ويرى تسور أن القارئ يرى أن هذا النوع من الاستعارات به الكثير من الألمعية، والسخرية، والمفارقة، ولكنها أيضًا تكون مربكة للمشاعر في بعض المواضع.

ويرى تسور أن الاستعارة التي استخدمها دَن Donne، والتي ذكر فيها البوصلة هي مثال جيد لهذا النوع من الاستعارات؛ فقد قدم لنا الشاعر علاقة روحية، عاطفية من خلال الحركة الميكانيكية لآلة (البوصلة)، وأجبر القارئ على أن يركز على التفاصيل المرئية المحددة، والدقيقة، لصورة البوصلة عندما تتحرك إبرها(١).

وعلى النقيض نجد أن الاستعارة أحادية التركيز لا تعطي أهمية كبيرة لذلك التنافر بين المفهوم الأصلي، والمفهوم المنقول للقارئ، وتؤكد على التشابه والتماس بينهما. ونتيجة لهذا فإن القارئ يرى أن هذه الاستعارات تبعث على خلق جو من المشاعر، والسمو، والرقي.

فعلى سبيل المثال يذكر تسور صورة أخرى للبوصلة ذكرت في قصيدة جون ملتون John Milton الشهيرة "الفردوس المفقود" Paradise Lost، حينما وصف خلق الدنيا (الترجمة التالية مأخوذة من ترجمة الأستاذ الدكتور العلامة محمد عناني):

---

(١) انظر كتاب تسور، ١٩٩٢، صفحتي ٩٤، ٩٥.

النموذج الثامن عشر:

ثم توقفت العجلات النارية وهدأت، ثم أمسك فى يده

بأجهزة قياس الاتجاه الذهبية التي جيئ بها

من خزانة الله الخالدة، لرسم حدود

هذا الكون، وجميع المخلوقات.

وجعل من إحدى قدميه مركزًا، ودار بالأخرى فى دائرة

داخل الأعماق السحيقة الشاسعة الظلماء

وقال إلى هنا تمتد، وهذه حدودك

وليكن هذا محيط دائرتك المرسوم أيها العالم.

وهنا يرى تسور (١٩٩٢، صفحتي ٩٥، ٩٦) أن الاستعارة التي تتضمن ذكرًا للبوصلة، تناسب الفكرة الاستعارية الأكبر، وأقصد بها اعتبار أن الخلق عبارة عن بناء هندسي **Creation as architecture**. وقد استخدم الشاعر هذه الاستعارة؛ ليقدم للقارئ صورة بالغة الفخامة والجلال لذلك الخالق العظيم، الذي فرض كلمته على ذلك العماء، فتحول إلى الأرض التي نعرفها، بكلمة واحدة: "كن فيكون".

ويعطي لنا تسور (في كتابه الصادر في عام ٢٠٠٣) صورة أكثر عمومية، حينما يرى أن الشعر الميتافيزيقي، والشعر الحداثي يتسمان باستخدام الاستعارات مقسمة التركيز، بينما يتسم الشعر الرومانسي، وشعر عصر النهضة، باستخدام الاستعارة الموحدة التركيز (وللاطلاع على مزيد من الدراسات التي تناولت الاستعارة في الأجناس الأدبية الأخرى، أنصح بقراءة الدراسة التي قامت

بيا هيراجا Hiraga في عام ١٩٩٩ عن الشعر الياباني، والدراسة التي قام بها وولش Walsh عام ٢٠٠٣ عن الخيال العلمي، والروايات الخيالية للناشئة).

الاستعارة والمؤلف:

ولقد ذكرت سابقًا ما قاله أرسطو عن إتقان استخدام الاستعارة "a command of metaphor" بأنه أحد علامات العبقرية "the mark of genius"[(١)]. وعلى نفس المنوال، يرى كثير من النقاد أن الاستخدام المبتكر والمتفرد للاستعارة هو أحد السمات المهمة، للأسلوب المميز لكبار الكتاب. وعلى الرغم من ذلك فإن صعود نجم نظرية الاستعارة المعرفية في العقود الأخيرة، جعل الانتباه يتركز على كيفية استخدام التعبيرات الاستعارية التقليدية في اللغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية، وكيف يعتمد الأدباء المشهورون على هذه الأنماط التقليدية في أعمالهم.

وقد أعاد كوفيكستش في دراساته التي نشرت مؤخرًا (٢٠٠٢، ٢٠٠٥) ربط نظرية الاستعارة المعاصرة، بالآراء التقليدية عن الاستعارة، باعترافه بأهمية البعد الفردي في استخدام الاستعارة؛ فهو يرى أن اهتماماتنا الفردية، وتجاربنا الذاتية قد تؤدي بنا إلى استخدام شديد الخصوصية للاستعارة، وهذا ينطبق على كبار الكتاب، كما ينطبق على الأفراد العاديين (فمثلاً يستخدم الأطباء استعارات لها علاقة بالطب، بينما يستخدم محبو الرحلات البحرية استعارات لها علاقة بالبحر والإبحار).

(١) انظر كتاب كوبر Cooper الصادر عام ٢٠٠٥، صفحة ٧٦.

وقد فرق لودج في كتابه أشكال الكتابة الحديثة **Modes of Modern Writing** بين الكتاب الاستعاريين **metaphoric writers**، وهم الذين يستخدمون الاستعارة، بشكل متكرر ومبتكر في نفس الوقت (ومن أمثال هؤلاء: ديلان توماس **Dylan Thomas**، وتي.إس. إليوت **T.S.Eliot**، وجيمس جويس **James Joyce**، والكتاب من مؤيدي استخدام الكناية **metonymic writers**، وهم أولئك الكتاب الذين لا يعتمدون بشكل كبير على الاستعارة في كتاباتهم (ومن أمثال هؤلاء الكتاب: وليام وردسورث **William Wordsworth**، وإرنست هيمنجواي **Ernest Hemingway**، وفيليب لاركين **Philip Larkin**).

وعلى الرغم من أن لودج يبدو مهتمًا بشكل واضح بالاستعارات المبتكرة فقط، فإنه اعترف بأن هذه الاستعارات ترد أيضًا في أعمال الكتاب الذين تلعب الكناية دورًا رئيسيا في إبداعاتهم، ولكنها تظهر بشكل أقل، ولا تعد من المكونات الأساسية لأساليبهم الإبداعية. وكما ذكرت من قبل، فإن لودج لم يقم بأي تحليل كمي أو إحصائي لما ذهب إليه، ولكنه يؤسس وجهة نظره على الجمع بين التحليل النصي **textual analysis**، وأعمال النقاد الآخرين من ناحية، وعلى ما يصرح به الأدباء أنفسهم في بعض الحالات من ناحية أخرى.

وعلى الرغم من ذلك فإن علماء الأدب بصفة عامة لا يهتمون بمدى تكرار الاستخدام الاستعاري، ولكن بالأساليب الاستعارية المميزة التي يستخدمها الكاتب (فعلى سبيل المثال، قام تومسون وتومسون **Thompson and Thompson** بإجراء دراسة عام ١٩٨٧ عن استخدام الاستعارة في أعمال شكسبير). فعلى سبيل المثال قامت مارجريت فريمان **Margaret Freeman** (١٩٩٥) باستكشاف الاستعارات المتفردة، وغير التقليدية، التي ميزت شعر الشاعرة الأمريكية إيميلي ديكنسن **Emily Dickinson**، وخاصة تلك الاستعارة التي تتحدث عن الحياة والموت،

ورأت فريمان أن هذه الاستعارات تشكل وجهة نظر الشاعرة في هذا العالم، وتخلق عالمًا من المفاهيم الخاصة بها **conceptual universe**.

وترى فريمان أيضا أن ديكنسن قد رفضت استخدام الاستعارة الدينية التي كانت تسيطر على زمانها، وأقصد بها تلك الاستعارة التي تصور الحياة على أنها رحلة عبر الفضاء الرحب **Life is a journey through space**، وهذه الرحلة تنطوي على الحركة في طريق مستقيم، يصل المرء في نهايته إلى السماء. ويظهر هذا جليًا في الأبيات التالية:

النموذج التاسع عشر:

ومن الأحاديث التي

تثير في النفس رهبة

الحديث عن أين نذهب

هل هناك مكان نذهب إليه

خلقا بعد خلق؟

(وردت القصيدة في كتاب فريمان، صفحة ٦٤٧).

وكبديل لهذه الاستعارة، استحدثت ديكنسن مفهومًا مبتكرًا للحياة في شكل رحلة في الفضاء **Life is a voyage in space**، تعكس تجربتها الذاتية، ووعيها بالاكتشافات الفلكية في زمانها. وداخل هذه الاستعارة، نجد بعض التفاصيل: فالأثير يصور على أنه بحر (انظر الأبيات التالية، ويُصوّر البشر على أنهم بحّارة يقومون برحلة – ليست في خط مستقيم – مليئة بالأخطار، ولا توجد وجهة محددة يقصدونها:

النموذج العشرون:

بحر هين لين

بحر من أثير الصيف[1].

النموذج الواحد والعشرون:

في بحر الزمان العجيب

بلا مجداف

لم نجد بديلاً عن الإبحار

لمرفأ سري

حيث صادفتنا رياح هوجاء

فمن ذا الذي يتحمل الأخطار

حتى القرصان المغوار

لا يستطيع أن يركب موج البحار

إلا إذا كان على يقين من اتجاه الريح

أو يعرف اتجاه التيار[2].

وعلاوة على هذا، فإن فريمان ترى أن ديكنسن كانت ترى الزمان والمكان في صورة حركة دائرة دورية، وهذه الحركة صيغت على غرار حركة الكواكب

---

(١) انظر كتاب فريمان، صفحة ٦٥٠.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

في الفضاء، والتي كانت تعد من الاكتشافات الحديثة في هذا الوقت. ومن ثم فإن استعارة الرحلة التي تستخدمها الشاعرة للإشارة إلى الحياة، لا تتضمن جهة وصول محددة وثابتة، بل لا تتضمن مثوى للموتى(١). وبصفة عامة يمكننا أن نقول إن الاستعارات المبتكرة والمتفردة التي استخدمتها ديكنسن، تعكس رؤيتها الشخصية وغير التقليدية لهذا العالم، والتي تتناقض مع الفكر الذي كان سائدا في زمانها(٢).

الاستعارة والنص:

تركز معظم الدراسات التي أجريت عن استخدام الاستعارة في الأعمال الأدبية على نصوص بعينها؛ بهدف توضيح كيفية استخدام الأدباء للاستعارة بطريقة مبتكرة ومؤثرة؛ لنقل أفكار، أو خبرات، أو مشاعر، أو رؤى بعينها. ولنأخذ على سبيل المثال السونيتة **sonnet** رقم ٧٣، والتي أشرنا إليها سابقًا:

النموذج الثاني والعشرون:

قد أبدو لك في هذا الوقت من العام

حينما يخلو ذلك الغصن الذي يرتعد من البرد

---

(١) انظر كتاب فريمان، صفحة ٦٥٨.

(٢) انظر كتاب فريمان الصادر عام ٢٠٠٢، للاطلاع على أعمال مشابهة لشعراء آخرين، كما يمكن الرجوع للدراسة التي أجراها هاملتون Hamilton عام ١٩٩٦، عن استخدام الشاعر دبليو إتش أودين W.H.Auden للتشخيص، والدراسة التي أجراها سوبوليف Sobolev عام ٢٠٠٣، عن الاستعارات الدينية في أعمال جيرالد مانلي هوبكنز Gerald Manely Hopkins.

سوى من أوراق صفراء قليلة، أو لا أوراق
وحيث تغني الطيور الجميلة كجوقة بلا أبواق

في وجهي ترين شفق يوم
غاب في غياهب الغروب
وجاء الليل البهيم فأخذه إلى عالم الغيوب
صنو الموت الذي يقودنا لنهاية الدروب

قد أبدو لك كالنار في اضطرام
ترقد على رماد شباب قد طوته الأيام
كفراش الموت الذي تلفظ عليه آخر الأنفاس
قضت نحبها على يد ما كانت به تقتات

هذا كما ترين ما يجعل حبك أكثر قوة
أن تحبي هذا الينبوع الذي ستتركينه مهما طال الزمان

تنقسم هذه القصيدة إلى ثلاث رباعيات (الرباعية: مقطوعة شعرية من أربعة أبيات)، وكوبليه. وتقدم لنا كل رباعية صورة استعارية مختلفة للمتكلم في فترات مختلفة لمرحلة الشيخوخة التي يمر بها: كشجرة في الخريف

(الرباعية الأولى)، ويوم قارب على نهايته (الرباعية الثانية)، وكنار تخبو رويدًا (الرباعية الثالثة).

ويرى لاكوف وتيرنر (١٩٨٩، الصفحات من ٢٦ إلى ٣٤) أن تعقيد وثراء هذه السونيتة ينبعان من الطريقة التي يجمع فيها شكسبير بين مجموعة من الصور الاستعارية التقليدية المختلفة، التي تشير إلى فكرة الحياة والموت. ففي الرباعية الأولى، يمكن أن نعتبر وصف المتحدث كشجرة، اصفرت أوراقها، وأخذت تتساقط تدريجيًا، على أنه تصوير لتلك الاستعارة التي تصور الناس كنباتات **People are plants**، حيث تتشابه مراحل عمر الإنسان، مع دورة حياة النبات. ولكن تصوير شكسبير للفرع على أنه "غصن... يرتعد من البرد" وأنه "جوقة بلا أبواق" يحتوي على استعارة تصويرية **image metaphor**، لشجرة تبدو كشخص يرتعد من البرد، و"كجوقة بلا أبواق" تغني عليها الطيور[١].

ويرى لاكوف وتيرنر أن الإشارة إلى أوقات السنة المختلفة، تستدعي إلى الأذهان الاستعارة التقليدية، التي تشير إلى أن عمر الإنسان عبارة عن سنة تمر كالبرق **A lifetime is a year**، حيث تماثل فصول السنة المراحل المختلفة لعمر الإنسان.

ومن الرباعية الثانية، يمكن اعتبار الوصف الاستعاري للشيخوخة على أنها غروب تجسيدًا للاستعارة التي تشير إلى أن عمر الإنسان يوم (أو بعض يوم) **Lifetime is a day**. وداخل هذه الاستعارة تتشابه أوقات اليوم مع المراحل المختلفة لعمر الإنسان؛ فالشفق يشبه تلك الفترة التي تسبق الموت. وعلاوة على ذلك، فإن

---

(١) يمكن أن يشير هذا البيت إلى حالة الأديرة في فترة الإصلاح الديني.

لاكوف وتيرنر يريان أن السطرين الأخيرين من هذه الرباعية يتضمنان مجموعة من الصور الاستعارية التقليدية، التي تشير إلى أن الحياة نور وضياء، وشيء ثمين، بينما الموت ظلام دامس. ومن خلال هذه التفاصيل يظهر الليل "كصنو الموت" الذي "يقودنا إلى نهاية الدروب".

أما في الرباعية الثالثة، فإن تصوير الشيخوخة في صورة نار "قضت نحبها"، هو في واقع الأمر استدعاء للاستعارة التقليدية التي ترى الحياة كشعلة Life is a flame، تشبه حياتها القصيرة حياة الإنسان بمراحلها المختلفة. وتنطوي هذه الرباعية على صورة معقدة، يقوم فيها الرماد بأكثر من وظيفة استعارية:

> **فكما يخمد الرماد جذوة النار، يرى المتكلم في القصيدة أن ما بقي من حياته السابقة (الشيخوخة) تزيده وهنا على وهن. وهنا مفارقة جميلة؛ فالرماد هنا يلعب دورين: فهو يخمد جذوة النار، وهو في نفس الوقت ما بقي من الشجر. ومن ثَم فإن ما ينهي حياة المتكلم هو في واقع الأمر ما اعتاد أن يقتات به، ويقصد الشاعر هنا جذوة الشباب(١).**

ولا شك أن هذا التحليل الذي قام به لاكوف وتيرنر يجعلنا نقدر الطريقة التي يستخدم بها الشعراء الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم. ولكن من وجهة نظري يجب أن نقدر أكثر وأكثر اختيار الشاعر الفريد المميز للألفاظ، والصور، والتراكيب النحوية في نص بعينه. ولا شك أن اهتمام لاكوف وتيرنر ينصب على الأساس التقليدي للاستعارات التي كان يستخدمها شكسبير، ولكنهما

---

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر، صفحة ٣٢ و٣٣.

ناقشا وبنفس القدر من الاهتمام والتفصيل، الأسلوب الذي تمتـد بـه الاسـتعارات بشكل مبتكر وجديد، وكيف تتجمع وترتبط ببعضها البعض في القـصيدة؛ بهـدف خلق صورة ثرية ومعقدة لرؤية المتكلم (في القصيدة) لشيخوخته ودنو أجله.

وذهبت الناقدة نوتني **Nowottny** (١٩٦٢، الصفحـات من ٧٦ حتـى ٨٦) إلى أبعد من هذا، ورأت أن هناك تقصيرًا إذا نظرنا لقصيدة شكسبير علـى أنهـا مجموعة من الرباعيات، تقدم كل واحدة منها وصفًا استعاريًا مختلفًـا للتقـدم فـي العمر (عمر المتكلم في القصيدة). فهي ترى أن الاستعارات الرئيسية الثلاث بهـا من الحس الأدبي، والمهارة اللغوية، والحذق الفني، ما يجعل كل واحدة منها تختلف عن الأخرى؛ وهذا ما يجعل القصيدة تتطور حتى تصل بنا إلى نهايتها:

> **فالانتقال واضح من فصل بارد يخلو من الخضرة والحياة، إلى نار متأججة، ومن أحد أوقات العام إلى لحظة حاسمة، ومـن الماضي الذي ولّى إلى المستقبل القريب، ومن مفاهيم متفرقـة وإشارات تغلب عليها البساطة في الرباعية الأولى (غصن يرتعد من البرد... وأوراق صفراء)، إلى صورة بلاغية معقدة تفـيض بالمعاني والأفكار في الرباعية الأخيرة[١].**

وعلاوة على ذلك، توجد زيادة تدريجية فيما تسميه نوتني بالمجاز الفـائض أو الإضافي **extra figuration**، من رباعية إلى أخـرى، وتقـصد بـه وصـف السيناريو الاستعاري الأصلي بشكل استعاري (وصف الاستعارة باستعارة أخـرى، وهذه الظاهرة تسمى جمع الاستعارات وربطها[٢]). كما تضمنت الرباعية الثانيـة،

---

(١) انظر كتاب نوتني، صفحة ٧٨.

(٢) انظر كتاب جوتلي Goatly الصادر في عام ١٩٩٧، صفحتي ٢٧١ و ٢٧٢.

وصفا استعاريًا لليل بأنه: "الذي يأخذنا إلى عالم الغيوب" وأنه "صنو الموت الــذي يقودنا لنهاية الدروب". أما الرباعية الثالثة، فتُشخص فيها النار في ثلاثــة أبيــات، تصفها نوتني بأنها تعقيد يستعصـــي علـــى التحليــــل **unanalysable intricacy**. وهذه الصورة حللها لاكوف وتيرنر في صفحتين كاملتين. وترى نوتني أن كل هذه التحليلات والتفسيرات تسهم بشكل كبير في زيادة فهم القارئ للقصيدة.

وفي النهاية أبدى كل من لاكوف وتيرنر (١٩٨٩، صــفحة ٢٣) ملاحظــة ذكية، وهي أن الأوصاف الاستعارية المختلفة التي يستخدمها المتكلم في القــصيدة للحديث عن شيخوخته مصحوبة ببعض التعبيرات مثل: "قد أبدو لك... في وجهــي ترين... قد أبدو لك (كالنار)..." وهذه التعبيرات قد توحي لنا أن الاستعارات تعبر فقط عن الطريقة التي يرى بها الناس المتكلم في القصيدة، أكثر من الطريقة التــي يرى بها هو نفسه. ومن ثَم يمكن أن نتساءل عما إذا كانت هذه الاســتعارات قــد استخدمت بلاغيًا؛ لتحقيق التأكيد (والطمأنينة)، أو للتأثير على قوة مشاعر المتلقــي تجاه المتكلم. وبعبارة أخرى، لا يمكن للمرء أن يعطي هذه القصيدة التقدير الكامل، إلا من خلال تحليل مفصل للغة القصيدة، والذي يميط بدوره اللثام، عن قدر كبيــر من الإبداع، والثراء، والتعقيد[١].

وقد حاول علماء الأدب اكتشاف الظاهرة التي تضفي على النصوص الأدبية سمات بعينها، مثل وجود أنمــاط استعــارية غالبــة، تتعلق بالمجــال الأصــلي/ المــصدر **source domain**، أو مجموعــة صــغيرة مــن المجــالات الأصــلية **a small set of source domains**. وأقصد بهذه الأنماط، خليطــا مــن التكــرار،

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها كريسب عام ٢٠٠٣، والدراسة التي قام بها دين Deane عام ١٩٩٥؛ لمزيد من الأمثلة عن استخدام الاستعارة في قصائد بعينها.

وتمديد المعنى extension، يؤدي إلى وجـود سلاسـل متعـددة مـن التعبيـرات الاستعارية، التي تلعب دورًا كبيرًا في التأويل العام للنص. فعلى سبيل المثال، لفت دونالد فريمان Donald Freeman (١٩٩٥) الانتباه إلى أن اللغة التـي يـستخدمها شكسبير في مسرحيته الشهيرة ماكبث Macbeth، تحكمها مجموعة من التعبيـرات الاستعارية، مستقاه من صورتين ذهنيتين: الوعاء container والطريـق path[١]. ففي المشاهد الأولى من المسرحية (الفصل الأول، المشهد الخامس)، تصف ليـدي ماكبث Lady Macbeth طبيعة زوجها ماكبث بأنه: "الوعاء المترع بحليب الطيبـة البشرية"، ثم تعرب عن نيتها في أن تتحكم في زوجها، من خـلال الوعـاء الـذي يمكن أن يملأ بالأفكار:

النموذج الثالث والعشرون:

عجِّل إلي بالعودة

حتى أُلقي على مسامعك ما تشد به عزمك

وحتى يبدد لساني بما يقطر به من شجاعة

كل ما يحول بينك وبين تاج المُلك الذهبي[٢]

وتصف ليدي ماكبث نفسها بالوعاء؛ فهي تخاطب الأرواح التي تملأ قلبهـا: "حتى حافته بقوة لا تنفد"، أن تتوقف (هذه الأرواح) عـن "صـب نوبـات النـدم" (الفصل الأول، المشهد الخامس). ويوضح لنا فريمان أن الشخصيات الأخرى مـن المسرحية توصف بنفس الطريقة، بما فيهم شخصية الملك دنكان Duncan، الـذي ينطوي قتله على تحطيم العديد من الأواني المختلفة والمقدسة في نفـس الوقـت، وهي إشارة إلى القصر الذي نزل فيه دنكان ضيفًا، والغرفة التي نام فيهـا، وجثـة الملك نفسه.

---

(١) انظر كتاب جونسون Johnson الصادر عام ١٩٨٧.
(٢) انظر كتاب فريمان، صفحة ٦٩٤.

وبالإضافة إلى هذا، فإن ماكبث نفسه، وبقية الشخصيات يصفون لنا – وبشكل متكرر – حياة ماكبث نفسها، والمصير الذي اختاره لنفسه من خلال مجموعة من الاستعارات التي تشير إلى اختيار الإنسان لطريق بعينه في هذه الحياة. فعلى سبيل المثال، يفسر ماكبث السبب الذي دفعه لقتل حراس الملك، بعد أن قتل الملك نفسه، قائلا: "سبق حبي الشديد له رزانة عقلي"، فقد كان حبه ورزانة العقل في سباق على قارعة الطريق، ولكن الحب (المفرط) سبق العقل (الرزين)، وكان يجب على هذا العقل الرزين، أن يكبح جماح ذلك الحب المفرط (الفصل الثاني، المشهد الثالث، السطور ١٠٦-١٠٧). وفي آخر المسرحية، يعبر ماكبث عن محنته، من خلال سيناريو استعاري يشير إلى عدم قدرته على الحركة: "لقد شدوني إلى وتد، لا أستطيع الفكاك منه، ولكنني سأحاربهم، كالدب المقيد يدفع عن نفسه الكلاب" (الفصل الخامس، المشهد السابع، السطور ١-٢).

ويوضح لنا فريمان بالتفاصيل الدقيقة استخدام استعارتي الوعاء والطريق، وتطورهما، خلال أحداث المسرحية. ويرى فريمان أن هذين المجالين الاستعاريين الأصليين يسهمان في تقديم الشخصيات، كما يسهمان في تطور الحبكة والأفكار التي تقدمها المسرحية، فضلاً عن دورهما في ترابط ووحدة المسرحية. وفي واقع الأمر، فإن فريمان يذهب إلى أبعد من هذا بكثير حينما يقول إن هاتين الصورتين (الوعاء والطريق) يحكمان فهم القارئ للمسرحية ويؤثران فيه، ويقدم لنا الدليل على ذلك، في شكل اقتباسات مأخوذة من أعمال الكثير من النقاد، الذين حللوا المسرحية أو علقوا عليها، مستخدمين الصورتين المشار إليهما.

وقد ركزتْ الكثير من الدراسات المشابهة على أهمية وجود نمط من التعبيرات الاستعارية في نصوص بعينها (ارجع على سبيل المثال إلى الدراسة التي أعدها سيمون وفاندينبرجين **Simon-Vandenbergen** عام ١٩٩٣، وتلك التي

أعدها فريمان عام ١٩٩٣، وتلك التي أعدها بوبوفا **Popova** عام ٢٠٠٢). فعلى سبيل المثال قام ورث **Werth** (١٩٩٩) بدراسة مجموعة من الأنماط الاستعارية التي ترتبط ببعضها البعض، كتلك التي استخدمها إي. إم. فورستر **E. M. Forester** لوصف أراضي الهند، وسكانها المختلفين في الأديان والألوان والأعراق، في روايته الشهيرة **الطريق إلى الهند A Passage to India**.

فالكاتب يقدم لنا بشكل تقليدي التناقض بين الجماعات العرقية المختلفة، من خلال الإشارة إلى صورة استعارية، تتمثل في وجود مقياس للقوة، يأتي المستعمر الإنجليزي على قمته، مرورًا (ونزولاً إلى) بمختلطي الأعراق، ووصولاً للشعب الهندي في قاع المقياس. ولكن توجد العديد من الاستعارات الأخرى، التي تعبر عن هذا التناقض، ولكنها أقل في درجة التقليدية. فيصف الكاتب الهنود الأصليين (أهل البلد) - بشكل سلبي - على أنهم "وحل متحرك **moving mud**"، ويعيشون في أماكن منحطة **low**، ولكنها تحتوي على شكل من أشكال الحياة "غير قابلة للخراب **indestructible**"[1]. كما أن الكاتب ينزع الصفة الإنسانية عن المحتل الإنجليزي من خلال مجموعة من التعبيرات الاستعارية التي تشير إلى أشكال هندسية. وعلى النقيض، نجد أن الكاتب يضفي الكثير من الصفات الإنسانية على الأشجار والزهور (فالأشجار تقوم من مكانها، وتحيي الناس، وتشير إليهم). وليس هذا فحسب بل يشخص لنا الكاتب السماء، ويسبغ عليها من الصفات الإلهية:

النموذج الرابع والعشرون:

تحسم السماء كل الأمور، ليس فقط تلك الأمور التي
تتعلق بالمناخ، وفصول السنة، ولكنها تحدد الوقت الذي يكسو

---

(١) انظر كتاب ورث ١٩٩٩، صفحة ٣٢٢.

فيه الجمال الأرض. فالأرض بمفردها لا تقوى على شيء، سوى إخراج بعض الزهور التي تنبت هنا وهناك. ولكن حينما تريـد السماء، ينزل الرضا كالغيث على حوانيت مدينة تـشاندرابور Chandrapore، أو تنتقل البركة في الآفاق. فالسماء هـي الوحيدة القادرة على هذا؛ لما تملكه من بأس شديد، وضخامة لا قبل لأحد بها. (هذا الجزء من الرواية اقتبسه ورث في كتابـه، صفحة ٣٢١).

وهذا يؤدي بدوره إلى وجود مقياس من الحيوية، تأتي السماء علـى قمتـه، تليها الأشجار والزهور، ثم الهنود الأصليون، وانتهاء بالمحتل الإنجليزي. وتفـسر لنا الحقيقة التي تقول إن الحيوية تنزل من السماء إلى الأرض السبب الذي يجعـل الأشجار والأزهار، تبدو أكثر حيوية من بني البشر، والسكان الأصليون (الذين هم أقرب إلى الأرض) أكثر حيوية من المحتل (الذين يحتلون مكانة اجتماعية أعلـى). ومن ثَم فإن مقياس الحيوية يناقض مقياس النفوذ السياسي والاجتماعي الذي يحكـم حياة البشر. ويرى ورث أن الكاتب ينقل كل هذه الأفكار للقارئ؛ ليس من خـلال مجموعة من التعبيرات الاستعارية، ولكن من خلال تيارات أو موجات اسـتعارية خفية وممتدة **sustained metaphorical undercurrents** عبر فـصول الروايـة. ويطلق عليها ورث اسم الاستعارات الكبرى **mega metaphors**(١).

كما يمكن استغلال الأنماط الاستعارية بشكل أكثر تحديـدًا، للتعبيـر عـن وجهات نظر الشخصيات الأدبية في هذه الحياة، ولإلقاء الـضوء علـى عـاداتهم الذهنية المميزة لهم. ودعونا نعود لبرهة إلى الفقـرة التـي ناقـشناها مـن قبـل،

---

(١) انظر كتاب ورث، صفحة ٣٢٣.

والمأخوذة من رواية **طار فوق عش المجانين** لكيسي، حيث يصف في الرواية المرضى الذين يعانون من الأمراض المزمنة، بأنهم كالآلات الخربة، التي لا يمكن إصلاحها. وهذه الاستعارة ليست مثالاً منعزلاً، بل جزءًا من نمط سائد، يصف به برومدين **Bromden** الجوانب المختلفة لهذا العالم، من خلال الإشارة إلى الآلات والماكينات[1]. فعلى سبيل المثال يصف برومدين المجتمع خارج أسوار المستشفى، بأنه كآلة الحصاد والدرس، ويصف المستشفى ذاتها بالطريقة الآتية:

النموذج الخامس والعشرون:

> مصنع لتصنيع آلات الحصد والدرس، ومسئول عن إصلاح الأخطاء التي ترتكب في الأحياء المجاورة، والمدارس، والكنائس. وحينما يكتمل المنتج، ويعود إلى المجتمع، بلا أعطاب، وفي كفاءة المنتج الجديد، بل أحيانًا أفضل من الجديد؛ فإن هذا يدخل السعادة على قلب كبيرة الممرضات. فهذا الشيء جاء إلى المصنع، وبه من الأعطاب ما به، وهو الآن مكون صالح، وهو إضافة إلى أي معدة، وبهجة للناظرين.

ولا شك أن هذه الاستعارة التي يستخدمها برومدين لها أساس تقليدي، بمعنى أننا يمكن أن نعتبرها امتدادًا وتفصيلاً لبعض الاستعارات التقليدية، مثل: الناس عبارة عن آلات **People are machines** (كأن نقول: "فلان يبدو بلا بطاريات اليوم")، والاستعارة الأخرى تشير إلى أن المجتمع عبارة عن آلة **Society is a machine** (كأن نقول "تحول الواحد منا إلى ترس في عجلة مدينة نيويورك")[2].

---

(١) انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو وسويندلهرست عام ١٩٩٦.

(٢) انظر كتاب كوفيكستش الصادر عام ٢٠٠٢، صفحة ١٢٢.

ولكن يجب أن أقول إن برومدين يستخدم الاستعارات التي تحتوي على ذكر للآلات، بشكل أكبر، وبمزيد من الابتكار والجدة عما هو معتاد. وهو "يرى" أن هناك آلات تعمل، في الوقت الذي لا نشاهد - نحن القراء- هذه الآلات (فهو يرى أن حوائط المستشفى تحتوي على آلة لصنع الضباب **a fog machine**). ولكننا نعرف من أحداث الرواية، أن اعتماد برومدين على الاستعارة التي لها علاقة بالآلات، له ما يبرره، خاصة إذا عرفنا تفاصيل حياته الشخصية؛ فحينما كان شابًا يافعًا، درس الإلكترونيات في الجامعة، وحينما التحق بالجيش، عمل كمساعد كهربائي، حتى أصيب بانهيار عصبي في نهاية خدمته في الجيش، جراء غارة جوية أثناء الحرب العالمية الثانية.

ومن ثم فإن تعوده على وجود الآلات، وتقديره لها، يفسر لنا كثرة استخدامه لهذه الاستعارات؛ للحديث عن خبرته وتجاربه مع المجتمع والبشر، وهي خبرات يغلب عليها التعقيد والغموض. وبناءً على هذا، نستطيع أن نرى العلاقة الوثيقة التي تربط بين هذه الأنماط الاستعارية الغالبة، وبين وجهة نظر برومدين في الحياة، كما أن التغييرات التي تطرأ على استخدامه للاستعارة، تعبر عن التغييرات التي طرأت على وجهة نظره في نفسه، وفي الآخرين(١). وبصفة عامة، يمكننا أن نقول إن كيسي قد خلق شخصية برومدين كراوية؛ لينتقد طغيان الآلة على المجتمع في الخمسينيات من القرن الماضي، وخاصة أن الوسائل التي كانت تستخدم لعلاج المرضى النفسيين، كانت تتضمن بعض الوسائل الآلية.

وقد ناقشت العديد من الدراسات الأخرى استخدام الأنماط البلاغية؛ لتوصيل ما يدور في أذهان الشخوص في الروايات والمسرحيات، من ناحية،

---

(١) انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو وسويندلهرست، ١٩٩٦.

ولبيان التناقضات، والاختلافات بين الشخصيات، من ناحية أخرى(1). وسوف أعود لاحقا للحديث عن هذا الجانب من الاستعارة.

وتوجد حالة خاصة من الاستعارة الممتدة عبر النصوص، وهي الظاهرة البلاغية المعروفة بالقصة الرمزية/ الكناية **allegory**، والتي ترتبط بالأعمال الأدبية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، رواية **رحلة السائح The Pilgrim's Progress** لجون بونيان **John Bunyan**، **وملحمة الملكة الأسطورية** (ترجم عنوان هذه القصيدة إلى اللغة العربية بطرق مختلفة منها الملكة الجميلة، وملكة الجن، والملكة فيري) **The Faerie Queene** لإدموند سبنسر **Edmund Spencer**، وقصائد وليام بليك **William Blake**. ففي بداية رواية بونيان (١٦٧٥)، على سبيل المثال، نجد الراوية يخبرنا عن حلم رآه:

النموذج السادس والعشرون:

> **وجدت رجلاً يلبس أسمالاً بالية، يقف في وسط مكان، ويحمل كتابًا في يده، وحملاً ثقيلاً على كتفيه. رأيته يفتح صفحات هذا الكتاب، ويهم بالقراءة، ولكنه كلما قرأ سطرًا، علا نحيبه، وأصابته رعشة، وحينما لم يعد قادرًا على أن يحبس لوعته، وحزنه، انفجر يصرخ بألم: "ماذا سأفعل؟".**

ويحكي بقية الجزء الأول من هذه الرواية رحلة هذا الرجل، واسمه كريستيان **Christian**، من مدينة الخراب **City of Destruction**، إلى مدينة السماء

---

(١) انظر كتاب لودج ١٩٧٧، والدراسة التي قام بها بلاك Black ١٩٩٣، والدراسة التي قام فريمان بها ١٩٩٣، والدراسة التي قام بها بارسلونا Barcelona ١٩٩٥، والدراسة التي قامت بها سيمينو ٢٠٠٢.

Celestial City. وقد قابل كريستيان في رحلته العديد من الشخصيات التي تحمل أسماءً، تحمل الكثير من المعاني مثل: آمل **Hopeful**، ومخلص **Faithful**، واليأس الكبير **Giant Despair**. ويمكن تفسير رحلة كريستيان من وجهة نظر المسيحية، بأنها تلك الرحلة التي يقوم بها الإنسان؛ للوصول إلى الخلاص **salvation**. وفي الفقرة السابقة يمثل الرجل الذي "يلبس أسمالاً بالية"، الإنسان الذي رقعته الذنوب، كما يمكن تفسير "الحمل الثقيل على كتفيه" بنزعة الإنسان إلى ارتكاب الذنوب والآثام، كما يرمز الكتاب الذي يقرأه إلى الكتاب المقدس.

وما يميز القصص الرمزية عن الحالات الأخرى للاستعارات الممتدة عبر النص، يكمن في تخصيص السرد كاملا؛ لتطوير المجال الاستعاري الأصلي (كرحلة كريستيان في رواية بونيان)، والذي يمكن أن نعتبره عالمًا نصيًا كاملاً ومستقلاً. ويعرف كريسب (٢٠٠١) القصص الرمزية بأنها: "استعارات لغوية ممتدة تتسم بالأصالة" (صفحة: ٨)، ثم يضيف قائلاً:

> تمنح القصة الرمزية المجال الاستعاري الأصلي الحياة والحيوية بطريقة، تفوق أي شكل من أشكال اللغة الاستعارية. وتكمن إثارتها الخيالية، والمميزة – عند أولئك الذين يرونها مثيرة – في أنها تمنح المجال الاستعاري الأصلي حياته الخيالية، والغريبة، والمتميزة، بدلاً من الدخول المباشر للمجال المستهدف (المجال الذي يرمي إليه المبدع)... ولا شك أن استخدام القصة الرمزية يمنح المجال الأصلي مزيدًا من الحياة، والكثافة الخيالية[1].

(١) انظر كتاب كريسب ٢٠٠١، صفحة ١٠.

ويوضح لنا كريسب أنه في حالة كريستيان في رواية **رحلة السائح**، فإن كلاً من كريستيان، وتجربته، يوجدان حرفيًا في عالم من الخيال (أو بمعنى أدق في عالم أحلام الرواية - داخل عالم من الخيال). ولكن الكيانات والتجارب الموجودة في عالم الخيال، يمكن تصويرها في المجال المستهدف، وأقصد به هذه الحياة الدنيا(١)، وما فيها من خبرات وتجارب البشر.

وتنطوي هذه الصورة الاستعارية على استدلالات، يمهد لها الطريق عدد من العوامل، مثل العديد من الإيماءات الاستعارية **metaphoric hints** داخل النص، وأسماء الأشخاص والأماكن التي وردت في رواية **رحلة السائح**، فضلاً عن وجود بعض الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم، مثل الاستعارة التي تشير إلى أن الحياة عبارة عن رحلة **Life is a journey**، والتي تشكل الأساس لبعض القصص الرمزية، كما هو الحال في رواية **رحلة السائح**، وفي **الكوميديا الإلهية Divina Comedia** لدانتي **Dante**، فضلاً عن معرفة القصص الرمزية في النصوص المختلفة، داخل ثقافة محددة، أو تراث بعينه، كما هو الحال في رواية بونيان، بمعنى: "تراث القصص الرمزية الموجود في المسيحية بصفة عامة.... والحلم الرمزي في رواية **رحلة السائح** بصفة خاصة"(٢).

ولكن يجب أن أنوه إلى أنه في حالة القصص الرمزية، يوجد - بشكل أساسي - امتداد استعاري عبر النص بأكمله، قد يؤدي بالشخص ضيق الأفق، إلى أن يظن أن رواية **رحلة السائح** تتناول حياة مجموعة من الأشخاص في رحلة، وهؤلاء الأشخاص يحملون أسماء غريبة(٣).

---

(١) إذا طبقنا الخطوات التي ذكرتها في الفصل الأول للتعرف على الاستعارة، فسوف نجد أن تعبيرين مثل "أسمال بالية" و"حملاً ثقيلاً" لا يندرجان تحت التعبيرات الاستعارية في هذه الفقرة؛ لأنهما يستخدمان هنا بمعناهما الحرفيين، ولكن قد يُنظر إليهما استعاريًا كجزء من رحلة الوصول للخلاص الموجودة في التراث المسيحي.

(٢) انظر كتاب كريسب ٢٠٠١، صفحة ١٢.

(٣) انظر الدراسة التي قام بها كريسب، ٢٠٠١، صفحة ٧، وأنصح بقراءة البحث الذي نشره كريسب، مستعرضًا فيه التعريفات المختلفة للقصة الرمزية عبر العصور.

دراسة الحالة الأولى: قصيدة "إجابات" لإليزابيث جيننجز

كنت قد ناقشت في النموذج العاشر في هذا الفصل، المقطع الأول من قصيدة "إجابات" لإليزابيث جيننجز، وسوف أتناول في السطور التالية القصيدة كاملة بالنقد والتحليل المفصل.

"إجابات"

احتفظت بإجاباتي الصغيرة بالقرب مني
ووخزت عقلي الأسئلة الكبيرة ولكني
اتخذت إجاباتي الصغيرة وجاءً من الخوف

واحتفظت بالمجردات الكبرى بعيدًا عن النور
والأمور الصغيرة احتويتها بلطف وحبور
وتركت للنجوم أمر الليل بأكمله

ولكن الإجابات الكبرى أبدت العصيان
لتدخل حياتي بجرأة وعنفوان
تصرخ لأقر بها وأعلن الإيمان

وحتى حينما كانت الإجابات الصغيرة وموئلي

تحمي روحي فما زال يرد إلى مسامعي

تلك الإجابات الكبرى تحاول قض مضاجعي

وأصبحت النتائج الكبرى في متناول أصابعي

إليزابيث جينينجز (١٩٢٦-٢٠٠١)، شاعرة إنجليزية معاصرة، عاشت معظم حياتها في أكسفورد. ويرى ليندوب **Lindop** (٢٠٠١) أن هناك عددا من الخصائص تميز شعرها منها: "الأسلوب الشعري التقليدي السليم، والصور الخيالية الصادقة، والفكر المنطقي، فضلاً عن الحساسية العاطفية". وقد ارتبطت إبداعاتها الأولى في خمسينيات القرن الماضي بمجموعة من الشعراء عرفوا باسم الحركة (شعراء الحركة) **The Movements**. وكانوا يهدفون في شعرهم إلى تحقيق الدقة، والوضوح، و"الأناقة"، من خلال استخدام مفردات الحياة اليومية، والشكل الشعري التقليدي[1].

في واقع الأمر فإن قصيدة "إجابات" – نشرت عام ١٩٥٤ – لها بناء محكم يتكون من: أربعة مقاطع، كل مقطع يتكون من ثلاثة أسطر، ومقطع أخير يتكون من سطر واحد. ويظهر الترابط النحوي والفكري، بين المقاطع المختلفة، مما يجعل الفكرة الأساسية للقصيدة تتطور بشكل طبيعي، ومنطقي؛ لتصل بنا الشاعرة إلى جملتها الأخيرة: "وأصبحت النتائج الكبرى في متناول أصابعي". كما أن التنوع في استخدام الأفعال الماضية، والأفعال المضارعة، يدل على استمرارية معاناة الشاعرة؛ بحثًا عن الحقيقة.

---

(١) انظر كتاب كونكوست Conquest، ١٩٦٢.

أما إذا تحدثنا عن المفردات التي استخدمتها الشاعرة، فلسوف نجد أنها استخدمت الكثير من الكلمات التي تشير إلى المجردات: "إجابات"، "الأسئلة"، "المجردات"، و"النتائج"، ومزجتها بمزيد من الكلمات التي لها معان مادية مثل "صغيرة"، و"كبيرة"، و"وخزت"،... إلخ. وحينما أناقش هذه القصيدة مع تلامذتي، أجد اتفاقًا بينهم على أن المفردات التي لها معان مادية، يجب أن تفسر بشكل استعاري، علمًا بأن المرء يحتاج إلى قراءة هذه القصيدة عدة مرات؛ لكي يصل إلى تفسير متكامل لمعانيها.

وكما قلت سابقًا، فأنا أرى أن هذه القصيدة تتحدث عن محاولة الشاعرة التركيز على القضايا التي تستطيع أن تتعامل معها، أو الأسئلة التي تستطيع الإجابة عليها، فضلًا عن تجنب الخوض في القضايا المعقدة، التي لا تزيد الإنسان إلا حيرة على حيرته[1]. ولكن هذا الموقف قد أدى إلى صراع داخلي **inner conflict**، بمعنى أنه إذا كانت الشاعرة قد نجحت في الماضي – وبشق الأنفس – في تجنب القضايا المعقدة، إلا أن هذه القضايا بدأت تطل برأسها، وتنتظر لحظة الانقضاض عليها في المستقبل القريب.

لكن هذا ليس هو التفسير الوحيد للقصيدة. فمثلاً من وجهة النظر الدينية، وأخذًا في الاعتبار أن الشاعرة كاثولكية المذهب، يمكننا أن نفسر الأسئلة الكبرى التي تحدثت عنها القصيدة، بأنها تلك الأسئلة التي تتعلق بالخطيئة، والخلاص، ووجود الله. وعلى نفس المنوال، فإن معرفتنا بأن الشاعرة كانت تعاني من الاكتئاب طيلة حياتها، قد تدفعنا إلى تفسير آخر، مؤداه أن الصراع الداخلي

---

(١) أحاول الفصل قدر الإمكان بين حياة الشاعرة الشخصية، وبين المتحدث في القصيدة.

الذي تعاني منه الشاعرة في القصيدة، ما هو إلا أحد الأعراض، التي عادة ما تصاحب وجود الخلل الذهني[1].

بصفة عامة، يمكننا أن نقول إن القصيدة تتحدث عن تجارب وخبرات عقلية، عبرت عنها الشاعرة في إطار استعاري، من خلال استخدام الموجودات المادية. بل يمكنني القول إن الشاعرة قد استخدمت مجموعة من الاستعارات التقليدية بشكل مبتكر؛ من أجل الوصول إلى وصف ثري لحياتها الذهنية (ووصف تجربة قد تمس الكثير من القراء).

وتشكل المفردات "المادية" المستخدمة في القصيدة سلسلة من المتضادات، التي يمكن ربطها بالأنماط التقليدية للتعبيرات الاستعارية من ناحية، والاستعارات الضمنية المحتملة التي لها علاقة بالمفاهيم. أولا: عبرت الشاعرة عن التناقض بين أنواع الأسئلة والإجابات المختلفة، من خلال سلاسل من الكلمات والتعبيرات التي لها علاقة بالحجم، مثل "الأسئلة الكبيرة" (السطر الثاني)، و"إجاباتي الصغيرة" (السطر الثالث)، و"المجردات الكبرى" (السطر الرابع)، و"الإجابات الكبرى" (السطر السابع والسطر الثاني عشر). والحديث عن الأفكار، والمفاهيم عن طريق الموجودات المادية من الأشياء المتعارف عليها، وقد فسر منظرو الاستعارة المعرفية هذه النزعة، من خلال الاستعارة التي تقول إن الأفكار عبارة عن أشياء **Ideas are objects.**

في واقع الأمر أصبح من المتعارف عليه دلاليًا واستعاريًا، أنه يمكن الحديث عن الأهمية والصعوبة، من خلال الكلمات والتعبيرات التي لها علاقة بالحجم، ويظهر هذا جليًا في تلك التعبيرات التي نستخدمها في حياتنا اليومية، مثل

---

(١) انظر كتاب تشيلدز Childs، ١٩٩٩.

"المشكلات الكبرى"، و"الاحتفال الكبير"، وبعبارة أخرى، درج الناس على وصف القضايا والخبرات المهمة، والصعبة، على أنها أشياء ضخمة، بينما توصف القضايا غير المهمة، والبسيطة بأنها أشياء صغيرة الحجم، وطبقًا لنظرية الاستعارة المعرفية، فإن هذا النمط يشير إلى استعارة عامة تعبر عن مفهوم، وهو أن ما هو مهم يتسم بالضخامة **Important is big**(١).

لكن في قصيدة "إجابات"، نجد أن الشاعرة قد ابتكرت نمطًا سائدًا من المتناقضات بين ما هو صغير، وما هو كبير، وهذا يبدو جليًا من خلال تكرار الصفات: "صغير" و"كبير". وعلى الرغم من أن الجمع بين كلمة "كبير" وكلمة "سؤال" أمر وارد في تراثنا اللغوي، فإن هناك بعض الاستخدامات الاستعارية الأخرى للصفات تندرج تحت ما يمكن أن نسميه بالتركيبات المبتكرة **novel combinations**. فعلى سبيل المثال، تحتوي المدونة البريطانية الوطنية على اثنين وسبعين مثالاً لتعبير "سؤال كبير أو ضخم" **big question**، وخمسة عشر مثالاً لتعبير "أسئلة كبرى أو كبيرة" **big questions**، ولا يوجد مثال واحد لتعبير إجابات (أو إجابة) صغيرة **small answer(s)**، أو لتعبير "المجردات الكبرى" **huge abstractions**، ويوجد مثال واحد لتعبير "النتائج الكبرى" **great conclusions**.

التناقض الثاني الذي ورد في القصيدة، هو ذلك التناقض الذي له علاقة بالمسافة **distance**. ففي البيت الأول من القصيدة، يقول المتحدث فيها إنه احتفظ "بالإجابات الصغيرة بالقرب مني". ولكن في المقطع الثالث، يروي المتحدث أن

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها جريدي عام ١٩٩٧، صفحة ٢٩١، وكتاب لاكوف وجونسون الصادر عام ١٩٩٩، صفحة ٥٠.

"الإجابات الكبرى" تُبدي العصيان لتدخل حياته، وفي نهاية القصيدة، نجده يصف "النتائج الكبرى" بأنها "في متناول أصابعي". وهذه التعبيرات لها علاقة واضحة بالنمط الاستعاري التقليدي؛ الذي يرى أن القرب يرتبط بالمودة والحب (ونجد هذا واضحًا في تعبير مثل "صديق مقرب" **close friend**)، بينما يشير بُعد المسافة إلى قلة الاهتمام، وغياب الارتباط العاطفي (ونجد هذا واضحًا في تعبير مثل ذكرى بعيدة **distant memory**).

طبقًا لنظرية الاستعارة المعرفية، فإن هذا النمط الاستعاري يعد دليلاً على وجود استعارة راسخة في الأذهان تعبر عن مفهوم القرب والبعد، وأقصد بها: الألفة هي القرب **Intimacy is closeness**[(١)]. ويمكننا أن نقول إن استخدام الشاعرة لتعبير "بالقرب مني" يوحي أنها تشعر بالراحة والطمأنينة، حينما تفكر في "الإجابات" التي تصفها بأنها "صغيرة". ولكن فكرة المسافة في القصيدة تمتزج بتناقضات استعارية أخرى؛ مما أدى إلى وجود سيناريو استعاري مفصل.

يمكننا أن نقول إن التضاد بين النور والظلام، يمثل التناقض الاستعاري الثالث. ففي المقطع الثاني من القصيدة، تقول الشاعرة إنها: "احتفظت بالمجردات الكبرى بعيدًا عن النور" (السطر الرابع)، كما أنها: "تركت للنجوم أمر الليل بأكمله" (السطر السادس). وترتبط هذه التعبيرات بالتعبيرات الاستعارية التقليدية، والتي تشير إلى أن الفهم رؤية، وأن التفسير نور، وتظهر هذه المعاني في كثير من التعبيرات التي نستخدمها في حياتنا اليومية مثل: "هل ترى الحقيقة واضحة في هذه المسألة؟"، و"ألقت الأبحاث الأخيرة الضوء على هذا المرض".

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها جريدي عام ١٩٩٧، صفحة ٢٩٣، وكتاب لاكوف وجونسون الصادر عام ١٩٩٩، صفحة ٥٠.

طبقا لنظرية الاستعارة المعرفية، فإن هذه التعبيرات تعد تجسيدًا لاستعارة تقليدية، وهي أن المعرفة هي الرؤية **Knowing is seeing**. وقد تناول جريدي (١٩٩٧) بعض التعبيرات بالتحليل، وأقصد بها تعبيرات مثل: "يجب أن تلقي نظرة فاحصة على هذا الأمر"، ليثبت أن مثل هذه التعبيرات لها علاقة بالصورة المفهومية الأساسية التي تشير إلى أن التفكير هو النظر في الأمور **Considering is looking at**، والذي يعتبره جريدي، نتيجة طبيعية لفكرة أن المعرفة هي الرؤية.

إذا عدنا إلى القصيدة مرة أخرى، فيمكننا أن نعتبر جهود الشاعرة للاحتفاظ "بالمجردات الأخرى بعيدًا عن النور"، في واقع الأمر استخدامًا مبتكرًا لهذه التعبيرات التقليدية، فالشاعرة تتعامل استعاريًا مع المجردات على أنها ماديات، وأنها تبذل مجهودًا لكي تفكر فيها، وهذا بمثابة الاحتفاظ بها في الظلام، حيث تتعذر رؤيتها. وهذا التعبير يتماشى تمامًا – داخل القصيدة – مع التناقض بين ما هو قريب، وما هو بعيد، بمعنى أن الأشياء القريبة منا يسهل علينا فهمها واستيعابها، وهذا ما لا ينطبق على الأشياء البعيدة عنا (والتي يصعب علينا استيعابها).

كما أن تعبير مثل: "تركت للنجوم أمر الليل بأكمله" (السطر السادس) يمكن أن يكون له علاقة بنفس الأنماط المفهومية واللغوية، ولكنه أكثر أصالة وابتكارية. وأنا أرى أن النجوم في هذا البيت ترمز للأشياء التي تفهمها الشاعرة، وتفكر فيها، وهي تشعر بالراحة والطمأنينة (ونقصد بهذا ما أسمته الشاعرة بالإجابات الصغيرة، بينما يرمز الليل لتلك الأشياء التي لا تفهمها، ونقصد بهذا ما أسمته الشاعرة الأسئلة الكبيرة). وحينما تقول الشاعرة إنها "تركت للنجوم أمر الليل بأكمله"، فهي تشير إلى محاولتها للتركيز على ما تعرفه وتعيه، وتجاهلها لما

تجهلـه. ولا شك أن صورة السماء في الليل حيث تنتشر النجوم لتبدد الظلام، هي صورة مرئية تتسم بالثراء، وقوة التأثير أكثر من الصورة التقليدية التي تشير إلى أن "المعرفة هي الرؤية".

يوجد نمط استعاري آخر يتماشى مع تلك الأنماط التي تناولتها، والذي يمكن ملاحظته بسهولة في تكرار بعض الكلمات مثل كلمة "احتفظت"، وفي استخدام كلمة "احتويتها" في السطر الخامس. فالقضايا السهلة الميسرة التي تشعر الشاعرة معها بالراحة حينما تتأملها، تُصور في شكل موجودات يمكن التعامل معها بسهولة، بل والاستمتاع بها. وهذه التعبيرات يمكن أن يكون لها علاقة، بتلك التي ذكرها لاكوف وجونسون (١٩٩٩، صفحة ٢٤٠ و٢٤١)؛ كدليل على تلك الاستعارة، التي تعبر عن مفهوم واضح وهو أن التفكير هو التأثير في الأشياء والسيطرة عليها **Thinking is object manipulation**، ويظهر هذا في بعض التعبيرات الشائعة مثل: "يحكم قبضته على فكرة"، أو "يتلاعب بفكرة".

عودة إلى القصيدة، فإن التركيب الاستعاري للتفكير يشكل سيناريو مترابطًا، ومتناغمًا مع الأنماط الاستعارية، التي لها علاقة بالحجم أو المسافة أو النور، فالأشياء الصغيرة يمكن التحكم فيها بسهولة، ويستطيع الإنسان أن يحتفظ بها بالقرب منه. وإذا أراد الإنسان أن يتحكم في شيء، فإنه يجب عليه أن يراه أولاً. وتجتمع كل هذه التناقضات الاستعارية المختلفة؛ لتصور لنا المجهود الذهني الذي تبذله الشاعرة؛ من أجل أن تركز أفكارها على القضايا، التي تستطيع أن تتعامل معها.

على الرغم من ذلك، فإن الموقف الذي تصوره لنا القصيدة ليس موقفًا جامدًا هامدًا؛ لأن محاولة الشاعرة للوصول إلى حالة من التوازن الذهني تتعرض للتهديد الدائم؛ لأنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من التفكير في الأسئلة والإجابات الكبرى، والتي تُصور لنا على أنها تُبدي العصيان وتصرخ في وجه الشاعرة،

وكأنها في نزال معها. وهذان النمطان الاستعاريان يتماشيان تماما مع تلك الأنماط التي ذكرتها آنفا.

فالشاعرة تصف الإجابات الصغيرة بأنها موجودات مادية، يمكنها أن تحتفظ بها بالقرب منها، بينما تحاول أن تبعد الأسئلة الكبيرة بمنأى عنها. ولكن الإجابات الكبرى - كما تُصور لنا- تحاول أن تجذب انتباهها بالصراخ، وهي تحاول أن تقترب من الشاعرة؛ لتدخل حياتها، وتنال منها (من الشاعرة) الإقرار والإيمان بها. وهذا قد أدى بدوره إلى وجود "معركة استعارية **metaphorical battle**"، تدور رحاها في كل أبيات القصيدة. ويبدو هذا جليًا في المقطع الأول، حينما تقول الشاعرة: "ووخزت عقلي الأسئلة الكبيرة"، ولكنها "اتخذت إجاباتي الصغيرة وجاءً من الخوف" (المقطع الأول)، وتتطور المعركة الاستعارية في المقطع الرابع حينما تتخذ الشاعرة "الإجابات الصغيرة موئلي"؛ "لتحمي روحي".

ففي داخل هذه الصورة الاستعارية، تقدم لنا الشاعرة العقل على أنه جسد يمكن وخزه، وعلى أنه مكان يجب الدفاع عنه ضد غزو (الأسئلة الكبيرة). ولكن هناك إقرارًا بأن الأسئلة الكبيرة مقدر لها الفوز بالمعركة؛ نظرًا لعظم حجمها. ففي المقطعين الأول والرابع، تصور لنا الشاعرة الإجابات الصغيرة، على أنها تحاول حماية المتحدث في القصيدة (الشاعرة)، بأن تكون لها وجاءً وموئلاً، ولكن صغر حجمها، لا يمكن أن يمنع الأسئلة الكبيرة من أن تشن هجومها المزمع.

لا شك أنه توجد علاقة، بين وصف حياة الشاعرة الذهنية في شكل صراع جسدي، وبين النزعة العامة بين الناس لوصف المواقف الصعبة في شكل حروب، ومعارك، ونزالات، ووصف الصعوبات في شكل الأعداء والخصوم، ووصف الآثار السلبية، والعواقب الوخيمة في شكل جروح جسدية.

أوضحت في الفصل الأول، كيف أن الحرب تعد مجالاً للمصدر source domain له نطاق استعاري واسع المدى. فتعبير مثل: "ووخزت عقلي الأسئلة الكبيرة" يمكن تفسيره في إطار استعارتين لهما علاقة بالمفاهيم وهما: أن العقل ما هو إلا جسد The mind is a body[1]، وأن الإيذاء هو جرح جسدي Harm is physical injury (مثل قولنا لقد جرح هذا الخبر مشاعري، وترك خلفه جرحًا غائرًا)[2].

في المقابل، فإن بعض التعبيرات مثل: "وجاء"، و"مونلي" يمكن تفسيرها في إطار الاستعارة التي تشير إلى أن الصعوبات عبارة عن خصوم Difficulties are opponents (مثل قولنا: حاول فلان أن يتخطى مشاكله، ولكنها صرعته في النهاية)، ولكن في هذه القصيدة، تجتمع هذه الاستعارات مع استعارات أخرى؛ لتنقل لنا تجربة شديدة الخصوصية والتحديد داخل عقل الشاعرة. فما تصفه الشاعرة "بالإجابات الصغيرة"، و"الأسئلة الكبيرة"، ما هي إلا أفكار دارت بخلدها، بعضها يمنحها الاطمئنان والسكينة، والبعض الآخر ينغص عليها صفو حياتها، والشيء الممتع والمشوق في الأمر كله أن الشاعرة تنحاز للإجابات الصغيرة، في وجه الأسئلة الكبيرة، التي تبدو كغريم، أو خصم يحاول النيل منها. وهذا أدى بدوره إلى انقسام استعاري ضمني implicit metaphorical splitting لنفس الشاعرة، والقسم الثاني (من نفس الشاعرة) لا يستطيع تجاهل وجود الأسئلة الكبيرة[3]. وهذا الصراع الذهني الداخلي يؤيد تلك الآراء التي تذهب إلى أن الشاعرة تعاني من الاكتئاب والاضطراب النفسي.

---

(١) انظر كتاب لاكوف وجونسون، ١٩٩٩، الصفحات من ٢٣٥ حتى ٢٤٣.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها جريدي في ١٩٩٧، صفحة ٢٩٥.

(٣) انظر الدراسة التي قام بها لاكوف ١٩٩٦، والدراسة التي قام بها إيموت Emmott ٢٠٠٢ لمزيد من التحليل لظاهرة الاستعارة التي تعبر عن انقسام النفس.

بصفة عامة، فإن الشاعرة تقدم لنا في هذه القصيدة تجارب وخبرات ذهنية، من خلال الاستخدام المبتكر لمجموعة من الأساليب الاستعارية التقليدية من أجل صياغة أفكارنا ومشاعرنا. وإذا استخدمنا نفس التعبيرات التي استخدمها لاكوف وتيرنر (١٩٨٩)، يمكننا القول إن الشاعرة جمعت بين مجموعة مختلفة – ولكن متناغمة – من الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم، في شكل سيناريو واضح ومتماسك، يضم كيانات وعمليات جسدية.

فمن وجهة النظر اللغوية، فقد استخدمت الشاعرة مجموعة من التعبيرات الاستعارية التقليدية والمبتكرة (مثل "الأسئلة الكبيرة"، و"تركت للنجوم أمر الليل كله")، واستخدمت التكرار البلاغي، والامتداد النصي **textual extension**؛ لتطوير كلا النوعين من التعبيرات، للوصول لنسيج موحد يضم كليهما. ومن وجهة نظري الشخصية، فإن هذا الجمع بين التعبيرات التقليدية والمبتكرة، قد أدى إلى وجود صورة واضحة وقوية، لحالة من الصراع الداخلي والشك والقلق، والإحساس بعدم الأمان، وهذا ما يمر به كل البشر في مراحل مختلفة من حياتهم، وإن تفاوتت الدرجات، وتباينت الصور.

وقد ساعدت الاستعارات التي استخدمتها الشاعرة، في التعبير عن بعض العمليات العقلية الذاتية، وغير المرئية، من خلال استخدام صور مادية وحسية، فضلاً عن نقل المشاعر المختلفة التي واكبت وصاحبت المحنة التي مرت بها الشاعرة. فقد ذُكر الخوف في القصيدة، ولكن العنصر المؤثر في تجربة الشاعرة، قد نقل للقارئ عن طريق الأنماط الاستعارية التي ذكرتها، والتي تصور لنا الشاعرة، على أنها تعاني من حصار ضرب حولها، لا تستطيع منه فكاكًا. وتوحي الأبيات الأربع الأخيرة أن الإجابات الصغيرة، لن تنجح في إغلاق الطريق أمام تقدم الإجابات الكبرى. وفي البيت الأخير تحس الشاعرة بمقدم النتائج الكبرى، التي أصبحت "في متناول أصابعي"؛ وهذا يوحي بالنهاية المحتومة، ودنو الأجل.

دراسة الحالة الثانية: تناقضات الاستعارة والشخصيات في رواية جوان هاريس شوكولا

كنت قد ذكرت سابقًا، أن الروائيين يستطيعون استخدام الأنماط الاستعارية المتميزة والمنتظمة، من أجل التعبيرعن وجهة نظر إحدى الشخصيات، أو طريقة تفكيرها. فعلى سبيل المثال، تتميز طريقة سرد برومدين في رواية **طار فوق عش المجانين** باستخدام الاستعارات التي لها علاقة بالآلات **machine metaphors**[(١)]. كما يتميز الأسلوب السردي الذي يستخدمه كليج **Clegg** في رواية فاولز **Fowles** الشهيرة **جامع الفراشات The Collector**، باستخدام عدد من الاستعارات لها علاقة بالفراشات **butterfly metaphors** (انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو في ٢٠٠٢). ويظهر هذا التميز الاستعاري في القصة التي كتبتها فيرجينيا وولف تحت عنوان **لابين ولابينوفا Lappin and Lapinova** حيث تستخدم بطلة القصة، وتدعى روزاليند **Rosalind**، عددًا من الاستعارات تتضمن ذكرًا للأرانب **rabbit metaphors**؛ لتعبر عن وجهة نظرها شديدة الخصوصية في هذه الدنيا[(٢)].

يمكننا تفسير سيطرة نوع معين من الاستعارات على الحياة الذهنية في ذلك العالم الخيالي الذي يبتكره المبدع من خلال مصدرين من التنوع الفردي للاستخدام الاستعاري ذكرهما فيكسيس في كتابيه، اللذين صدرا عامي ٢٠٠٢ و٢٠٠٥،

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها سيمينو وسوينتلهرست في ١٩٩٦.

(٢) انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو في ٢٠٠٦.

وهما الاهتمامات الإنسانية (مثل هواياته أو وظيفته التي يعمل بها)، وتاريخه الشخصي بمعنى تلك التجارب التي مر بها الشخص نفسه. فمثلاً يمكن أن يُعزى طغيان ذكر الآلات في كلام برومدين في رواية **طار فوق عش المجانين** إلى أمرين: أن برومدين قد تدرب وعمل ككهربائي (اهتمامات إنسانية)، كما أنه عانى من انهيار عصبي، في إحدى الغارات الجوية، أثناء الحرب العالمية الثانية (تاريخ شخصي). وعلى نفس المنوال، فقد كان كليج من المتخصصين في علم الحشرات (اهتمامات إنسانية)، كما أن روزاليند كانت تمتلك أرنبًا أليفًا (تاريخ شخصي).

في بعض الحالات، توجد أبعاد أخرى للتنوع في الاستخدام الاستعاري، كأن يكون هناك علاقة بين هذا التنوع (المقصود)، والرسالة التي يريد الروائي أن ينقلها للقارئ. وكما ذكرت من قبل، يمكننا القول إن كيسي يقدم لنا برومدين كمثال لذلك الفرد الذي ناله ما ناله جرَّاء بعض جوانب الثقافة الأمريكية في زمانه. وهذا ما يطلق عليه كوفيكسيس الأبعاد الثقافية والتاريخية والإقليمية للتنوع في الاستخدام الاستعاري[1].

علاوة على ذلك يمكننا أن نلاحظ في الأمثلة الثلاثة التي ذكرتها، اعتماد هذه الشخصية بطريقة أو بأخرى، وبشكل مبالغ فيه، على استعارات بعينها. ومن ثم، فإن استخدامها لهذه الاستعارات قد يفسره البعض على أنه عرض لنوع معين من المرض النفسي. فمثلاً سيطرة فكرة الآلات على عقل برومدين يوحي بأنه يعاني من البارانويا، بينما يوصف كليج على أنه شخص سيكوباتي (يعاني من اضطراب عقلي - نفسي) **psychopath**، وخاصة أنه يقوم باختطاف فتاة شابة، أثناء قيامه بجمع الفراشات. أما فيما يتعلق بشخصية روزاليند، فيمكننا أن نقول إنها تعاني من

---

(١) انظر كتابه الصادر في عام ٢٠٠٥، الصفحات من ١١١ حتى ١١٣.

الاكتئاب، الذي يجعلها تعيش في سيناريو خيالي، ترمز فيه هي للأرنب البري **hare**، وزوجها للأرنب المسيطر **king rabbit**.

حاولتُ في تلك النماذج التي ذكرتها، توضيح كيف تُستخدم الأنماط الاستعارية في الأدب؛ لإلقاء الضوء على التناقضات بين الشخصيات، سواءً كانت هذه التناقضات في تكوينهم النفسي، أو وجهات نظرهم، أو عاداتهم المعرفية **cognitive habits**. وهذا يوضح أيضًا أن الاستخدام الخاص والمتفرد لاستعارات بعينها، لا يؤدي بالضرورة إلى القول بأن الشخصيات نفسها هي السبب في إصابتها بالمرض النفسي، أو معاناتها من مشاكل معرفية.

كما يمكنني القول إن الأعمال الأدبية التي ذكرتها حتى الآن، تتضمن عنصر التناقض في استخدام الاستعارة من جانب شخصيات مختلفة. ففي رواية **طار فوق عش المجانين**، نجد أن الاستعارات الخاصة ببرومدين والتي تتضمن ذكرًا للآلات والمعدات، تتناقض مع تلك الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحيوان، والتي يستخدمها ماكمرفي **McMurphy**، وهو أحد الشخصيات التي يرتبط وصولها إلى المستشفى بإحداث نوع من التغيير، يصبح لب الرواية ومحورها. أما في رواية **جامع الفراشات**، فنجد أن بطلة الرواية وتدعى ميراندا **Miranda** على وعي تام، أن كليج يعاملها كفراشة، ولذلك تستخدم استعارات لها علاقة بالفراشات، ولكن بطريقة تختلف تمامًا عن طريقة كليج. أما في رواية **لابين ولابينوفا**، فإن إرنست **Ernest**، زوج روزاليند، له دور في تطور السيناريو الاستعاري الذي يتضمن ذكرًا للأرانب، ولكنه دور يتناقض تمامًا مع ذلك الدور الذي تقوم به زوجته، كما أن إرنست يفقد الاهتمام تدريجيًا باستخدام هذا النوع من الاستعارات.

لكن في بعض الروايات الأخرى، تُستخدم بعض الأنماط الاستعارية بشكل أكثر انتظامًا؛ لرسم الشخصيات، وتمييزها عن تلك التي تتناقض معها. وهذا ينطبق

على سبيل المثال على رواية أوقات عصيبة **Hard Times**، التي كتبهـا تـشارلز ديكنز **Charles Dickens**، حيث يستخدم الكاتب مجموعة مميـزة ومتفـردة مـن الأنماط الاستعارية؛ لإلقاء الضوء على إيديولوجيات محـددة، أو أنمـاط بـشرية بعينها. فمثلاً نجد شخصية مثل شخصية باوندربي **Bounderby**، تـسكنها فكـرة الطبقات الاجتماعية؛ لذلك نجده طيلة الوقت يشير إلى فكـرة الـسلّم الاجتمـاعي **social ladder**، وأنه يرتقي هذا السلم. كما أن مديرة منزلـه الـسيدة سبارسـيت **Sparsit** تتخيل وجود درج عملاق الحجم، في قاعه هوة سحيقة، ما لهـا مـن قـرار، وأنها تستمتع حينما تشاهد لويزا **Louisa**، وهي تتجرف لهذه الهوة كلما توالت الأحداث.

وعلى النقيض من هذا، يشعر ستيفن **Stephen** – إحدى شخوص الرواية – بالاستسلام والعجز، ولذلك دائمًا ما يصف الأشياء والأحداث بالفوضى، بينما نجـد قوة خيال لويزا (على الرغم من نشأتها الصارمة المبنيـة علـى النظـر للأمـور بواقعية) واضحة وجلية، حينما ترى النار الموقدة في بيتها، كاستعارة تـشير إلـى قصر هذه الحياة الدنيا وتفاهتها.

أما الآن فأنتقل للحديث عن الاسـتخدام الاسـتعاري لرسـم الشخـصيات المتناقضة في رواية حديثـة، وأقـصد بهـا روايـة **الـشوكولا**، التـي كتبتهـا جوان هاريـس[(١)].

---

(١) انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو عام ٢٠٠٦.

الاستعارات المتناقضة التي تميز الأسلوب السردي لشخصية فيان Vianne، وشخصية رينود Reynaud

تعد هاريس إحدى الروائيات المعاصرات، وهي تنحدر من أصول إنجليزية وفرنسية مشتركة. وتدور أحداث رواياتها عادة في الريف الفرنسي، وتتسم بذكر ألوان الطعام، وممارسة السحر، كعناصر مميزة للحياة في هذه الأصقاع. وهذا بالضبط ما يحدث في رواية **الشوكولا**، التي صدرت في عام ١٩٩٩، وتحولت لفيلم سينمائي ناجح في عام ٢٠٠٠.

تبدأ أحداث الرواية في أحد أيام ثلاثاء المرافع (الثلاثاء السابق لأربعاء الرماد)، حينما تصل فيان روشير **Vianne Rocher**، وابنتها أنوك **Anouk**، وهي طفلة في السادسة من عمرها إلى قرية صغيرة (خيالية) في الريف الفرنسي، وحيث يعمل رينود كاهنا للأبريشية. وتتولى فيان مسئولية المخبز القديم الموجود في القرية، وفي خلال أيام تفتتح حانوتا لبيع الشيكولاتة، وتصف لنا الكاتبة المنتجات بطريقة تثير لعاب القارئ، ويعارض رينود – الذي يصوم الصوم الكبير **Lent** – افتتاح هذا الحانوت في فترة الصوم الكبير، وينتقد حياة فيان التي تبدو أبعد ما يكون عن الصراط المستقيم؛ فهي امرأة عزباء ترتدي ملابس فاقع لونها، كما أنها ليست ممن يرتادون الكنيسة.

وعلى الرغم من الاستنكار والرفض الذي عبر عنه رينود من فوق منبره، فإن حانوت بيع الشيكولاتة أصبح محط اهتمام القرية، وأصبح لفيان نفوذها الواسع، الذي طال الكثير من أبناء القرية. وهذا النفوذ، وتلك السيطرة، يعودان في جانب

كبير منهما، إلى كيد الساحر، الذي ورثته فيان عن أمها، والذي لا تستخدمه فيان إلا لهدف واحد؛ وهو معرفة نوع الشيكولاتة المفضل لكل شخص في القرية؛ وهذا ما يجعلها تسيطر على العقول، والقلوب، والموائد.

وفي هذه الرواية يتبادل كل من رينود وفيان دور الراوية الذي يتحدث بصيغة المتكلم **first-person narrator**. ومن ثم نتعرض – نحن القراء – لنسختين أو شكلين مختلفين لنفس الأحداث، كما نقترب من الشخصيتين المختلفتين للراوية، وطريقتين مختلفتين في التفكير، فضلاً عن وجهتي نظر مختلفتين في تصاريف الحياة.

ففيان تحيا حياة ملؤها الحرية، والانفتاح على الآخرين، وتملأ السعادة قلبها بما تجد في الطبيعة من تنوع وثراء بصفة عامة، وما يتعلق بأطايب الطعام بصفة خاصة، كما تصادق مجموعة من المسافرين، الذين ترسو سفينتهم بالقرب من القرية. كما يسيطر حب ابنتها على جوانحها، ويسيطر عليها أيضا الخوف أن تفقدها. فهي ترفض أن تنغمس في الممارسات السحرية التي تعلمتها على يد أمها؛ لأن هذا يباعد بينها وبين ابنتها من ناحية، وبين أبناء القرية من ناحية أخرى. وعلى الرغم من ذلك يطلق عليها أحد أصدقائها من أبناء القرية لقب "الساحرة" **witch**.

وعلى الجانب الآخر، فإن رينود – الذي يقتات بطموحات المجد والشهادة – يبدي احتقارا شديدًا لأبناء أبرشيته **parishoners**، ويسعى دائمًا إما لهداية – أو معارضة – كل من لا يقبل الصورة الصارمة والمتطرفة للكاثولكية التي يمثلها. وتوحي طريقته في السرد أنه يشارك فيان غرامها بأطايب الطعام (من حيث شكلها، ورائحتها، وقوامها)، ولكنه يرى أنه يجب عليه أن يقاوم هذا الإغواء، وأن يحرم نفسه من المتع الحسية. فهو لا يتراجع عن منع إقامة مهرجان

الشيكولاتة Chocolate Festival، التي كانت فيان تخطط لإقامته، يوم أحد الفصح Easter Sunday. كما أنه يحاول بشتى الطرق طرد المسافرين الذين صادقتهم فيان من القرية. ولا غرابة أن تلعب الشيكولاتة دورًا محوريًا في سقوط رينود في نهاية الرواية. فكلاهما (فيان ورينود) يرى الآخر عدوًا لدودًا له، ولكن في نهاية الرواية يبدو أن فيان هي المنتصرة في ذلك الصراع الذي تأجج بينهما.

وتقدم لنا هاريس التناقضات والتفاعلات بين فيان ورينود، والتي تمثل قلب الرواية وروحها، من خلال استخدام مجموعة من الأنماط الاستعارية المختلفة، التي تميز طريقة السرد التي يستخدمها كلاهما.

الاستعارات التي تستخدمها فيان:

تتسم طريقة فيان في السرد بأنها تعتمد على الكثير من التأملات، التي تدور حول طفولتها وشبابها، اللذين قضتهما في الترحال مع أمها من مكان إلى آخر. وعلى الرغم من أن هذه السفرات كانت سفرات حقيقية، فإنها لا تخلو من المغزى الاستعاري metaphorical significance، وهذا يبدو جليًا في وصف فيان لهذه السفرات بأنها "رحلة هروب طويلة في هذا العالم"، وتشير إلى أنها فهمت في نهاية الأمر، أنه كان فرارًا وهروبًا من الموت.

وهذا يعني أن الترحال الدائم، الذي كانت تصحب فيه أمها يُفسَّر استعاريًا على أنه محاولة الفرار من الموت، الذي يصور للقارئ على أنه رجل أسود Black Man، ويتجسد في العديد من الشخصيات، التي تطاردها هي وأمها، وتحاول التفرقة بينهما.

بعد وفاة أمها بتسعة أشهر، ترزق فيان بابنتها أنوك، وهذا الحدث يجعلها تتساءل عما إذا كانت تريد لابنتها أن تحيا نفس الحياة التي عاشتها، أم لا. وبوصول فيان وابنتها إلى قرية لانسكوين **Lansquenet**، يكون قد مضى على وجودهما في فرنسا خمس سنوات كاملة، ويصبح لديها تجاربها، وحسابها البنكي الخاص.

وحينما تصل فيان إلى القرية، سرعان ما يثبت في يقينها أن رينود هو الرجل الأسود؛ وهذا يجعلها تستعيد الخوف القديم من الموت، والخوف الأشد وطأة وهو خوفها أن تفقد ابنتها. ولكن في هذه المرة، تتخذ فيان قرارًا مختلفًا، وهو أنها لن تفر، ولن تهرب. وهنا يجب أن ألفت النظر إلى أن الهروب هنا له تفسير حرفي، ونقصد به الابتعاد الحركي، ولكنه على المستوى الاستعاري يشير إلى تجنب العلاقات، والمسؤليات، والأخطار التي تنشأ من انضمام المرء إلى جماعة اجتماعية، أو مجتمع بعينه.

ولكي تتغلب على الرجل الأسود، ترى فيان أنه يتوجب عليها البقاء في القرية، وتدبر أمرها، دون أن تستسلم لتلك المخاوف، والتي يسببها لها أولئك الناس الذين يعارضون أسلوب حياتها، أو طريقة تربيتها لابنتها. وفي نهاية الرواية، يترك رينود القرية، وهذا إشارة إلى انتصار فيان عليه، بل تشعر فيان أنها كسرت تلك القيود التي أدمت معصمها، والتي فرضها عليها الموت، والخوف من فقدان ابنتها. ولكن على الرغم من ذلك، تشير فيان في نهاية سردها، أن هناك ثمة رابطة بينها وبين رينود؛ مما يوحي بقرب ترحال جديد.

ومن ثَم، يمكننا القول إن الطريقة التي تسرد بها فيان قصتها تشير إلى الاستعارة المألوفة، والتي تشير إلى أن الحياة عبارة عن رحلة **Life is a journey**. وفي حالة فيان فإن السفر له مستويان: مستوى حرفي، وآخر استعاري، ولا يمثل

الموت محطة النهاية في هذا السفر، ولكنه العامل المحفز الذي يحض على الرحلة نفسها. أما تشخيص الموت وتجسيده في صورة خصم أو عدو، فهي ليست فكرة جديدة بالطبع، كما أن الربط بين الموت والظلام (ويبدو هذا جليًا في ذكر الرجل الأسود) هي فكرة شديدة التقليدية[1]. ولكن الجديد يكمن في وصف فيان للحياة على أنها هروب دائم من الموت، وهذا الوضع يجمع بشكل مبتكر بين عدد من الاستعارات التقليدية، ولكنه يفصل بينها بشكل بديع، يشكل جزءًا لا يتجزأ من تجربة فيان في هذه الحياة الدنيا.

وقد استقت فيان هذا الفهم الشديد الخصوصية للحياة من أمها، وتصور لنا الرواية محاولة فيان أن تطور فهمًا خاصًا بها، وبابنتها. فحتى في بداية حياتهما يطغى اهتمام فيان بالطعام والطبخ على وصفها للحياة، بأنها ترحال وسفر طويل، بل ويعطيها القدرة على تطوير وجهة نظرها في الحياة، والتي تبدو مختلفة عن وجهة نظر أمها.

النموذج السابع والعشرون:

> عادة ما كانت تقابل أمي اهتمامي بالطعام بالاحتقار والازدراء، فالطعام بالنسبة لها ليس متعة، ولكنه إحدى ضروريات الحياة التي يجب أن يشغل المرء نفسه بها، بل وضريبة ندفعها لثمن الحياة التي نحياها. وكنتُ كثيرًا ما أسرق قوائم الطعام من المطاعم، وأنشغل بقراءة ذلك الجزء المخصص للحلويات والمعجنات. وكنت في العاشرة، أو أكثر قليلاً حينما تذوقت الشيكولاتة لأول مرة، واستمر الهوس بها إلى يومنا هذا.

---

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر، ١٩٨٩، صفحتي ١٦ و ٨٩.

وأصبحت أحتفظ بوصفات عمل الشيكولاتة في رأسي كخرائط؛ كل أنواع الوصفات، تلك التي قطعتها من أحد المجلات القديمة في إحدى محطات القطار، أو تلك المجلات التي يلقيها الناس في الشارع، ووصفات من اختراعي أنا الشخصي. وكان عشق أمي لأوراق اللعب، والسحر، هما اللذان جعلانا نجوب أوربا من شرقها إلى غربها، بينما وصفات الأكل هي التي جعلتني أحط الرحال.

النموذج الثامن والعشرون:

فوصفات الأكل هي التي كانت تعطي معنىً لذلك الترحال الذي لا ينتهي. فهذه القصاصات اللامعة (التي تحتوي على وصفات الأكل)، التي تبرز من بين الصفحات القذرة، كانت كمعالم الهداية على طريق وعر.

ولا شك أن شغف فيان بالطعام قد أكسب وصفات الأكل مغزىً استعاريًا لتجربتها، وطريقة رؤيتها لهذه الدنيا كرحلة دائمة، لا يبدو لها نهاية. نتيجة ارتباط هذه الوصفات بأماكن بعينها، فهي تعد بمثابة "الخرائط"، و"المعالم" لها ولأمها في طريق رحلتهما الوعر. وبعبارة أخرى، تعبر فيان عن حاجتها للاستمرارية والبقاء، من خلال إضفاء مغزى استعاري على وصفات الأكل، يتعلق بالاستقرار في تجربتها الحياتية، التي تُقدم للقارئ حرفيًا واستعاريا كرحلة تقوم بها. وعلى الرغم من هذا التباين بين الأم وابنتها، فإن فيان تجد نوعًا من الاستمرارية في ذلك النوع من الشغف الذي يجمع بينها وبين أمها، وهذا يحدث عن طريق وصف إعداد الطعام (وخاصة إعداد الشيكولاتة)، بأنه نوع من السحر **A kind of magic**.

وعلاوة على ذلك، تتضمن طريقة فيان في السرد الكثير من التشبيهات، والاستعارات التقليدية والمبتكرة، والتي يمثل فيها مجال الطعام وتذوقه المجال الأصلي أو المصدر. فعلى سبيل المثال، يوصف شعر ابنتها بأنه يشبه "كرة من خيوط حلوى غزل البنات تلعب به الريح"، ويوصف وجه صديقتها أرماندي Armande بأنه "تفاحي الشكل واللون ينم عن ألمعية وفطنة"، وتوصف وجوه أهل القرية، الذين ينزلون إلى الشارع لمشاهدة المهرجان بأنها تشبه "تفاح الصيف الماضي، وعيونهم اللامعة على الوجوه التي ملأتها التجاعيد، تشبه حبات المرمر على قطعة قديمة من العجين".

وبصفة عامة، تجد فيان سعادتها في كل ما له لون وطعم، ويتملكها شغف كامل بالطبيعة في حالتها الأصلية البكر، قبل أن تمتد لها يد الإنسان. ففي وصفها الأول للحقول الموجودة في القرية وما حولها، يلفت انتباهها تلك الحدود الفاصلة والصارمة بين الحقول، ولكنها تعلق بأنها تفضل تلك الحقول التي تنمو فيها المزروعات ربانيا، ودون تدخل من الإنسان:

النموذج التاسع والعشرون:

> **فالألوان لم تترك حتى بيت آل مارود المهجور، ولكن الأمر مختلف هنا، فالحدائق التي كانت رمزًا للنظام، تحولت إلى نباتات هائمة في كل مكان على نحو غريب، فنبات البلسان يخرج من شرفة المترل ليطل على بركة الماء، بينما انتشر نبات الطرخشقون البري في كل مكان في سقف المترل، بينما تظهر زهور البنفسج في واجهة المترل المتهدمة. فالنباتات التي شذبت في يوم من الأيام، عادت إلى حالتها البرية البدائية، ونبات إبرة الراعي بساقه الطويلة الهشة يشق طريقه بين نبات الشوكران،**

والإزهرار الخيمي. ونبات الخشخاش ينتشر بعـــشوائية، وقـــد تحول لونه من الأحمر/ إلى البرتقالي، وصولاً إلى أبهت درجـــات اللون البنفسجي. وهذه النباتات تحتاج إلى ضوء الشمس لعدة أيام؛ لكي تصحو من سباتها العميق، كما أن سقوط المطر يجعلها ترفع رأسها نحو النور. فإذا ما أخذت حزمة من هذه الأعشاب المفترضة فلسوف تجد المريمية، والسوسن، والقرنفل والخزامـــى تحت نباتات الحماض، وزهرة الشيخ.

هنا تُشخص الزهور والنباتات بشكل دائم، كما تُطرح الأسئلة حـــول الآراء التقليدية في حالة الأنواع المختلفة من النباتات، ويظهر هذا جليًا في عبـــارة "هـــذه الأعشاب المفترضة". ولا يوجد هنا ما يدعو إلى الدهشة، حينما لا تـــستخدم فيـــان التعبيرات الاستعارية التقليدية التي لها علاقة بالأعشاب والحشائش، والتي تزخـــر بالتقييم السلبي لها (كأن نقول اقتلعنا الفاسدين من جذورهم). فعلى العكس من ذلك، حينما توظف الأعشاب كمفاهيم أصلية استعارية في تلك الحكايات التـــي ترويهـــا فيان، فإنها تكتسب إيحاءات ومعاني إيجابية. ففي المثال التالي، نجد بـــذور نبـــات الطرخشقون البري توحي بمعاني الحرية، وعدم التوقع، والجمـــال، التـــي يمثلهـــا مجموعة من الأطفال أثناء خروجهم من حانوت الشيكولاتة:

النموذج الثلاثون:

أعطيت الأطفال قطع الشيكولاتة، وشـــاهدتهم وهـــم ينتشرون في الميدان كبذور الطرخشقون البري في مهب الريح.

بصفة عامة، يمكنني القول إن الأمثلة، والأنماط الاستعارية، التي ألقيـــت عليها الضوء تؤكد أن طريقة السرد التي تستخدمها فيان تحتوي على اســـتخدامات

وسلاسل مبتكرة ومميزة من الاستعارات اللغوية. وهو ما يمكن أن نفسره طبقا لنظرية كوفيكسيس فيما يتعلق بالتاريخ الشخصي (وهذا يتمثل في تجربة فيان في الترحال الدائم، فضلاً عن السحر الذي كانت تمارسه أمها) والاهتمامات الإنسانية (ممثلة في شغفها بالطعام والنباتات).

في الجزء الثاني نحاول تطبيق بعض المعايير على طريقة سرد رينود، لبيان كيف تستخدم المؤلفة فكرة الأعشاب بصفة خاصة لتأكيد الاختلافات بين الشخصيتين.

الاستعارات التي يستخدمها رينود

يكرر رينود في أكثر من موضع كراهيته الشديدة للحيوانات، وبني البشر، بما فيهم أبناء أبرشيته. فعلى سبيل المثال، يذكر لنا رغبته في أن يضع السم للحمام الذي يطير حول الكنيسة، بنفس الطريقة التي يضع بها السم للجرذان التي تتسلل إلى الموهف (غرفة المقدسات، وملابس الكهنة في الكنيسة)، ويتساءل عما إذا كان هذا يعد خطيئة في حق سميه (شخص آخر يسمى باسم نفس الشخص) القديس فرانسيس. كما أنه ينظر إلى حياة أبناء أبرشيته على أنها حياة تافهة، لا قيمة لها، وعادة ما يعبر عن تبرمه من حقارة المشكلات والهنات التي يعترفون بها، عندما يجلسون على كرسي الاعتراف.

ويعبر رينود عن هذه الأفكار والمواقف من خلال الاستخدام المتفرد للاستعارة التقليدية، التي يصف بها أبناء أبرشيته بأنهم كالقطيع **flock**. وإذا عدنا للإنجيل، وتعاليم الكنيسة الكاثولكية، فسوف نجد أن البشر عادة ما يوصفون استعاريًا بأنهم قطيع، ولكن هذا الوصف يؤكد على وداعة بني البشر، ورهافة

حسهم. ومن ثم نجد أن الكاهن عادة ما يلعب دور الراعي، الذي يعتني بغنمه بكل حب ومودة.

ونتيجة لوجهة نظر رينود الثابتة والراسخة في الناس والحيوانات، نجده يواجه صعوبات جمة في التعامل مع النسخة التقليدية من هذه الاستعارة. وفي المثال التالي، نجده يتساءل عن هذه القضية[1]، وجاء هذا التساؤل بعد أن صب جام غضبه على بعض أبناء أبرشيته:

النموذج الواحد والثلاثون:

> **الغنم ليست حيوانات لطيفة طيعة، كما تروي القصائد الرعوية. وهذا ما يمكن أن يقوله لك أي قروي. فهي حيوانات خبيثة، لئيمة، وغبية بالفطرة. وكثيرًا ما يواجه الراعي الهين اللين صعوبات جمة في التحكم في القطيع، الذي عادة ما يبدي عنادًا، وتحديًا. وهذا اللين ليس من شيمي، ولا أقدر عليه.**

ونلاحظ هنا أن رينود يستبدل صورة الغنم الإيجابية التي ترد في القصائد الرعوية، بصورة واقعية شديدة السلبية، كما أنه لا ينسى أن يعزو هذه الصورة لأي قروي. وداخل هذه الصورة السلبية، نجده يشخص الغنم عن طريق استخدام بعض الصفات، التي يعتقد في قرارة نفسه أنها تنطبق على أبناء أبرشيته مثل: "خبيث"، و"غبي". ثم يستمر في تبرير سلوكه المتصلب مع أهل القرية، من خلال تبنيه لصورة الراعي الذي يحاول أن يرعى القطيع "الذي عادة ما يبدي عنادًا وتحديًا" إذا عومل باللين والمرونة، وبُسط له جناح الرحمة.

---

(١) انظر كتاب لاكوف وتيرنر ١٩٨٩.

وبعبارة أخرى، يستخدم رينود أحد أشكال الاستعارة التقليدية التي تتحدث عن الراعي والقطيع **Shepherd and Flock**، وهي استعارة شديدة الرسوخ في التراث الكلاسيكي والإنجيلي، من أجل التعبير عن وجهة نظره في دوره ككاهن، وتبريرها. وحتى في المناسبات النادرة، والذي يبدي فيها الرضا عن الانصياع (المؤقت) الذي يبديه أهل القرية لتعاليمه، نجده يقر أنهم يفعلون هذا بالفطرة وليست بدافع الندم، أو عن روحانيات مست شغاف قلوبهم. ونجده يعلق على هذا قائلا إن: "الغنم ليست بالحيوانات التي تمتلك فكرًا راقيًا".

ولا يختلف موقف رينود من عالم النباتات، عن موقفه من عالم الحيوان وعالم الإنسان. فعلى النقيض من فيان، يبدي رينود تبرمه الشديد من أي أعشاب أو نباتات تنمو ربانيًا أو بوفرة، كما أن رائحة الزهور تسبب له ضيقًا شديدًا. ولذلك نجده يقضي أي وقت فراغ لديه في اقتلاع الأعشاب، أو الحفر في باحة الكنيسة بكل حنق وغيظ، محاولاً فرض نظام على ذلك الانتشار "المتفلت" للنباتات.

ويبلغ به مقت الحشائش والنباتات مبلغًا؛ لدرجة أنه يشعر بالإحباط الشديد في المقاومة التي تبديها هذه الحشائش، ولذلك فهو يصفها استعاريًا، بأنها كالجيش الذي يتقدم بلا هوادة:

النموذج الثاني والثلاثون:

> **ما أشعر به هو نوع من العجز، فكلما حفرت لأشذب هذه الحشائش، أو لأقطعها، وجدت جيشًا عرمرمًا من الحشائش الخضراء، يملأ المكان من خلفي، بل ويُخرج لي عشرات الألسنة الخضراء، والطويلة، التي تعبر عن السخرية والازدراء، لمجهوداتي التي ذهبت أدراج الريح.**

فالحشائش هنا لا تُشخص على أنها عدو، بل كأناس يسخرون من عجز رينود عن السيطرة عليهم، مما قد يوحي أن مواقفه قد تخطت الحدود، وأصبحت هوسا يسيطر على جوارحه.

ولا يوجد ما يدعو للدهشة حينما يستخدم رينود بشكل متكرر تعبيرات استعارية لها علاقة بالأعشاب، وخاصة نبات الطرخشقون البري **dandelions**؛ للإشارة إلى الغرباء الذين يمثلون تهديدًا له، وخاصة فيان، وأصدقائها الذين يصفهم بالغجر. ولذلك يستخدم التقييم السلبي التقليدي المرتبط بالاستعارات التي تتحدث عن الحشائش، ولكن هذا لا يمنع من وجود تمديد وتفصيل مبتكر لنفس الاستعارات:

النموذج الثالث والثلاثون:

> **ماذا تستطيع فيان أن تفعل؛ إن الإساءة لم تنل إلا من إحساسي بالنظام والانضباط، كمثل البستاني المخلص في عمله، الذي قد يشعر بالإساءة حينما يجد رقعة صغيرة من نبات الطرخشون البري... تذكر آل مارود والغجر الذين طاردناهم من السكنى على ضفاف النهر.... ثم تمكنا من استئصال شأفتهم من قريتنا.... ولكن يا أبتي، بذرة واحدة من نبات الطرخشقون قد تعيدهم هنا مرة أخرى[1].**

النموذج الرابع والثلاثون:

> **(يقصد رينود فيان بهذا الحديث) فالكتاب المقدس يخبرنا بكل وضوح بما يجب أن نفعله. فالأعشاب الضارة لا يمكن أن تنمو في سلام مع أعواد القمح. وأي بستاني يعلم هذا يقينًا.**

---

(١) يتحدث رينود هنا إلى الكاهن السابق للأبرشية، وهو يرقد في حالة من الغيبوبة العميقة.

ولا شك أن ما قاله رينود في المثالين السابقين يمكن تفسيره حرفيًا واستعاريًا؛ فهو البستاني الذي يقف في وجه الغرباء، وهم الذين يشار إليهم بأنهم كالأعشاب الضارة، وكنبات الطرخشقون البري. فمن وجهة نظره، يمكن تبرير الوسائل الصارمة والقاسية، التي يجب استخدامها لطرد الغرباء من القرية، بما في ذلك إضرام النار في مراكب المسافرين الذين قدموا إلى القرية، أو تدمير واجهة الحانوت (الفاترينة) التي تعرض فيها فيان منتجاتها من الشيكولاتة.

ومن ثم أصبح واضحًا أن الكاتبة تقدم لنا الشخصيتين الرئيسيتين في الرواية، على أنهما يمثلان طرفي نقيض في تعاملهما مع الطبيعة، وهذا يؤدي بدوره إلى استخدام الاستعارات المختلفة التي لها علاقة بالحشائش والأعشاب، وخاصة تلك المتعلقة بنبات الطرخشقون البري.

ولعل الممتع في الأمر أن هذا التناقض في الآراء يطفو إلى السطح في إحدى الحوارات بين فيان ورينود، حينما تقترب أحداث الرواية من النهاية. ففي أحد الأيام قابلت فيان رينود في باحة الكنيسة، وهو يقوم بالحفر في أحد أحواض النباتات، ودار بينهما الحوار التالي:

النموذج الخامس والثلاثون:

- **لديك حديقة رائعة الجمال (قالت فيان هذه العبارة، وهي تتحسس بيدها نباتات الحديقة، ثم قبضت يدها، وقربتها إلى أنفها لتشم عبير هذه النباتات، الذي التصق بيدها). يوجد العديد من الأعشاب الطبية، فضلا عن الليمون، والنعناع، والمريمية.**
- **أنا لا أعرف أسماءها، كما أنني لست بستانيًا. هذا إلى جانب أنها كلها حشائش ضارة يجب اقتلاعها.**

- لكني أحب الحشائش (تحبها فعلاً وصدقًا).

لا شك أن هذا الحوار يوضح الاختلاف بين فيان ورينود، وهذا ما يفسر استخدامهما للاستعارات التي لها علاقة بالحشائش والأعشاب **weed metaphor**.

وفي النهاية، يقدم لنا تحليل الأنماط الاستعارية في هذه الرواية نماذج عملية، لبيان إلى أي مدى يستخدم الروائيون التنوع الفردي في الاستخدام الاستعاري؛ لإلقاء الضوء على وجهات نظر الشخصيات؛ وللإشارة إلى التناقضات الموجودة بين الشخصيات المختلفة. وطبقا لتعبيرات كوفيكسيس، فإن التاريخ الشخصي، والاهتمامات الإنسانية يُوظفان في هذه الرواية كأسباب للتنوع في استخدام الاستعارات الفردية؛ فيمكننا أن نعزو الأنماط الاستعارية المختلفة التي يستخدمها كل من فيان ورينود إلى تاريخ حياتهما من ناحية (ممثلاً في شباب فيان الذي قضته في الترحال، والتأهيل والتدريب اللذين تلقاهما رينود؛ ليكون كاهنًا)، واهتماماتهما ومواقفهما من ناحية أخرى (ممثلاً في حب فيان الجارف للطعام والطبيعة، وكراهية رينود الواضحة للحيوانات والطبيعة).

ولكن أصبح من الواضح أيضًا، أن الموقف والأحكام القيمية يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند تفسير الأنماط الاستعارية المتفردة، وشديدة الخصوصية. وبصفة عامة، يمكننا القول إنه على الرغم من التمايز الفردي الواضح بين كل من فيان ورينود، فإنهما كشخصين، يمكن النظر إليهما على أنهما ضحايا وممثلون لإيديولوجيات أخرى مسيطرة؛ فرينود يعد ضحية النشأة الكاثولكية الصارمة والمكبوتة، وممثلا لها، بينما تمثل فيان الإيمان الوثني بالسحر، والقوى الفوق - طبيعية.

ملخـــــص:

حاولت في هذا الفصل أن أؤكد على أن أي توصـــيف أو تفـــسير مقبـــول للابتكار الاستعاري بصفة عامة، وفي الأدب بصفة خاصـــة، لابـــد وأن يتـــضمن المستويين اللغوي والمفهومي للاستعارة. وقد اتبعت تلك المنهجية التـــي أرســـاها لاكوف وتيرنر في كتابهما الـــصادر عـــام ١٩٨٩، وأوضـــحت أن الاســـتعارات المستخدمة في الأعمال الأدبية، لها أصول بلاغية تقليدية. كما حاولت إلقاء الضوء على بعض الحالات من الصور والاستعارات المبتكرة. كمـــا استعرضـــت كيفيـــة استخدام التنوع في الاستخدام المبتكر للاستعارة كوسيلة لتمييز الأجنـــاس الأدبيـــة المختلفة، أو تمييز مؤلفين بعينهم، أو نصوص بعينها.

وقد أوضحت دراستا الحالة اللتان اخترتهما مدى التأثير القوي للاختيـــارات والأنماط الاستعارية في نقل خبرات ذهنية بعينها، وفي إلقاء الضوء على وجهـــات النظر المتناقضة والمتباينة.

الفصل الثالث

استخدام الاستعارة في السياسة

مثال تمهيدي: "التروس العكسية" لتوني بلير

في الثلاثين من شهر سبتمبر ٢٠٠٣ ألقى رئيس الوزراء البريطاني تـوني بلير خطبة القائد التقليدية في *مؤتمر* حزب *العمال* في بورنمـوث **Bournemouth**. كانت هناك الكثير من التخمينات، قبيل إلقاء الخطبة، بشأن ما إذا كان بلير سـوف يعتذر عن جر البلاد لحرب في العراق، ويعطي أي مؤشر للتغير نحو نوع مختلف من القيادة، نوع متناغم أكثر مع الرأي العام، ومع المبادئ التقليدية لحزب العمال، التي اتهم الكثيرون توني بلير بخيانتها. ربما لم يكن من المستغرب أن بلير لم يفعل شـيئًا من ذلك النوع: ففي السياسة الغربيـة، دافع عن قـرار غـزو العـراق، وعلى جبهة حزب العمال فقد عبر عن الاختيار الـذي يواجه قيـادة الحزب على النحو التالي:

النموذج الأول:

> **تخلَّص من الاختيار الزائف: مبادئ أم عدم مبـادئ.**
> **ضع مكانها الاختيار الصحيح. التحرك للأمام أم للخلف. أنـا أستطيع أن أتحرك في اتجاه واحد فقط. لـيس لـدي تـروس عكسية. إن الوقت الذي تصل فيه ثقتنا في السياسي إلى أقصاها ليس حين يأخذ الاختيار الأسهل. فكل سياسـي يـستطيع أن يفعل الأشياء المحبوبة. أعرف ذلك، فقد اعتـدت أن أفعـل بعضًا منها.**

يمكن أن أحاجج بأن ما يقدمه بلير بوصفه "الاختيار الخاطئ" هو التعارض بين المبادئ التقليدية لحزب العمال و"الافتقار" إلى المبادئ التي اتُهمت بها حكومته من قبَل بعض أقسام الحزب. "الاختيار الصائب" لقائد الحزب، في المقابل، تم التعبير عنه استعاريًا بمفردات الحركة في اتجاهات متضادة: "التحرك للأمام أم للخلف". وبعد تأسيسه لهذه المعارضة الاستعارية، يقوم بلير بالبناء عليها من خلال الإيحاء بأنه يستطيع فحسب التحرك في أحد الاتجاهين، وهو الأمام: "أستطيع السير في اتجاه واحد. فليست لدي تروس عكسية".

كما رأينا في فصول سابقة فإن استعارات "الرحلة" شديدة التقليدية والتغلغل في الإنجليزية. وبشكل أكثر تحديدًا، فإن الأهداف تبنى بشكل تقليدي كمحطات لابد من الوصول إليها، لذلك تميل الحركة للأمام إلى أن تتناظر مع التغير الإيجابي والتنمية والنجاح (مثل "يجب أن نتحرك للأمام بأولويات إيجابية جذرية"، وهو مثال مأخوذ من المدونة الوطنية البريطانية). لقد أشرت كذلك في كلامي عن التعرف على التعبيرات الاستعارية إلى كيفية اشتقاق المعنى الرئيسي الراهن لكلمة "التقدم **progress**" من معنى سابق وأكثر أساسية له علاقة بالتحرك للأمام، وهو معنى أصبح في الوقت الراهن مطلقًا. وفي المقابل، فإن الحركة للخلف تتناظر تقليديا مع افتقاد النجاح، والتغير السلبي، والتدهور إلى مرحلة سابقة للتطور، وأيضًا التغير في ذهنية المرء، في بعض الأحيان (مثل: لكن ألمانيا الشرقية **GDR** تتدهور متراجعة للخلف مقارنة بالغرب"، وهو مثال مأخوذ من المدونة الوطنية البريطانية، وانظر أيضًا استخدام الفعل "يتراجع" للإشارة إلى تعبير تغير العقلية **a change of mind**)[١]. بالإضافة إلى ذلك فإن مرور الوقت عادة ما يبنى

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1999: 60ff; Kövecses 2002: 134ff.

بمفردات الحركة في المكان، حيث يقع المستقبل أمامنا والماضي وراءنا (مثل "أتطلع للأمام نحو مستقبلي"، و"لقد مضت تلك الأيام"، المأخوذين من المدونة البريطانية الوطنية)[1].

بناء على ذلك فإن بلير في سياق محدد لخطب المؤتمرات ربما قصد أن يربط الحركة للأمام بفلسفة "جديدة" وسياسات طورها للحزب الذي أعاد تسميته بـ"حزب العمال الجديد **New Labour**"، والذي قاده للفوز بانتخابات ١٩٩٧، و٢٠٠١. من المحتمل من ناحية أخرى أنه قصد أن يربط الحركة للخلف بالفلسفة والسياسات التقليدية للحزب، التي يرى أن الزمن تجاوزها، (وهي التقاليد التي قد يحاجج بأنها حالت بين الحزب والسلطة لمدة عقدين تقريبا قبل ١٩٩٧). من المثير للاهتمام أن استخدام المعارضة الاستعارية مكنت بلير من تجنب استخدام مصطلحات تقييمية بشكل مفتوح، وهي تقييمات كانت ستثير عداء جزء من جمهوره مثل "قديم" في مقابل "جديد"، و"تقليدي" في مقابل "حديث"، و"رجعي" في مقابل "تقدمي"، وهلم جرا. بدلا من ذلك فإن السياق المشحون للغاية في ختام مؤتمر الحزب، كانت ثنائية الأمام والخلف **forward-back** غامضة وضبابية بقدر كاف للسماح بتطابق ظاهري وتوافق بين المشاركين في المؤتمر ذوي وجهات النظر المتباينة. التعارض المادي الأساسي بين الحركة للأمام والحركة للخلف تقوم أيضًا بتبسيط ما هو بالغ التعقيد والتجريد في الواقع، وترسم حدودًا واهية بين سلسلة من الاختيارات التي تواجه حزبًا من أحزاب يسار الوسط في بلد مثل بريطانيا في بدايات القرن الحادي والعشرين.

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1999: 137ff.; Kövecses 2002: 33.

بعد أن قدم بلير استعاريًا ما يراه "اختيارًا صائبًا"، صرح بأنه "يستطيع السير في اتجاه واحد فقط"، وبرر هذا بواسطة التعبير الاستعاري الأكثر جدة في النموذج الأول، الذي يصف فيه نفسه بأنه عربة متحركة، والمثال النموذجي فيها هو سيارة "ليس لديها تروس عكسية". بالطبع فإن الجمهور سوف يختلف في تأويله واستجابته لتلك السطور. ربما يُدرَك هذا الاختيار المحدد لاستعارة الماكينة على أنـه تحيـز ذكوري وربما يتم تقييمه سلبيًا من خلال شرائح من الجمهـور الـذين يـستدعون السيارات الخاصة، أحد رموز المجتمعات الرأسمالية وأحد الأسباب الرئيسية لدمار البيئة. ومع ذلك فإذا وضعنا في الاعتبار هوية المتكلم ودوره، وطبيعة الحدث فإنه من الآمن افتراض أن بلير قصد أن يصور نفسه بطريقة إيجابية.

نظرًا لأنه من المستحيل هيكليًا أن تدفع سيارة نفسها للخلف بـدون تـروس عكسية؛ فإنه يفترض أن بلير استهدف اقتراح أنه سيستمر في تبني اختيار الـسير قدمًا **'forward'** في المعارضة الاستعارية التي أسسها للتو: فهو لن يغيـر رأيـه، ولا فلسفته، ولا سياساته، ولا أسلوب قيادته، وهلم جرا. بالإضافة إلى ذلـك، فـإن استعارة "التروس العكسية" تقترح أن اتجاهات بلير وأفعاله تعود إلى طبيعة ذاتيـة وشخصية. أحد التأويلات المحببة لذلك هي أن بلير لديه قوة الشخـصية والقناعـة والانسجام اللازمة له للاستمرار فيما بدأه وما يعتقد أنه الصواب، حتى على الرغم من أن هذا الاختيار قد يكون أقل شعبية ومن ثمَّ أكثر صعوبة.

لقد كان تصريح "التروس العكسية" أكثر الأجزاء اقتباسًا من خطبة بلير فـي وسائل الإعلام في الأيام التالية على إلقائها، خاصة في عناوين الأخبار. مع ذلـك كانت توجد أيضًا أدلة كثيفة على أن استخدام استعارات ملفتة مثل اسـتعارة بليـر يمكن أن يكون نشاطًا خطرا في السياسة: فقد استغل العديد مـن معلقـي وسـائل الإعلام والسياسيين تقليديةَ ومرونة استعارات **الرحلة** لكي يقلبوا استعارة "التـروس العكسية" ضد بلير. وأدرس هنا مثالين لذلك:

بعد عدة ساعات من خطبة بلير في المؤتمر طرح مذيع الأخبار المسائية في الإذاعة البريطانية سؤالا على أحد المعلقين السياسيين في هيئة الإذاعة البريطانية بالمفردات الآتية:

النموذج الثاني:

لكن حين تكون على شفا جرف، من الجيد أن تكون لديك تروس عكسية.

تستدعي تلفظات الصحفي سيناريو مختلفًا للرحلة عن التعارض العام الذي وضعه بلير بين السير للأمام أو السير للخلف. فالسيارة هنا وصلت إلى نقطة في الرحلة يؤدي فيها استمرار السير للأمام إلى السقوط من فوق منحدر، ومن ثمَّ تحدث خسائر لا يمكن علاجها. وفي هذا السياق، بناء على ذلك، يعد امتلاك تروس خلفية أمرا ضروريًا لتجنب نهاية كارثية للرحلة. وتعبير "على حافة الجرف" يستخدم استعاريًا في اللغة الإنجليزية ليشير بشكل تقليدي إلى موقف صعب وخطير تحديدًا. وفي هذا السياق المحدد فإن الاقتراح هو بالطبع أن بلير يوجد في مثل هذا الموقف الصعب وغير المستقر، وأن الاستمرار في التصرف على نفس المنوال يمكن أن يكون مضرا له بفداحة كقائد حزبي وكرئيس وزراء. يتناظر السير للخلف في السيناريو الاستعاري للصحفي مع قدرة المرء على تغيير فكره وأفعاله كما في خطبة بلير، لكنه يعطي لهذا التغيير قيمة إيجابية ("من الجيد.")، نظرا لأنه ربما يكون مفيدًا سياسيًا، وربما يكون دليلا على الأمانة والمرونة والتواضع ورغبة المرء في الاعتراف بأخطائه. هناك أيضا تأثير فكاهي يمكن أن يتولد من خلال التقابل بين تصريح بلير الواثق وصورة العربة ذات التروس العكسية التي تقف على حافة الجرف.

بعد عدة شهور من خطبة بلير، وفي يوم ٢٠ من إبريل ٢٠٠٤، استدعى زعيم المعارضة مايكل هوارد **Howard** استعارة "التروس الخلفية" مرة ثانية في نقاش في مجلس العموم. كان بلير قد أعلن للتو عن استفتاء سيجري على الدستور الأوروبي، على الرغم من أن الحكومة كانت قد ادعت بأن الاستفتاء لن يكون ضروريًا. قال هوارد بعد ذلك إنه يرحب بقرار الحكومة واستمر في الحديث قائلا:

النموذج الثالث:

> **منذ ستة شهور وقف رئيس الوزراء أمام مؤتمر حزبه وقال متشدقًا بملء فيه، وهو ما أصبح مشهورا به:**
>
> **"أستطيع السير في اتجاه واحد، فليس لدي تروس عكسية."**
>
> **واليوم يمكننا أن نسمع صرير التروس لأنه وقف أمامنا، متشدقًا بملء فيه مرة أخرى، لكي يبتلع كل تلك الكلمات التي لاكها بإصرار لزمن طويل. من سيثق به بعد الآن مرة أخرى؟!"[١].**

على الرغم من أن هوارد وافق على قرار إجراء الاستفتاء فإنه استغل التناقض بين تغيير الحكومة لسياستها وما اقترحه تصريح بلير حول "التروس العكسية". يصف هوارد سلوك بلير استعاريًا - بعد أن اقتبس كلمات بلير نفسه- أثناء الإعلان بمفردات العربة التي تجاهد بشكل مسموع لكي تصل إلى نقطة توقف أو تغيير اتجاه. ومن الواضح أن تعبير "صرير التروس" كان مقصودًا كامتداد

(١) انظر، *House of Commons Hansard debates*. 20th April 2004.

لاستعارة بلير نفسه في خطبة المؤتمر وكسخرية منها. ومن الشيق أن الدراسات التجريبية تُظهر أن التعبيرات الاستعارية المستخدمة في المناظرات السياسية والتي تقوم بتمديد استعارة الخصم يكون لها قوة إقناعية خاصة عالية(١).

يشرح هذا المثال العديد من الظواهر التي سأضعها في الاعتبار في هذا الفصل حول الاستعارة في السياسة، بما فيها: استخدام الاستعارات من قبل السياسيين لتحقيق وظائف بلاغية وإقناعية؛ واستغلال الاستعارات شديدة التقليدية التي تميل إلى تبسيط الموضوعات المجردة والمعقدة بهدف جعلها متاحة للجمهور؛ وهيمنة مجالات مصدرية ذات منظور واسع معين، بما فيها **الرحلة/طريق**؛ والتمديد الإبداعي للاستعارات التقليدية لابتكار أفكار معينة وإنتاج تعبيرات ملفتة "تستحق الاقتباس **quote-worthy**"، غالبًا ما توصف بأنها "مقاطع مستحسنة **soundbites**"، واستخدام التعبيرات الاستعارية لتحقيق آثار فكاهية، واستغلال غموض وضبابية التعبيرات الاستعارية، والتطبيقات الإيديولوجية للاختيارات الاستعارية؛ وإمكانية تقديم تأويلات مناقضة للمزاج الشخصي **against the grain** للتعبيرات الاستعارية والتمديد الاستراتيجي أو الإلماح لاستعارات أخرى؛ وتأسيس سلاسل بين نصية للتصريحات السياسية التي يقدمها متكلمون مختلفون في ظروف مختلفة.

سوف أناقش كل هذه الموضوعات بتفصيل أكبر، قبل أن أقدم دراستي حالة حول موضوع استخدام الاستعارة في الخطاب السياسي.

---

(١) انظر، Mio 1996, 1997.

الاستعارة والإقناع في السياسة

ليس من السهل تعريف مجال "السياسة" أو رسم حدوده[1]. سوف أفترض هنا أنه يتضمن مجموعة كبيرة من الأفراد (مثل المواطنين، والصحفيين، والسياسيين، وأعضاء الأحزاب، ورؤساء الدول، ...إلخ)، والجماعات (مثل الأحزاب السياسية، وجماعات الضغط...إلخ)، والمؤسسات (مثل المجالس المحلية، والبرلمانات، والحكومات، والمؤسسات الدولية...إلخ)، والأنشطة (مثل المظاهرات والانتخابات والحملات الانتخابية، وصناعة القرار والتشريع على مستويات مختلفة...إلخ). مع ذلك فإنه في القلب من السياسة توجد عمليات تشتمل على اكتساب السلطة والحفاظ عليها والتفاوض بشأنها وممارستها وفقدها في السياقات المحلية أو القومية أو الدولية. وكما يقترح شيلتون فإنه يمكن التفكير في السلطة بمفردات القدرات والمصادر، التي تشمل قوة الخطاب في تعزيز وفرض مفاهيم بوصفها أساس السياسات المحبذة[2].

أحد الطرق الرئيسية التي يمكن بها الحصول على السلطة والاحتفاظ بها أو تقليصها هي التأثير في وجهات نظر الآخرين وسلوكياتهم؛ أعني جعل الآخرين يتبنون وجهات نظر (ربما تؤدي إلى أفعال) تحمل مزايا لأفراد أو جماعات أو غايات بعينها. بصياغة أخرى، فإن الغاية البلاغية العامة للإقناع هي مركزية للكثير من الأفعال السياسية، واللغة واحدة من الأدوات الأساسية لتحقيق هذا الهدف العام. بناء على ذلك، فإنه ليس من المستغرب أن اللغة تلعب دورًا مركزيًا في

---

(١) انظر Chilton 2004 لرؤية عامة للتعريفات المتباينة للسياسة.

(٢) انظر، Chilton 1996: 6.

السياسة (وإن لم يكن معترفًا به دومًا)، وأن الكثير من الفعل السياسي، سواء كليًا أو جزئيًا، هو فعل لغوي[1]. ربما يأخذ هذا العديد من الأشكال: فربما يتضمن كلامًا أو كتابة (مثل الخطب والمناظرات النيابية في مقابل اللافتات، واله[illegible]و والقوانين)؛ ويمكن أن يكون تفاعليًا بدرجة قد تقل أو تكبر (مثل الخطب والوثائق المكتوبة في مقابل المناظرات والمقابلات)، وقد يكون رسميًا ومشفرا بدرجة تقل أو تكبر (مثل التجمعات غير الرسمية في مقابل المراسم السياسية)، وقد يكون جماهيريًا بدرجة تقل أو تكبُر (مثل المفاوضات التي تجرى وراء الأبواب المغلقة في مقابل المؤتمرات الصحفية والمقابلات الإعلامية).

الاستعارة، بحسب ما ذكرت في مفتتح الفصل الأول من قبل، هي أداة مفاهيمية ولغوية مهمة لإنجاز الإقناع. لقد تم الاعتراف في التراث البلاغي الغربي بالاستخدام الإقناعي للاستعارة في الخطاب السياسي منذ العصرين اليوناني والروماني، في كتابات البلاغيين الكلاسيكيين أمثال أرسطو وكينتليان. وذهب أيضًا العديد من المنظرين السياسيين وعلماء النفس المعاصرين إلى أن الاستعارة غالبًا ما تُستخدم في السياسة من أجل أغراض إقناعية، وفي الواقع غالبًا ما ينسبون للاستعارة تأثيرًا إقناعيًا قويًا[2]. وقد شرح هذا عمومًا كنتيجة لحقيقة أن المتكلمين أو الكتاب من خلال كلامهم استعاريًا عن شيء بمفردات شيء آخر يضعون في الصدارة بعض أبعاد الظاهرة موضع البحث، وينحون أبعادًا أخرى، ومن ثم يؤثرون على وجهات نظر المتلقين.

لقد قاد الإبراز الحالي لمركزية الاستعارة وتغلغلها في اللغة والفكر إلى تفسير أكثر شمولا لدور الاستعارة في السياسة، الذي يشمل استخداماتها في

---

(١) انظر، see Chilton 1996: 47ff.; van Dijk 2002; Wodak 2002; Chilton 2004: 3ff).

(٢) لرؤية عامة انظر، Mio 1996.

الخطاب السياسي، ووظائفهـا في العمليات المعرفية والتمثيليـة المتـضمنة فـي إنتـاج واستقبال النصوص (السياسية). لقد أوضح كارترس - بلاك **Charteris-Black (2004)** على سبيل المثال كيف أن الاستعارات التي يستخدمها قائد سياسي ناجح تستغل كلا من المعتقدات الواعية والارتباطات الانفعالية غير الواعية لكـي ترسـم تمثـيلات سلطوية معينة للمتكلمين أنفسهم وللأمم أو الجماعات التي يقودونهـا. وقـد طـور شيلتون مدخلا معرفيا حيث يعتبر الخطاب السياسي "بالضرورة نتاج عمليات ذهنية فردية وجماعية[١]"، والاستعارة جزء مهم من تلك العمليات[٢]. يعتـرف شـيلتون بالحاجة إلى وضع البعد الاجتماعي للسلوكيات والممارسات السياسية في الاعتبار، لكنه يشدد على حقيقة أن "اللغة والسلوك السياسي يمكـن أن يـتم التفكيـر فيهمـا بوصفهما يقومان على منحة معرفية للعقل الإنساني[٣]".

يحدد شيلتون ثلاث وظائف رئيسة ربما تُستخدم التعبيرات اللغوية لتحقيقهـا في السياسة: القسر، وإضفاء الشرعية وسحب الشرعية، والتمثيل وإساءة التمثيـل. يتعلق القسر بالتأثير على سلوكيات الآخرين، من خلال إصدار الأوامر أو وضـع الأولويات أو إصدار القوانين. (نزع) الشرعية يتعلق بتأسيس أو تقويض مـصداقية المرء أو الآخرين بوصفهم ممسكين بالسلطة، وأشخاصا يـستحقون أن يُطـاعوا، وهلم جرا. (إساءة) التمثيل يتعلق بالتحكم في قدر وطبيعة المعلومات التي يتلقاهـا الآخرون وباستدعاء وجهات نظر معينة "للواقع" (لاحظ التشابه بين وظيفة شيلتون (إساءة) التمثيل، ووظيفة هاليداي الفكرية للغة، التي سبق أن ذكرتها فـي الفقـرة الخاصة بوظائف الاستعارات في الخطاب).

---

(١) انظر، Chilton 2004: 50.

(٢) انظر، (Chilton 1985, 1996; Chilton and Schäffner 2002; Chilton 2004).

(٣) انظر، Chilton 2004: 28.

وفقا لشيلتون فإن التعبيرات الاستعارية تنخرط على وجه التحديد في وظيفة التمثيل، نظرا لأن تأويل هذه التعبيرات يشتمل على إسقاط المادة من مجالات المصدر إلى مجالات الهدف، بما فيها على وجه التحديد أنماط الاستدلال. وعلى سبيل المثال، فإن استعمال بلير للتعارض الاستعاري بين "التحرك للأمام والتحرك للخلف" يستدعي تمثيلا معينًا للاختيار الذي يواجه الحزب وقائده، الذي يرتبط فيه اختيار واحد تقليديا بالنجاح في تحقيق الأهداف (في المستقبل)، والآخر بالافتقاد إلى النجاح في تحقيق الأهداف (في الماضي). تنقل استعارة "التروس العكسية" تمثيلا محددًا لبلير نفسه، يقوم بتأسيس صورته بوصفه قائدًا قويًا مخلصًا لا يتأثر بالصعوبات ولا المعارضات.

ويوضح هذا المثال أيضًا -كما يشير شيلتون- كيف أن الوظائف الثلاث الاستراتيجية الرئيسة للغة في السياسة تترابط بشكل حميم: فمن خلال استدعاء تمثيلات معينة للحزب ولنفسه، يمكن افتراض أن بلير يستهدف أيضًا إضفاء شرعية على قيادته المستمرة للحزب والبلاد، التي كانت محل تساؤل في ذلك الوقت. يؤدي هذا في الآن نفسه إلى سحب الشرعية من هؤلاء المعارضين لسياساته وأفعاله، نظرا لأن آراءهم يتم تقييمها بشكل سلبي من خلال تمثيلها استعاريًا كأنها تنطوي على الحركة للخلف. مع ذلك، كما سبق أن اقترحت، فإنه لا تقليدية التعارض بين الحركة للأمام والخلف ولا جاذبية صورة "التروس العكسية" لبلير، يمكن أن تقيّد التمثيلات التي سوف يقوم المتلقون بالفعل بتشكيلها أثناء معالجة الخطبة، أو تمنع في الواقع استغلالات إضافية لاستعارات بلير، تستدعي تمثيلات مختلفة عن تلك التي يُحتمل أن يكون بلير قد قصدها.

المزيد حول الاستعارة والخطاب والإيديولوجيا

أبني في هذا القسم على تعليقاتي في الجزء الخاص بالاستعارة والإيديولوجيا في الفصل الأول لكي أدرس بتفصيل أكبر العلاقة بين الاستعارة والخطاب والإيديولوجيا، مع الإحالة إلى السياسة على وجه التحديد.

يحتاج التفسير السليم لدور الاستعارة في اللغة والفكر إلى التمييز بين نمطين رئيسيين للبنى المعرفية أو التمثيلات الذهنية؛ هما: (أ) التمثيلات الذهنية قصيرة المدى التي نكونها أثناء معالجة نص معين، و (ب) التمثيلات الذهنية طويلة المدى (مثل الخطاطات **schemata** أو المجالات المفهومية **conceptual domains**) التي تشكل خلفيتنا المعرفية ورؤى العالم. هذان النمطان من التمثيلات الذهنية يتفاعلان مع بعضهما البعض: التمثيلات الذهنية قصيرة المدى تتشكل جزئيًا على أساس التمثيلات طويلة المدى، وربما تصبح بدورها جزءًا من الذاكرة طويلة المدى.

تأمل المقتطف التالي، المأخوذ من مقال حول اللجوء السياسي نُشر في صحيفة بريطانية أواخر عام ٢٠٠٣:

النموذج الرابع:

> **تواجه بريطانيا فيضانًا جديدًا من طالبي اللجوء السياسي في العام الجديد، بسبب الإجراءات الصارمة ضد الهجرة في فرنسا**[1].

---

(١) انظر، 'Asylum hordes bound for Britain', *News of the World*, 28th December 2003.

يوجد في هذا المقتطف العديد من التعبيرات الاستعارية التقليدية (مثل "تواجه"، و"جديدة")، لكنني معنية هنا على الخصوص بالاستخدام الاستعاري للاسم "طوفان **flood**" للإشارة إلى وصول مزعوم وشيك الحدوث لأعداد أكبر من المعتاد من طالبي اللجوء السياسي إلى بريطانيا. الطوفان هو كارثة طبيعية تحدث عندما تغزو كميات كبيرة من المياه مساحات مأهولة أو مزروعة متسببة في خسائر، وربما في وفيات. نظرا لأن الاستخدام الاستعاري للـ"فيضان" في النموذج الرابع هو بالأحرى تقليدي، فإن القراء ربما يعالجون هذا التعبير عبر ربط عابر للمجال **cross-domain mapping**: من المحتمل أنهم ربما يدخلون مباشرة إلى المعنى الاستعاري للاسم الذي يرتبط بحركة أعداد كبيرة من البشر أو الأشياء(١).

مع ذلك، فإنه في الحالتين يسهم الاستخدام الاستعاري "للفيضان" في النموذج الرابع في تمثيل الموقف بوصفه خطيرا ومهددا على وجه التحديد: ربما يشي هذا التمثيل بأن طالبي اللجوء السياسي سوف يحاولون الدخول إلى بريطانيا بأعداد كبيرة، وأن وصولهم ربما يصعب للغاية إيقافه، وأنه سيسبب اختلالا كبيرًا للسكان المحليين، وهلم جرا. ربما يتم أيضًا إسقاط بعض الارتباطات الانفعالية السلبية المصاحبة للمفهوم الذي يتم استدعاؤه بواسطة "الطوفان" على طالبي اللجوء السياسي وعلى وصولهم. بصياغة أخرى، فإن الاستخدام الاستعاري "للطوفان" له تأثيرات محتملة ذات مغزى على التمثيلات الذهنية قصيرة المدى التي سيكونها القراء أثناء قراءة المقال للموقف المعين.

ومع ذلك، فإنه لابد من الأخذ في الاعتبار أن تعبير "الطوفان" يستخدم استعاريا بشكل تقليدي (كفعل وكاسم معًا) فيما يتصل بالهجرة، خاصة في سياقات

---

(١) انظر، Gentner and Bowdle 2005.

يتم فيها الدفاع عن إجراءات مضادة للهجرة. وفي الواقع، فإن الارتباطات الخمس عشرة لكلمة "طوفان" في الجزء المكتوب من المدونة البريطانية الوطنية (تتكون من ٩٠ مليون كلمة) تشمل مفردتي "المهاجرين"، و"اللاجئين"(١). تستخدم بشكل تقليدي كذلك مفردات معجمية أخرى تشير إلى تحرك كميات كبيرة من الماء للحديث عن المهاجرين الاقتصاديين وطالبي اللجوء، مثل الاسمين: "موجة" و"مد وجزر"، والفعل "يُغرق". لقد لوحظ هذا النمط في عدد من الدراسات، سواء في اللغة الإنجليزية أو في لغات أخرى(٢). ويمكن إذن المحاجاة بأن الاستعمال الاستعاري التقليدي للتعبيرات المتصلة بحركة المياه، و"الطوفان" على وجه التحديد، هو جزء من الخطاب حول الهجرة واللجوء عمومًا؛ أعني أنه جزء من الطريقة المهيمنة على الكلام عن المهاجرين وطالبي اللجوء في اللغة الإنجليزية البريطانية المعاصرة على الأقل.

سوف أعود في دراستي للاختيارات الاستعارية فيما يأتي إلى نمذجة التعبيرات الاستعارية عبر النصوص. مع ذلك فثمة تمييز لابد وأن يقدم هنا. يبدو أن الاستعمال الاستعاري للطوفان في النموذج الرابع يعكس وجهة نظر الكاتب الخاصة، التي تم تقديمها بوصفها وجهة النظر "الطبيعية **natural**"، و"المتفقة مع الحس العام **common-sense**"، التي سيتقاسمها القارئ مع الكاتب أيضًا. ويتناقض هذا مع أمثلة مأخوذة من المدونة البريطانية الوطنية، كما في المثال التالي:

---

(١) انظر أيضًا، Baker and McEnery 2005.

(٢) انظر، van Dijk 1987: 372ff.; van Teeffelen 1994; El Refaie 2001; O'Brien 2003; Chilton 2004: 110ff.

النموذج الخامس:

> **لقد تزايد دعم السياسة المضادة للهجرة في الأقطار الأوربية في أواخر عام ١٩٩١، ووقود هذا الدعم هو الاعتقاد بأن "طوفان المهاجرين" يفرض تحديا اقتصاديا وثقافيا.**

وضع تعبير "طوفان المهاجرين" هنا بين علامتي تنصيص، لكي يفصل الكاتب نفسه عنه، ويقترح بأن الوصف الاستعاري لحركة المهاجرين بأنهم "طوفان" تعكس وجهة نظر أشخاص آخرين. وبالمفردات التي استخدمها يوبانكس **Eubanks** فإن استعارة "الطوفان" "ادّعاها" الكاتب في أمثلة مثل النموذج الرابع "وتم عزوها" لآخرين في أمثلة كالنموذج الخامس. وعلى الرغم من أن الاستخدام الاستعاري "للطوفان" عادة ما يكون تقليديا في الحديث عن الهجرة فإن الشواهد الفردية للنماذج العامة، بناء على ذلك، يحتمل بشكل أكبر أن يتم ادعاؤها داخل الخطابات المضادة للهجرة، والتي ربما توصف بشكل سلبي كخطابات عنصرية وتشيع إرهاب الأجانب **xenophobic**[١]. مثل هذه الخطابات تتسم أيضًا، كما أوضحت العديد من الدراسات، بنماذج استعارية سلبية أخرى، تتسق مع الاستخدام الاستعاري "للفيضان". فالهجرة كذلك توصف تقليديا، في اللغة الإنجليزية الأمريكية والبريطانية على سبيل المثال، بوصفها غزوا، ومرضًا وكأشكال مختلفة من الكوارث مثل البراكين والانفجارات[٢].

طالما أن التمثيلات الذهنية طويلة المدى هي موضع الاهتمام، فإن النموذج اللغوي الذي لاحظته يمكن أن يُرى كدليل على الاستعارة المفهومية التقليدية التي

---

(١) مثل van Dijk 1987.

(٢) انظر، van Dijk 1987: 372ff.; van Teeffelen 1994; O'Brien 2003; Chilton 2004: 110ff.

يُبنى بواسطتها جزئيًا المجال المستهدف (**الهجرة**) بمفردات مجال المصدر (**الطوفان**). من ثمّ، فإن هذه الاستعارة التقليدية يمكن أن تكون جزءا من بعض التمثيلات الذهنية طويلة المدى عند متحدثي الإنجليزية للهجرة واللجوء السياسي والأجانب وهلم جرا. وبشكل أكثر دقة، فإن النموذج المشروح في مجالات المصدر والهدف حيث يتم "ادعاء" الاستعارة، ربما يعكس تمثيلا ذهنيًا سلبيًا معينًا للهجرة، في حين أن النموذج المشروح في النموذج الخامس، حيث "تُعزى" الاستعارة، يمكن أن يعكس تمثيلا شارحًا **meta-representation**؛ هو تمثيل لوجهة نظر الآخرين للعالم(١).

ربما تكون الاستعارة المفهومية "الطوفان"، مصحوبة في الحالة السابقة، بتمثيلات ذهنية سلبية للهجرة (مثل استعارات مفهومية أخرى متصلة بالكوارث الطبيعية) واتجاهات وآراء ومخططات سلبية ذات صلة بجماعات عنصرية وقومية متعددة(٢). يؤسس الجمع بين أنماط مختلفة من التمثيلات الذهنية طويلة المدى (لأبعاد معينة من) الواقع، إيديولوجيا معينة، سوف يتقاسمها اجتماعيًا أفراد جماعات معينة(٣).

أتعامل مع "الخطابات"، كما ذكرت في الفصل الأول، بوصفها ظواهر لغوية؛ أي طرق معينة للكلام عن أبعاد معينة للواقع في سياقات وممارسات اجتماعية معينة؛ وأتعامل مع "الإيديولوجيات" بوصفها ظواهر معرفية؛

---

(١) انظر، Chilton 2004: 202.

(٢) انظر فان دايك ١٩٧٨ لخريطة أكثر تفصيلا للتمثيلات الذهنية طويلة المدى ذات الصلة.

(٣) انظر،

van Dijk 1987: 202ff.; Chilton and Schäffner 2002: 29; Dirven. Frank and Pütz 2003: 1-2.

أي صياغات مفهومية (مشتركة) لأبعاد معينة من الواقع، تتضمن استعارات مفهومية تقليدية بمصاحبة تمثيلات ذهنية طويلة المدى. العلاقة بين الخطابات والإيديولوجيات هي علاقة دينامية: الخطابات تعكس إيديولوجيات معينة، لكنها أيضًا تسهم في صياغة الإيديولوجيات وتغييرها، والإيديولوجيات تنتج عن ممارسات اجتماعية وخطابية لكنها أيضا تحدد وتقيِّد تلك الممارسات. لقد حاججت بأن الأنماط الاستعارية التقليدية يمكن أن تكون مكونًا مهما من الخطابات، ويمكن أن تكون الاستعارات المفهومية التقليدية مكونًا مهمًا من الإيديولوجيات[١].

مجالات المصدر والهدف في السياسة

غالبًا ما زُعِم بأن استخدام الاستعارة ضروري في السياسة تحديدًا، نظرا لأن السياسة هي مجال خبرة معقد ومجرد، والاستعارات يمكن أن توفر سبلا لتبسيط التعقيدات وجعل المجردات قابلة للفهم:

> **العمليات الاستعارية هي واحدة من السبل الأكثر أهمية التي تصوغ الأذهان البشرية بواسطتها مفاهيم بيئاتهم المكانية والزمانية أو عللها. هذه هي الحالة تحديدًا بالنسبة للصياغة المفاهيمية للحقول المجردة وغير المألوفة والمعقدة. تشمل مثل هذه المفاهيم على سبيل المثال مؤسسات سياسية واجتماعية، وعلاقات دولية ومبادئ doctrines استراتيجية[٢].**

(١) انظر أيضًا، Koller 2004b. Goatly 2007.

(٢) انظر، Chilton 1996: 48.

عالم السياسة معقد، ومشحون القيمة **value-laden**، وهو متباعد معرفيا وإدراكيًا عن خبرة الحياة اليومية [..]. ليست ديناميات السياسة ولا نتائجها ملموسة أو بديهية أو بسيطة. إحدى الوظائف الرئيسية للاستعارة السياسية هي أن تربط الشخصي بالسياسي من خلال تقديم طريقة لرؤية العلاقات، وتشييء المجردات، وتأطير التعقيد بمفردات سهلة(١).

بالإضافة إلى ذلك، كما رأينا بالفعل، فإن اختيار استعارة ما دون استعارة أخرى، له نتائج على كيفية "تأطير" موضوع معين أو إنشائه، وعلى طبيعة الأبعاد التي توضع في الصدارة وتلك التي تنحى للخلف، وعلى طبيعة الاستدلالات التي يتم تيسيرها، وطبيعة الارتباطات التقييمية أو الانفعالية التي يتم استدعاؤها، وطبيعة سلاسل الأفعال التي تبدو ممكنة، وهلم جرا(٢).

لقد قدم لاكوف بشكل خاص (٢٠٠١) النتائج المحتملة المترتبة على "تأطير" أحداث معينة (بما فيها ما يتحقق بواسطة الاستعارة) بطريقة قوية، في مناقشته لرد فعل الإدارة الأمريكية على هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية:

يجدر بنا ملاحظة تأطيرات الإدارة وإعادة تأطيراتها، وبحثها عن الاستعارات. كان التأطير الأولي للحادثة يصورها على أنها "جريمة" لها "ضحايا" و"مرتكبي جرائم"، لابد وأن "يُجلبوا للعدالة"، و"أن يعاقبوا". يستدعي إطار الجريمة القانون، والمحاكم، والمحامين، والمحاكمات، وإصدار الأحكام، والاستئنافات، وهلم جرا. وبعد ساعات قليلة تغير إطار "الجريمة" إلى إطار "الحرب" بـ"الخسائر الجانبية"، و"الأعداء"، و"الفعل العسكري"، و"قوى الحرب"، وهلم جرا(٣).

---

(١) انظر، Thompson 1996: 185-6.

(٢) انظر، Fairclough 1992: 194ff.; van Teeffelen 1994; Allbritton 1995; Deignan 2000; Nerlich and Halliday 2007.

(٣) انظر، Lakoff 2001.

وقد أوضح شيلتون بالتفصيل أيضا كيف ساهم اختيار استعارات معينة في تشكيل وجهة النظر المهيمنة على السياسة الدولية في أمريكا والدول المتحالفة معها أثناء فترة الحرب الباردة. ومع أننا لا نستطيع أن نزعم بشكل طبيعي، كما يشير شيلتون، أن الاختيارات الاستعارية تسبب على نحو مباشر أفعالا وأحداثا "فإن الطريقة التي يصوغ بها الناس المفاهيم ويتواصلون من خلالها هي جزء أصيل من السياسة والفعل"، وأن الاستعارات، كما رأينا، هي مكون مهم لكل من صياغة المفاهيم والتواصل(١).

تتنوع وتتعدد مكونات وأبعاد المجال السياسي التي تميل إلى أن تُبنى بواسطة الاستعارة (أي تعمل بوصفها مجالات هدف)، وتشمل ما يأتي:

- الحالة الراهنة للأمور، وعلى وجه التحديد المشكلات التي تحتاج إلى حل؛
- أسباب المشكلات وحلولها؛
- الخطط والسياسات؛
- الحالة المستقبلية للأمور، بما فيها السيناريوهات الإيجابية (الناتجة عن سياسات الشخص)، والسيناريوهات السلبية (الناتجة عن سياسات الخصوم).
- الأنماط المتنوعة للمشاركين والكيانات في المجالات السياسية (بما فيهم المواطنون الأفراد، والأحزاب، والمنظمات،، والمؤسسات، والدول)؛
- "الجماعات الداخلية **in-group**" (المرء نفسه، وحزبه، والحكومة، والجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها، والأمة أو العرق)، مقارنة

(١) انظر، Chilton 1996: 320. 29.

بـ"الجماعات الخارجية **out-group**" (أفراد آخرون، وأحزاب أخرى، وجماعات اجتماعية، وأمم أو أعراق أخرى)؛

• السياسة والأفعال السياسية نفسها.

معظم هذه الكيانات والظواهر هي بالأحرى أكثر تعقيدًا، نظرا لأنها تتكون من العديد من الأفراد والعناصر والعلاقات المترابطة (مثل حالة الوطن الاقتصادية أو السياسية الحالية)؛ وأنها مجردة لأنها لا يمكن أن تُدرك مباشرة أو تُحدد بوضوح (مثل الحالة المستقبلية للأمور الناتجة عن السياسات المقترحة لحزب ما). ويسهم هذا في شرح علة أنها غالبًا ما تُنشأ استعاريًا. بالإضافة إلى ذلك، فإن جميع تلك الكيانات والظواهر مثيرة للخلاف والتنازع، لذلك فإن اختيار الاستعارة في أي سياق بعينه سوف يعتمد جزئيًا على دور المتكلم/الكاتب ووجهات نظره وأهدافه.

في حين أن أية منطقة خبرة يحتمل أن تقوم بوظيفة مجال مصدر استعاري في السياسة، فقد وُجِد في دراسات السياسة الأنجلو أمريكية، والسياسة الغربية عمومًا، أن بعض مجالات المصدر تكون مهيمنة. ويشمل هذا مجالات **الطريق/الرحلة، الوعاء، الرياضة، الحرب، والناس** (أي التشخيص). كل هذه مجالات مصدر واسعة المنظور تنطبق تقليديا على مجموعة شديدة الاتساع من الخبرات[١]. ومع ذلك، فإن كلاً منها له تطبيقات معينة فيما يتصل بالسياسة.

استعارات الطريق/الرحلة

كما ذكرت في كلامي عن الاستعارة والتقليدية والفكر في الفصل الأول فإنه يمكن تلمس آثار استعارات **الرحلة** في مخطط صورة **الطريق** الذي يتأسس على

---

(١) انظر، Kövecses 2002: 108-9.

خبرتنا الجسدية للحركة في المكان. عناصر المخطط التكوينية هي نقطة انطلاق، ومحطة وصول، وطريق يربط بين الاثنتين، واتجاه للحركة. يوفر هذا المخطط للصورة طريقة لإنشاء الأهداف استعاريًا كمحطات وصول، وطرق الوصول إلى الأهداف كحركة للأمام، والمشكلات كعوائق أمام الحركة، والنجاح أو الفشل كوصول أو فشل في الوصول لمحطة الوصول. بناء على ذلك فإن مخطط الطريق يميل إلى أن يُستخدم، كما يشير شيلتون إلى ذلك، لكي يمثل "السياسات، والخطط، والتاريخ القومي، والأفكار الكبرى مثل "التقدم"(١).

يمكن أن يُنظَر إلى هذا المخطط على أنه يقدم البنية الأساسية لمجال الرحلة الأكثر تعقيدًا، وهو مجال يحتوي على معرفة محددة أكثر غنى وثقافة حول المسافرين وعربات السفر وحالات السفر، وموانع السفر، وهلم جرا. ويتعقب جرادي **Grady** على نحو مشابه آثار استعارات الرحلة وصولا إلى ترابطاتنا الخبراتية بين خبراتنا الحسية-الحركية (مثل الوصول إلى محطة الوصول)، وخبراتنا الأكثر تجريدًا وذاتية (مثل تحقيق هدف). ومن ثمَّ يرى استعارات مثل **الحياة رحلة** على أنها مشتقة من تركيبة من استعارات "أولية" أكثر أساسية مثل **الغايات محطات وصول والفعل حركة ذات قصور ذاتي SELF-PROPELLED**. ما هو مهم تحديدًا في سياق هذا الفصل، هو أن أي نمط للنشاط الغائي يمكن أن يؤسَّس استعاريًا بوصفه رحلة.

يستخدم بلير بوضوح، في المقتطف الذي ناقشته في بداية هذا الفصل، العديد من التعبيرات الاستعارية المتصلة بالحركة لكي يقدم تمثيلا للاختيارات التي تواجهه كقائد حزب (ورئيس وزراء)، ولنواياه المستقبلية ولشخصيته الذاتية.

---

(١) انظر، ;Chilton 2004: 204، وانظر أيضا، Chilton 1996: 52-3.

ومع ذلك، فإن هذا المثال ليس بأية حال المثال الوحيد لاستعارات الرحلة في خطبة بلير في مؤتمر حزب العمال في ٢٠٠٣، التي افتتحها كما يأتي:

النموذج السادس:

> **إنه من دواعي شرفي أن أكون أول قائد لحزب العمال في المائة عام الأخيرة يتكلم لمؤتمرنا بعد ست سنوات ونصف في الحكومة. لم نكن هنا أبدًا من قبل. لم نصل أبدًا لما وصلنا إليه. لم نحكم مثل هذه المدة من قبل أبدًا. الآن ونحن على مشارف فترة حكم ثالثة كاملة...**

الموقف الحاضر هنا (الذي احتفظ فيه حزب العمال للمرة الأولى في ١٠٠ عام بالسلطة لمدة تزيد عن ست سنوات متواصلة) يتم تمثيله بوصفه نقطة في رحلة: "لم نكن هنا من قبل. لم نصل إلى موقفنا هذا من قبل". نقترح "نحن" العامة جهدًا جماعيًا، وبالتالي، نجاحًا جماعيًا؛ على الرغم من أنه -كما هو الحال غالبًا مع استخدام هذا الضمير- ليس من الواضح تمامًا من هو متضمن في الإحالة[١]. اختيار بلير للتعبيرات الاستعارية له أيضًا تطبيقات ممكنة على الارتباط الانفعالي: أن تكون في مكان لا تصل إليه أبدا من قبل ربما يرتبط بالفرح والتشوق، وهو نوع المشاعر الإيجابية التي قد يرغب قائد حزب في تحريكها في نفوس الجمهور في نهاية مؤتمر حزبي. مع ذلك فإن تعبير "هذا المدى" يقترح أيضًا أن الموقف الحالي ليس نهاية الرحلة، لكنه نقطة في رحلة أبعد: وفي حين يقوم بلير بتقديم إنجازات الحزب/الحكومة حتى الآن بوصفها استثنائية، فإنه يريد أيضًا تركيز انتباه الجمهور على المستقبل، خاصة إمكانية الفوز بانتخابات أخرى ("الآن ونحن على

---

(١) انظر Wodak *et al.* 1999: 45-7.

مـــشارف فترة ثالثة في الحكم"). وفي الواقع فقد اقتـــرح شيلتون وشـــافنر (2002) أن الخطب السياسية، في السياسة الغربية على وجه التحديد، غالبًا ما تنجز تماســك المعنى الداخلي عبر استعارات **الرحلة**. وفي حالة بلير فإن استـــــعارات **الرحلـــة** تـــقوم بالفعل بتشكيل سلسلة تسير عبر الخطبة بأكملهـــا، وتـــسهم فـــي تماســكها المعنوي ككل[١].

سوف أناقش بالتفصيل لاحقًا مثالا أكثر بروزا للإنشاء الاســتعاري لخطـــة بوصفها رحلة، هي على وجه التحديد "خارطة الطريق" لحل الصراع الفلـــسطيني- الإسرائيلي في الشرق الأوسط، التي دشنت أصليًا في ٢٠٠٢. سوف أركـــز هنـــا على استخدام بلاغي أكثر تحديدًا وإبداعًا لاستعارة **الرحلة**، بهدف صنع فكرة معينة وتوفير تماسك للنص بأكمله.

في الأول من يناير ١٩٩٩، أصبح اليورو العملة الرسمية الموحدة لإحـــدى عشرة دولة في الاتحاد الأوروبـــي، معروفـــة جماعيـــا بأنهـــا منطقـــة اليـــورو **'Euroland'**. وليس من المستغرب، أن هذا الحدث تلقى اهتمامًا ضخمًا في وسائل الإعلام، وقد استقبله معلقو وسائل الإعلام بتقييمـــات وتنبـــؤات بعـــضها إيجـــابي وبعضها سلبي. هناك رؤية متشائمة تحديدًا تم التعبير عنها في مقال بعنوان: لـــدينا اليورو الآن، حان الوقت للإعداد لاتحاد سياسي كامل"، الـــذي ظهـــر فـــي قـــسم "التعليق" في صحيفة الإندبندنت البريطانية في الأول مـــن ينـــاير ١٩٩٩. النقـــاط الرئيسية للمقال هي أنه سوف يكون من المستحيل لدول منطقة اليـــورو أن تقـــوم بوظائفها بنجاح كدول منفصلة دون التحكم في نظام عملاتها الخاص وميزانياتهـــا وسياساتها المالية، وأن صراعات خطيرة سوف تنشأ لو لم تتبع بعض الدول قواعد

(١) انظر Charteris-Black 2005: 152-54، لمناقشة استخدام بلير لاستعارات الرحلة.

منطقة اليورو. بناء على ذلك يحاجج المؤلف بأن وحدة العملة سوف يفشل بدون اتحاد سياسي إضافي. وقد صنع هذه الحجة من خلال استعارة تقدم وحدة العملة الأوروبية على أنها قطار. وقد قدمت هذه الاستعارة لأول مرة في الفقرة السادسة للمقال (النموذج السابع فيما يأتي)، وتم مدها بعد ذلك على مدار القطعة، ثم استخدمت مرة أخرى كخاتمة (النموذج الثامن)، انظر أيضًا سمينو (٢٠٠٢):

النموذج السابع:

> **فكر في وحدة العملة الأوروبية بوصفها قطارًا يجب على كل عرباته أن تتحرك بنفس السرعة في نفس الاتجاه في كل الأوقات. ولو لم تفعل ذلك فإن القطار سوف يخرج عن القضبان. وهذا هو الاختبار الأعظم الذي يواجه اتحادًا نقديًا بدون اتحاد سياسي[١].**

النموذج الثامن:

> **فكر في قطارات لكل عربة فيها محركها ومهندسها الخاص. فإما أن تعمل كلها كعربة واحدة، أو أن روابط العربات سوف تتحطم ويخرج القطار عن القضبان[٢].**

إن دعوة المؤلف المباشرة للقراء بأن "يفكروا في" وحدة العملة الأوروبية بطريقة معينة هو "أداة إشارية"[٣]؛ أي تعبير لغوي يمكن أن يوظَّف للإشارة إلى استخدام الاستعارة، أو في هذه الحالة المحددة، لدعوة القراء لبناء ربط معين عبر

---

(١) انظر، *The Independent*, 1st January 1999.

(٢) نفسه.

(٣) انظر، Goatly 1997: 187.

الحقول. يقدم المؤلف في النموذج السابع سيناريو استعاريًا محددًا، يُنظر فيه إلى وحدة العملة الأوروبية بوصفها قطارًا، وإلى نجاحه بمفردات سير القطار دون حوادث. تم تطوير سيناريو المصدر من خلال التصريح بأحد الشروط المبدئية للسير الناجح للقطارات (هو تحديدًا أن "كل العربات لابد أن تتحرك بنفس السرعة وفي نفس الاتجاه في كل الأوقات") وأن تبعات هذا الشرط التي لا يمكن تجنبها لم يتم الوفاء بها ("لو لم يفعلوا ذلك، سوف يخرج القطار عن القضبان"). لقد دُعي القراء في النموذج الثامن لتخيل سلسلة من القطارات الافتراضية غير الطبيعية للغاية، حيث "لكل عربة محرك خاص ومهندس خاص". وافتراض أن كل عربة في مجال المصدر تتناظر مع كل دولة وأمة في المجال المستهدف، وأن كل محرك عربة منفصل يتناظر مع اقتصاد كل أمة، وكل مهندس عربة منفصلة يتناظر مع حكومة كل أمة.

يبدو سيناريو المصدر الافتراضي هذا عبثيًا ويحتمل أن يكون كارثيًا: لو أن للعربات محركات ومهندسين منفصلين، وأنها صنعت لتسير بسرعات متباينة فإنها ستتفكك وتؤدي إلى خروج القطار عن القضبان. يشي اختيار هذا السيناريو بعينه كمجال مصدر بأن الموقف الحالي لمنطقة اليورو هو بنفس القدر عبثي ويُحتمل أن ينطوي على كارثة. وعلى وجه التحديد، فإننا مدعوون لكي نطبق على المجال المستهدف الاستدلالات التي تنطبق بوضوح شديد على مجال المصدر: ليس من المعقول وجود دول تتشارك في عملة لكن لديها حكومات منفصلة، لأنه لو لم تتبع كل الحكومات نفس القواعد بحذافيرها فإن وحدة العملة سوف تفشل فشلا كارثيًا.

بصياغة أخرى، يستخدم مؤلف المقال سيناريو محسوسًا وشديد المرئية لتقديم سلسلة من المشاكل و"الموضوعات المعقدة والمجردة والبعيدة تمامًا عن المواطن الأوروبي العادي. يمكن بناء على ذلك المحاجاة بأن الاستعارة تساعد

على جعل موضوع المقال والمشكلات التي يناقشها مفهومة للقارئ. مع ذلك فإن سيناريو القطار يوفر أيضًا وجهة نظر محددة للغاية وواضحة المعالم لموقف كان وما يزال مثيرا للخلاف بدرجة عالية(١). التناظر الاستعاري بين كل دولة وأحد عربات القطار، على سبيل المثال، يقدم كل دولة ككيان متناسق، ولا يعترف بأنه توجد اختلافات اقتصادية دالة بين المناطق المختلفة داخل كل دولة. على نحو مشابه، فإن التناظر بين الخروج عن القضبان ونتائج تباين السياسات الاقتصادية في الأقطار المختلفة يشي بأن عائد هذه التباينات سوف يكون فشل العملة الأوروبية الموحدة والعودة إلى العملات المنفصلة. وعلى سبيل المثال، فإن هذا لا يسمح لحقيقة أن الأقطار الفردية ربما تسمح بكسر قواعد "اتفاقية استقرار" العملة الأوروبية الموحدة لفترة من الوقت، دون نتائج كارثية على العملة المفردة. بصياغة أخرى، فإن الاستخدام البلاغي لاستعارة رحلة محددة للغاية في المقال يبرهن على نحو حسن للغاية على كيف أن الاختيارات الاستعارية ربما تسهم في "تأطير" الموضوعات بطرق معينة، وتسّهل بعض الاستدلالات وتجعل استدلالات أخرى صعبة على الاستدلال(٢).

هذا المثال يوضح أيضًا كيف أن استعارات الرحلة غالبًا ما تنطوي على استعارات الآلة: فدول منطقة اليورو يتم تقديمها هنا بوصفها قطارًا، في حين قدم بلير نفسه في النموذج الأول السابق على أنه عربة متحركة.

---

(١) انظر، Chabot 1999.

(٢) انظر Musolff 2004: 30ff لمناقشة لاستعارات الرحلة بالنسبة للاتحاد الأوروبي، بما فيها بعض الحالات التي تشمل رحلات القطار.

استعارات الوعاء

مخطط صورة الوعــاء الأولية للغاية يتضمن ثلاثة عناصر تكوينية رئيسية: داخل، وخارج، وسطح فاصل. ويستخدم المخطط لصياغة مفاهيم مجموعة كبيــرة من الكيانات (مثل أجسادنا)، والنتائج الرئيسية لتطبيقاتها هي عمل تقابل بين ما هو "في الداخل" وما هو في "الخارج". لهذا المخطط أيضا تطبيقات محددة في الحقــل السياسي[١]. حيث يتم إنشاء الجماعات والمؤسسات والدول تحديدا بــشكل تقليــدي كأوعية، وبذلك يتناظر الانتماء (إلى جماعة أو مؤسسة أو دولة.. إلخ) مع الكينونة "في الداخل" وعدم الانتماء مع الكينونة "في الخارج". على سبيل المثال، فإنــه فــي حالة الوحدة النقدية فإن الدول المشاركة وصفت بأنهــا "داخــل منطقــة اليــورو"، والدول غير المشاركة وصفت بأنها "خارج منطقة اليورو".

في المثال التالي فإن السياسيين المؤيــدين لليــورو اســتخدموا التعــارض الاستعاري بين "داخل-خارج" لكي يحذروا بأن قرارا متأخرا بالانضمام يمكــن أن يسبب صعوبات للمملكة المتحدة في المستقبل.

النموذج التاسع:

كلما طال الوقت الذي سنقضيه في الخارج، ربما زادت الصعوبة التي سنواجهها في الدخول[٢].

قد يؤكد تطبيق مخطط صورة **الوعاء** التباين بين ما هو في "الداخل"، ومــا هو في "الخارج"، وربما يتضمن أيضا تصور المقاومة والحماية مــن ضــغوط

---

(١) انظر، Chilton 1996, 2004: 204, Mio 1997.

(٢) *The Independent*, 31st December 1998.

الكيانات التي توجد خارج الوعاء(١). بناء على ذلك، فإن استعارات الوعاء غالبًا ما تستخدم عندما يوجد صراع أو تعارض بين جماعات أو دول، لذلك يشعر أحد الطرفين أو كلاهما بأنه مهدد بواسطة أيٍّ منْ يُدرَك بوصفه "آخر". يمكن أن يُبنى التهديد، في مثل هذه الحالات، استعاريًا على أنه إمكانية دخول الآخرين إلى الوعاء المرتبط بجماعة المرء أو وطنه إلخ، مسببًا مشكلات قد توصف بعد ذلك بوصفها "انفجارًا" أو "فيضانًا".

لقد ناقشت للتو واحدًا من مثل هذه السياقات هو: الهجرة. فغالبًا ما تُقدَّم استعارة **الطوفان**، أو استعارات أخرى أكثر عمومية مرتبطة بالماء، وصول المهاجرين أو اللاجئين بمفردات دخول (كميات هائلة متتابعة من) السائل إلى وعاء كما في المثال الآتي المأخوذ من المدونة البريطانية الوطنية:

النموذج العاشر:

معظم اللاجئين يتدفقون على تزلا Tuzla [..].

في المثال التالي، وهو أيضًا مأخوذ من المدونة البريطانية الوطنية، يتم تقديم اللاجئين بوصفهم أشياء يتم وضعها في وعاء بأعداد كبيرة:

النموذج الحادي عشر:

مئات آلاف اللاجئين يتم حشرهم في مدن صغيرة وقرى شديدة الازدحام.

لا تقوم تعبيرات استعارية مثل "تدفق" و"حشر" في المثالين السابقين فقط بنزع الآدمية عن البشر الذين تتحدث عنهم، لكنها تقوم كذلك بتقديم مساحات واسعة

(١) انظر، Chilton 1996: 50-1.

مثل المدن أو الدول بوصفها أوعية مسيَّجة لها سعة محدودة، يمكن أن تمتلئ حتى لا يتبقى أي فضاء آخر.

ويقوم هذا بتبسيط العلاقة بين الناس والمناطق المأهولة بشكل كبير، ويضيف إلى الرؤية "الشائعة" بأن بعض المناطق لا يمكن أن تستوعب أي قادمين جدد لأنها (تصبح) ممتلئة[1].

لقد أوضح شيلتون كيف لعبت استعارة الوعاء، في النصف الثاني من القرن العشرين، دورا مركزيا في العلاقات الدولية. وعلى وجه التحديد فإن تصور "الأمن" أنشئ بشكل أولي بمفردات "الاحتواء": ويتضمن هذا رؤية الدول بوصفها أوعية منفصلة، لذا تحتاج دولة المرء إلى الحماية من أي توغل أو غزو من الخارج، ويجب أن يتم إجبار الدول "المهدِّدة" الأخرى على البقاء داخل حدود وعائها الخاص. ويحاجج شيلتون بأن هذه الرؤية كانت في مركز السياسات التي تم تبنيها في الغرب تجاه الاتحاد السوفيتي، الذي تم إدراكه بوصفه دولة لم تكن محصورة على نحو صحيح داخل حدودها القومية، والتي كان من الواجب، من ثمَّ، احتواؤها بنشاط بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها الدوليين. بوجه عام نُظِر إلى سياسة "الاحتواء" هذه، على أنها "نجحت في مهمتها" بعد نهاية الحرب الباردة، لكن شيلتون يقترح "تأويلا بديلا يمكن أن يكون أنها خلقت تقسيمًا مفهوميًا للشرق والغرب، وأجَّلت الحلول التعاونية لمدة تقرب من الأربعين عامًا، وأضفت الشرعية على الكبت الداخلي، وأنتجت سباق تسلح خطير"[2].

---

(١) انظر، van Teeffelen 1994; el Refaie 2001.

(٢) انظر، Chilton 1996: 354-5.

مخططا صورة الطريق والوعاء كلاهما تمثيلان ذهنيان بسيطان وأساسيان. مع ذلك، كما أوضحت، فإن المخططين يمكن أن يشكلا أساسًا لسيناريوهات استعارية غاية في التحديد والوضوح (كمثال القطار)، ويمكن أن تشرح بنيتهما الخطاطية البسيطة الأنماط الاستعارية الأكثر تقليدية، مثل التعارض بين "داخل"، و"خارج" فيما يتصل بالمجموعات والمنظمات، وبين الحركة للأمام والخلف فيما يتصل بإنجاز الأهداف. سوف أتأمل الآن بعض مجالات المصدر الأكثر تعقيدًا، التي تعد أيضًا منتجة ومرنة في الخطاب السياسي على نحو خاص.

استعارات الرياضة

لقد لاحظ العديد من العلماء أن السياسيين والمعلقين السياسيين غالبًا ما يستخدمون تعبيرات استعارية مشتقة من مجال مصدر الرياضة[1]. فتعبيرات مثل "فريق" و"لاعب"، على سبيل المثال، تستخدم بشكل تقليدي في الإنجليزية، للإشارة إلى المشتركين في أنشطة غير رياضية عديدة، تتضمن أنشطة سياسية. مع ذلك فإن الرياضة المعينة التي تقوم بوظيفة مجال المصدر تتنوع استنادًا إلى السياق الثقافي وطبيعة الموضوع المدروس.

عادة ما طُرح أن السياسة الأمريكية على وجه التحديد تهيمن عليها استعارات **الرياضة**، خاصة الاستعارات التي تقوم فيها الرياضات الأمريكية بوظيفة مجالات مصدر بشكل تام، مثل كرة القدم الأمريكية وكرة السلة[2].

---

(١) مثل،
Balbus 1975; Lipsky 1981; Howe 1988; Lakoff 1991; Ching 1993; Gibbs 1994; Jansen and Sabo 1994; Segrave 1994: 140ff..

(٢) انظر Balbus 1975; Howe 1988; Lipsky 1991; Ching 1993.

وعلى سبيل المثال، أوضح عدد من الدراسات كيف استخدمت استعارات الرياضة، وعلى وجه التحديد استعارات كرة القدم الأمريكية، بشكل منظم لتبرير حرب الخليج الأولى للجمهور العام[1]. وقد لاحظ هاو **Howe** في دراسة امتدت ما بين عامي ١٩٨٠-١٩٨٥ أن الرياضات المختلفة استخدمت لبناء أبعاد متباينة للسياسة. ووجد أن التعبيرات الاستعارية المأخوذة من كرة القدم الأمريكية تميل إلى أن تستخدم "عندما يشير المحترفون السياسيون إلى الأعمال الداخلية لوظائفهم، ومناوراتها الخفية، وأشكالها المحددة، وما شابه". فعلى سبيل المثال، يمكن التحدث استعاريًا عن مساندة سياسة ما بأنه "حمل للكرة"، والتحدث استعاريًا عن تغيير مسار المعارضة بأنه "إعاقتها ودفعها إلى الخلف"[2]. وفي المقابل فإن "السياسيين المحترفين يستخدمون استعارات كرة السلة للإيحاء بحالة ما أو أداء تقييم"[3].

فعلى سبيل المثال يستخدم تعبير "الدوري الكبير **big league**" للإشارة إلى المشهد السياسي القومي، في حين أن "الدبلوماسي الصغير هو لاعب كرة سلة حر (بدون مركز محدد في الملعب) **utility ball-player** وليس نجمًا مكتملا **all-star**"[4]. وفي المقابل فإن استعارات الملاكمة تكون أكثر ملاءمة عند مناقشة السياسيين البارزين وصراعاتهم: ويمكن أن توصف الرموز السياسية الأكثر قوة وتأثيرا بأنها "أوزان ثقيلة"، والمناظرات وجهًا لوجه بين المرشحين للرئاسة بوصفها مباريات ملاكمة. وقد وصف أحد مساعدي الرئيس ريجان، على سبيل المثال، المناظرة الرئاسية الأولى بين ريجان وموندال **Mondale** على النحو الآتي:

---

(١) انظر، Lakoff 1991; Ching 1993; Jansen and Sabo 1994.

(٢) انظر، Howe 1988: 92.

(٣) نفسه، ص ٩٣.

(٤) نفسه، نفس الصفحة.

النموذج الثاني عشر:

أعتقد أن الرئيس فاز، بصراحة تامة، لأنه كان على موندال أن يسجل ضربة قاضية لكي يكسب المناظرة. لقد فزنا، حتى لو أن أداءنا كان فقيرًا إلى حد التعادل"[١].

ففي المناظرات الرئاسية - كما يشير هاو - من الحاسم بدرجة أكبر بالنسبة للمتنافس على الرئاسة أن يظهر انتصاره مقارنة بالرئيس الذي يدافع عن ولاية ثانية. تم التعبير استعاريًا عن هذا، في المقتطف السابق، بمفردات قاعدة الملاكمة، التي تقول بأنه في حالة تعادل المتلاكمين فإن النصر يكون من نصيب حامل اللقب.

نظرا لأن الدول والثقافات تختلف في الرياضات التي تفضلها، تتباين استعارات الرياضة التي تميل إلى الهيمنة في لغات ودول مختلفة. فعلى سبيل المثال فإن صعود القوة السياسية لإمبراطور الإعلام الإيطالي سيلفيو بيرلسكوني في ١٩٩٤ كان مؤسسًا جزئيًا على استخدام متسق واستراتيجي لاستعارات كرة القدم[٢]. اسم حزب بيرلسكوني "تعالى إلى إيطاليا **Forza Italia**" هو أغنية يشيع استخدامها بواسطة مشجعي الفرق القومية، وخاصة فرق كرة القدم القومية. التعبير المستخدم للإشارة إلى أعضاء الحزب (الزرقاويون **gli azzurri**) هو نفسه المستخدم للإشارة إلى لاعبي الفريق القومي لكرة القدم، الذين يرتدون قمصانًا زرقاء. ونفس اللون غالبًا ما يُستخدم في أعلام الحزب ومواد الترويج له. في حملته الانتخابية، استخدم بيرلسكوني بشكل منظم تعبيرات استعارية تقليدية ذات صلة بكرة القدم في الكلام عن أنشطته:

---

(١) منقول عن، Howe 1988: 94.

(٢) انظر، Semino and Masci 1996.

فقد أشار على سبيل المثال إلى قراره بالترشح في الانتخابات على أنه (ينزل إلى أرض الملعب **enter the pitch**) وأشار إلى نجاح تحالف جناح اليمين الذي قصد تشكيله "بالفريق الفائز". الأكثر أهمية هو أنه غالبا ما أنتج تعبيرات استعارية أكثر إبداعية مأخوذة من مجال مصدر **كرة القدم**، لكي ينجز تأثيرات بلاغية معينة في سياقات معينة. فهو يبرر، على سبيل المثال، قراره بتشكيل حزب سياسي كما يلي:

النموذج الثالث عشر:

> **لذلك شعرت أن المباراة سوف تصبح خطيرة، وأن اللعب كله كان يحدث في منطقة الجزاء، وأن منطقة الوسط كانت فارغة للأسف. [..] وقال أحدنا للآخر إننا لا نستطيع أن نترك هذه المساحة الشاسعة خالية...**

يتم تمثيل السياسة الإيطالية هنا كمباراة كرة قدم حيث تقع معظم الأفعال في منطقة الجزاء. في إطار هذا التمثيل فإن الطرفين المتعارضين للملعب يمكن أن يتناظرا مع الطرفين المتعارضين للطيف السياسي؛ أي اليسار واليمين. إن حقيقة أن منطقة الوسط فارغة، في مجال المصدر، تم تقييمه بشكل سلبي واضح (للأسف)، لأنه ربما يشي افتراضًا بأنه لا يوجد لاعبو وسط أقوياء. يهدف بيرلسكوني بوضوح من خلال التصريح بأنه "قلنا أحدنا للآخر إننا لا نستطيع أن نترك هذه المساحة الشاسعة خالية.." إلى أن يشي بأنه يخلق قوة وسطية مركزية في السياسة الإيطالية سوف توازن الطيف السياسي (على الرغم من أنه في الواقع قام بالتحالف مع أحزاب جناح اليمين). يوفر استعماله المحدد لمجال مصدر كرة القدم تمثيلاً مرئيًا بسيطًا للموقف السياسي، ويساعد على توليد استدلال بأن تدخل بيرلسكوني كان يستهدف حل مشكلة قائمة.

حاججت سمينو وماسي Semino and Masci (1996) بأن استخدام بيرلسكوني الاستراتيجي لاستعارات كرة القدم لا يرجع ببساطة إلى الارتباطات الشعبية والإيجابية للرياضة القومية الإيطالية، أو إلى وجود تعبيرات استعارية تقليدية مشتقة من مجال المصدر **لكرة القدم**. فقد حاججتا أيضًا بأن بيرلسكوني سعى إلى استغلال ارتباطاته الشخصية بكرة القدم بوصفه مالكًا ناجحًا لفريق إيه. سي. ميلان، أحد أقدم فرق الأندية الإيطالية وأكثرها مكانة. وعلى سبيل المثال، حينما تكلم عن جهوده لإعطاء إيطاليا "فريق **team**" حكومة صالحة في ١٩٩٤، ذكر احتفالات إيه. سي. ميلان بنجاحه في الدوري العام الإيطالي، وأضاف "يجدر بالإيطاليين أن يحتذوا بالمثال الذي يقدمه لاعبيَّ".

يمكن أن يؤول هذا كدعوة للعمل الجاد من أجل النجاح، لكن كذلك كدعوة للثقة في تقييمات بيرلسكوني الخاصة، نظرا لأنه من المشهور في إيطاليا أن لديه تأثيرًا قويًا غير عادي (بالنسبة لرئيس نادٍ) على تكتيكات الحزب.

يمكن أن تُشرح شعبية استعارات **الرياضة** في لغة السياسة بطرق عديدة ذات صلة. تقدم الرياضة سيناريوهات مألوفة وبالغة الوضوح، بمشاركين يمكن تحديدهم بوضوح يسعون إلى غاية غير غامضة (الفوز). بناء على ذلك فإن استخدام الاستعارات الرياضية يمكن أن يبسِّط تعقيدات السياسة، ويجعلها متاحة للجمهور العام[١]. ومع ذلك فإن مخاطر التبسيط المخل شديدة على نحو خاص. فعلى سبيل المثال تميل استعارات **الرياضة** إلى تأكيد التنافس بين الأحزاب أو التنافس الدولي، على حساب غايات أخرى للسياسة، كما في الحوكمة للصالح العام[٢].

---

(١) انظر على سبيل المثال، Lipsky 1981; Ching 1993; Segrave 1994.

(٢) انظر، Balbus 1975, Lipsky 1981.

على نحو مشابه فإن الاستعمال الاستعاري "للفريق" يؤكد أهمية الإخلاص وجهود الجماعة، لكنه يمكن أن يستخدم كذلك لتأسيس الخلاف (وهو جانب ضروري للسياسة) بوصفه افتقاداً للإخلاص[١].

نظرًا للجاذبية الشعبية للرياضة فإن الاستعارات الرياضية لها قدرة على خلق أو تعزيز نوع من الأرضية المشتركة مع الجمهور العام، خاصة حيث يكون المواطنون من غير المهتمين بالسياسة أو المصابين بخيبة أمل السياسيين. يمكن أن يُستخدم هذا أيضًا لكي يتعالى على التقسيمات من خلال تعزيز مشاعر الهوية القومية، وبشكل عام لكي يولد حماسًا ومشاعر اندماج[٢]. مع ذلك فإن استعارات **الرياضة** من ناحية أخرى ربما يكون لها أيضًا تأثير في تأكيد التباعد بين السياسيين والمواطنين العاديين، نظرا لأن المواطنين عادة ما يتم تصويرهم بوصفهم مشاهدين لا مشاركين[٣]. بالإضافة إلى ذلك فإن استعارات الرياضة تتضمن علامات تحيز على أساس النوع، نظرًا لأن الذكور يهيمنون على الرياضة سواء أكانوا لاعبين أم مشاهدين. وهكذا فإن الانتشار الواسع لاستخدام تلك الاستعارات يمكن أن يسهم في الإبقاء على الهيمنة الذكورية على السياسة، خاصة بواسطة التركيز على التنافسية، والقوة الجسدية، والعدوان، وبواسطة غمر الخطاب السياسي بتعبيرات قد تستبعد النساء أو تنحيهم[٤].

---

(١) انظر، Howe 1988.

(٢) انظر، Lipsky 1981; Ching 1993; Jansen and Sabo 1994.

(٣) انظر، Thompson 1996.

(٤) انظر، Howe 1988; Ching 1993; Jansen and Sabo 1994.

استعارات الحرب

يرتبط مجال الحرب على نحو وثيق بالمجال العام للرياضة. فالحرب والرياضة توءمان في التاريخ الثقافي، ويتم التعبير استعاريًا عن كل منهما بمفردات تنتمي للآخر[١]. فمجال الحرب، مثل الرياضة، له مدى بالغ الاتساع في اللغة الإنجليزية (الأنجلو- أمريكية)، نظرا لأنه يمكن أن يُطبق استعاريًا على أي مجال خبرة يتضمن صعوبات ومخاطر وجهودًا ونتائج غير مؤكدة.

تشمل مجالات الهدف التقليدية، على سبيل المثال، الحجاج اللفظي، والمرض، والاندماجات والمكاسب الاقتصادية[٢]. في السياسة، تُستخدم التعبيرات الاستعارية المأخوذة من مجال مصدر الحرب بخصوص الصراع بين الأفراد والجماعات والأحزاب والحكومات والمعارضة. تتضمن التعبيرات التقليدية الشائعة "معركة"، "قناصة"، "عدوان"، وهلم جرا[٣]. يتجه استعمال استعارات الحرب إلى إضفاء طابع درامي على التعارض بين المشاركين المختلفين في السياسة (الذين يتم تصويرهم على أنهم أعداء)، وإلى تأكيد عدوانية وجديَّة النقاشات والصراعات والانتخابات السياسية.

---

(١) انظر،
Lakoff 1991; Jansen and Sabo 1994; Kövecses 2002: 75; Ritchie 2003; Charteris-Black 2004: 114ff..

(٢) انظر على سبيل المثال،
Sontag 1979: 64-5; Lakoff and Johnson 1980b: 4; Koller 2002; Kövecses 2002: 5; Ritchie 2003.

(٣) انظر، Gibbs 1994: 140ff.

بالإضافة إلى ذلك، فإن استعارات **الحرب** غالبًا ما تستخدم تحديدًا بخصوص المشكلات الخطيرة والعصيبة، والمبادرات والاستراتيجيات التي يتم تطويرها لحل هذه المشكلات. ويقود هذا إلى تعبيرات مثل "الحرب ضد الجريمة" و"الحرب ضد التضخم"، و"الحرب ضد المخدرات" و"مصارعة البطالة"، و"مصارعة تجارة المخدرات" وهلم جرا. تشدد مثل هذه الاستعارات على خطورة المشكلة موضوع البحث وإلحاحها، وجديَّة الجهود المبذولة لحلها. مع ذلك، من ناحية أخرى، قد يتم تصوير المشكلة المطلوب حلها والناس المنخرطين في حلها على أنهم أعداء لابد من هزيمتهم، بمصاحبة نتائج سلبية محتملة:

هناك نتائج تترتب على هيمنة استعارة ما على موقف ما تخص ما يجب فعله ومن الذي عليه أن يفعله. إن تعريف استعمال المخدرات الممنوعة بأنه **"مشكلة إدمان"**، أو **"عرض لخلل اجتماعي"**، ينطوي بشكل مباشر على استراتيجيات للتعامل مع موقف إساءة الاستعمال الفردي للمخدرات وينسب دواعي فخر لمكانة المستشارين والمعالجين والمصلحين الاجتماعيين. يؤدي إعلان **"الحرب"** على المخدرات إلى استراتيجيات إمداد مباشرة أو طلب عقاب، وإلقاء الضوء على دور المساندة القانونية والتقنيات والوكالات شبه العسكرية وإضفاء الشرعية على مشاركتهم[١].

هناك مثال مشهور ومثير للخلاف على نحو خاص، لاستخدام استعارات **الحرب** فيما يخص مشكلات صعبة، هو التعبير الإشكالي "الحرب على الإرهاب"، الذي أصبح مكونًا مركزيًا من مكونات السياسة الخارجية الأمريكية بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١. وكما سبق أن ذكرت بالفعل، فإن لاكوف (٢٠٠١) يتعقب جذر هذا

---

(١) انظر، Thompson 1996: 190.

الاستخدام المحدد لاستعارة الحرب في رد الفعل الفوري للإدارة الأمريكية على الهجمات الإرهابية، ويشير إلى العواقب المختلفة للتعامل مع الهجمات داخل إطار "الجريمة" في مقابل إطار "الحرب". لقد هيمن الإطار الثاني، وأدى هذا إلى غموض مستمر في معنى الحرب وتطبيقاتها كما استخدمت في تعبير "الحرب على الإرهاب". من ناحية أخرى، فإن هذا الاستخدام المحدد للحرب يبدو أنه يتقاسم بعض الخصائص مع الاستخدام الاستعاري الأكثر وضوحًا للحرب (مثل "الحرب على المخدرات"، و"الحرب على التضخم"): وبصياغة مباشرة فإنه لا يتضمن نزاعًا عسكريًا ضد دولة بعينها، ويشتمل على مبادرات غير عسكرية (مثل عمليات المخابرات الإجرامية، وتجميد الحسابات البنكية للجماعات المشكوك في أنها إرهابية). من ناحية مقابلة فإنه يبدو أن استخدام "الحرب" في تعبيري "الحرب على الإرهاب" و"الحرب ضد الإرهاب" قد أصبح حرفيا بشكل متزايد بقدر ما، نظرا لأن الفعل السياسي ضد أنظمة حاكمة بعينها في دول بعينها قد أصبح الاستراتيجية الرئيسية للولايات المتحدة في محاولتها الدفاع عن أنفسها ضد أنشطة الإرهابيين(١).

التشخيص Personification

التشخيص هو نمط للاستعارة بالغ الأهمية والانتشار بشكل خاص، نظرا لأنه يتضمن استخدام خبراتنا ومعرفتنا بالكائنات الإنسانية كمجال مصدر(٢).

---

(١) لا أستطيع أن أحكم على هذه الموضوعات، لكن انظر على سبيل المثال (Silberstein 2002: 1-17) and Chilton (2004: 154ff.) لمناقشة وتحليل تفصيلي.

(٢) انظر، see Lakoff and Johnson 1980b: 33-4; Lakoff and Turner 1989: 72, Goatly 1997: 52; Kövecses 2002: 49-50.

تم التعامل مع التشخيص، في إطار نظرية الاستعارات المفاهيمية، بشكل أساسي كنمط من أنماط الاستعارة "الوجودية"، والتي يتم فيها الكلام عن كيانات مجردة غالبًا (مثل الحياة والموت) بمفردات الأفعال والصفات البشرية (مثل "الحياة عاملتني معاملة ظالمة"، و"وصل الموت على غير توقع")(١).

يُستخدم التشخيص أيضًا على نطاق واسع في الخطاب السياسي، خاصة فيما يتصل بكيانات ومؤسسات مثل الدول القومية(٢). المقتطف التالي المأخوذ من مقال في المدونة البريطانية الوطنية معني بدبلوماسي سويدي لعب دورا قائدا في إنقاذ اليهود من إعدام النازي في النمسا أثناء الحرب العالمية الثانية، لكنه اختفى أثناء وجوده في حجز روسي في نهاية الحرب:

النموذج الرابع عشر:

أمريكا، التي دعمت أنشطة والنبرج Wallenberg في بودابست، نسيت(٥) تمامًا، أما إسرائيل فقد فعلت القليل لتكريمه، بل فعلت أقل من القليل لتأمين إطلاق سراحه.

يتم تقديم "أمريكا" هنا بوصفها فاعل الأعمال التي تمت الإشارة إليها بفعلي "دعم"، و"نسي"، في حين تم تقديم إسرائيل على نحو مشابه بوصفها فعلت القليل "لتكريم" والنبرج، و"تأمين إطلاق سراحه". نظرا لأن كل تلك الأفعال مرتبطة بشكل نمطي بالكائن البشري فإنه يمكن المحاجاة بأن الإحالتين إلى "أمريكا" و"إسرائيل" كلتيهما تشخيصيتان، وأنه تم تقديمهما بالضبط كفاعلين بشريين فرديين.

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 33-4; Kövecses 2002: 35, 49-50.

(٢) انظر،

Lakoff 1991; Rohrer 1991; Chilton 1996: 142-3; Thompson 1996; Wodak 2002.

يوضح هذا المثال كيف يمكن لتشخيص الأمم والدول أن يمثِّل بمفـردات بسيطة نسبيًا مجموعة واسعة من الأفعال والعمليات المنخرط فيها أعداد ضخمة من البشر[١]. فعلى سبيل المثال، الأفعال والعمليات الممثلة في النموذج الرابـع عـشر لابد سيندرج فيها أفراد مختلفون عديدون، في مستويات متباينـة مـن الحكومـة، يقومون – أو يفشلون في القيام – بأشياء معينة على مدار فترة زمنية طويلة. يقوم التشخيص بتبسيط كلٍّ من مهمة الكاتب والقارئ، بواسطة السماح بعـزو الأفعـال والعمليات لفاعلين فرديين مفردين. مع ذلك، فإن استخدام التشخيص في مثل هـذه الحالات، من ناحية أخرى، يؤدي أيضًا إلى بعض درجات الغموض: فعلى سـبيل المثال، ليس من الواضح في المقتطف السابق، من الذي يتم تقديمه كمـسئول فـي أمريكا على سبيل المثال عن دعم والتبرج ثم نسيانه، ومن الذي يتم تقديمه كمسئول في إسرائيل عن عمل القليل لتكريمه.

كذلك توضح أمثلة من قبيل النموذج الرابع عشر كيف يتـداخل التـشخيص غالبًا مع الكناية، التي تستغل، كما ذكرت من قبل بالفعل، ارتباطات موجودة فـي "العالم الحقيقي" بين الكيانات. وبمفردات نظرية الاستعارة المفهومية، فإن الكنايـة تنطوي على تأطير **داخل within** الحقول المفاهيمية، وليس عـابرًا **across** لهـا. فعلى سبيل المثال، في جملة" في واشنطن، يقول البيت الأبيض إن محاولة الانقلاب يبدو أنها انتهت بالفشل (من المدونة البريطانية الوطنيـة)"، اسـم "البيت الأبـيض" لا يستخدم للإشارة إلى مبنى معين، لكن للناس المرتبطين بشكل نمطي بهذا المبنى: أي رئيس الولايات المتحدة وفريق عمله. الكناية في الخطاب الـسياسي يمكـن أن تسهم كذلك في جعل الكيانات والعمليات المعقدة بسيطة وسهلة الفهـم، وأن تركـز كذلك الاهتمام على أبعاد معينة بالغة الأهمية للظواهر المعقدة[٢].

(١) انظر، Thompson 1996: 188.

(٢) انظر، Chantrill and Mio 1996.

بناء على ذلك، فإن أمثلة من قبيل النموذج الرابع عشر يمكن تأويلها كذلك كحالات للكناية، نظرا لأنه يمكن المحاجاة بأن "أمريكا" و"إسرائيل" استخدمتا للإشارة إلى الأشخاص والجماعات التي تمسك بالسلطة في تلك الأمم بعينها في الفترات التاريخية وثيقة الصلة.

مع ذلك، يتم تقديم الأمم بوضوح، في أكثر حالات التشخيص نمطية، على أنها كيانات فردية مجسمة **anthropomorphic**. فعلى سبيل المثال أصدر جورج دبليو بوش في خطاب تنصيبه الثاني في يناير ٢٠٠٥ الدعوة التالية إلى "قادة الحكومات ذات العادات القديمة في السيطرة":

النموذج الخامس عشر:

> **لكي تخدم شعبك عليك أن تتعلم الثقة فيه. اشرع في رحلة التقدم والعدل تلك، وأمريكا سوف تسير إلى جانبك.**

فقد قُدمت عملية جعل الأنظمة الحاكمة أكثر ديمقراطية على أنها "رحلة"، ووعد الولايات المتحدة بتقديم المساعدة قُدِّم عبر تشخيص أمريكا كمسافرٍ مرافقٍ للحكومات الراغبة في اللحاق بهذه الرحلة. لقد تكلم سيلفيو بيرلسكوني على نحو متكرر في حملته الانتخابية في ١٩٩٤ عن إيطاليا كشخص مريض، يصر بيرلسكوني على مساعدته بواسطة خوض الانتخابات. ويتم وصف اقتصاد الدولة الإيطالية وسياستها في المقتطف التالي بمفردات المريض الذي يشي الرسم الكهربائي لقلبه **ECG** بقصور في أنشطة المخ:

النموذج السادس عشر:

> **الرسم الكهربائي لقلب الاقتصاد والسياسة الإيطالية كان مسطحًا flat.**

في حالات مثل هذه يمكن أن يكون للتشخيص أيضًا وظيفة مهمة في بناء شعور بالهوية القومية والحفاظ عليه. قد يُسهّل تقديم الأمم على أنها كيانات مجسمة **anthropomorphized** شعور المواطنين بالهوية والاندماج الانفعالي، ويعزز مشاعر التماثل والانسجام، ويخفف من حدة التباينات والخلافات(١). يمكن لأمثلة مثل النموذج السادس عشر كذلك أن تتصل تاريخيًا باستعارة الدول الأممية "جسد سياسي **body politic**"، التي نشأت أثناء عصر النهضة واستمرت في الظهور من خلال تعبيرات تقليدية مثل "رأس الدولة **Head of State**"، و"صحة الأمة **the health of the nation**". وقد لاحظ موسلوف مؤخرا كيف أن استعارات "الجسد السياسي" ما تزال تستخدم في الإنجليزية والألمانية بشكل منظم فيما يتصل بالاتحاد الأوروبي بوصفه كونفيدرالية من مجموعة من الدول.

يمكن أن يُستخدم التشخيص أيضًا بشكل أكثر عمومية في الخطاب السياسي لتقديم عمليات مجردة ومعقدة بمفردات سيناريوهات بشرية أبسط نسبيًا. فتعبيرات مثل "ميلاد اليورو" و "اليورو ولد"، على سبيل المثال، استخدمها السياسيون والصحفيون الأوروبيون على نطاق واسع في بداية عام ١٩٩٩، عندما قُدّمت العملة الموحدة رسميًا. لقد تم تصوير خلاصة العمليات السياسية والاقتصادية والمالية المعقدة التي تبنت بمقتضاها إحدى عشرة دولة نفس العملة بمفردات عملية الميلاد الأكثر ألفة وقابلية للفهم، والتي يتم تطبيقها على كل المخلوقات الحية، لكنها ترتبط نمطيًا بالكائن البشري(٢). على نحو مشابه، تقوم تعبيرات مثل "ميلاد الحركة النسائية" أو "موت الشيوعية" بتشخيص مفاهيم مجردة، وتقدّم بمفردات بشرية بسيطة أعدادًا كبيرة من العمليات والأحداث التي تحدث عبر فترات زمنية طويلة وتتضمن أعدادًا ضخمة من الناس.

---

(١) انظر، .Rohrer 1991; Wodak *et al.* 1999: 44-5; Wodak 2002

(٢) انظر، ;Semino 2002، وانظر أيضًا .Musolff 2004

مجالات مصدر أخرى

لا أستطيع في هذا الفصل المفرد أن أقوم بعرض متوازن لمجموعة مجالات المصدر التي تنطبق تقليديا على أبعاد مختلفة للسياسة، حتى لو أنني قيدت نفسي بدولة واحدة، ولغة واحدة، وفترة تاريخية واحدة. بناء على ذلك؛ فإنني سوف أذكر في هذا القسم بشكل موجز بضعة أنماط تمت مناقشتها بتفصيل أكبر في دراسات أخرى.

يدرس شيلتون دور مخططات صور أخرى بالإضافة إلى مخططي **الطريق والوعاء**، اللذين نوقشا في أثناء الحديث عن استعارات **الرحلة/الطريق** واستعارات **الوعاء** أو **الحاوية**. من بينها مخطط صورة **الرابط LINK**، الذي يقوم على الخبرة الجسدية بالروابط بين الأجساد والأشياء، ويتم تطبيقه تقليديا على مفاهيم وعلاقات مجردة. تتضمن هذه تصور الحرية، على سبيل المثال، الذي يتأسس تقليديا على أنه نقص القيود أو الكوابح المادية. ونفس مخطط الصورة مركزي كذلك للصياغة المفاهيمية للعلاقات بين الناس والمنظمات، كما تم توضيحه بواسطة تعبيرات مثل "اتفاقات مقيّدة"، و"روابط الصداقة"[1]. وفي المقابل فإن مخطط صورة أعلى – أسفل **UP-DOWN** ينخرط على وجه التحديد في بناء مفهوم السلطة والتحكم (مثل "الطبقات العليا والدنيا")، وأن يكون شخص "تحت **under**" سلطة شخص آخر[2].

---

(١) انظر، Chilton 1996: 55.

(٢) نفسه.

غالبا ما تُطبّق استعارات **الصحة/المرض** في اللغة الإنجليزية البريطانية والأمريكية على موضوعات سياسية (كتقديم المشكلات الاجتماعية على أنها "سرطانات" يجب "الحيلولة دون حدوثها" أو "استئصالها")، ومشكلات وسياسات اقتصادية مثل ("اقتصاد عفي/مريض")[1]. الاستعارات الدينية ذات مغزى أيضًا خاصة بالنظر إلى الدور المركزي الذي أصبح الدين يلعبه في السياسة الدولية في مطلع القرن الحادي والعشرين[2]. ففي إيطاليا يقوم سيلفيو بيرلسكوني على سبيل المثال بالاقتباس بشكل متكرر من العهد الجديد لأجل استعاراته. أحد السبل التي يصف بها نفسه في حملته الانتخابية الأولى في ١٩٩٤، أنه يمثل شخصية "السامري الصالح"، وكـ "هذا الذي مسّده الرب"[3]. من الواضح أن استخدام الخطاب الديني في المجال السياسي هو ظاهرة دالة ومعقدة، لها تجليات وتطبيقات متباينة في اللغات والأقطار والثقافات المختلفة[4]. ربما لا يكون استخدام السياسيين المنظم للاستعارات الدينية، على وجه التحديد، تعبيرا عن المعتقدات السياسية فحسب، لكنه يمكن أن يكون كذلك وسيلة استراتيجية لتمثيل هوية المرء كقائد (محتمل)، ويؤسس أرضية مشتركة مع بعض شرائح الجمهور العام، ويقلص من الأرضية المشتركة مع شرائح أخرى، ويستغل بعض الارتباطات الشعورية للصور الدينية لأغراض بلاغية.

التحفيز بالموضوع والتحفيز الموقفي في اختيار مجال المصدر

كما ذكرت في الفصل الأول حول أنماط الاستعارات في الخطاب فإن اختيار مجال المصدر الاستعاري يمكن في بعض الحالات أن يُحفز بواسطة بعض

---

(١) انظر، Boers 1999, Deignan 2000; وانظر كذلك "استعارة الجسد" في Musolff 2004.
(٢) انظر، Chilton 2004: 173ff.
(٣) انظر، Semino and Masci 1996.
(٤) انظر، Charteris-Black 2004: 171ff.

أبعاد المجال المستهدف نفسه، وبشكل عام بواسطة موضوع الجزء الأكبر وثيق الصلة من النص.

تستخدم كولر (٢٠٠٤) مصطلح "الاستعارات المحفَّزة بالموضوع **topic-triggered metaphors**"، لكي تمسك بهذه الظاهرة. لقد اقترحتُ في حديثي عن أنماط الاستعارات في الخطاب أن الاستعارات المحفَّزة بالموضوع غالبًا ما تُستخدم في عناوين الأخبار لأغراض فكاهية، نظرا لأنها تتضمن تورية بين المعاني الحرفية والاستعارية لتعبيرات معينة. مع ذلك ففي السياسة ربما تستخدم لاستغلال قوة الارتباطات "الحرفية" بين مجال المصدر والهدف، ومن ثَمَّ تعزيز القدرة الإقناعية لأطروحات المرء.

المقتطف التالي مأخوذ من الخطبة التي ألقاها رودلف جيلياني **Giuliani** في اجتماع الحزب الجمهوري الأمريكي عام ٢٠٠٤. كما هو معروف جيدًا فإن جيلياني كان عمدة نيويورك أثناء هجمات ٢٠٠١ الإرهابية على مركز التجارة العالمية، وقد احتُفي به على نطاق واسع بسبب معالجته للموقف في ذلك الوقت. يدافع جيلياني في خطبته في عام ٢٠٠٤ بشدة عن قرار الإدارة الأمريكية بالذهاب إلى الحرب في العراق في عام ٢٠٠٣، على الرغم من أنه ثبت تاليًا استحالة وجود أسلحة الدمار الشامل، التي استخدمت لتبرير ضرورة القضاء على نظام صدام حسين. فيما يأتي مقتطف من خطبة جيلياني:

النموذج السابع عشر:

> **في أية خطة لتدمير الإرهاب العالمي، فإنه من الضروري إنجاز مهمة التخلص من صدام حسين. بصراحة، لقد آمنت من قبل وأؤمن الآن أن صدام حسين، الذي ساند الإرهاب الدولي، وذبح مئات الآلاف من أفراد شعبه، وسمح بأعمال وحشية مرعبة ضد النساء، واستخدم أسلحة دمار شامل، كان نفسه سلاحًا من أسلحة الدمار الشامل.**

يقوم جيليان في نهاية هذا المقتطف بتحويل تصور أسلحة الدمار الشامل المثير للخلاف إلى مفهوم مصدر استعاري، تم تطبيقه على صدام حسين نفسه. أسلحة الدمار الشامل "الحرفية" هي موضوع مركزي بالطبع في هذه الخطبة، لكن من زاوية غيابها وليس حضورها. مع ذلك فإن الروابط الموجودة في العالم- الحقيقي بين صدام حسين وأسلحة الدمار الشامل تظل قوية، خاصة بالنسبة لجمهور من الحزب الجمهوري، ويؤكد جيلياني أن صدام كان قد استخدم مثل هذه الأسلحة في الماضي. ويعطي هذا قوة إضافية للوصف الاستعاري لصدام بوصفه "هو نفسه سلاح من أسلحة الدمار الشامل"، التي، في حجاج جيلياني، تقوم كتبرير كاف للحرب. وبحسب ما علَّق جورج لاكوف على خطبة جيلياني "حين لا يكون ما هو حرفي غير متاح، فإن الاستعاري سينجز المهمة"[1].

يحتاج تصور "التحفيز بالموضوع **Topic-triggering**" بالنسبة للاستعارات في حالة مثل استخدام سيلفيو بيرلسكوني لاستعارات كرة القدم (مثل الجزء الخاص باستعارات الرياضة السابق)، إلى توسيعه بما سوف أشير إليه على أنه "تحفيز موقفي **situational triggering**". كما شرحت من قبل فإن استعارات كرة القدم تم تطويعها في حالة بيرلسكوني تحديدًا، نظرا لكونه كان مالك نادي إيه. سي. ميلان، الذي كان بحلول ١٩٩٤ قد أحرز العديد من الألقاب القومية والدولية المرموقة. كما ذكرت من قبل، فإن بيرلسكوني استغل بوعي ارتباطه بكرة القدم، لكي يشي بأنه يستطيع أن يفعل لإيطاليا ما فعله لأجل إيه.سي. ميلان، وأن مواطني إيطاليا يجدر بهم أن يثقوا فيه بنفس الطريقة التي يثق بها فيه فريقه لكرة القدم:

---

(1) http://www.berkeley.edu/news/media/releases/2004/08/31_lakoff_gop1.shtml

النموذج الثامن عشر:

لو استدعاني سكالفارو [الرئيس الإيطالي] آمل أن أمنح الدولة حكومة صالحة. وفوق كل شيء فريق جيـــد. في هـــذه اللحظـــة أحتفـــل بانتصـــار ميـــلان في الدوري الإيطـــالي. على الإيطاليين أن يحتذوا المثال الذي يقدمه لاعبيَّ.

ربما يُستخدم تصور "التحفيز الموقفي" للإمساك بأي ارتباط غير اســـتعاري بين مجال مصدر استعاري معين وبعض أبعاد سياق موقفي وثيق الصلة، بما فيهـــا المتكلم (كما في حالة بيرلسكوني)، والسياق المكاني والزماني، وهلم جرا.

تستغل كل من الاستعارات المحفزة بالموضوع والموقف ارتباطـــات غيـــر استعارية لمجال أو سيناريو المصدر، وربما تعززها. وبذلك فإنه من المحتمل أنها تهبَ حجج المتكلم أو الكاتب قوة بلاغية إضافية، بواســـطة اجتـــذاب اســـتدلالات وتقييمات وارتباطات انفعالية معينة، وهلم جرا.

يمكن أن تُدرك مثل هذه الاختيارات للاستعارة بوصفها شـــديدة الـــذكاء أو "فطرية"، وربما تُستَغل استراتيجيًا كذلك لكي تطمس الحد الفاصل بـــين الحرفـــي والاستعاري. والنقطة الأخيرة وثيقة الصلة بحالتي جيلياني وبيرلـــسكوني، اللـــذين حاولا طمس الحد الفاصل بين الأسلحة الحرفية والاستعارية، وكرة القدم والسياسة على التتابع. سوف أناقش حالات استعارات إضافية محفزة بالموضوع والموقـــف على مدار هذا الكتاب.

الاختيارات الاستعارية والأنماط داخل وعبر النصوص في السياسة

لقد أشار شيلتون وشافنر إلى أن الاستعارات في الخطاب السياسي يمكن أن تـــوفر "تماسكًا تناصيًا intertextual coherence "، و"تماسكًا نـــصيًا intratextual coherence"

معًا، بأن تسهم في إنجاز التماسك عبر النصوص **across** (تناصيًا) وداخل **within** النصوص (نصيًا). وبقدر ما يعنينا التماسك التناصي، فقد اقترحنا تحديدًا أن الاستعارة يمكن أن تقدم "بنية مفهومية لإيديولوجيا نسقية يتم التعبير عنها في نصوص عديدة وكلام كثير"(١). لقد ناقشتُ دور الاستعارات التقليدية في الخطاب والإيديولوجيا في كلامي حول الاستعارة والخطاب والإيديولوجيا. وسوف أعتمد هنا على مناقشاتي السابقة للأنماط الاستعارية في دراستي لأنماط الاستعارة في الخطاب، لكي أدرس دور الأنماط النصية والتناصية لاستخدام الاستعارة في السياسة تحديدًا.

على المستوى الأوسع، توجد أنماط استعارية تتوغل في لغة بعينها على العموم، بغض النظر عن النوع أو المجال الأسلوبي **register** أو السياق الموقفي. فالأهداف، في اللغة الإنجليزية على سبيل المثال، يتم الكلام عنها عمومًا بوصفها محطات وصول، وإنجاز الأهداف يتم الكلام عنه بمفردات الحركة. وبمفردات كاميرون **(1999) Cameron's**، فإن هذه الأنماط تكشف عن "تسقية كونية"، نظرًا لأنها تحدث "عبر نصوص تنتمي إلى مجال واسع من أنماط الخطاب ومحتواه"(٢). تلك الأنماط التقليدية المتغلغلة توفر النمط الرئيسي للأدلة بالنسبة لمسلمات الاستعارات المفهومية مثل "**الحياة رحلة**" عند لاكوف وجونسون، أو "**تحقيق الهدف وصول إلى محطة وصول**" عند جرادي.

في مقابل ذلك، فإن بعض الأنماط الاستعارية ترتبط على نحو أكثر تحديدًا بخطابات معينة أو ممارسات معينة للخطاب (على الرغم من أنه قد يكون لها ارتباطات بأنماط نسقية كونية). لقد حاججت، على سبيل المثال، بأن الأنماط

---

(١) انظر، Chilton and Schäffner (2002: 29.

(٢) انظر، Cameron 1999: 16.

الاستعارية المشتقة من مجال مصدر الطوفان والكوارث (الطبيعية) هي سمة لخطاب الهجرة، وخصوصًا الخطابات التي قد توصف بأنها مناهضة للهجرة، أو عنصرية أو تشيع رهاب الأجانب **xenophobic**. وبمفردات كاميرون فإن تلك الأنماط تكشف عن "تسقية الخطاب **discourse systematicity**"، نظرا لأنها نسقية "داخل استخدام اللغة في جماعات خطاب معينة"(١).

يهتم نمط آخر للنسقية، لم يدرسه كاميرون بصراحة، بمستوى الفرد مستخدم اللغة. لقد لاحظ كوفيتش، كما ذكرت بالفعل، كيف أن خبرات الأفراد واهتماماتهم ربما تؤثر على الطرق التي يستخدمون بواسطتها الاستعارة. وقد أوضحت على نحو أكثر تحديدًا، في الفصل الثاني، كيف أن كتابة المؤلفين الأفراد قد تكون موسومة، من بين أشياء أخرى، باستخدامهم الفردي المميَّز الملفت. وقد اتضح في الفضاء السياسي أن الخطب التي يلقيها أشخاص سياسيون يمكن أن تكشف عن استراتيجيات بلاغية مميزة وبارزة، بما فيها أنماط متميزة في اختيار وتركيب مجالات مصدر، وفي استخدام سلاسل معينة من التعبيرات الاستعارية(٢).

يمكن أن تكشف الأنماط الاستعارية، في المستوى الأدنى، عن "نسقية محلية **local systematicity**"، عندما يتم تمديد استعارة معينة محليًا، وتتكرر على مدار نص أو كلام حول موضوع معين(٣). وعلى سبيل المثال فقد استخدمت الاستعارة الفردية المائزة "**اليورو قطار**" كما ناقشتها سابقًا، مرارا وتكرارا داخل مقال صحفي معين لكي تدعم حجة بعينها. إن مثل هذا النوع من الأنماط هو الذي يضيف إلى ما

---

(١) انظر، Cameron 1999: 16.

(٢) انظر، Charteris-Black 2004.

(٣) انظر، Cameron 1999: 16.

يدعوه شيلتون وشافنر "التماسك بين – النصي intra-textual coherence"، أي على وجه التحديد التماسك الشامل لتمثيل (بعد من أبعاد) الواقع، الذي يتم الدفع به في نص معين. هذه الأنماط بين – النصية غالبًا ما تنطوي على استغلال إبداعي للأنماط الاستعارية التقليدية. فعلى سبيل المثال، فإن استعارة "اليورو قطار" تُظهر من خلال سيناريو معين الميل العام نحو الكلام عن نجاح الشركات بمفردات الحركة الناجحة أو السفر الموفق. وبناء على ذلك فإن بعض التعبيرات الاستعارية تكون مبتدعة لغويًا (مثل "سوف تتحطم روابط العربات")، في حين يكون بعضها الآخر أكثر تقليدية (مثل استخدام تعبير "على خط السكة الحديد (القضبان) on track" للإشارة إلى حقيقة أن العملات المشاركة في الوحدة النقدية لم تتأثر بالمشكلات التي نشبت في أسواق جنوب شرق آسيا، قبيل تقديم اليورو).

في الواقع يؤكد شيلتون وشافنر أن التماسك النصي والتناصي ربما ينتج عن تعبيرات استعارية تقليدية ومبتدعة معًا. أود أن أضيف أن الاختيارات الاستعارية الأكثر تقليدية وأنماطها (سواء على مستوى كوني أم على مستوى الخطاب)، تميل إلى أن تعكس طرقًا شائعة مشتركة في الكلام عن موضوعات وقضايا معينة والتفكير فيها(١). من ناحية مقابلة، فإن الأنماط والتعبيرات الأكثر جدة (مثل استعارة "اليورو قطار") تستغل طرقًا تقليدية في الكلام والتفكير لكي تحاجج حول بعض النقاط، ولكي تنجز تأثيرات بلاغية معينة(٢). يستخدم شيلتون وشافنر مصطلح "استعارة بلاغية rhetorical metaphor" للإشارة بدقة إلى تعبيرات استعارية جديدة وممتدة، وبناء على ذلك (يحتمل أن) يستخدمها الكتاب والمتكلمون بقصد ووعي للحصول على تأثيرات بعينها.

---

(١) انظر، van Teeffelen 1994.

(٢) انظر، Semino 2002.

وكما ذكرت بالفعل، فقد "يُدَّعى" أن الاستخدامات الشخصية للتعبيرات الاستعارية انعكاس لآراء الفرد الشخصية أو "منسوبة" لآخرين، أي يتم تقديمها كانعكاس لوجهات نظر أشخاص آخرين[(١)]. ويشير يوبانك إلى أن الاستعارات، في سياقات الخطاب الفعلي، يمكن أن "تُخفَّف attenuated" أو "تُكثَّف".

> **تتنوع الاستعارات المفهومية وشواهد الاستعارات المفهومية في درجة شحنها البلاغي أو خلافيتها. لكي يتم تكييف التأثير البلاغي المحتمل لاستعارة ما يختار المتكلمون والكتاب استعارات بديلة أو مجموعة من مقابلات استعارة معينة، وهكذا يُخفف أو يُكثِّف الأثر البلاغي[(٢)].**

يقارن يوبانك على سبيل المثال الكثافة النسبية لأمثلة متباينة من الاستعارة المفهومية **التجارة حرب**. ويذهب إلى أن التعبير "شن عاصفة على شواطئ السوق المنافس **storming the beaches of a competitor**" هو مثال مكثف للاستعارة، نظرًا لأنه "يستدعي الدم والعنف"، وفي المقابل فإن تعبير "الالتفاف حول **outflanking**" (المنافس) هو مثال مخفف من الاستعارة المفهومية، نظرًا لأنه ينطوي على "عملية مناورة **manoeuvring**"[(٣)].

يؤكد يوبنكس **Eubanks** كذلك في مناقشته لاستعارة **التجارة حرب** مسألة مركزية لهذا الكتاب هي: من الضروري مناقشة التعبيرات الاستعارية في إطار سياقات استعمالها المحددة، نظرًا لأن الأنماط العامة لا يمكن التنبؤ بها أو إعاقة

---

(١) انظر، Eubanks 2000.

(٢) انظر، Eubanks 2000: 28.

(٣) نفسه، نفس الصفحة.

"تنويعات مهمة من الأنماط" على مستوى الأمثلة الفردية[1]. تطبق هذه المجموعة على كل من الخصائص اللغوية للأمثلة الفردية وعلى السياق الذي تحدث فيه (بما فيها بقية النص، والسياق الثقافي والسياسي والخطابي).

عند التعامل مع الخطابات التي تتضمن وسائل إعلام، من المهم أن نضع في الذهن كم التعرض العام الذي ربما تتلقاه التعبيرات الفردية. وعلى وجه التحديد، فإن التلفظات الشخصية للسياسيين البارزين غالبًا ما تتلقى الكثير للغاية من الاهتمام الإعلامي الذي ربما يكون له تأثير غير ملائم على الرأي العام، والنقاش السياسي، والاستخدامات التابعة. ينطبق هذا على سبيل المثال على وصف جورج دبليو بوش الشهير لدول كوريا الشمالية وإيران والعراق بوصفها "محور الشر"، في خطاب حالة الاتحاد **State of the Union** في ٢٠٠٢، الذي سبب خلافًا دوليًا كبيرًا، واستدعى استخدامات عديدة تالية، سواء طرحها بوش أو نُسبت إليه.

بعد أن ناقشتُ عددًا من الأبعاد العامة لاستخدام الاستعارة في السياسة، سوف أكرس بقية هذا الفصل لدراستي حالة محددتين.

دراسة الحالة الأولى: "خارطة طريق" الشرق الأوسط

في شهر أبريل ٢٠٠٢، وبعد سبعة شهور من الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة الأمريكية، أعلن الرئيس الأمريكي جورج دبليو بوش مبادرة جديدة تهدف إلى حل الصراع العربي الإسرائيلي في الشرق الأوسط. زار كولين باول وزير الخارجية المنطقة، كجزء من هذه المبادرة، وأجرى محادثات مع

(١) نفسه، ص ٢١.

ممثلين من الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وروسيا. تمخضت المحادثات عن تكوين ما أصبح يعرف بـ"اللجنة الرباعية" (المكوّنة من الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوروبي، والأمم المتحدة، وروسيا)، التي دشنت، لاحقًا في ٢٠٠٢، خطة جديدة لتحقيق السلام في الشرق الأوسط. وصفت هذه الخطة رسميًا بأنها "خارطة طريق لحل دائم للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي قائم على أساس الدولتين "Road Map to a Permanent Two-State Solution to the Israeli-Palestinian Conflict وأصبحت منذ ذلك الوقت مشهورةً بـ"خارطة طريق (الشرق الأوسط)". وقد تضمنت من بين أشياء أخرى، وقف جميع أشكال العنف، واعتراف القيادة الفلسطينية بإسرائيل، وانسحاب إسرائيل من المناطق المحتلة منذ سبتمبر ٢٠٠٠، وإصلاح مؤسسات فلسطينية، وإنشاء دولة فلسطينية مستقلة بحلول عام ٢٠٠٥.

كما رأينا مرات عديدة حتى الآن، فإن مجال مصدر الرحلات JOURNEYS له منظور واسع المدى للغاية في اللغة الإنجليزية. على وجه أكثر تحديدًا، فإن الأهداف تؤسَّس تقليديا بوصفها محطات يجب الوصول إليها، لذلك تم بناء الأفعال والاستراتيجيات الهادفة إلى إنجاز الأغراض تقليديا بمفردات التحرك للأمام أو السفر. المفاوضات السياسية، على وجه التحديد، هي واحدة من أنماط متعددة للأنشطة الغائية التي يتم بناؤها تقليديا كرحلات. ويمكن أن يشرح هذا لماذا تمت الإشارة استعاريًا إلى خطة تفصيلية معينة لإنجاز هدف مشترك كـ"خارطة طريق". تمدنا خرائط الطريق بمعلومات تيسر السفر نحو محطة وصول، وهي ضرورية على وجه التحديد إذا كان الشخص يسافر إلى مكان معين للمرة الأولى. وفي حالة صراع الشرق الأوسط، فإن المحاولات العديدة السابقة قدمت لإنجاز حل، لكن لم يكن أيٌّ من هذه الحلول ناجحًا.

أنوي، في هذا القسم، أن أبدأ بمناقشة الطريقة التي استخدمت بها استعارات الرحلة في الصياغات الأصلية الرسمية لـ"خارطة الطريق". ثم أدرس كيف استخدم السياسيون والصحفيون استعارات الرحلة لاحقًا للتعبير عن آراء ووجهات نظر معينة تخص عملية السلام في الشرق الأوسط ومبادرة الرباعية الدولية تحديدًا. هدفي هو أن أوضح كيف أن استعارة ما -عندما تشغل مكانة بارزة في المجال العام- يمكن أن يستخدمها أشخاص مختلفون بطرق متباينة لإنجاز أغراض بلاغية مختلفة.

استعارة "خارطة الطريق" في الخطب والوثائق الرسمية

يمكن أن يُقال إن بعض التعبيرات الاستعارية التي استخدمها الرئيس بوش في خطبه التي أعلنت عن المبادرة الدبلوماسية الجديدة تستشرف الاستخدام الرسمي لاستعارة "خارطة الطريق" بواسطة اللجنة الرباعية. وعلى سبيل المثال، لخص بوش في خطبة حالة الاتحاد في إبريل ٢٠٠٢، ما رأى أنه "عناصر السلام في الشرق الأوسط"، وأضاف بعد ذلك: "يجب أن نبني الطريق نحو تلك الأهداف". تكلم بعد ذلك في يونيو ٢٠٠٢ عن إمكانية أنَّ "كل الأطراف سوف [..] ترسم طريقًا جديدًا". على الرغم من أن تعبيرات مثل هذه هي تقليدية عمومًا وتُعد سمة من سمات خطب بوش، فإن التأكيد على "طريق/خارطة" جديدة متماسك نصيًا مع الوصف الأخير في الخطة الدولية الجديدة للشرق الأوسط بوصفها "خارطة طريق **road map**".

في الوثيقة الرسمية التي أنتجتها الرباعية الدولية (والتي خضعت لإعادة صياغة مرات عديدة)، استُخدم تعبير "خارطة الطريق" لأول مرة في العنوان لتقديم

الخطة الجديدة التي اقتُرحت. يحتوي نص الوثيقة على العديد من الاستخدامات الإضافية للتعبيرات الاستعارية للرحلة، بما فيها ما يأتي (كل الأمثلة أُخِذت من إصدار خارطة الطريق المنشور على الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة).

http://www.un.org/News/dh/mideast/roadmap122002.pdf

النموذج التاسع عشر:

> **المحطة النهائية هي حل نهائي وشامل للصراع الإسرائيلي-الفلسطيني بحلول ٢٠٠٥.**

النموذج العشرون:

> **إسرائيل تتخذ كل الخطوات الضرورية للمساعدة في جعل الحياة الفلسطينية حياة عادية.**

النموذج الواحد والعشرون:

> **بتحرك الأداء الأمني الشامل للأمام،**

النموذج الثاني و العشرون:

> **التقدم نحو استقرار شرق أوسطي كامل بين إسرائيل ولبنان وفلسطين وسوريا.**

تنطوي كل تلك الأمثلة على سبل بالغة التقليدية في الوصف الاستعاري للأهداف بوصفها "محطات وصول"، وللأفعال بوصفها "خطوات"، وللتغيير الإيجابي أو النجاح بوصفه "تحركًا للأمام" و"تقدم". تعبيرات مثل هذه شائعة خصيصًا في سياق السياسات والخطط والاستراتيجيات السياسية، وكان من الممكن

من ثمّ استخدامها مستقلـــة عن استعارة خارطة الطريق الجامعـــة **overarching**. مع ذلك فإن استخدام استعارة خارطة الطريق في العنوان "وفي مفتتح الوثيقة" يبرز دور استعارات الرحلة في التماسك النصي للوثيقة.

تستدعي النماذج من ١٩ إلى ٢٢ سيناريو يسافر فيه طرفان معًا نحو محطة وصول متفق عليها بينهما. يتعارض هذا جزئيًا مع حقيقة الموقف، حيــث توجــد شكوك وعدم ثقة متبادلة، وصراع مستمر، وخلاف حول ما قد يمثل حلا للمشكلات الراهنة (أعني "محطة الوصول" للرحلة). مع ذلك لم يكن من المدهش أن الـــرئيس الأمريكي ورئيس الوزراء البريطاني في الفترة من ٢٠٠٣-٢٠٠٤، كررا مـــرارا وتكرارًا وثيقة الرباعية الدولية في خطبهما الرسمية، ولم يستخدما استعارة خارطة الطريق للإشارة إلى التعقيدات المحتملة. فعلى سبيل المثال أعاد بوش في مـــارس ٢٠٠٣ الالتزام الأمريكي "بتطبيق خارطتنا للطريق نحو السلام"[١].

كرر توني بلير في نفس الوقت تقريبًا مفردات الوثيقة الرسمية عندما قـــال "محطة الوصول هي الاستقرار النهائي والشامل للصراع الإســـرائيلي-الفلـــسطيني بحلول ٢٠٠٥"[٢]. وقال في خطبة أخرى "خارطة الطريق [..] تقدم سبيلا نحو حل الدولتين الدائم (و) استقرارًا نهائيًا وشاملاً للصراع العربـــي الإســـرائيلي بحلـــول ٢٠٠٥"[٣].

وفي كل هذه الحالات فإن التأكيد كان على نقطة نهاية الرحلة والطريق الذي سيتم الوصول إليها من خلاله، والذي كان يفترض أن تقدمه خارطة الطريق.

---

(١) انظر، *Guardian Unlimited*, 23 March 2004.

(٢) انظر، *Guardian Unlimited*, 29 March 2004.

(٣) انظر، *Guardian Unlimited*, 23 March 2004.

مشكلات الرحلة

لم يتم الالتزام بالجدول الزمني التفصيلي الذي تم تحديده في وثيقة الرباعية الدولية في الشهور والسنوات التالية. ولا يبدو أن الموقف في الشرق الأوسط، وقت كتابة هذا الكتاب (أواخر ٢٠٠٤)، تحسن عنه في عام ٢٠٠٢، وقد أصبح في الواقع أكثر تعقيدًا بغزو العراق في ٢٠٠٣، وما تلاه من استمرار للحرب والعنف في ذلك البلد.

لم يكن من المستغرب إذن أن تنطوي الكثير من الإحالات إلى خارطة الطريق في الفترة التالية على صياغتها المبدئية على وصف للمشكلات، وللسيناريوهات الكارثية المتوقعة لو لم يلتزم الطرفان بخطة الرباعية الدولية. وفي المثالين الآتيين، يستغل وزير الخارجية الأمريكي كولين باول **Powell** والبريطاني جاك سترو **Straw** استعارة خارطة الطريق لتمثيل العواقب المحتملة للعنف الحديث المتجدد في الشرق الأوسط:

النموذج الثالث والعشرون:

> **حذر السيد سترو بأن عملية السلام في مفترق طرق.**
> **"هناك مخاطرة حقيقية بأن يصبح الناس في كلا الجانبين أكثر صلابة.. وأن ينحدروا إلى السبيل الآخر، نحو مزيد من العنف، نحو جهود أحادية الجانب لإعادة رسم الحدود"[1].**

(١) جاك سترو نقلا عن، *Guardian Unlimited*. 23 March 2004.

النموذج الرابع و العشرون:

"إن نهاية الطريق هو جرف سوف يهوي فيه كلا الطرفين"[1].

يعتمد كلا التقريرين على بعض روابط تقليدية بدرجة معقولة، بين مجالات مصدر الرحلة وأبعاد من أنشطة غرضية موجهة نحو هدف. إشارة سترو إلى "منعطف طريق" تستغل البناء التقليدي للاختيارات بوصفها نقاطًا في رحلة حيث يكون على المرء الاختيار بين طرق مختلفة ممكنة. يصف سترو بعد ذلك ما يراه "مخاطر" راهنة عبر سيناريو استعاري لا يلتزم فيه طرفان بالطريق الذي تقدمه خارطة الطريق، بل يسيران في طريق آخر يقود إلى محطة وصول مختلفة "مزيد من العنف، [..] نحو جهود أحادية الجانب لإعادة رسم الحدود".

استخدام فعل "ينحدر **stumble down**" في الإشارة إلى الحركة في "الطريق الآخر" ربما تشي بأنه يصعب السير في الطريق، وأن السفر في هذا الطريق قد لا يكون أيضًا نتيجة قرار متعمد، بل هو نتيجة ثانوية لأفعال أخرى خاطئة. وعلى نحو مشابه، يركز تصريح كولين باول في نموذج ٢٤ على خاتمة المطاف التي يبدو أن الطرفين يتوجهان إليها على ضوء أفعالهما الراهنة. ليست خاتمة المطاف في هذه الحالة محطة للوصول، بل نوعًا من الأمكنة القاتلة للمسافرين "جرفٌ سوف يهوي فيه الطرفان كلاهما" (انظر أيضًا استعارة حافة الجرف **cliff** التي سبقت مناقشتها في دراستي للمثال التمهيدي في مفتتح الفصل).

كما توضح تلك الأمثلة، فإن تقليدية وثراء ومرونة استعارات الرحلة تؤدي لاستخدامات متنوعة وعديدة لاستعارة خارطة الطريق، لكي تحاجج بنقاط معينة

---

(١) كولين باول نقلا عن *Guardian Unlimited*, 21 August 2003.

في سياقات متباينة. وعلى الرغم من أن تصريحات باول وسترو وصلت إلى ما وراء التعبيرات والروابط التقليدية المستخدمة في الوثائق والخطب الرسمية، فإنها لم تضع صلاحية الخطة نفسها موضع تساؤل:

لقد استغلت استعارة خارطة الطريق في نموذجي ٢٣ و ٢٤ لكي تثبط عزم الطرفين عن اتخاذ اتجاهات مختلفة عن ذلك الذي حددته الرباعية الدولية. ومع ذلك فإن المعلقين السياسيين قاموا بتمديد الاستعارة وتوسيعها بطرق أكثر إبداعية بكثير، غالبًا بهدف مساءلة صلاحية الخطة نفسها.

أحد القضايا التي أثيرت مرارًا وتكرارًا هي ما إذا كانت الخطة التي صاغتها الرباعية الدولية يمكن واقعيًا أن ينتج عنها تحقيق السلام في الشرق الأوسط. غالبًا ما تم التعبير عن الشكوك في كفاءة الخطة بشكل استعاري من خلال مساءلة محطة الوصول التي يفترض أن خارطة الطريق تساعد الطرفين على الوصول إليها. فعل سبيل المثال، أحد مقالات ٢٠٠٣ المعبرة عن التشكك في فرص نجاح المبادرة بأكملها حمل عنوان "الطريق إلى اللامكان"[١]. وقد تم فيه التعبير استعاريًا عن فكرة أن الخطة لا يمكن أن تنجح بواسطة تصور طريق بلا نقطة نهاية.

تم تطوير موضوع ما يمكن احتسابه محطة وصول مناسبة بطريقة أكثر تعقيدًا في مقال صحفي آخر في عام ٢٠٠٣ عنوانه "لابد أن توضح الخارطة طريقًا للعودة إلى الوطن **The map must show a way home**"[٢]. تقوم مؤلفة المقال غادة كرامي بمساءلة الحل المقترح بواسطة الرباعية الدولية، وهو ضرورة

(1) *Guardian Unlimited*, 23 March 2004.

(2) *Guardian Unlimited*, 6 June 2003.

خلق دولة فلسطينية منفصلة بمحاذاة إسرائيل. وتحاجج بأن هذا لن يحل ما ترى أنه المشكلة الأكثر جذرية: وهي أن خلق إسرائيل في ١٩٤٨ شرد العديد من الفلسطينيين الذين توجد منازلهم الأصلية داخل الحدود الحالية لإسرائيل. وتشير كرامي إلى أنه في إطار الحل المقترح بواسطة خارطة الطريق، لن يتمكن هؤلاء الناس من العودة إلى الأماكن التي جاءوا منها. ومن ثمَّ تدافع عن حل مغاير لصراع الشرق الأوسط: وهو خلق دولة واحدة تتيح "للشعبين أن يتشاركا المنطقة التي تُدعى الآن إسرائيل الكبرى، وكانت تدعى من قبل فلسطين"(١). تم تبرير هذا الحل استعاريًا في عنوان المقال (لابد أن توضح الخارطة طريقًا للعودة إلى الوطن) بواسطة استغلال بعد معين من أبعاد خرائط (الطريق)، لم يُتضمن في الصياغة الرسمية لخارطة الطريق: أن خرائط (الطريق) يجب أن تتيح لك العودة إلى نقطة الانطلاق الأصلية، التي ترتبط نمطيًا "ببيت/وطن" المرء. بواسطة تأطير هذا البعد المعين من مجال المصدر، تستغل كرامي الارتباطات الانفعالية للمفهوم المستدعَى بواسطة "البيت/الوطن"، وكذلك بعض الاستدلالات المشتقة من مجال المصدر، لأغراضها البلاغية الخاصة، وهي أن خارطة الطريق التي لا توضح طريقًا للعودة هي غير مرضية وغير كافية.

يمكن أن يوجد انتقاد مختلف لخطة الرباعية الدولية في مقال منشور في نفس الوقت تقريبًا، حيث تُستغل استعارة خارطة الطريق بشكل أكثر نسقية ووضوحًا. عنوان المقال هو "طريق صخري نحو السلام(٢)" والسطور الأولى للمقال تلخص أطروحة المؤلف العامة الشاملة كما يأتي:

---

(١) *Guardian Unlimited*, 6 June 2003.

(٢) انظر، *Guardian Unlimited*. 4/5/03.

النموذج الخامس و العشرون:

> **لا تتلاءم "خارطة طريق" الشرق الأوسط مع لبنات وملاط الضاحية القديمة التي وضعت التصميمات لتغييرها. فما المطبات المتوقعة؟**

وقد استخدمت استعارة خارطة الطريق بشكل إبداعي أيضًا في الفقرة الأولى من المقال:

النموذج السادس و العشرون:

> **إن "خارطة الطريق" هي إعادة رسم طريق ملتو لضاحية قديمة تمت زيارتها أول مرة أواخر ١٩٩١، في أعقاب حرب أخرى على العراق، وتم الرجوع إليها مرات عديدة منذ ذلك الوقت.**

يرحب مؤلف المقال آنوش إتشيمي **Anoush Ehteshami** على العموم بمبادرة الرباعية الدولية كتطور إيجابي. مع ذلك فإنه يشير إلى محاولات مشابهة قدمت من قبل (من الجدير بالملاحظة أنها أعقبت حرب الخليج الأولى)، ويحذر من بعض الصعوبات المحتملة في العملية. تم التعبير عن طرفي هذه الحجة جزئيًا بواسطة تمديدات وتوضيحات استعارة خارطة الطريق.

تم التعبير استعاريًا عن فكرة أنه تم تقديم خطة مشابهة لحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني عبر تصور "إعادة رسم" طريق مؤد إلى "ضاحية قديمة" تمت زيارتها مرات عديدة قبل ذلك الوقت. وصف محطة الوصول على أنها "ضاحية قديمة" يجعل التصور المجرد للسلام ملموسًا أكثر، وربما يمكن إدراكه على أنه ملائم على الخصوص بسبب ملاءمته الحرفية: ينطوي الحل الناجع لمشكلة الشرق الأوسط جزئيًا على تأسيس حدود جغرافية، عادة ما تكون في مناطق كثافة سكانية، سوف تمكن الناس من أن يعيشوا حياتهم اليومية في ضواحيهم الخاصة دون خوف من هجمات القنابل أو المتفجرات أو الدبابات.

تم التعبير استعاريًا عن الصعوبات المتضمنة في تحقيق خطة الرباعية الدولية بواسطة وصف "الطريق" بأنه إحدى الطرق التي يحتمل أن تكون مخادعة ويصعب السفر عليها: يستخدم المؤلف صفات مثل "صخري"، و"ملتو"، ويتساءل عن احتمالية وجود "مطبات". الأكثر أهمية بالنسبة لهذا المقال هو إشارة المؤلف إلى أن خارطة الطريق "لا يمكن أن تؤدي إلى سلام نهائي بدون حضور قرناء سفر آخرين، من أبرزهم سوريا وحلفاؤها في لبنان".

هنا تم التعبير استعاريا عن المسألة الحاسمة المتعلقة بكون صراع الشرق الأوسط ينطوي على عديد من الأطراف داخل المنطقة بمفردات الرحلة التي لابد أن تتضمن مسافرين آخرين بالإضافة إلى الإسرائيليين والفلسطينيين. يثير المؤلف، بالإضافة إلى ذلك، القضية الأكثر جذرية حول ما إذا كانت الخطة المقترحة تضع في الاعتبار حقائق الموقف الذي يُفترض أنها تعالجه. تم التعبير عن هذه القضية استعاريًا (في مفتتح المقال وخاتمته) على أنه نقص في التلاؤم بين خارطة الطريق "ولبنات وملاط الضاحية القديمة التي صُممت للتغيير". في هذه الحالة، يبدو أن "الضاحية القديمة" تتناظر مع الموقف الحالي في الشرق الأوسط، الذي يفترض فيه أن يتغير إلى الأفضل بواسطة الخطة. بصياغة أخرى فإن المؤلف لا يركز على الخارطة كأداة وصول لمحطة وصول، بل كانعكاس دقيق للحقل الذي تمثله. والإشارة إلى "اللبنات والملاط" على وجه التحديد تشي بالمشكلة التي يفرضها الوضع الراهن للمستوطنات الإسرائيلية والفلسطينية. من المثير للاهتمام أن الخرائط في مجال المصدر عادة، ما **تعكس** أقاليم جغرافية وفيزيقية، ولا تهدف إلى تغييرها. مع ذلك، فإن فكرة أن خارطة الطريق هي تمثيل ناقص للموقف الحالي كافية، في السياق، لاقتراح أن الخطة قد لا تنجح نتيجة عدم كفايتها الخاصة.

هذا المقال نمطي أيضًا من زاوية موضع وتجمع مجموعة من شواهد استعارة خارطة الطريق الممتدة: لقد استُخدِمَت التعبيرات الاستعارية الأكثر جدة ووضوحًا في العنوان والجمل الافتتاحية والفقرة الأولى لتقدم أطروحة المؤلف، ثم في الفقرة الأخيرة لتكرر وتلخِّص النقاط الأساسية للمقال (انظر أيضًا مقال "اليورو كقطار" في استعارات **الرحلة أو الطريق** فيما سبق). وفي هذه الحالة فإن التأثير البلاغي الكلي هو أيضًا خلق الفكاهة، بواسطة، على سبيل المثال، الإشارة إلى "مطبات قادمة"، و"طريق ملتو"، و"ضاحية قديمة".



الفكاهة متضمنة بشكل أكثر وضوحًا في الأمثلة الأخيرة التي سوف أدرسها في هذا القسم. الشكل (١) هو إنتاج أبيض وأسود للكرتون الذي أنتج في الإصدار الإلكتروني لصحيفة الجارديان البريطانية في ١٢ يونيو ٢٠٠٣. أنتج الكارتون رسام الكارتون بصحيفة الجارديان ستيف بيل **Steve Bell** فور تدهور متجدد للموقف في الشرق الأوسط، تضمَّن هجمات انتحارية فلسطينية انتقامية من إسرائيل. وفي الواقع فإن خلفية الكرتون تعرض آثار انفجارات، بسيارات وأتوبيسات محترقة، وأضواء كاشفة لطائرات الهليكوبتر تومض في السماء. تبرز صدارة الكرتون كاريكاتيرًا لجورج دبليو بوش (الذي يقدمه بيل عادة كقرد في حقيبة) يمسك بخريطة معنونة بـ"خارطة طريق السلام"، كما لو أنه يستشيرها. يوجد ثقب كبير في منتصف الخطة، التي تتضمن النقطة التي يصفها سهم في أعلى الخريطة بكلمات هي "أنت هنا". في الكارتون يقف بوش كناية عن إدارته الأمريكية وعن الرباعية الدولية التي تكونت على أساس المبادرة الأمريكية. كان بوش مرتبطًا كذلك بالحرب على العراق التي كانت قد بدأت قبل ذلك بعدة شهور، ونظر إليها كثيرون على أنها عامل مساهم في تعقيد صراع الشرق الأوسط. تم تمثيل خارطة الطريق في الكارتون على أنها خريطة حرفية مادية، يمسك بها بوش بيديه. يمكن أن نستنتج أن الانفجارات، داخل التمثيل المرئي، التي حدثت في الخلفية أحدثت ضررا بالخريطة إلى حد أن رسم بوش الكاريكاتوري لا يمكنه استخدامها لتحديد المكان الذي يوجد هو نفسه فيه، ومن ثمَّ، لمعرفة كيف يمكنه الوصول إلى محطة وصوله.

يمكن بناء على ذلك، تأويل الكارتون بوصفه استعارة مرئية: الخارطة المادية تتناظر مع خارطة الرباعية الدولية؛ والأذى الذي لحق بالخريطة المادية يتناظر مع إمكانية أن مبادرة خارطة الطريق سوف لا تكون ناجحة؛ وأن عدم

قدرة بوش على استخدام الخريطة المادية يتناظر مع عدم قدرة الولايـات المتحـدة على التعامل بكفاءة مع الصراع. حقيقة أن بوش يمسك الخارطة كما لو أنه ما زال يحاول قراءتها قد يقترح أيضًا أنه غير فاهم ولا واعٍ بحقيقة الموقف، أو أن الإدارة ما تزال تدعي أن الخارطة قابلة للتطبيق في حين أنها في الواقع غير ذلك. الرسالة السياسية الخطيرة التي هي سمة لرسومات بيل الكارتونيـة، يـصاحبها تـأثيرات فكاهية محتملة، على حساب بوش بشكل كبير: فالرئيس الأمريكي لم يقدَّم على نحو تحقيري في شكل قرد فحسب، بل إن تعبيرات وجهه ربما تشي بالحيرة الناتجة عن الجهل أو عدم الكفاءة.

لقد حفزت المكانة البارزة لخارطة طريق الشرق الأوسط في ٢٠٠٣ كـذلك بعض التأملات الميتالغوية من طرف المعلقين الإعلاميـين، اسـتهدف معظمهـا تسخيف شعبية الاستعارة والتعريض بمكامن ضعفها. في مقال معنون بـ"الـسياسة في مفترق الطرق: لا يمكن لأحد أن يكون بدون خارطة طريق الآن[١]"، يوصـف تعبير خارطة الطريق بأنه "المصطلح السياسي الموضة **du jour**"، وبأنه انعكـاس "للجاذبية التي تمتلكها المصطلحات الجغرافية بالنسبة للسياسيين". في مقـال آخـر معنون بـ"منعطف للأسوأ[٢]" يصف المؤلف أيضًا "خارطة الطريق" بأنها "تعبيـر صحفي ودبلوماسي مصكوك"، ويتأمل بشكل فكاهي السيناريوهات المختلفة التي قد يستدعيها التعبير لدى الجمهور البريطاني والأمريكي.

ويشير إلى أن "خارطة الطريق" قد تـستدعي بالنـسبة للأمـريكيين وعـدًا وتشويقًا. إنها تعني جاك كرواك **Kerouac** والطريـق الـسريع ٦١، و زن **Zen**،

---

(١) انظر، *Guardian Unlimited*, 2 June 2003.

(٢) انظر، *Guardian Unlimited*, 30 April 2003.

وفن صيانة الدراجات البخارية. ربما تأخذك خارطة الطريق في بلد أكبر إلى رحلة استكشاف شجاعة لمحطة وصول مشرقة. في المقابل فإن الاستعارة بالنسبة للجمهور البريطاني "من المحتمل أن تجعلنا نفكر في شخص يحاول أن يستنبط ما إذا كان طريق **B1137** سوف يكون بالفعل طريقًا مختصرًا للسفر من **Chelmsford** إلى **Colchester**. [...] الصورة التي لا يمكن مقاومتها هي لثنائي يتجادل بشأن التأويل الصحيح للخطوط الملونة والبقع الشمعية **blobs** على الصفحات التي توجد أمامهم"[1]. تستخف تلك السيناريوهات بوضوح بتأثير السياق الذي تستخدم فيه تعبيرات معينة، لكنها كذلك تذكير مفيد بالفروق عبر الثقافية وعبر اللغوية في تأويل التعبيرات الاستعارية. وعلى سبيل المثال يناقش شيلتون هذا الموضوع فيما يتصل بالأمنية التي عبر عنها جورباتشوف في الثمانينيات بأن يلقى الاتحاد السوفيتي الترحيب في "مجلس العموم الأوروبي": الكلمة الروسية التي استخدمها جورباتشوف "**dom**" تشير بشكل طبيعي إلى "صف من البيوت ذات الشقق الجماعية[2]". مع ذلك فإن ترجمتها للغات أوروبية أخرى استدعت المنازل العائلية الخاصة، ومن ثم أصبحت تشي بالتدخل بدلا من التعاون الجيراني. ويقترح شيلتون أن هذا له تأثير مهم على كيفية استقبال مبادرة جورباتشوف في الغرب[3].

ختامًا، أبرزت دراسة الحالة الأولى عددًا من الظواهر المهمة في الاستخدام السياسي للاستعارة. أولا: يمكن أن تُستخدم استعارات معينة إما "لتسمية" أو "تأطير"

---

(١) انظر، *Guardian Unlimited*, 30 April 2003.

(٢) انظر، Chilton 1996: 266.

(٣) انظر .Musolff 2004: 115ff لمناقشة للتطورات اللاحقة في استخدام استعارة "البيت الأوروبي".

مبادرات معينة، أصبحت مرتبطة بها بشكل لا يمكن المفر منه. ثانيا: ما إن تحتل استعارة معينة مكانًا بارزًا في المجال العام، حتى يمكن الإلماح إليها واستغلالها بطرق مختلفة بواسطة مشاركين مختلفين في النقاش السياسي. يصف موسلف هذه الظاهرة بـ"المحادثة الافتراضية" بين أطراف متناظرة تتواصل بشكل أساس عبر وسائل الإعلام وليس وجها لوجه.

لقد أوضحت كذلك كيف أن بعض امتدادات استعارة خارطة الطريق كانت أكثر إبداعية من استعارات أخرى. الأكثر أهمية، أن بعضها كان متسقًا مع الصياغة الأصلية لخارطة الرباعية الدولية، بينما تضع أخرى صلاحيتها موضع مساءلة بشكل مباشر (انظر أيضًا تصور موسلف لـ"التفاوض حول الاستعارة"). بالإضافة إلى ذلك فإن المكانة البارزة جدًا للاستعارة تؤدي إلى انعكاسات ميتالغوية (فكاهية) حول ملاءمتها وتكرار استخدامها. ينتج عن ذلك كله شبكة تناصية، يمكن أن تؤخذ في الحسبان جزئيًا فحسب من زاوية الأنماط الثلاثة للنسقية التي قدمها كاميرون (١٩٩٩)، (النسقية المحلية، ونسقية الخطاب، والنسقية الكونية).

استعارات الرحلة هي بالطبع نسقية على نطاق كوني في اللغة الإنجليزية، وهي كذلك نسقية خطابيًا في السياسة، خاصة فيما يتصل بالخطط والسياسات وتواريخ الدول القومية. أصبحت استعارة خارطة طريق محددة، نسقية داخل الخطاب الدولي حول الشرق الأوسط في الفترة التالية لمبادرة الرباعية الدولية في ٢٠٠٢.

مع ذلك كان مداها الزمني محدودًا. وكما لاحظ موسلف فإن "بعض الصياغات الاستعارية لها تاريخها الخاص"، وربما تتطور بسبل مختلفة داخل

جماعات خطابية معينة في مفاصل تاريخية معينة. أثناء كتابة هذا الكتاب (أواخر ٢٠٠٤) يبدو أنه تنشأ مبادرة سلام جديدة (كنتيجة جزئية لوفاة الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات مؤخرا)، لكن خارطة الطريق يتم ذكرها فقط بشكل غير متكرر وحذر، ربما لأنها أصبحت بحلول ذلك الوقت مرتبطة بفشل آخر (وفقًا للخطة الأصلية، فإن إنهاء الصراع وتأسيس دولتين منفصلتين كان يفترض أن يحدث في ٢٠٠٥). لذلك يؤدي هذا النوع من الظواهر إلى نوع معين نسقية خطاب مؤقتة، يتم ربطها بمبادرة سياسية أو حدث معين. فما إن تفقد مبادرة أو حدث ما ارتباطها بالوضع الراهن حتى تضعف النسقية الاستعارية أيضًا.

دراسة الحالة الثانية: منشور مضاد للهجرة في الحزب القومي البريطاني بالمملكة المتحدة

سوف أحلل بالتفصيل، في دراسة الحالة الثانية، استخدام التعبيرات الاستعارية في نص مفرد: هو صفحة غلاف في منشور للحزب القومي البريطاني، أعيد إنتاجه بالأبيض والأسود في شكل (٢). وضع المنشور في صندوق البريد في منزلي في لانكستر (في شمال غرب إنجلترا)، بضعة أسابيع قبيل الانتخابات الأوروبية والانتخابات المحلية في ١٠ يونيو ٢٠٠٤.


ELECTION COMMUNICATION ENGLAND NORTH WEST REGION JUNE 10
ASYLUM IS MAKING BRITAIN EXPLODE
www.bnp.org.uk
Asylum is allowing hundreds of 'asylum bombers' to plan their atrocities in Britain. The Madrid train bombings have been linked to Moroccan 'asylum-seekers' in London. The Security Services warn there are at least 4,000 extremists in Britain who have trained at al-Qaeda and Taliban terrorist camps. Letting in even more is madness.
There are around 2 million illegal immigrants and 'asylum seekers' in Britain pushing our services, benefits system and NHS to bursting point. Thousands more are flooding in every week.
British membership of the European Union has blown away our borders and control over our own legal system. Since May 1st, 75 million potential migrants from eastern Europe can now walk into Britain and live here at our expense. 97% of all asylum applications are bogus yet the politicians do nothing to stop the flood and protect us.
Asylum is blowing a massive hole in our pockets. In 2003 asylum cost us £4,000 million (£4 billion). This year the figure will top £5 billion. That's £5 billion of taxpayer's money that is being stolen from our schools, hospitals, housing, public-transport and pensions.
Asylum is ripping apart our countryside. The government is already planning to build five giant new cities, each the size of Birmingham, over the next 30 years to house over 5 million new immigrants.
It's about time! BNP

الحزب الوطني البريطاني **British National Party** هو حزب يميني حقق بعض النجاحات الانتخابية في السنوات الأخيرة على المستوى المحلي، خاصة في شمال غرب إنجلترا. ووفقًا للموقع الإلكتروني الرسمي للحزب فإن مهمته هي "إنقاذ مستقبل السكان الأصليين لتلك الجزر في شمال الأطلنطي التي كانت وطننا لآلاف السنين"(١). يستخدم مصطلح "أصليين" لكي "يصف الناس الذين كان أسلافهم هم القاطنون الأولون هنا، بعد العصر الجليدي الكبير الأخير، عززتهم هجرات تاريخية من بلاد أوروبية". أثناء الممارسة ينتج عن هذه المهمة موقف مضاد للهجرة، غالبًا ما يوصف من قبل وسائل الإعلام والأحزاب السياسية الأخرى بأنه عنصري ويحض على رهاب الأجانب **xenophobic**. يدعو الموقع الإلكتروني للحزب إلى "وقف فوري لكل هجرة إضافية، وترحيل فوري للمجرمين والمهاجرين غير الشرعيين، وتقديم نظام إعادة توطين تطوعي تتاح بمقتضاه لأولئك المهاجرين الذين يقيمون هنا بشكل شرعي فرصة العودة إلى الديار التي تنتمي إليها أصولهم العرقية، مدعومين بهبة مالية كريمة". كما يتعهد الحزب بالإضافة إلى ذلك بـ"الوقوف بصرامة في مواجهة طوفان "طالبي اللجوء السياسي"، الذين ما هم إلا مزيفون أو يمكن أن يعثروا على ملجأ في أقطار أقرب كثيرا من أوطانهم". وفي الواقع فإن اللجوء السياسي هو الموضوع الوحيد الذي تم التعامل معه في المنشور، والاستعارة تلعب دورًا حاسمًا في الحجج المناهضة للجوء السياسي التي طرحت في صفحة الغلاف.

لقد لاحظت العديد من الدراسات أن الاستعارات يمكن أن توظف لتقديم تعارضًا بين "من ينتمون لجماعة ما **in-groups**" و"من لا ينتمون إلى الجماعة

---

(1) http:www.bnp.org.uk, Summer 2007.

"**out-groups**"، ولنقل تمثيلات سلبية لأعضاء جماعات الأقلية، بما فيهم المهاجرون الاقتصاديون وطالبو اللجوء السياسي[1]. وكما ذكرت بالفعل فإن بعض مجالات المصدر الاستعارية تُستخدَم بشكل تقليدي، في اللغة الإنجليزية وكذلك في لغات أخرى، لكي تصف وصول المهاجرين وعواقبه (مثل **الطوفان، والكوارث (الطبيعية) والحرب/الغزو، والمرض/الطاعون**..إلخ). يشار في مقتطف من موقع الحزب القومي البريطاني إلى وصول طالبي اللجوء إلى بريطانيا بواسطة التعبير الاستعاري الأكثر تقليدية "الطوفان". استخدم نفس التعبير في الفقرة الثالثة من منشور الحزب في حين وصف المهاجرين غير الشرعيين وطالبي اللجوء في الفقرة الثانية بأنهم "يتدفقون كل أسبوع". هذه التعبيرات منسجمة نصيًا مع نمط أوسع، حاججت في كلامي عن الاستعارة والخطاب والإيديولوجيا بأنه جزء من خطاب (مضاد) للهجرة عمومًا. مع ذلك، فإن السلسلة الاستعارية الرئيسية في المنشور تتضمن إحالات إلى قنابل ومتفجرات وتدمير مادي. أقترح أن هذا النموذج استخدم بشكل استراتيجي لكي يعزز الارتباط "الحرفي" بين طالبي اللجوء والأنشطة الإرهابية التي أصبحت مهيمنة بشكل متزايد في ذلك الوقت ويستغل هذا الارتباط. بصياغة أخرى فإن الاختيار الرئيسي للاستعارة في المنشور محفِّز بموضوع استعارات **الكارثة** التي تميز الخطابات المضادة للهجرة واللجوء، ومتسق معها كذلك.

استخدم اسم "اللجوء" على مدار النص كفاعل نحوي في عبارات فعلية تشير إلى أنشطة (تدميرية في معظمها) تسبَّب فيها عادة فاعلون بشريون أفراد

---

(١) انظر،
van Dijk 1987: 107, 2002; van Teeffelen 1994; El Refaie 2001; Wodak 2002; O'Brien 2003; Chilton 2004: 110ff.

(مثل "تفجير بريطانيا" في العنوان، و"تمزيق" في الفقرة الخامسة، وانظر أيضًا "مسموح به" في الفقرة الأولى). في مثل كل هذه الحالات، يمكن القول عن "اللجوء" إنه إحالة كنائية إلى طالبي اللجوء السياسي و/أو السياسة الراهنة وأولئك المسئولين عنها. ومع ذلك فإنه من الممكن تأويل استخدامات "اللجوء" على أنها تنطوي على درجة ما من التشخيص، يتم من خلاله تقديم سلسلة معقدة من العمليات التي ينخرط فيها كثير من الأشخاص المتباينين على أنها فاعل تدميري مفرد[١]. على نحو أكثر خصوصية، فإن "اللجوء" في عنوان الصفحة الافتتاحية، للمنشور، يُدَّعى أنه "يجعل بريطانيا تنفجر". هذه الإشارة إلى الانفجارات، في هذا السياق، يمكن أن تؤدي وظيفتها حرفيًا واستعاريًا. وسوف أستكشف بقية النص قبل أن أعود إلى العنوان.

تعرض الصورة التي وضعت تحت العنوان مباشرة (وهي تحتل حوالي ثلث الصفحة) مجموعة من الشباب يحرقون العلم البريطاني **Union Jack** في مكان يبدو أنه شارع في دولة عربية. هذا النوع من المشاهد غالبًا ما يُعرض في تقارير تليفزيونية حول المظاهرات المعادية للغرب وبريطانيا في العالم العربي، ومن ثمَّ، من المحتمل أن تكون مألوفة في إنجلترا. وفي الواقع فإن المظاهرات المعادية للأمريكيين والبريطانيين شوهدت بشكل متكرر في الشهور التالية ليونيو ٢٠٠٤ خصوصًا، كجزء من تقارير وسائل الإعلام حول العواقب الواسعة لغزو العراق في ٢٠٠٣. وضعت صورة صغيرة لبريطانيا (أعني بدون أيرلندا الشمالية) في الجانب الأيمن من الصفحة، فقط فوق (وفي اتصال بـ) الجزء من الصورة الذي يحتوي على نيران ترتفع من العلم.

---

(١) انظر (٣-٤-٥) للتداخل بين التشخيص والكناية.

هذه الصورة ملونة بالأصفر البراق والأحمر، وتتخللها خطوط تبديها كما لو كانت غير تكاملية ماديًا. مرئيًا، يقترح كل هذا أن ألسنة النيران "الحقيقية" التي تشتعل في العلم داخل الصورة، انتشرت في الصورة المصغرة لبريطانيا خارج الصورة، وتنتشر أيضًا في الكلمات التي تكوّن العنوان (الكلمة "تنفجر" كذلك بالأحمر والأصفر، وبقية الكلمات تبدو متضررة ماديًا). نظرًا لأن صورة بريطانيا تمثل بريطانيا وشعبها على سبيل الكناية، فإن هذه التمثيلات المرئية قد تشي بأن العنف والكراهية المنتشرَين في العالم العربي يؤثران الآن على بريطانيا والشعب البريطاني مباشرة. يقدم العنوان (وبقية النص) اللجوء على أنه سبب لهذه العملية. وكما هو الحال في الإحالة للتفجيرات في العنوان، فإن الصور المرئية للاشتعال قد تؤول حرفيًا (أعني في علاقة بالتفجيرات التي تسبَّب فيها الإرهابيون) واستعاريًا (أعني كتمثيل لأثر وصول أعداد ضخمة من الناس). ويرجع هذا إلى الطريقة التي يتم بها تصوير طالبي اللجوء السياسي في بقية النص.

تم تقسيم متن الصفحة الافتتاحية للمنشور إلى خمس فقرات، كل فقرة مصحوبة بصورة صغيرة لبريطانيا "المشتعلة". كل فقرة تُفتتح بعنوان قصير يتكون من جملة اسمية باسم استعاري "قنبلة موقوتة". يستخدم هذا التعبير (الذي يشير حرفيًا إلى قنبلة تمت برمجتها للانفجار في وقت محدد" بشكل تقليدي للإشارة استعاريًا إلى مواقف حيث العمليات التي تحدث بالفعل هي في طريقها للتسبب في مشكلات تراجيدية وخطيرة في مسألة غير محددة في المستقبل القريب. تكرار تعبير "قنبلة موقوتة" يعد امتدادًا لسيناريو "التفجير" الذي يستدعيه العنوان، ويتسق مع صور العلم وبريطانيا المحترقة. القيود النحوية المتباينة السابقة على "القنبلة الموقوتة" في الفقرات الخمس تعين خمسة حقول مختلفة، ترتبط -وفقًا للحزب القومي البريطاني- بمشكلات خطيرة سببها اللجوء السياسي.

تؤسس الفقرة الأولى (قنبلة موقوتة للإرهابيين) ارتباطًا مركزيًا للنص ككل، بالتحديد بين طالبي اللجوء والأنشطة الإرهابية، التي يتم تمثيلها بشكل نمطي بواسطة تفجيرات القنابل. من المحتمل أن الحزب القومي البريطاني قد اعتمد على المعرفة العامة بكيف دخل هؤلاء الإرهابيون إلى الولايات المتحدة تحت حجج مزيفة وأمضوا وقتًا في الاستعداد والتدريب على هجمات الحادي عشر من سبتمبر؟. وفي الواقع، فإنه توجد إحالة إلى احتمال أنه يوجد في بريطانيا أفراد تدربوا في نفس المعسكرات التي ارتبطت بمنفذي هجمات الحادي عشر من سبتمبر. ما أشير إليه بشكل معلن في الفقرة الأولى هي التفجيرات الأحدث التي وقعت في محطة قطارات مدريد الرئيسية في الحادي عشر من مارس ٢٠٠٤، التي رُبطت بأنشطة مشبوهة لجماعات من شمال أفريقيا تستقر في بريطانيا. تم تعميم هذا الرابط المحتمل مع العالم الفعلي بين عدد صغير من طالبي اللجوء والأنشطة الإرهابية على الجماعة بأكملها: في المقتطف الأول تم نحت التركيب "طالبي اللجوء التفجيريين **asylum-bombers**" لكي يشير إلى الناس الذين يتقدمون بطلبات لجوء بهدف تخطيط وتنفيذ الهجمات الإرهابية؛ على مدار النص استخدمت شواهد الرعب بالنسبة لطالبي اللجوء لكي تشي بالخداع (الاقتباسات المرعبة استخدمت أيضًا بنفس الطريقة في بيان الحزب حول سياسة الهجرة التي تم اقتباسها فيما سبق). الاتجاه إلى تعميم الأنشطة الجرائمية لمجموعات صغيرة من الأشخاص على كل أعضاء جماعات الأقليات (سواء أكانوا مهاجرين أم أعضاء جماعات إثنية أم غير ذلك) لاحظته دراسات أخرى[١]. كذلك قُدمت مزاعم في الفقرة الأولى وبقية المنشور حول أعداد ضخمة من الناس المتورطين (مئات من طالبي اللجوء

---

(١) مثل، van Dijk 1987: 198.

التفجيريين، على الأقل أربعة آلاف متطرف، ومليونا مهاجر غير شرعي، و٧٥ مليون مهاجر محتمل، وخمس مدن عملاقة جديدة، وخمسة ملايين مهاجر جديد). ومع ذلك فإنه لا تقدم أية إشارة إلى المصادر التي اعتمدت عليها هذه الأرقام، أو إلى مصداقيتها.

بعد تأسيس روابط غير استعارية بين طالبي اللجوء والإرهاب في الفقرة الأولى، استخدمت التعبيرات الاستعارية التي تربط بين التفجيرات والدمار المادي في بقية النص لتقدم عواقب اللجوء (بالإضافة إلى تكرار تعبير "قنبلة موقوتة"). وصف المهاجرون غير الشرعيين وطالبو اللجوء السياسي في الفقرة الثانية بأنهم "يدفعون خدماتنا ونظام إعاناتنا والخدمات القومية للصحة NHS نحو نقطة الانفجار". تم تمثيل عضوية الاتحاد الأوروبي في الفقرة الثالثة بأنه "ينسف حدودنا وسيطرتنا على نظامنا القانوني الخاص". وتم تقديم العواقب المالية لاستضافة طالبي اللجوء السياسي في الفقرة الرابعة على أنه "يفجّر ثقبا هائلا في أسواقنا". ويوصف اللجوء في الفقرة الأخيرة بأنه "تمزيق" لبلدنا. بصياغة أخرى، فإن تكرار التعبيرات المتعلقة بالقنابل والانفجارات والتدمير المادي على مدار النص يساعد على تقديم عواقب اللجوء بمفردات حية وكارثية، وعلى تحذير العامة من أن الموقف على وشك أن يصبح أسوأ بكثير.

التعبيرات التي ذكرتها تقليدية تمامًا في اللغة الإنجليزية، نظرا لأن مجال مصدر القنابل والانفجارات غالبًا ما يستخدم لتمثيل (غالبا بشكل مبالغ فيه بقدر ما) مشكلات خطيرة ومفاجئة، خاصة لو كان المتسبب فيها أعدادًا كبيرة من البشر أو الكيانات (مثل: "إحدى المناطق الصناعية البرازيلية الكبرى أصبحت قنبلة بيئية موقوتة يمكن أن تنفجر في أي وقت"، نقلا عن وكالة أنباء BNC). مع ذلك فإن هذا النمط الاستعاري متغلغل الانتشار تحديدا في الشعار، ويعزز الصور البصرية

للاشتعال (ويتعزز بها): الاشتعال الحرفي للعلم يتحول إلى اشتعال حرفي/استعاري للوطن نفسه (عندما يجهز طالبو اللجوء السياسي المزيفون لأنشطة إرهابية في بريطانية ويتسببون في مشكلات خطيرة للسكان المحليين، والخدمات المقدمة لهم والبنية التحتية). وبناء على ذلك فإن تلك التعبيرات الاستعارية والصور تسهم في "التماسك بين النصي" الكامل لهذا الجزء من المنشور[١]، ولمقصده الإقناعي: فهي محورية لتمثيلات الحال الراهن لبريطانيا بوصفه سيناريو كارثيًا محتملاً تسببت فيه سياسات اللجوء الحالية، ويمكن تجنبه فحسب لو تم التصويت لصالح وصول الحزب القومي البريطاني للسلطة. تم توظيف استراتيجيات لغوية أخرى في المنشور، مثل ضمير "نحن" الذي يشير ضمنيًا إلى السكان البيض "الأصليين"، والأشكال المبالغ فيها، والتعبيرات غير الرسمية مثل "تسير نحو بريطانيا walk into Britain" (في الفقرة الثالثة) لتقترح بواسطة الكناية أن مواطني دول الاتحاد الأوروبي الجديد يستطيعون الآن دخول بريطانيا بسهولة عظيمة. كل هذه الاستراتيجيات هي جزء من خطاب أوسع معاد للهجرة يعكسه المنشور ويضيف إليه.

هناك نتائج مهمة أيضًا لحقيقة أن مجال مصدر التفجيرات المهيمن، هو محفزً بالموضوع إلى حد ما على الأقل. فأولا: قد يعزز اختيار استعارات التفجير الارتباطات "الحرفية" بين الإرهاب وطالبي اللجوء السياسي، وكذلك يفيد من الوجود المسبق لهذا الارتباط: فقد يُدرك بعض القراء التعبيرات الاستعارية المتنوعة على أنها طبيعية وملائمة تحديدًا، وتعكس وجهة نظر شائعة لطالبي اللجوء[٢]. ثانيًا: الإشارات الاستعارية شديدة التقليدية المستخدمة في كل مكان

---

(١) انظر، Chilton and Schäffner 2002: 29.

(٢) انظر أيضًا van Dijk 1987: 372-3; El Refaie 2001; O'Brien 2003 حول استخدام استعارات الفيضان والماء حيث يكون وصول الماء أو انهماره وثيق الصلة حرفيًا.

(مثل "قنبلة موقوتة"، و"يدفع نحو نقطة الانفجار"..إلخ) تمّ إنعاشها، ومن ثمّ قد يكون لها أثر أعظم مما تحققه في سياق مختلف[١]. وعلى وجه التحديد فإنه يحتمل بشدة استدعاء الارتباطات الشعورية المحتملة لتعبيرات تقليدية مثل "قنبلة موقوتة" و"تمزيق" (مثل الخوف والقلق)، إذا وضعنا في الاعتبار كثافة التعبيرات المشابهة والإحالات الحرفية للتفجيرات الراهنة. ثالثًا: تم خلق إمكانية للغموض: فعنوان المنشور على سبيل المثال يمكن أن يُقرأ حرفيًا (كإشارة إلى تفجيرات إرهابية مخططة) واستعاريًا (كإشارة إلى مشكلات خطيرة ناتجة عن الازدحام والطلبات المتزايدة على الخدمات). وسوف ينطبق الأمر نفسه على تعبيرات أخرى مثل "قنبلة موقوتة".

حاججت بشكل كلي بأنه تم استخدام نموذج استعاري معين استراتيجيا في المنشور لاستغلال ارتباطات غير استعارية موجودة بين مجال المصدر والمجال المستهدف، ولتقديم أبعاد معقدة ومثيرة للخلاف للمسائل الراهنة بمفردات بسيطة وعاطفية وكارثية. يعكس المنشور ويعزز الخطاب المعادي للهجرة والإيديولوجيا التي يسعى الحزب القومي البريطاني لتقديم تمثيلات سياسية لها. نجاح التأثير الإقناعي للمنشور أو الشروط اللازمة لنجاحه، هو أمر مختلف. توجد بعض الأدلة التجريبية على أن الاستعارات يمكن أن تحول دون ما يسمى بـ"أثر الكيد المرتد على صاحبه **boomerang effect**" الذي يحدث عندما تؤدي اللغة المشحونة إلى تنفير المستمعين أو القراء[٢]. مع ذلك يميل الناس إلى تكوين آراء قوية بشأن كل من اللجوء والموقف السياسي للحزب القومي البريطاني، ومن ثمّ فمن غير المحتمل أن يتأثروا بشدة بنص مفرد.

---

(١) انظر، Goatly 1997: 276ff.

(٢) انظر، Mio 1997.

يترتب على ذلك أن منشورًا مثل ذلك الذي قمت بتحليله يميل نحو استهداف أولئك الأفراد من العامة الذين لديهم بالفعل اقتناع جزئي، مثل الناس (ذوي الأغلبية البيضاء) ممن يشعرون بالتهديد من قِبَل المهاجرين وطالبي اللجوء، ولديهم بالفعل وجهات نظر متحاملة ضدهم (بما فيها على سبيل المثال وجهة نظر أن العديد من طالبي اللجوء السياسي أو معظمهم متورطون في أنشطة إجرامية أو إرهابية). تعتمد الاستراتيجية الانتخابية للحزب القومي البريطاني بدقة على اجتذاب هذه الشريحة من الناخبين، الذين قد يصوتون غالبًا لحزب آخر أو لا يصوتون على الإطلاق. فيما يتعلق بالحدث الذي حفز على المنشور، لم يحصل الحزب القومي البريطاني على أية مقاعد أوروبية في العاشر من يونيو ٢٠٠٤، لكنه فاز بخمسة مقاعد إضافية في المجالس المحلية مقارنة بانتخابات ١٩٩٩ السابقة.

ملخص

أوضحت في هذا الفصل، كيف تُستخدم النماذج الاستعارية باتساق في السياسة لتوفر تمثيلات معينة للموضوعات والمواقف والأحداث، ولتنجز تأثيرات إقناعية. ينطوي هذا على مجموعة واسعة من مجالات المصدر والهدف، لكن هناك مجالات مصدر معينة تهيمن، تحديدًا على السياسة الأنجلو أمريكية (**مثل الطريق/الرحلة، الوعاء، الحرب، الرياضة، الكائنات البشرية**). الاستعارات مفيدة خصوصًا عندما يكون من الضروري تبسيط موضوعات معقدة ومجردة، وتقديمها بمفردات حيوية وعاطفية. يمكن أن تضيف الاستعارات إلى التماسك الداخلي لنص معين، وأن توظَّف نصيًا لربط نصوص متباينة تتعامل مع موضوعات مشابهة. النموذج اللغوي الأكثر تقليدية يمكن أن يكون مهمًا لخطابات معينة، ويمكن أن يعكس ويعزز إيديولوجيات معينة.

وفي المقابل تميل التعبيرات اللغوية المبتدعة إلى أن تُستخدم عن قصد للحجاج بشأن نقاط معينة في سياقات معينة. وفي الواقع فإن دور سياقات استعمال معينة حاسم في فهم الدافع المحتمل وراء اختيار استعارة معينة، وتأثيراتها المحتملة على المستمعين أو القراء. وفي حين أنه توجد أدلة مختلطة حول التأثيرات الإقناعية الفعلية للاستخدامات الفردية، فإن الآثار البلاغية والإيديولوجية للاستعارة يحتمل أن تنتج عن تأثير تراكمي لاستخدامات مترابطة عبر العديد من التلفظات والنصوص المتباينة.

الفصل الرابع

استخدام الاستعارة في النصوص العلمية والتعليمية

مثال تمهيدي: الوعي وفكرة الشهرة في المخ البشري:

ضم العدد الصادر في عام ٢٠٠١ من إحدى الـدوريات العلميـة وتـسمى المعرفة Cognition عددًا من المقالات حول قضية الوعي، وهي الظـاهرة التـي تحولت إلى جدل محموم في العقدين الأخيرين بـين الفلـسفة، والعلـم المعرفـي cognitive science[١]. ففي المقال الختامي، المعنون "**هل استطعنا تفسير الوعي؟**" "Are We Explaining Consciousness Yet?"، يعبـر دانيـل دينيـت Daniel Dennet عما يراه نطاق نظرية الوعي، بالعبارات التالية:

النموذج الأول:

> **ما تحتاج نظرية الوعي أن تفسره لنا هو كيـف تتـاح السيطرة والسيادة لبعض الأفكار – في ذلك الخضم من الأفكار الموجود في المخ – بينما تتبخر أفكار أخرى، ويطويها النـسيان بعد أن تكون قد أدت دورها الصغير، الذي كُلفت به، في تلك المشروعات المتطورة التي يقوم بها المخ البشري[٢].**

إذا كنت تجد هذه العبارة التي انتزعت من سياقها غريبة ومركبة، فلك كـل الحق؛ لأنك لست على دراية بالاستعارة التي يستخدمها دينيت، وتعد مفتاح نظريته في وصف الوعي في هذا المقال (وفي معظم الدراسات التي صدرت له مـؤخرًا)،

---

(١) انظر كتاب ليري Leary ١٩٩٠، وكتاب سيرل Searle ١٩٩٧، صفحة ٤٨٥.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها دينيت في عام ٢٠٠١، صفحة ٢٢٥.

وأقصد به تلك الاستعارة التي تشير إلى أن الوعي هو "شهرة في المخ البشري" **Fame in the brain**. وليسمح لي عزيزي القارئ أن أذكر له ذلك السياق الذي يحتاجه، ليفهم ما أراد دينيت قوله.

ففي المقال الذي أشرنا إليه، يعبر دينيت عن اهتمامه بالقضية التالية: لماذا لا تصل الكثير من الأفكار التي تدور في المخ البشري إلى مرحلة الوعي، بينما تصل أفكار أخرى لهذه المرحلة في توقيت معين؟ وبمعنى أدق، ما معنى أن تصل بعض الأفكار لمرحلة الوعي؟

وإذا ما عدنا بالزمن إلى الوراء، فلسوف نجد أن أول تفكير منطقي ومؤثر لقضية الوعي، هو ذلك التفسير الذي قام به الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت **Rene Descartes** في القرن السابع عشر. فكان ديكارت يرى أن المعلومات التي تتم معالجتها في المخ البشري تصل إلى مرحلة الوعي، حينما تصل إلى موضع بعينه (وكان يرى أن هذا الموضع هو الغدة الصنوبرية)، حتى يراقبها الرجل الصغير **homunculus**، والذي يقصد به ديكارت روح الشخص نفسه.

أما دينيت فقد قدم لنا في مقاله مدخلاً بديلاً، لذلك المدخل الذي قال به ديكارت، ويصفه دينيت كالآتي:

النموذج الثاني:

> **كان المثال التقليدي – والذي مازال شائعًا – الذي يستخدمه ديكارت مأخوذًا من المسرح، والذي يفترض أن هناك موضعًا في المخ يتلقى النتائج، التي توسلها له وحدات اللاوعي من أجل الوصول إلى التقييم الواعي والنهائي الذي يقوم به الجمهور[1].**

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها دينيت عام ٢٠٠١، صفحة ٢٢٢.

وعلى النقيض من هذا، يوجد اتفاق شبه نهائي بين العلماء المعاصرين أنه لا يوجد موضع في المخ البشري، تظهر فيه الأفكار الواعية، حيث يتم استيعابها بشكل من الأشكال. فعلى العكس تمامًا، يُفسر الوعي حاليًا من خلال المكانة الخاصة التي تحققها بعض المعلومات داخل محل العمل العصبي الكوني **global neuronal workspace**. وباختصار شديد، توجد فكرة مؤداها أن الكثير من الخلايا العصبية تقوم بمعالجة المعلومات في المخ البشري في وقت محدد. وتبقى معظم هذه المعلومات في منطقة اللاوعي، بمعنى أنها موجودة موضعيًا **locally** داخل المخ فقط، ولكن هناك بعض المعلومات التي تصبح – وبشكل فوري – في متناول العديد من الشبكات العصبية الموجودة في كافة أجزاء المخ، وهذا الانتقال من الوجود الموضعي (المحلي) إلى الوجود العالمي **globally**، وهو ما نعني به أن بعض الأفكار قد وصلت إلى مرحلة أو منطقة اللاوعي.

وتتفق الروايات المختلفة لهذه الرؤية لقضية الوعي، مع المثال المسرحي الذي ضربه ديكارت، في أن كليهما يتضمن أوصافًا استعارية للمخ وأنشطته. فعلى سبيل المثال، يقتبس دينيت (صفحة ٢٢٢) صيغة بعينها مستمدة من ذلك الإجماع بين علماء العلم المعرفي، والذي يشير إلى أن الوعي يتحقق عن طريق:

النموذج الثالث:

> **مجتمع من المتخصصين الذين تم توزيعهم على المواقع المختلفة، والذين يمتلكون ذاكرة تعمل بكفاءة، وهي ما نسميه بمحل العمل العالمي، والذي يمكن إرسال أفكاره إلى النظام برمته[١].**

(١) انظر كتاب بارز Baars الصادر عام ١٩٨٨.

ويشير دينيت (صفحة ٢٢٤) إلى النموذج الجحيمي للوعي **Pandemonium model of consciousness**، والذي يصور المخ البشري كجحيم أو كزمرة من الشياطين **demons**، ومن ثمَّ:

النموذج الرابع:

> **قد يعد ما يدور في خلد الشياطين الجزء اللاواعي من الفكر، أما ما يرفعون به عقيرتهم على الملأ، لكي يُسمعوا بعضهم البعض، هو الجزء الواعي من الفكر[١].**

فإذا ما طبقنا الخطوات التي نتعرف بها على الاستعارة، والتي ذكرتها في الفصل الأول، يمكننا أن نقول إن الفقرتين السابقتين تحتويان على العديد من التعبيرات الاستعارية، منها على سبيل المثال "مجتمع"، "المتخصصين"، "محل العمل"، "الشياطين"، "يرفعون بها عقيرتهم"، "لكي يُسمعوا بعضهم البعض". وهذه التعبيرات لها معان سياقية في مقال دينيت، وهي معان ترتبط بالعمليات التي تحدث في المخ البشري.

وتتناقض هذه المعاني السياقية مع المعاني الأساسية (الحرفية) لهذه التعبيرات، والتي تتعلق بالتعبير عن أنشطة الإنسان، أو في حالة الشياطين بكائنات فوق طبيعية (يتخيلها الناس كبني البشر في أنشطتهم وسلوكياتهم). والهدف الأساسي من استخدام هذه المعاني الأساسية هو إيجاد نموذج يعبر عن الكيفية التي تؤدي بالنشاط الحادث في المخ البشري إلى وجود منطقة أو مرحلة الوعي.

وإذا ما استخدمنا التعبيرات المستخدمة في نظرية الاستعارة المعرفية، فيمكننا أن نقول إن المجال المستهدف **target domain** وهو الوعي، قد صيغ من

---

(١) انظر أيضا الدراسة التي قام بها هوفمان **Hoffman** عام ١٩٥٩، صفحة ١٤٧.

خلال سيناريو مستمد من المجال الأصلي **source domain**، ونقصد بـه النـشاط الإنساني. ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن درجة استعارية مثل هـذه التعبيـرات تقل تدريجيًا، إذا ما استخدمت كتعبيرات فنية متخصصة في الأوساط العلمية، ومن ثم تكتسب معانى شديدة التخصص، لا تستخدم إلا فـي الـسياقات المتخصـصة. وسوف أعود لهذه النقطة لاحقًا؛ لمناقشتها بمزيد من التفصيل والتحليل.

ويشترك النموذج الأول الذي ذكره دينيت، وهو النموذج المتعدد المـسودات **Multiple Drafts Model**، مع نموذج الجحيم (جحيم الشياطين) في أنه:

النموذج الخامس:

> **لا يوفر لنا ذلك الأمر الترياق مـن الخيـال الـودود والرقراق الذي يخلصنا من ذلك المثال المسرحي الذي ابتكـره ديكارت، والذي نشأنا جميعا عليه؛ ولذلك فكرت مـؤخرا في استعارة أخرى أكثر فائدة، وهي الشهرة في المـخ البـشـري fame in the brain أو ما يمكن أن نسميه الـشهرة المخيـة cerebral celebrity[١].**

النموذج السادس:

> **وحتى الآن تستطيع الأفكار التي لم تصل لمرحلة الوعي – وهي حيث هي – أن تحقق شيئًا يشبه الشهرة في معرض المنافسة مع الأفكار الأخرى الباحثة عن الشهرة (أو بمعـنى أدق تلـك التي بإمكانها أن تصل للشهرة). وطبقًا لوجهة النظر هذه، فـإن هذا بالضبط ما تعنيه كلمة الوعي.**

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها دينيت، ٢٠٠١، صفحة ٢٢٤.

وهنا يجب أن نلفت النظر إلى أن الاستعارة التوضيحية التي يستخدمها دينيت، تأخذ شكل التشبيه، بمعنى الحديث عن شيء "كالشهرة"، هذا فضلاً عن بعض التعبيرات الاستعارية مثل "الباحث عن الشهرة"، و"العثور على الشهرة". فدينيت يستخدم المجال الأصلي للشهرة؛ من أجل إضافة المزيد من التفصيل لوجهة نظره، التي تقول إن الوعي يشبه الوصول للعالمية **global accessibility** الموجودة في المخ البشري. وسوف أحاول أن أبسط هذه المسألة للقارئ. يريد دينيت أن يقول إن الطريقة التي يحقق بها بعض الأشخاص الشهرة، بحيث يعرفهم العديد من الناس، في العديد من الأماكن، هي نفس الطريقة التي تصل بها بعض المعلومات إلى منطقة أو مرحلة الوعي، حيث يسهل على الكثير من الشبكات العصبية المختلفة الوصول إليها في مختلف أجزاء المخ.

ويحاول دينيت في الفقرة التالية – بعد أن قدم لنا هذه الاستعارة – إضافة المزيد من التفاصيل؛ من أجل منع نقل أي صور محتملة غير مناسبة من المجال الأصلي، وهو الشهرة، إلى المجال المستهدف، وهو الوعي:

النموذج السابع:

> **يقينًا لا يمكن أن يماثل الوعي الشهرة في المخ البشري؛ فالشهرة تعني أن يضعك العديد من الناس في عقلهم الواعي وبإرادهم، في شكل شيء محبب لأنفسهم. وعلى الرغم من أن المخ البشري يُنظر إليه على أنه مكوّن من مجموعة من الشياطين، وإذا كان لنا أن نتخيل أن هؤلاء الشياطين ملمون بالوسائل التي يحتاجونها لرفع مكانة البعض من بني جلدهم إلى مكانة الشهرة المخية، فإن هذا يعني أننا نضفي الكثير من علم نفس الإنسان على هذه الكائنات التي تعد في مكانة ما دون**

الإنسان؛ وهذا قد يؤدي إلى تراجع ونكوص في درجة ابتكارية هذا النموذج المستخدم لشرح نظرية الوعي. ويمكن وقف هذا النكوص والتراجع، بنفس الطريقة التي توقف بها مثل هذه التهديدات، ليس عن طريق التخلي عن الفكرة الرئيسية، ولكن بتبسيطها. فهذه الشياطين أكثر غباءً وجهلاً من ذلك العنصر الذي تشكله، كما أن هذه الشياطين قد تتداخل مع شياطين أخرى، وتنتهي هذه الشياطين بالانغماس في جدل مع العناصر الأخرى التي لا نفوذ لها. ومن ثم يمكننا القول إن الوعي لا يشبه الشهرة كثيرًا، ولكنه يشبه النفوذ السياسي. فحينما تتنافس العمليات (المخية) مع بعضها من أجل السيطرة على الجسد، نجد أن العملية التي تحظى بالنفوذ الأكبر هي التي تسيطر على مجريات الأمور، إلى أن تظهر عملية أخرى لها نفوذ أكبر فتطيح بها. ففي بعض الأنظمة السياسية التي تحكمها الأقلية، نجد أن الطريقة الوحيدة للحصول على النفوذ هي أن يكون المرء مقربًا من الشخص الذي يجلس على كرسي الحكم، والذي بيده مقاليد الأمور. أما مخنا البشري، فهو أكثر ديمقراطية، وفوضوية في نفس الوقت. ففي داخل المخ البشري، لا يوجد من يجلس على كرسي الحكم، ولا يوجد رقيب على وسائل الإعلام، كما لا يوجد مثال ديكارت المسرحي، ولكن توجد خلافات حادة بين الأفكار المختلفة، التي تحاول كل منها أن يكون لها النفوذ الأكبر[١].

(١) انظر الدراسة التي قام بها دينيت ٢٠٠١، صفحة ٢٢٥.

في الجزء الأول من هذه الفقرة، يحاول دينيت تناول مشكلة النكوص والتراجع، وهي المشكلة التي فشلت كل المداخل التي تناولت قضية الوعي، في تجنبها. فإذا فُسر الوعي من خلال افتراض وجود كيان مصغر داخل المخ البشري، وهذا الكيان نفسه يتسم بالوعي (سواءً أكان هذا الكيان شيطانًا أم أي كيان آخر)، فهذا يعني أننا لا نهتم بقضية تعريف الوعي، بل إن هذه القضية انتقلت إلى مستوى أكثر عمقًا، وما زالت تحتاج إلى تفسير وشرح.

فالاستعارة التي تشير إلى الشهرة، توحي بشكل ما، بأن أجزاء عديدة من المخ البشري، تتمتع بالوعي بوجود معلومات بعينها، بنفس الطريقة التي يعي بها الناس وجود المشاهير. ويحاول دينيت تجنب ذلك النكوص والتراجع الذي أشار إليه، عن طريق الإشارة إلى أن الشياطين التي ذكرت في النموذج الذي ابتكره، هي في واقع الأمر أكثر غباءً وجهلاً من الإنسان ككل؛ ومن ثم تصبح الأجزاء المكونة لهذا النموذج لا تتسم هي نفسها بأنها واعية.

من أجل ترسيخ دعائم استعارة الشهرة التي ابتكرها، استبدل دينيت "الشهرة" "بالنفوذ السياسي"؛ لأن هذا التعبير يحقق تمامًا ما يريد دينيت أن ينقله للقارئ. ولعل هذا يرجع إلى اعتقاد دينيت أن الفرد يمكن أن يكون له نفوذ واسع، دون أن يشعر الآخرون أن هذا الشخص يتحكم فيهم. وقد أدت فكرة النفوذ السياسي إلى وجود استعارات سياسية أخرى، بمعنى أن النظريات المختلفة التي تناولت قضية الوعي، تشبه الأنظمة السياسية المختلفة. ومن وجهة نظر دينيت، يمكن وصف المخ البشري بالديمقراطية، والفوضوية في نفس الوقت، حيث لا يوجد جزء أو موضع بعينه يعد مسئولاً عن حالة الوعي التي تتمتع بها بعض الأفكار، دون غيرها.

وهذه هي النقطة التي ذكر فيها دينيت مقولته التي ذكرتها في بداية هذا الفصل. فبعد أن قدم وصفه وتفسيره لقضية الوعي، قام دينيت بالإجابة على السؤال المطروح حول السبب في أن بعض أفكارنا تصل لمرحلة الوعي، ومن ثم يصبح لها تأثير دائم (بمعنى أن يتذكر الإنسان هذه الأفكار، ولا ينساها)، بينما لا تصل أفكار أخرى لمرحلة الوعي. ولا يتسع المجال هنا لكي أذكر بقية التفاصيل التي ذكرها دينيت، واستخدامه للعديد من الاستعارات، كما لا يتسع المجال لإعطاء الاهتمام الكافي بهذه النظرية، وما أثارته من جدل، وما دار حولها من نقاش. ولكنني سأذكر مثالاً واحدا للتمديد الاستعاري الذي قام به دينيت لاستعارة الشهرة والنفوذ **fame/clout metaphor** التي استخدمها للتعبير عن جانب مهم في نظريته، وأقصد بها فكرة إذا ما كان وصول بعض الأفكار إلى مرحلة الوعي أم لا، يعتمد بشكل أكبر على ما يدور في المخ البشري في نفس الوقت، أكثر من اعتماده على السمات الجوهرية لهذه الأفكار بعينها:

النموذج الثامن:

> **فالوعي – كالشهرة – ليس سمة جوهرية، أو حتى سمة سلطوية، بل هو ظاهرة تتطلب تحقيق إمكانيات بعينها..... وتعالوا معًا لنتأمل القصة التالية: لو افترضنا أن هناك شخصًا يدعى جيم Jim، وأن هذا الشخص قد كتب رواية، وكانت الأولى له، وتلقاها الخبراء والمتخصصون بقبول حسن. وكان من مظاهر هذا النجاح أن اتفقت معه مجلة تايم Time على نشر صورته على غلافها، واتفقت معه مقدمة البرامج الشهيرة أوبرا Oprah على الظهور في برنامجها الشهير، كما اتفق على أن يقوم برحلة يعرض فيها روايته في كافة أنحاء البلاد، فضلاً عن**

> أن هوليود أبدت اهتمامًا شديدًا لتحويل الرواية إلى فيلم سينمائي. كانت كل هذه الأحداث حقيقية يوم الثلاثاء، ولكن في صباح يوم الأربعاء، ضرب زلزال مدمر مدينة سان فرانسيسكو، وأصبح الزلزال هو بؤرة اهتمام العالم لمدة شهر. ربما إذا عادت الأمور إلى طبيعتها في الشهر القادم، يعود جيم إلى دائرة الشهرة مرة أخرى، تلك الشهرة التي تخلت عنه في هذه الأثناء. وهذا يعني أن كل السمات السلطوية التي تجعله شهيرًا، كانت موجودة، ولكنها لم تُفعَّل، وبالتالي لم تتحقق له الشهرة التي كان يصبو إليها..... وأرى أن نفس الأمر ينطبق على الوعي، ففكرة أن بعض المعلومات تصل إلى مرحلة الوعي لثوان قليلة، من دون النتائج الطبيعية المرتبطة بوصولها لهذه المرحلة، هي فكرة غير واضحة، كفكرة أن يصبح الشخص مشهورًا لعدة دقائق، دون أن يصاحب هذه الشهرة النتائج أو التداعيات الطبيعية التي عادة ما ترتبط بها. فجيم كان مشهورًا، ولكنه لم يحقق الشهرة في صورتها التامة. فالشهرة الحقيقية ليست السبب في النتائج الطبيعية التي تصاحبها، ولكنها هي نفسها النتائج الطبيعية. وهذا الفرق هو الذي يجب أن نضعه في اعتبارنا في الحديث عن الوعي[١].

والنقطة الأخيرة التي أثارها دينيت في السطور الأخيرة السابقة هي إحدى الدعائم التي قامت عليها نظريته، فهو يرى أن المعلومات حينما تصبح متاحة

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها دينيت، صفحة ٢٢٧.

لجميع الشبكات العصبية داخل المخ، فإن هذا ما يقصده بالوصول إلى الوعي وليس نتيجة له. ومن أجل أن يصل دينيت إلى هذه النقطة، استخدم استراتيجية، يمكن أن نطلق عليها القصة الرمزية المصغرة **mini-allegory** (ارجع إلى الفصل الثاني لاسترجاع ما قلته عن القصة الرمزية)، بمعنى أن يقوم بإعداد سيناريو افتراضي عن شخص كاد أن يكون مشهورًا، ثم يبين لنا صراحة وبشكل مباشر أن هذا السيناريو يمكن أن يستخدم استعاريًا؛ لتوضيح ماهية المجال المستهدف **target domain**، وهو الوعي. ويمكننا أن نتبين داخل المجال الأصلي **source domain** أن هذا الشخص (جيم) لم يكن له أن يوصف بأنه من المشاهير، فقد منعته الظروف التي أحاطت به من أن يصبح مشهورًا. وبنفس الطريقة، يرى دينيت أنه لا يمكن أن نقول إن معلومات بعينها قد وصلت إلى مرحلة الوعي، إذا لم تكن متاحة لكل الشبكات العصبية داخل المخ.

وقد اخترت أن أبدأ هذا الفصل بمقال دينيت؛ لأنه يعتمد بشكل لا تخطئه عين على الاستعارة؛ مما سهل عليّ مهمة تحليلها. وفي بقية هذا الفصل، سوف أثبت أن مقال دينيت ليس استثناءً بل القاعدة، فهو مثال واضح على الدور التي تلعبه الاستعارة في النصوص العلمية. وسوف أناقش أمثلة مستقاة من العديد من أجناس الكتابة العلمية المختلفة، التي تناقش قضايا علمية مختلفة، وتخاطب شرائح متباينة من القراء، بما في ذلك المقالات المتخصصة في الدوريات العلمية (مثل مقال دينيت الذي ذكرناه)، والأعمال والمجلات التي تهدف لنشر الثقافة العلمية بين الناس مثل مجلة العالم الجديد **The New Scientist**، وبعض النصوص التعليمية، التي تهدف إلى نشر النظريات والمفاهيم العلمية للطلاب. فإذا كان يمكننا أن نصف مقال دينيت بأنه ينتمي إلى مرحلة بينية بين العلم والفلسفة، فإن كثيرًا من الأمثلة التي سأذكرها في بقية الفصل مستقاة من العلوم الطبيعة **natural sciences**،

وخاصة علم الوراثة genetics. كما سأناقش الوظائف المختلفة التي يمكن للاستعارة أن تقوم بها في الخطاب العلمي. فعلى سبيل المثال، من الواضح أن دينيت استخدم استعارة الشهرة التي أشرنا إليها بغرض التفسير، والإقناع، وربما إضفاء روح الفكاهة والدعابة، فهو يصف صراحة هذه الاستعارات بأنها استعارة إرشادية أكثر فائدة من تلك التي استخدمها في النموذج متعدد المسودات Multiple Drafts Model، والتي أثبتت أنها ترياق غير مضر بالخيال، كما أنها لم تتسم بالحيوية الكافية، التي تمكنه من التعامل مع النموذج المسرحي الذي ابتكره ديكارت(١).

طبقا لوجهة النظر هذه، يمكننا القول إن الاستعارات المستخدمة في النصوص العلمية، لا تختلف عن تلك المستخدمة في النصوص السياسية، فكلاهما يبسط القضايا المعقدة، ويمكّن القارئ من الوصول إلى الأمور الخفية، فضلاً عن وصف ظواهر بعينها بطريقة مقنعة. ففي واقع الأمر، أصبح الكثيرون يعترفون بأن المعرفة العلمية – مثل بقية المعارف الأخرى – يمكن أن تتحقق من خلال نشاط أو ممارسة رمزية، وخاصة نشاط أو ممارسة لغوية(٢).

بل يمكننا أن نجادل أن استعارة الشهرة التي استخدمها دينيت، ليست مجرد وسيلة للتعبير عن نظريته (الحرفية) لقضية الوعي وتأييدها، ولكنها تشكل جزءًا أساسيًا من نظريته. وهذا ما ينطبق على استعارات أخرى استخدمها دينيت؛ للإشارة إلى نماذج أخرى للوعي، قام دينيت بمناقشتها وتحليلها (ويوجد العديد من الأمثلة في مقاله، ولكن لا يتسع المجال هنا لذكرها).

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها دينيت صفحة ٢٢٤.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ليري عام ١٩٩٠، صفحة ٢٠، وكتاب مايرز Myers الصادر في عام ١٩٩٠.

العلم والاستعارة:

من الصعب تعريف العلم كمصطلح، ثار حوله الكثير من الجدل، ولكنني سأحاول الالتزام بتعريف محدد في هذا الفصل، وهو الذي يشير إلى أن العلم هو: "ملاحظة الظواهر، وتحديدها، ووصفها، وبحثها معمليًا، وتفسيرها في إطار نظري"[1]. ولا شك أن اللغة تلعب دورًا بارزًا في كل المراحل التي يشير إليها التعريف، ولكن على الرغم من ذلك، تبقى إشكالية الحديث عن لغة، أو خطاب، أو مستوى أسلوبي خاص بالعلم دون غيره.

> **لا يوجد بالطبع مستوى أسلوبي موحد للنصوص العلمية؛ وذلك لوجود العديد من الخطابات العلمية، ليست فقط تلك التي تتعلق بالتخصصات العلمية الرئيسية والفرعية المختلفة، سواءً كانت هذه المشاركات في شكل مقالات متخصصة (بما في ذلك مستخلصات الأبحاث)، أو الكتب الدراسية، أو الكتب العلمية المبسطة التي تخاطب الإنسان العادي.... إلخ. فكل هذه المشاركات تشترك في هدف واحد، وهو إثراء معلومات المتلقي في مجال ما، وزيادتها. والمتلقي قد يكون من كبار العلماء أو المتخصصين، وصولاً إلى الباحثين المبتدئين، لكن النص تتم صياغته، وتنظيم المعلومات التي يقدمها، بطريقة تجعل المتلقي يتعلم شيئا لا يعرفه. وهذه الطريقة تعبر عن اتجاهات شخصية تبدأ بالمقترحات، وتصل إلى المحاولات العنيفة لإقناع المتلقي[2].**

---

(١) انظر دائرة المعارف البريطانية، طبعة عام ١٩٩٩.

(٢) انظر كتاب هاليدي Halliday، ٢٠٠٤، صفحة ١٥.

أما في هذا الفصل، فاستخدام تعبير الخطاب العلمي scientific discourse يشير إلى أساليب الكلام والكتابة، التي ترتبط بالموضوعات العلمية في كافة المجالات العلمية. كما أنني أقوم بالتمييز بين بعض الخطابات المحددة، والتي ترتبط بمجالات علمية، أو مجالات فرعية، أو مداخل بعينها (مثل الخطاب الذي يتعلق بموضوعات علم الوراثة genetic discourse). ويرى هاليدي أن هذه الخطابات المختلفة، يمكن تمييزها عن طريق النصوص التي تنتمي لأجناس الكتابة المختلفة مثل المقالات العلمية، ومقالات تبسيط العلوم، والكتب الدراسية... إلخ.

ولا شك أن الهدف من وراء هذا الفصل، هو إلقاء الضوء على الدور الذي تلعبه الاستعارة في كل خطابات وأجناس الكتابة العلمية المختلفة، عن طريق الإشارة إلى نماذج محددة، مستقاة من العديد من فروع العلم المختلفة.

وطبقا لقواعد الأسلوب العلمي التي يعرفها الجميع، يقوم العلماء بملاحظة الظواهر بشكل مباشر، ثم يستخدمون اللغة؛ ليسجلوا ما توصلوا إليه بطريقة محايدة وموضوعية. ولكن هذه الرؤية قد تبدو قاصرة في كثير من الدراسات للسببين الآتيين: (أ) لا يتاح للعلماء ملاحظة العديد من الظواهر بشكل مباشر، فضلاً على أن هذه الظواهر قد تتم ملاحظتها بطرق مختلفة (فعلى سبيل المثال الأجسام دون الذرة لا يمكن ملاحظتها إلا من خلال أدوات وآلات معينة، تقوم بدورها بإعطاء معلومات تحتاج هي نفسها إلى تفسير). (ب) كما أن المعرفة العلمية والحقائق تتشكل عن طريق عمليات اجتماعية (ولغوية)، تشمل التفاوض، والنقاش، والإقناع، والحلول الوسط (مثل عملية الحصول على تمويل للقيام ببرنامج بحثي، أو عملية تقديم النتائج التي يتوصل إليها المرء بطريقة يقبلها العلماء أو عامة الناس).

وهذا لا يقلل على الإطلاق من الاعتقاد بأن كل فروع العلم لها من الأساليب الحيوية والواضحة ما يمكنها من إثبات الفرضيات والنظريات، ولكن هذا يعني أن

هذه الأنشطة تتطلب بناءً أو وعاءً لغويًا للمعرفة، سواءً أكان هذا في نطاق أجناس الكتابة المختلفة، أم الممارسات الاجتماعية المتنوعة (مثل التقدم للحصول على منح، وإلقاء الأبحاث في المؤتمرات، وكتابة المقالات الأكاديمية، وإجراء المقابلات مع وسائل الإعلام... إلخ)[1].

وإذا ما عدنا لوجهة النظر التقليدية التي ترى أن العلم نشاط موضوعي ومحايد، فلسوف نجد أن الاستعارة كان يُنظر إليها على أنها أبعد ما تكون عن هذه الموضوعية، وذلك الحياد. فعلى سبيل المثال يقوم الفيلسوف الإنجليزي هوبز **Hobbes** في كتابه الشهير الدولة **Leviathan** أن الاستعارة "تنطوي على خداع وتدليس، ومن ثم يجب استبعادها عند تبرير أمر ما، أو تفسيره، أو عند الحديث عن كل الأنشطة التي تتضمن بحثًا دءوبًا عن الحقيقة. (صدر الكتاب في عام ١٦٥١ – انظر الفصل الثامن). وهذا الرأي دحضه ذلك الاعتراف بأن استخدام الاستعارة في العالم هو أمر جوهري، وشائع بين العلماء. فكثير من العلماء كتبوا بأنفسهم عن استخدام الاستعارة في فروعهم العلمية المعنيين بها[2].

وإذا وجدت عزيزي القارئ أن الأمثلة التي ذكرتها تبدو غير مقنعة لك، فكل ما أرجوه منك، أن تسترجع كيف تُناقش الظواهر العلمية في وسائل الإعلام؛ لتوقن بمدى توغل الاستعارة داخل لغة العلم، ومفرداتها، فتعبيرات مثل الانفجار العظيم **"Big Bang"**، والاحتباس الحراري **"green house effect"**، والثقوب السوداء **black holes**، أو حتى الشفرة الجينية **genetic code** لا تخلو من التعبيرات الاستعارية، التي يستخدمها الناس للحديث عن الظواهر التي يدرسها العلماء. ولا

---

(١) انظر كتاب مايرز Myers ١٩٩٠.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ليري عام ١٩٩٠، وكتاب كيلر Keller ١٩٩٥، وكتاب براون Brown، ٢٠٠٣.

شك أنك عزيزي القارئ درجت على الحديث استعاريًا عن الكهرباء حينما تشير إلى "التيار" الكهربي، أو "الموجات" الكهربائية، أو عند الحديث عن الذرة على أنها صورة "مصغرة للنظام الشمسي"، أو عن القلب "كمضخة" تضخ الدم.

وتستطيع النظريات الحديثة للاستعارة، وخاصة نظرية الاستعارة المعرفية أن تفسر لنا، أن نظرة الفيلسوف هوبز للاستعارة كانت بلا أساس. فالعلماء يتناولون في معظم الأحيان ظواهر معقدة، قد تستعصي على فهم الكثير من الناس. ومن ثم تصبح مهمتهم الأساسية هي فهم هذه الظواهر، وتفسيرها للناس، فضلاً عن إقناع الآخرين (من العلماء والمتخصصين) بأن فهمهم لهذه الظواهر، وتفسيرهم لها قد قاما على أساس سليم.

فإذا كانت الاستعارة تمنحنا القدرة على أن نفكر في أعقد المجالات بطريقة سهلة وميسرة وفي متناول الجميع، فإن هذا يعني بلا أدنى شك أنها وسيلة لا غنى عنها للعلم والعلماء على وجه الخصوص. والاستعارة التي يستخدمها العلماء –مثل أي نوع آخر من الاستعارات– تضع إطارًا للظاهرة التي نحن بصددها بطرق محددة، وتعطي أهمية لبعض جوانب هذه الظاهرة، وتهمش بعض الجوانب الأخرى. وهذا يؤثر بلا شك في فهمنا للظواهر المختلفة، وطريقة تناولها.

فإذا كان الكثير من الناس يتفقون على أن الاستعارة تلعب دورًا مهمًا في العلم، فما زال هناك اختلاف حول ماهية هذا الدور، وطبيعته. فمن ناحية، إذا كان يمكننا القول إن الاستعارة تقدم "يد العون" للاكتشافات العلمية، والتواصل العلمي، فإنه من المحتمل، بل ومن المرغوب فيه، أن نصل إلى نظريات وتفسيرات لبعض الظواهر تخلو من الاستخدام الاستعاري(١). ومن ناحية أخرى، يمكننا القول إن

---

(١) انظر كتاب بلاك Black، الصادر عام ١٩٦٢.

الاستعارة تلعب دورًا مهمًا ودائمًا في تقديم وتفسير النظريات العلمية، وهو دور لا يمكن أن يحل محله وجود تفسيرات متقدمة للظواهر العلمية، تخلو من الاستخدام الاستعاري[1].

وفي كل الحالات، فإن الحقيقة التي لا مراء فيها، والتي يتفق عليها الجميع، هي أن للاستعارة وظيفة حيوية في تطوير النماذج والنظريات، وتقديم المناقشات العلمية، في الكثير من أجناس الكتابة العلمية المختلفة. وسوف أناقش في بقية هذا الفصل الأساليب المختلفة، التي تتسم باستخدام الاستعارة في أجناس الكتابة العلمية المختلفة، وفي مختلف فروع العلم، من خلال الوجود النصي، ومن خلال الوظائف التي توكل إليها. كما سأحاول إلقاء الضوء ليس فقط على إمكانية استخدام الاستعارة في النصوص العلمية، ولكن أيضا على القيود التي تحكم وتتحكم في هذا الاستخدام.

الاستعارة والتنظير:

أشار ريتشارد بويد **Richard Boyd** في بحث - يعد من كلاسيكيات البحث في مجال الاستعارة، وتغيير النظريات - إلى الاختلافات بين الاستعارات التفسيرية **exegetical metaphors**، والاستعارات التعليمية (التدريسية) **pedagogical metaphors** من ناحية، والاستعارات المكونة للنظرات **theory-constitutive metaphors** من ناحية أخرى، فهو يرى أن الاستعارات التعليمية:

---

(١) انظر كتاب ليري ١٩٩٠، وكتاب ستيرنبرج ١٩٩٠، والدراسة التي قام بها بويد Boyd ١٩٩٣، وكتاب كيلر ١٩٩٥، وكتاب براون Brown ٢٠٠٣.

تلعب دورًا في تدريس النظريات العلمية، وتفسيرها، وهو اعتراف ضمني بإمكانية وجود صياغات غير استعارية (أو أقل في درجة استعاريتها). ويحضرني الآن بعض الأمثلة مثل الثقوب الدودية worm-holes في (نظرية) النسبية العامة، واستخدام تعبير السحابة الإلكترونية electron cloud للحديث عن مواقع الإلكترونات، أو وصف الذرات بأنها نظام شمسي مصغر miniature solar system[1].

ويرى بويد أن هذه الاستعارات تلعب دورًا مهمًا في تغيير النظريات، ولكن هذا النوع يمكن الاستغناء عنه؛ لأن للعلماء أساليبهم التي يستخدمونها للإشارة إلى نفس الظواهر وتفسيرها، وهذه الأساليب تخلو من الاستخدام الاستعاري.

وعلى النقيض من هذا، توصف الاستعارات بأنها مكونة للنظريات، إذا ما كانت "تلعب دورا في تطوير النظريات وصياغتها، في العلوم المكتملة نسبيًا relatively mature sciences"[2]:

فحالات الاستعارة العلمية التي تعد ممتعة من وجهة نظر فلسفة العلم (وفلسفة اللغة بصفة عامة) هي تلك الحالات التي تكون فيها التعبيرات الاستعارية – على الأقل لفترة من الوقت– جزءًا مهمًا من الآلة اللغوية للنظرية العلمية، وهي نفس الحالات التي تتضمن استعارات يستخدمها العلماء للتعبير عن آراء علمية، والتي لا يمكن التعبير عنها بأي حال من

---

(١) انظر كتاب بويد ١٩٩٣، صفحتي ٤٨٥ و٤٨٦.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها بويد عام ١٩٩٣، صفحة ٤٨٢.

الأحوال بأسلوب حرفي. وهذه النظريات تكوّن النظريات التي تعبر عنها، وهذا يعني أنها لا تستخدم فقط لتفسير مثل هذه النظريات. (ارجع للدراسة التي قام بها بويد، صفحة ٤٦٨).

ويوضح هذا الاقتباس المأخوذ من الدراسة التي قام بها بويد، أن بويد قد بنى هذه التفرقة التي أشرنا إليها، على طبيعة المصطلحات الفنية المرتبطة بنظرية ما، وهذا يعني أن الاستعارات المكونة للنظريات تمنحنا مجموعة من المفردات التي تعبر عن ظاهرة بعينها، وهذه المفردات لم يجد العلماء بديلاً لها (ربما حتى هذه اللحظة التي نحن بصددها). ويستخدم بويد تعبير "التعسف المجازي" **catachresis**؛ للإشارة تحديدًا إلى ظاهرة استخدام "الاستعارة لتقديم مصطلحات نظرية لم تكن موجودة من قبل"[١].

ويضرب بويد مثالاً للاستعارات المكوّنة للنظريات، وهي الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحاسوب **computer metaphors**، والتي تستخدم في مجال علم النفس المعرفي **cognitive psychology**. فعلى سبيل المثال، أصبح من المتعارف عليه بين علماء النفس استخدام تعبيرات مثل "معالجة المعلومات" **information processing**، وخطوات استرجاع المعلومات **information-retrieval procedures**؛ للحديث عن الظواهر المعرفية، وهي تعبيرات يرى بويد أنه لا بديل لها أو عنها. ويرى بويد أيضًا أن استعارة الحاسوب التي ذكرناها تندرج تحت الاستعارات المكوّنة للنظريات في المرحلة الحالية من تطور علم النفس المعرفي، وسوف أعود لاحقًا لمناقشة هذه الاستعارة.

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها بويد ١٩٩٣، صفحة ٤٨٢، وكتاب جوتلي Goatly ١٩٩٧، صفحة ١٤٩؛ للاطلاع على وظيفة الاستعارة في ملأ الفراغ، الذي يخلفه وجود بعض المفردات.

وقد كان لهذه التفرقة التي قال بها بويد تأثير كبير في مجال دراسة الاستعارات العلمية، ولكن هذه التفرقة الثنائية - حالها كحال أية تفرقة ثنائية أخرى- قد أصبحت إشكالية في حد ذاتها. فإحدى القضايا الرئيسية التي تتعلق بهذه المسألة، هي قضية تطور النظريات العلمية عبر الزمن، وهو الأمر الذي يستتبعه تغير الدور الذي تلعبه الاستعارة في هذه النظريات. فعلى سبيل المثال يمكن استخدام تعبير استعاري للإشارة إلى ظاهرة صعبة الفهم (مثال على ذلك تعبير الشفرة الجينية **genetic code**)، ويظل هذا التعبير مستخدما كمصطلح فني **technical term**، حتى بعد أن زادت معرفة العلماء بهذا المجال المستهدف (الهندسة الوراثية)، وبالتالي قل اعتمادهم على المجال الأصلي (الشفرة والمجال الذي استعيرت منه).

وفي مثل هذه الحالات تكتسب المصطلحات الفنية الاستعارية معانى جديدة متخصصة، بل إن البعض - وخاصة الخبراء - ينظر إليها على أنها تعبيرات غير استعارية (حرفية الدلالة). بل قد يتعدى الأمر هذا النطاق، فبعض الاستعارات تستخدم بشكل مبدئي لتكوين النظريات، ثم تستخدم بعد ذلك في الأغراض التعليمية. وفي واقع الأمر - وكما سأوضح في صفحات هذا الفصل - توجد استعارات مشابهة تستخدم في المقالات المتخصصة، والنصوص التي تهدف إلى تبسيط العلوم، فضلاً عن النصوص التربوية[١].

وإذا أردنا أن نقيم تلك التفرقة التي قال بها بويد، فيجب علينا أن ننظر إليها على أنها تتضمن نوعين مختلفين من الاستعارة فقط، بل يجب أن ننظر إليها على أنها تشير إلى وظيفتين مختلفتين يمكن للاستعارات أن تؤديها عند استخدامها في

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها كنودسين Knudsen الصادر عام ٢٠٠٣.

النصوص أو أجناس الكتابة العلمية بعينها، في مراحل محددة من التطور التاريخي لنظرية ما (انظر المرجع السابق). وبالطبع يمكن استخدام الاستعارة للأغراض التعليمية فقط، أو لتكوين النظريات. ولكن غالبًا ما نجد في الكثير من الحالات أن الاستعارة نفسها تستخدم بشكل أساسي لتكوين النظريات في سياق، وتستخدم بشكل أساسي لأداء وظيفة تعليمية في سياق آخر، في نفس الوقت.

وعلاوة على ذلك، قد توجد الوظائف الأساسية للاستعارة العلمية مع وظائف أخرى، والتي تشمل الحجاج، والإقناع، والدعابة، وما إلى ذلك. فعلى سبيل المثال، أعتقد أنا شخصيًا أن استعارة الشهرة التي وردت في مقال دينيت، هي استعارة مكوِّنة للنظريات، ليس فقط لأنها تعطي لنا العديد من المصطلحات وثيقة الصلة (مثل صفة باحث عن الشهرة **fame-seeking**)، ولكن أيضًا لأنها تمنحنا الهيكل الأساسي لهذا المدخل، كما أنها تدعم العديد من آراء دينيت الجوهرية (مثل وجهة نظره التي تقول إن الوعي هو تحقيق – وليس سببًا – لفكرة أن تكون المعلومات متاحة لجميع الشبكات العصبية داخل المخ. ولكني أزعم أن دينيت يستخدم هذه الاستعارة في المقال المذكور لأسباب أخرى، تشمل الحجاج، والإقناع، والدعابة. وقد قال دينيت صراحة إنه استحدث هذه الاستعارة، بدلا من استعارة أخرى كانت مستخدمة من ذي قبل، ولكنها كانت تفتقد إلى الخيال والحيوية الكافية[١].

مزيد من الضوء على الاستعارات المكوِّنة للنظريات:

عندما يحاول العلماء شرح ظاهرة استعصت على الفهم، أو تطوير مداخل جديدة لظواهر سبق دراستها، فإن اختيارهم الأولي للاستعارة المناسبة يعد عملاً

---

(١) انظر مقال دينيت عام ٢٠٠١، صفحة ٢٢٤.

مميزًا من أعمال الحدس والخيال، يمكن تشبيهه بعملية الإبداع الفني(١). ففي واقع الأمر، يوجد دليل واضح على أن العلماء يستخدمون الاستعارة بوعي كامل؛ من أجل تطوير أو تنظيم الأفكار بشكل مبتكر ومبدع(٢).

ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن الاستعارات العلمية، تختلف عن الاستعارات الأدبية، في أنها تحتاج إلى أن تشرح بشكل واضح، ومنضبط؛ لكي يمكن استخدامها في التنظير، ولكي توطد وجودها داخل المجتمع العلمي. وفي واقع الأمر يقول دينيت هذا صراحة في مقاله؛ فبعد أن قدم لنا استعارة الشهرة، شرح لنا بالتفصيل ما يريده منها، ومن أجل أن يحقق هدفه قام بإدخال بعض التعديلات الطفيفة على استخدامه للتعبيرات الاستعارية، بأن قام بالانتقال من كلمة "الشهرة" إلى استخدامه كلمة "النفوذ" باعتباره المصطلح الاستعاري الرئيسي الأصلي.

وتكمن فائدة هذه الاستعارة، بغض النظر عن الحيوية التي بثتها في المقال، في أنها تضع إطارًا واضحًا لظاهرة الوعي، بطريقة تجعل دينيت يصل إلى النتيجة التي كان يصبو إليها، وهي أنه لا توجد خصيصة تفصل الوعي عن إتاحة المعلومات لكافة الشبكات العصبية الموجودة داخل المخ، بنفس الطريقة التي لا يمكن للإنسان بها أن يصبح مشهورًا، إذا لم يكن معروفًا لدى الجميع.

وتعتمد الاستعارات العلمية إلى حد كبير على العلاقات الهيكلية النظامية الواضحة بين المجالات المختلفة، وخاصة بين صور أو خرائط العلاقات بين المجال الأصلي (المأخوذ منه الاستعارة)، والمجال المستهدف (الذي نحن بصدد الحديث عنه). فعلى سبيل المثال، إذا تأملنا الاستعارة التي استخدمها روثرفورد

---

(١) انظر كتاب براون الصادر عام ٢٠٠٣ على سبيل المثال.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها جنتنر وجرودين Gentner and Grudin عام ١٩٨٥.

Rutherford، وأقصد الاستعارة التي وصف بها الذرة بأنها تشبه نظامـــا شمـــسيا مصغرا، فهذه الاستعارة تنقل لنا صورة الشمس والكواكب تدور من حولها (المجال الأصلي)، إلى مجال الذرة، حيث نجد الإلكترونات وهي تدور حول النواة (المجال المستهدف). فالشمس أكبر في الحجم من الكواكب، وتقع هذه الكواكب في مجـــال جاذبية الشمس، التي تجعل هذه الكواكب تدور حولها. وبنفس الطريقة والمنطـــق، تفوق النواة الإلكترونات في الحجم، وتجتذبها بطريقة تجعلها تدور من حولها[١].

ويـــرى كل من جينتنر وجيزيورســـكي **Gentner and Jeziorski** (١٩٩٣) أن فكرة الاستخدام الاستعاري الذي يقوم على علاقات هيكلية بنائية منتظمـــة مـــن الأفكار التي ترسخت في التراث العلمي الغربي منذ بدايات القرن الـــسابع عـــشر. فقبل هذا العصر، كان العلماء يميلون إلى استخدام الاستعارة بأساليب أقل انضباطًا، بمعنى أنها تقوم على التشابهات السطحية، وليس على صور العلاقات بين العناصر المختلفة. ومن وجهة نظرهم، ينطبق هذا - على سبيل المثال - على الاســـتعارات التي كان يستخدمها المشتغلون بالكيمياء القديمة **alchemists**؛ لتفسير الحقيقة التـــي تقـــول إن المادة تتكون من عناصر أساسية مجتمعة وهـــي: التـــراب، والهـــواء، والنار، والمـــاء.

ويمكن استخدام العلاقات الهيكلية البنائية، التي تشكل الأساس الذي بني عليه استخدام الاستعارة في تكوين النظريات، في صياغة المجال المـــستهدف بطريقـــة معينة، وبطريقة أكثر تحديدًا للتنبؤ، والتفسير، وصـــياغة الأســـئلة والفرضـــيات، وهكذا. ومن ثم يمكن أن تسهم الاستعارات التي حققت نجاحا في تطـــوير بـــرامج بحثية برمتها، والتأثير علـــى النماذج البحثية لفترة من الوقت لا يـــستهان بـــــها.

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها تيبر Taber عام ٢٠٠١ للاطلاع على نقده لمحدودية هذا المثال.

وبهذا المعنى يمكن للاستعارات العلمية أن تلعب دورًا أيديولوجيًا، لأنها جزء لا يتجزأ من الأساليب المسيطرة، التي يستخدمها الخبراء من ذوي المكانة المرموقة؛ لفهم ظواهر بعينها، في سياق ثقافي وتاريخي محدد.

فعلى سبيل المثال، من المعروف أن الرؤية المسيطرة للمخ البشري في علم النفس المعرفي، والعلم المعرفي، منذ نهاية السبعينات من القرن الماضي هي رؤية حاسوبية، فالمخ البشري يُنظر إليه على أنه آلة حاسوبية، وينظر للوظائف الذهنية على أنها معالجة (حاسوبية) للمعلومات. ومن ثم يمكن وصف الظواهر الذهنية والعقلية عن طريق استخدام الأنظمة الحسابية العشرية، المستخدمة في برامج الحاسوب. ففي الفقرة التالية على سبيل المثال، يستخدم كوسلين وكونيج **Kosslyn and Koenig** (١٩٩٢) التعبيرات الحاسوبية مثل المعالجة **processsing**، والتسجيل **registering**، والمعلومات الواردة (المدخلة) **input**؛ للإشارة إلى ما يدور داخل المخ البشري، وهذا اعتراف صريح بالدور الذي تلعبه اللغة والمفاهيم المأخوذة من مجال الحاسوب (المجال الأصلي) لشرح الظواهر الذهنية والعقلية (المجال المستهدف):

النموذج التاسع:

> يقوم المخ بشيء يختلف عما يقوم به أي عضو آخر في جسم الإنسان، فهو يقوم بمعالجة المعلومات. فالمخ يقوم بتسجيل المعلومات الواردة من الحواس، ويفسر هذه المعلومات، ويقوم باتخاذ القرار حول كيفية التصرف حيال ما ورد إليه. ومن ثم نستطيع أن نصف ما يقوم به المخ البشري من وظائف من خلال طريقته في معالجة المعلومات.... ولغة معالجة المعلومات مأخوذة

من لغة الحاسوب، ومن أجل أن نحدد كيف يعمل مخ الإنسان، يجب أن نستخدم مفاهيم أساسية مستقاة من لغة الحاسوب(١).

وتتسم النماذج والنظريات المختلفة التي تشكل جميعها ما يسمى بنموذج معالجة المعلومات **Information Processing Paradigm** باستخدام استعارة الكمبيوتر بأشكال متعددة ومختلفة(٢).

ويرى كل من إيزينك وكين **Eysenck and Keane** (٢٠٠٠) أنه على الرغم من التنوع الواضح الذي يتسم به علم النفس المعرفي فإن هناك مدخلاً يتفق عليه الجميع، وهو ذلك المدخل الذي يقوم على القياس والتناظر بين العقل، وبين الحاسوب الرقمي، وهو ما نسميه بمدخل معالجة المعلومات **information processing approach**. وهذا المدخل يمثل النموذج المسيطر أو التوجه النظري.... داخل علم النفس المعرفي، وهو موجود منذ عدة عقود (ارجع لكتابهما، صفحة ١).

وفي واقع الأمر، فإن العلاقات الاستعارية بين مجال الحاسوب، ومجال المخ البشري، هي علاقات تبادلية، بمعنى أن الحاسوب صمم فى الأصل لكي يقوم بنفس وظائف المخ البشري، وهذا يبدو جليًا في تعبيرات مثل "الذاكرة" **memory**، والذكاء الاصطناعي(٣). ومن ثم فإن المخ البشري هو النموذج الذي أُستخدم في الأصل في عالم الحاسوب، وتطور هذا النموذج، وزادت تفاصيله، كلما تطور الحاسوب، ودخل إلى عالم وآفاق جديدة(٤).

---

(١) انظر كتاب كوسلين وكونيج، صفحتي ١٧ و١٨.

(٢) انظر كتاب لاكوف ١٩٨٧، الصفحات من ٣٣٨ حتى ٣٥٢، والدراسة التي قام بها ليري ١٩٩٠، وكتاب ستيرنبرج ١٩٩٠، وكتاب لاكوف وجونسون ١٩٩٩، الصفحات من ٢٥٧ إلى ٢٦٦.

(٣) انظر الدراسة التي قام بها هوفمان ١٩٩٠.

(٤) انظر كتاب كوسلين وكونيج ١٩٩٢، صفحتي ١٨، ١٩.

وقد أدى استخدام استعارة الحاسوب لتكوين النظريات في مجال دراسة المعرفة الإنسانية إلى تقدم ملحوظ في مجالي علم النفس المعرفي، والعلم المعرفي. ولكن هذه الاستعارة – كما هو الحال في الاستعارات الأخرى – قد تعرضت لبعض النقد؛ لأنها أعلت من شأن بعض الجوانب في المجال المستهدف، وبخست بعض الجوانب الأخرى. ولمزيد من التحديد، فإن استخدام مجال الحاسوب للحديث عن المخ البشري قد وجه الانتباه إلى بعض العمليات والخصائص الإنسانية بعينها (مثل القدرة على فهم المعلومات وتذكرها)، بينما لم يعط الانتباه الكافي لبعض الجوانب الإنسانية، التي تؤثر على العمليات المعرفية، والتي لا نظير لها في مجال الحاسوب، مثل الخبرة الجسمانية، والمشاعر والانفعالات، والأهداف، والعلاقات الاجتماعية، والوعي بالسياق (التاريخي والاجتماعي)... إلخ[1]. ويؤكد كل من لاكوف وجونسون في نقدهما لاستعارة الحاسوب أن العلماء يجب أن يكونوا على وعي بمدى محدودية الاستعارة الأساسية التي يستخدمونها؛ ومن ثم اللجوء لاستخدام استعارات أخرى، إذا ما تبين أن الاستعارات الأساسية لا تفي بالغرض[2].

وقد لعبت مجموعة صغيرة من الاستعارات المكونة للنظريات دورًا مهمًا في مجال آخر، وهو مجال علم الوراثة، فقد أسهمت هذه الاستعارات في فهم جوانب جوهرية للإنسان[3]. وترى كيلر (١٩٩٥) أن علماء الوراثة في البدايات

(١) انظر كتاب لاكوف وجونسون ١٩٨٠، وكتاب ستيرنبرج ١٩٩٠، صفحتي ١٦٠، ١٦١، وكتاب لاكوف وجونسون ١٩٩٩، صفحتي ٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) والمفارقة العجيبة أن كثيرًا من العلماء المتخصصين في الاستعارة لا يتوقفون كثيرًا عند الاستعارات التي يستخدمونها في نظرياتهم. كما أن المجال الأصلي يشير إلى المجال الذي أخذت منه الاستعارة، كما أن المجال المستهدف يشير إلى المجال الذي ستطبق عليه الاستعارة.

(٣) انظر كتاب كيلر ١٩٩٠، والدراسة التي قام بها أفيس Avise في عام ٢٠٠١، والدراسة التي قام بها نيرليتش ودينجوول Nerlich and Dingwall في عام ٢٠٠٣، والدراسة التي قام بها كنودسين في عام ٢٠٠٣.

الأولى للعلم في بداية القرن العشرين، كانوا يصفون الجينات على أنها عوامل مستقلة **autonomous agents**، وأنها المسئول الوحيد عن تطور الكائنات الحية. فعلى سبيل المثال وصف عالم الوراثة أر ايه برينك **R.A.Brink** في عام ١٩٢٤ الجينات بأنها "العوامل الأساسية الداخلية التي تحكم عملية التطور" (ورد هذا الاقتباس في كتاب كيلر ١٩٩٥، صفحة ٧). وأصبح التشخيص **personification** الدائم للجينات سمة مميزة لما أسمته كيلر "بخطاب النشاط الجيني" **discourse of gene action**. وقد أسهم هذا الخطاب في ترسيخ وجهة النظر التي تقول إن نواة الخلية الموجودة داخل الجينات الوراثية (والتي تحوي المادة الوراثية) لها ملاك الأمر كله، بينما يلعب الجزء المتبقي من الخلية **cytoplasm** دورًا هامشيًا.

وترى كيلر أن هذا التوجه قد أسهم في نجاح علم الوراثة في العقود التالية، على حساب علم الأجنة **embryology** على سبيل المثال، وهو العلم الذي يهتم بكيفية تطور الخلية الجينية إلى كائن حي معقد. وفي هذا الصدد، تؤكد كيلر على الأساليب التي كانت مسيطرة في معرض الحديث عن هذه الظواهر:

> **كان لها تأثير كبير على العلماء، والإداريين، وهيئات التمويل، وهذه الأساليب تعطي أسبابًا منطقية وقوية لحشد الموارد؛ من أجل تحديد برامج بحثية بعينها، ومن أجل تركيز طاقتنا العلمية، واهتمامنا العلمي في مجالات محددة[(١)].**

ومما زاد من تأثير خطاب النشاط الجيني، وأكد وجوده، ظهور مجموعة من الاستعارات الأخرى، استخدمت في تكوين النظريات في الخطاب الوراثي، خاصة تلك الاستعارة الخاصة بالحامض النووي **DNA**، والتي تشبهه بالشفرة **code**.

---

(١) انظر كتاب كيلر ١٩٩٥، صفحة ٢١.

وقد استخدم إروين شرودينجر Erwin Schrodinger تعبير النص الشفري code-script في عام ١٩٤٤؛ لوصف دور الكروموسومات في النمو والتطور الفردي:

النموذج العاشر:

> هذه الكروموسومات تحتوي على نوع من النص الشفري، يحوي الأسرار الكاملة لنمو الإنسان وتطوره المستقبلي، وماهية وظيفة هذا التطور والنمو في حالة النضج. وتحتوي كل مجموعة من الكروموسومات على الشفرة الكاملة.... ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن تعبير النص الشفري هو تعبير قاصر، فبنيات الكروموسومات هي في نفس الوقت الأداة التي تحدث النمو والتطور الذي تتنبأ هي به. فهي الشفرة القانون والسلطة التنفيذية، أو ما يمكن أن نسميه – بتعبير استعاري آخر – تصميم المهندس، وصنعة البنّاء، في حيز واحد[1].

ويوحي الوصف الاستعاري للكروموسومات بأنها تحتوي على شفرة كاملة لنمو الإنسان وتطوره، بأن نمو الإنسان محدد سلفاً منذ لحظة الإخصاب، ومن ثم لا توجد عوامل أخرى تدخل في عملية النمو والتطور. ويضيف شرودينجر أن الكروموسومات لا يقتصر دورها على مجرد احتوائها على الشفرة، ولكنها مسئولة عن تحقيق النمو، الموجود وصفه داخل الشفرة. وينقل شرودينجر هذه النقطة للمتلقي من خلال زوجين من التعبيرات الاستعارية: "الشفرة القانون والسلطة التنفيذية" من ناحية، و"تصميم المهندس"، و"صنعة البنّاء" من ناحية أخرى.

---

(١) انظر كتاب شرودينجر، ١٩٤٤، صفحتي ٢٢، ٢٣.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن شرودينجر يلفت انتباهنا، وبشكل صـريح إلـى استعارية التعبيرات التي يستخدمها، حينما يقول صراحة: "بتعبير استعاري آخـر". ومع مرور الوقت، ترسخت استعارة الشفرة **code metaphor**، ليس فقط في مجال علم الوراثة، ولكن في الخطاب العام **public discourse** الذي يخاطب كافة النـاس (وليس المتخصصين) عن الجينات، والوراثة[١].

وترى كيلر (١٩٩٥) أن نجاح هذه الاستعارة، تأكد وترسخ فـي الأذهـان، حينمـا أدخـل واتـسون وكريـك **Watson and Crick** اسـتعارة المعلومـات **information metaphor** في معرض حديثهما عن "الحامض النووي" الذي كـان من ضمن الاكتشافات الحديثة وقتئذ:

النموذج الحادي عشر:

> **توجد احتمالية حدوث المراحل التي تـسبق الطفـرة في الجينات التي تتسم بالطول، وبالتالي مـن الممكـن أن تكـون الشفرة هي تلك السلسلة الدقيقة من المكونـات الرئيـسية، وتكون هذه الشفرة بطبيعة الأمر هي مـا يحمـل المعلومـات الوراثية. (هذا الجزء مأخوذ من الدراسة التي قام بها واتـسون وكريك عام ١٩٥٣).**

وتضيف كيلر معلقة: "طالما أن الحامض النووي يقوم بوظيفته في شـكل شفرة أفقية الشكل، يصبح من الطبيعي استخدام فكرة "المعلومات" للحـديث عـن علم الوراثة"[٢].

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها نرليتش ودينجوول Nerlich and Dingwall عام ٢٠٠٣، والدراسة التـي قام بها كنودسين عام ٢٠٠٣.

(٢) انظر كتاب كيلر ١٩٩٥، صفحة ١٩.

وأصبح مجال اللغة والاتصال هو المصدر الرئيسي الذي يستخدم بشكل منتظم؛ لتشكيل وصياغة الظاهرة التي يدرسها علماء الوراثة. ليس هذا فحسب، بل أصبح هناك العديد من التعبيرات الأخرى المأخوذة من نفس المجال، والتي أصبحت من التعبيرات الشائعة والتقليدية، التي يستخدمها الخبراء والعامة على حد سواء. فمثلا تُوصف العناصر الأساسية التي تشكل الحامض النووي بأنها "حروف"، وعادة ما توصف الجينات بأنها جمل تتكون من سلاسل من هذه الحروف. وتوصف العمليات التي تحدث داخل الخلية بأنها "ترجمة"، كما تشيع بعض التعبيرات مثل "لغة الجينات" **the language of genes**، أو "كتاب الحياة" **the book of life** في التقارير الإعلامية التي تتناول علم الوراثة.

وترى كيلر أن استخدام هذه الاستعارات سرعان ما أعطى علماء الوراثة السلطة والتأثير، على الرغم من أن الظواهر التي كانوا يتناولونها لم تكن واضحة أو مفهومة بالقدر الكافي. وترى كيلر أيضا أن علم الوراثة وصل إلى ذروته وقمة توهجه في عام ١٩٩٠، الذي شهد تدشين مشروع الجينوم البشري **Human Genome Project**، وهو المشروع الذي كان يهدف إلى فك ألغاز الشريط الوراثي، وسوف أعود للاستعارات التي استخدمت لتقديم نتائج هذا المشروع لاحقًا.

وبصفة عامة، يجب أن نعترف بأن علماء الوراثة أصبحت لديهم معرفة أعمق، ودراية أكبر، بالمجالات التي يدرسونها، من تلك الفترة التي شهدت تقديم استعارات الشفرة والمعلومات **code and information metaphor**. وهذا يعني أن بعض التعبيرات مثل "الشفرة"، و"الحرف"، و"الترجمة" اكتسبت معاني فنية ومتخصصة محددة في خطاب الخبراء، الذي أصبح يعتمد بشكل أكبر على المعرفة بالمجال المستهدف (علم الوراثة)، أكثر من الصور الذهنية المستقاة من المجال الأصلي (الشفرة والمعلومات).

ومن ناحية أخرى، استمر استخدام التعبيرات الاستعارية المأخوذة من مجالي اللغة والاتصالات، بشكل منتظم، وفي بعض الأحيان بشكل واضح، يغلب عليه الابتكار. وعلاوة على ذلك، مازالت الاستعارات المأخوذة من مجال الشفرة والمعلومات تستخدم بطرق مختلفة؛ للإشارة إلى وجهة النظر المسيطرة، حول دور الجينات ووظيفتها. ولكن – وكما يظهر في النموذج الحادي عشر – تعكس الفكرة المستقاة من مجالي اللغة والاتصال وجود نظرية شعبية للاتصال **a 'folk' theory of communication**، حيث تسمح الشفرة بنقل الرسائل من المُرسل إلى المستقبل بشكل مباشر. فنجد الحامض النووي على وجه الخصوص يُوصف بأنه شفرة تتكون من حروف تحتوي على معلومات عن النمو المستقبلي للكائن الحي. وهذه المعلومات تترجم في شكل رسائل توجّه الإنزيمات إلى إنتاج البروتين، الذي يؤدي إلى نمو الكائن الحي، ومن ثم ممارسته للوظائف المنوط بها. ويبرر استخدام هذه الاستعارة، التي تعد من تلك الاستعارات المكونة للنظريات، نتيجتين مهمتين ثار حولهما الكثير من الجدل وهما:

(أ) أن الإنسان مُسيّر وراثيًا، بمعنى أن عملية النمو برمتها مقدرة سلفًا منذ عملية الإخصاب، ومن ثم ليس للعوامل الأخرى مثل البيئة، وأسلوب الحياة تأثير كبير إن وجد.

(ب) أن العلماء أصبح لديهم القدرة على النفاذ إلى جوهر الإنسان، وتطوره، بعد أن أصبح لديهم صورة واضحة للجينوم (الشريط الوراثي) البشري.

ويرى واحد من النقاد الذين يرون أن استخدام الاستعارة أصبح مسيطرا على الخطاب العلمي، أن نفس المجال الأصلي **source domain** يمكن استخدامه بطريقة أكثر كفاءة للوصول إلى حقائق مختلفة تمامًا عن ماهية التقدم البحثي:

فعلى سبيل المثال، توجد فكرة مؤداها أننا حينما نصل إلى صورة أو خريطة كاملة لكل الجينات البشرية... سوف نكون قادرين وقتئذ على قراءة كتاب الحياة **The book of life**. وهي فكرة غير سوية ليس مصدرها وسائل الإعلام فقط التي تدعم هذه الفكرة، بل والعلماء أنفسهم حينما يخطبون ود من يدفع لهم التمويل. ولكن الجينوم مازال يمثل لغة يكتنفها الغموض. فالتوصل إلى صورة أو خريطة كاملة للجين سوف يخلق مفردات جديدة، تتناول كل ما يتعلق بهذا الجين، أما التركيبات الاستعارية المرتبطة به فما زالت قضية أخرى. فإذا أردنا فهم الجينوم حقًا وصدقًا، يجب أن "نعقد صلحًا" مع ذلك التراث الخاص بالجينوم، وأقصد به ذلك الغموض الذي يزخر به، فضلاً عن الاختلافات الدقيقة بين المفردات التي تمتلىء بها النصوص. وهي حقائق واقعة، لا مراء فيها ولا جدال. وحتى عندما ننتهي من رسم الخريطة الكاملة للجينوم، فمازال أمامنا قرون طويلة لكي نفهم كل ما يتعلق به... ومن ثم سيستغرق تراث الجينوم قرونا لكي يصبح في صورته النهائية (هذه الفقرة مأخوذة من الدراسة التي قام بها تادج **Tudge** في عام ١٩٩٩، وذكرت في الدراسة التي قام بها نيرليتش ودينجوول الصادر عام ٢٠٠٣، الصفحات من ١٧٢ حتى ١٨٠).

ويستعمل تادج هنا نسخة معقدة من المجال الأصلي وهو اللغة والاتصال، وهذه النسخة أكثر توافقًا مع الطريقة التي يرى بها اللغويون اللغة. فهو يرى أن الجينوم يجب أن يُنظر إليه على أنه لغة غير مجهولة، وأن هدف العلماء يجب أن

يتمحور حول فهم التراث الخاص بهذه اللغة. وبالتالي فالأمر هنا لا يقتصر على مجرد معرفة مفردات هذه اللغة، بل يتعدى هذا إلى معرفة جوانب الغموض فيها، وما خفي وعظم. ومن ثم، فإن تادج يرى أن التوصل إلى السلسلة الكاملة للحامض النووي ما هو إلا خطوة صغيرة، لمحاولة فهم ماهية نمو الإنسان، تحت وطأة العديد من العوامل المختلفة.

ولا شك أن استخدام استعارة الحاسوب يخلق نوعًا من التبسيط (العلمي) الذي يتناسب مع تلك النصوص التي تخاطب عموم القراء، الذين يحتاجون إلى الاعتماد على المعرفة المستمدة من المجال الأصلي. وسوف أحاول في الصفحات التالية إلقاء الضوء على الاستعارات المستقاة من علم الوراثة، والمستخدمة في وسائل الإعلام، والنصوص التعليمية. وسوف أختم هذا الجزء ببعض الملاحظات على استخدام الاستعارة في تكوين النظريات.

كنت قد أوضحت سابقًا كيف تُستخدم الاستعارات المكونة للنظريات في النصوص العلمية؛ لوضع إطار محدد لموضوع البحث من أجل استحداث النماذج، والفرضيات، والشروح... إلخ. وهذه الاستعارة توفر بطبيعة الحال موردًا للمفردات، التي تنطبق على الظواهر الجديدة، التي يستمر وجودها، حتى بعد أن تتطور المعرفة المفصلة بالمجال المستهدف. وغالبًا ما ينظر إلى هذه المصطلحات – وخاصة من جانب العلماء – على أنها تعبيرات غير استعارية (مثل مصطلحي "المعالجة" في علم النفس المعرفي، و"الشفرة" في علم الوراثة)، ولكن هذا لا يعني أن المجال الأصلي لم يعد فاعلاً في تشكيل أركان المجال المستهدف. وفي الحقيقة، يشير العلماء غالبًا وبوضوح إلى المجالات الأصلية الاستعارية التي يستعملونها بشكل معتاد في أعمالهم، كما كان الحال مع عالمين مثل كوسلين وكونيج في النموذج السابع الذي ذكرناه سابقًا. بل ونجد في كثير من الأحيان،

بعض الاستخدامات المبتكرة، والتمديدات الاستعارية، التي تشير إلى التغلغل الاستعاري في هذا المجال.

وأوضحت أيضًا أن الاستعارة العلمية – كما هو الحال مع بقية الأنواع من الاستعارات – تشكل المجال المستهدف بأساليب معينة، بحيث تبرز بعض الجوانب، وتُهمش بعض الجوانب الأخرى. وهذا يمكن أن يؤثر على الأسئلة والفرضيات المطروحة، والتفسيرات المقترحة، والنتائج التي يمكن التوصل إليها. وما يقوله ليري في الفقرة التالية – في معرض حديثه عن الجهاز العصبي – ينطبق بصفة عامة على استخدام الاستعارة في كافة فروع العلم:

> **من المهم أن ندرك أن التاريخ يشير إلى أن هذه الاستعارات وظائف توجيهية هامة. فقد وجهت نظر الباحثين– ناهيك عن الأنشطة النظرية والعلمية – إلى الجوانب المختلفة للجهاز العصبي. فلا شك أن الأطر الاستعارية التي استخدمت للحديث عن وظائف المخ، قد أسهمت بشكل كبير في توضيح الكثير من الأمور.**

وأخيرًا، يمكننا القول إن الاستعارات التي تستخدم في تكوين النظريات عادة ما تُشرح بشكل متكامل، داخل المجال العلمي الذي نتحدث عنه. وإذا كانت الاستعارات الأدبية تنال إعجاب الناس وتقديرهم، لما فيها من تفرد، فإن الاستعارة العلمية تُبتكر لكي تستخدم على نطاق واسع(١). وبمعنى آخر، يستخدم العلماء الاستعارة العلمية ويطورونها، حتى تتحول الاستعارات الناجحة منها – كما ترى كاميرون Cameron في كتابها الصادر عام ١٩٩٩ – إلى حقيقة واقعة،

---

(١) انظر كتاب جيبس Gibbs، الصادر في عام ١٩٩٤، صفحة ١٧٣، والدراسة التي قام بها بويد في عام ١٩٩٣.

بين الخبراء والمتخصصين. ويؤدي هذا بطبيعة الأمر إلى التحديد المتدرج لمعاني المصطلحات الفنية الاستعارية المتخصصة.

وقد عبر كنودسين عن هذه الحقيقة، حينما أشار إلى أن بعض هذه التعبيرات مثل "عملية الترجمة" **translation process** عند الحديث عن الحامض النووي: "قد استقرت عقب سنوات من التوضيح والتطبيق، بحيث أصبحت واضحة لا لبس فيها، داخل السياق الذي ترد فيه. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، ما الذي يحدث إذا استخدم هذا التعبير في سياق آخر؟"[1]. وفي الصفحات التالية، سوف أتناول استخدام الاستعارة في عدد من النصوص العلمية غير المتخصصة.

الاستعارة في خطاب الخبراء وحتى تبسيطها في العلوم ووسائل الإعلام:

سوف أناقش في هذا الجزء العلاقة بين الاستعارات المستخدمة في المطبوعات العلمية المتخصصة - التي كانت موضعًا للتحليل والنقاش في الصفحات السابقة – من ناحية وتلك المستخدمة في المطبوعات العلمية التي تخاطب عموم القراء، والتقارير التي ترد في وسائل الإعلام عن البحث العلمي من ناحية أخرى. وسوف أبين أنه في بعض الحالات يمكن إرجاع التعبيرات الاستعارية المستخدمة في الكتابات العلمية المختلفة إلى نفس الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم **conceptual metaphors** (المتداولة). ولكننا سنجد بعض الاختلافات في أغلب الحالات بين الطرق التي تستخدم بها الاستعارة فيما يتعلق بتحققها اللغوي **linguistic realization**، والوظيفة النصية **textual function**[2].

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها كوندسين، صفحة ١٢٥٣.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها رومين Romaine عام ١٩٩٦، وكتاب جوتلي الصادر في عام ١٩٩٧، والدراسة التي قام بها نيلكين Nelkin الصادر في عام ٢٠٠١، والدراسة التي قام بها كنودسين في عام ٢٠٠٣، والدراسة التي قام بها لو Low في عام ٢٠٠٥، والدراسة التي قام بها كل من سكوركزيانسكا وديجنان Skorczynska and Deignan في عام ٢٠٠٦.

طول العمر والتخلص من الفضلات في المقالات العلمية المتخصصة وغير المتخصصة:

سوف أقوم في هذا الجزء بإلقاء الضوء على أوجه التشابه والاختلاف التي ذكرتها آنفًا، من خلال مقارنة بعض جوانب استخدام الاستعارة في مقال علمي (متخصص) يتناول آليات التقدم في العمر (العجز)، ومقال آخر يتناول نفس الموضوع، ولكنه يخاطب عموم القراء. كتب المقال العلمي المتخصص عالمان من علماء الأحياء في جامعة لندن، وهما: ديفيد جيمس David Gems، وجوشوا ماكلوي Joshua McElwee. ونشر هذا المقال في دورية علمية تسمى **آليات العجز والنمو Mechanisms of Ageing and Development**.

ولا أدعي أنني فهمت كل ما ذكر في هذا المقال العلمي المتخصص، ولكنني سأذكر الجوانب التي تتعلق بموضوع الاستخدام الاستعاري. فقد قام المؤلفان بدراسة نوع معين من الديدان وتسمى **Caenorhabditis elegans**، وتحديدًا فصيلة معينة من هذه الديدان تتميز بأنها تعمر طويلاً. واكتشف العالمان أن هذا النوع من الديدان قد تعرض لنوع من الطفرة (الوراثية) **mutation**، في بعض مجموعاته الجينية، وهذه الجينات تعمل – وبشكل معقد – وفقًا لبعض الجينات الأخرى –وهي تلك المعنية بالبروتين والإنزيمات – وهذا أدى بدوره إلى اكتشاف كيفية بقاء الآليات التي تقوم الخلايا باستخدامها للتخلص من المواد السامة أكثر نشاطًا وفاعلية في الأنواع التي تعرضت لتلك الطفرة، من تلك الأنواع التي لم تتعرض لهذه الطفرة على الإطلاق.

ومن ثم، رأى العالمان أن العجز يحدث بسبب توقف الخلايا عن منع تـراكم المواد السمية. ولكن عندما تحدث الطفرات الوراثية، تبقى آليـات الـتخلص مـن السموم أكثر نشاطًا؛ مما يؤدي إلى تأخر العجز، وطول عمر الإنسان. ويفسر لنـا هذان العالمان لماذا يتعرض بعض الناس لهذه الطفرة، ولا يتعرض لهـا الـبعض الآخر؛ يرى هذان العالمان أن الاحتفاظ بهذه الآليات في حالـة نـشاط هـو أمـر مستنزف للطاقة **energetically-costly**، ومن ثم، لا يمكن تبريره خاصة بعـد أن يقوم الفرد بأداء وظيفته التناسلية.

ويشير العالمان في المستخلص **abstract** الذي كتباه لهذا المقال إلى أن "العجـز ينتج عن دمار جيني تسببه سموم عالية التنوع"، وهذه السموم هي "المنتج الثانوي لعـدد من العمليات المتعلقة بالبروتين"، ومن ثم يقترحان أن طول العمر يتطلب:

(أ) التخلص من السموم والفضلات الجزيئية المستنفدة للطاقة.

(ب) الحفاظ على البروتين الموجود عـن طريـق المـصاحبات الحمائية. وبما أن هذه النظرية ينصب جل اهتمامها علـى التخلص من الفضلات الخلوية، والحفاظ على الـبروتين، قررنـا أن نسمي هذه النظريـة بالنظريـة الخـضراء green theory. (انظر مقالهما، صفحة ٣٨١).

وتحتوي هذه الفقرات القصيرة علـى العديـد مـن المـصطلحات الفنيـة الاستعارية، التي تستخدم على نطاق واسع في هذا المجال البحثي؛ فالمواد الخلويـة الناتجة عن عمليات محددة يشار إليها بأنها "منتج" أو "منتج ثـانوي" **by-product**، بينما توصف الجزيئات التي تمنع التخلص من بعض البروتينات بأنها "مـصاحبات حمائية" **chaperones**.

ولكن يمكننا القول إن الاستعارة المميزة للخط البحثي لهذين العالمين، هي تلك الاستعارة التي تشير إلى تراكم بعض المواد في الخلايا، والتي يشار إليها بأنها سموم **toxins** أو فضلات **rubbish**، وهي تلك التي تسبب العجز؛ ومن ثم فإن منع العجز يتطلب التخلص من السموم **detoxification**، والتخلص من الفضلات **waste disposal**، أو بمعنى استعاري آخر عملية الإخراج **excretion**.

وكما هو الحال مع الاستعارات العلمية الأخرى، تصور لنا هذه الاستعارة العمليات الدقيقة، التي لا ترى بالعين المجردة، من خلال بعض التعبيرات الاستعارية، التي تتضمن ذكر بعض العمليات المادية المرئية، التي ترتبط ببعض الأشياء المادية، والأنشطة الإنسانية. وسوف أركز هنا على بعض التعبيرات الاستعارية مثل الفضلات **rubbish**، والتخلص من الفضلات **waste disposal**، التي تستخدم كمصطلحات فنية استعارية. فالمجال الأصلي وهو التخلص من الفضلات والنفايات، يستخدم جنبًا إلى جنب مع بعض المجالات الأصلية الأخرى؛ من أجل التوصل إلى تصور أو تفسير للعمليات التي تحدث على مستوى الخلية، حيث تتراكم بعض المواد التي لا فائدة لها في الخلايا، وهذه المواد قد تتسبب في بعض الضرر للخلية، إذا لم يتم التخلص منها.

فبعد أن قام كل من جيمز وماكلوي بشرح تفاصيل منهجهما البحثي، والنتائج المحددة للبحث، توقفا عن استخدام ما أسميته بالمجال الأصلي، وهو التخلص من الفضلات. فهما يريان أن وجهة النظر هذه تدفعهما إلى الاعتقاد بأن:

النموذج الثاني عشر:

الخلية تتعرض لتهديد دائم من قبل منتجات الفضلات البروتينية. ومن ثَمّ نقترح أن الـ **ER** يعمل كفلتر خلوي

cellular filter، وكمرحلة أولى وثانية من العمليات البروتينية، لجمع المواد السامة والتخلص منها. وهذا يخلص الخلية من الفضلات الجزيئية، وهذا يؤدي بدوره إلى منع التدمير الجزيئي، والعجز على حد سواء.

فالمشكلات الخاصة بالخلية في ضوء النظرية التي قلنا بها، لها ما يعادلها من مشكلات بيئية ناتجة عن الصناعة البشرية. وطول العمر يتطلب مزيدًا من الطاقة للتخلص من الفضلات من أجل منع أي ضرر قد يلحق بالخلية، والمحافظة على مكونات الخلية عن طريق المصاحبات الحمائية الجزيئية. وهذه النصائح تشبه التوصيات التي يقوم بها الناشطون من جماعة السلام الأخضر؛ من أجل زيادة الاستثمار في مجال التخلص النظيف من النفايات؛ لتقليل التلوث، والمحافظة على الموارد (عن طريق إعادة التدوير **recycling** مثلاً). ولهذا السبب قررنا إطلاق اسم تدليل على الفرضية التي اقترحناها هنا، وهو النظرية الخضراء **green theory**[١].

تحتوي الفقرة الأولى على العديد من التعبيرات التي تستخدم مجال التخلص من النفايات **waste disposal** كمجال أصلي؛ للتعبير عن وجهة نظر المؤلفين في الآليات الخلوية التي تضمن طول العمر، مثل "منتجات الفضلات" **waste products**، و"فلتر" **filter**، فضلا عن "الفضلات الجزيئية" **molecular rubbish**. أما في الفقرة الثانية، فيشير المؤلفان إلى توازٍ واضحٍ بين العمليات التي تستحوذ على اهتمامهما، والمشكلات البيئية الناتجة عن الصناعة البشرية.

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها جيمز وماكلوي، صفحة ٣٨٣.

ولكي نكون أكثر تحديدًا، يستحدث المؤلفان وبشكل واضح أوجه تشابه بين التكلفة المالية للتخلص من الفضلات من ناحية، والجهود المبذولة في العمليات التي تقوم بها الخلايا لإبطاء عملية العجز، والتقدم في السن، من ناحية أخرى، وأيضًا الأنشطة التي تقوم بها المصاحبات الحمائية من ناحية، وتلك التي يقوم بها ناشطو جماعة السلام الأخضر من ناحية أخرى. ليس هذا فحسب، بل يقوم المؤلفان بتمديد هذه الاستعارة؛ ليطلقا اسما لتدليل على هذه الفرضية، وهو النظرية الخضراء.

ويمكنني القول إن استعارة التخلص من النفايات والفضلات، استخدمت في مقال جيمز ومالكوي بغرض تكوين نظرية، فهي توفر لهم النموذج البنائي structural model لوجهة نظرهم في مسألة العجز والشيخوخة، من خلال أوجه شبه محددة بين المجال الأصلي، والمجال المستهدف. كما توفر لهما هذه الاستعارة عددًا من التعبيرات التي تستخدم بمعان فنية؛ لشرح النتائج التي توصلوا إليها، والنظرية التي يناديان بها. وعلاوة على ذلك، تستخدم هذه الاستعارات بغرض التفسير (فهي تعطي نموذجًا واضحًا للعمليات موضع البحث والنقاش)، كما تسهم في زيادة القدرة الإقناعية لدى المؤلفين. والأهم من ذلك أنها تتماشى مع الاستعارات المستخدمة في هذا المجال. ويتضح هذا جليًا في بعض التعبيرات مثل: "المنتجات الثانوية المتعلقة ببناء البروتين" metabolic by-products، و"التخلص من الفضلات والإخراج" excretion، وهكذا.

ولكن بصفة عامة، يمكننا القول إن المقال الذي كتبه جيمز ومالكوي لا يتمحور فقط حول العمليات التي تشير إليها الاستعارات التي ذكرناها، بل هو محطة هامة في الخط البحثي الذي يتبناه كلا العالمين، كما أن له علاقة وثيقة بالدراسات السابقة التي قاما بها في نفس المجال. ويرى مايرز Myers (١٩٩٠) أن:

المقالات المتخصصة تستحدث ما يمكن أن نسميه بالقصة العلمية a narrative of science؛ فهذه المقالات تتبع في بنيتها الفكرة (التي ربما تكون مثيرة للجدل) التي يطرحها العالم، وترتب الوقت وتنظمه بطريقة تسمح بوجود سلسلة من الأحداث المتوازية، التي تحدث في نفس الوقت، والتي تساند ما يذهب إليه العالم، كما تؤكد من خلال تراكيبها اللغوية، ومفرداتها، على البناء المفهومي لهذا الفرع من العلم[1].

والآن انتقل إلى مقال آخر نشر في مجلة **العالِم الجديد** The New Scientist في مايو عام ٢٠٠٥، بعد مدة قصيرة من نشر مقال جيمز ومالكوي. وهذه المجلة هي مجلة علمية، تخاطب عموم القراء، من خلال نشر الأبحاث والدراسات التي تهدف إلى تبسيط العلوم. وكتب هذا المقال وعنوانه "لماذا يهرم الناس بشكل رث وكئيب؟ Why humans grow old grungily? العالم جون تيرني Jon Turney، وهو أحد القامات الكبيرة في الكلية الملكية بلندن Imperial College. ويبدأ المقال بالفقرة التالية:

النموذج الثالث عشر:

كان منظر العليّة attic يثير الشفقة، كومة من الأشياء البالية، تضم قطعًا من السجاد البالي، وعلبًا من الطلاء المتخثر، وجهاز فيديو محطمًا، وأجهزة حاسوب خربة، وعجلات رياضية توقفت عن العمل. وكانت مجرد فكرة حمل هذه الأشياء والتخلص منها بإلقائها في مقلب القمامة تجعلني أشعر بالتعب.

---

(١) انظر كتاب مايرز، صفحة ١٤٢.

ما يحدث داخل خلايا الجسم لا يختلف عن حالة الفوضى التي شرحتها على الأقل طبقًا للنظرية الجديدة التي تتناول أسباب العجز. فالفضلات تتجمع، وعلى الرغم من قدرتي على التخلص من هذه الفضلات، فإن عملية التخلص منها تستغرق جهدًا جهيدًا. ومن ثم فإن أجهزة التنظيف الخاصة بعمليات بناء البروتين لا تلقي بالاً لما يحدث؛ وهذا يؤدي بطبيعة الأمر إلى تراكم الفضلات الضارة. وهذه الفضلات (أو القمامة) تلعب دورًا محوريًا في العديد من النظريات التي تناولت العجز[1].

ثم يقارن المؤلف النظريات الحالية التي تتناول العجز والقائمة على تأثير ما يسمى بالجزيئات عالية التفاعل (التي تحتوي على أزواج من الإلكترونات غير متعادلة التكافؤ) free radicals، والتوجهات الأخيرة، القائمة على تأثيرات الطفرات الجينية، بما في ذلك، مقال جيمز ومالكوي، وفي هذا الصدد يلخص تيرني فكرته كالتالي:

النموذج الرابع عشر:

> **فالخلايا تحتاج إلى مجموعات كبيرة من الإنزيمات الخاصة بالتخلص من الفضلات؛ لكي تستطيع التعامل مع الفضلات التي تخلفها. ولكنها تبدو عملية تحتاج إلى جهود كبيرة؛ لأنها تستهلك الكثير من الطاقة التي يحتاجها الكائن الحي لأشياء أخرى، وخاصة في عملية التناسل والتكاثر؛ وكانت المحصلة النهائية هي أن نظام التطور والارتقاء قد فضل تلك الخلايا التي تقوم بإزالة السموم، وتسمح للحطام الجزيئي أن يتراكم ويتجمع. (انظر المقال، صفحة ٤٤).**

---

(١) انظر مقال تيرني، صفحة ٤٤.

وينهي المؤلف مقاله بالفكرة التالية:

النموذج الخامس عشر:

> **ما احتمالات استخدام النظرية الخضراء لمكافحة العجز عند الإنسان؟ إذا كانت هذه النظرية أعم من نظريات الجزيئات عالية التفاعل (والتي تحتوي على أزواج من الإلكترونات غير متعادلة التكافؤ)، فإنه ربما يتعين عليك القيام بالكثير من الأشياء المختلفة، لإبعاد النفايات، ولكن الأمل يكمن في أن يزيد تأثير أحد الجينات المشاركة في هذه العملية، ثم نستطيع أن نتحكم في هذا التأثير، ونعيش أعمارًا أطول. وربما أجد متسعًا من الوقت لكي أقوم بتنظيف العلية. (انظر مقال تيريني، صفحة ٤٤).**

يوضح كلا النموذجين السابقين كيف استخدم تيرني الاستعارة التي استخدمها جيمز ومالكوي لتكوين نظريتهما بطريقة منضبطة، وتغلب عليها روح الابتكار؛ من أجل وضع البنية لمقالته، وشرح القضايا والفرضيات العلمية بشفافية ووضوح، وامتاع القارئ من خلال استخدام بعض الألغاز والتعبيرات، التي تثير جوًا من الفكاهة والدعابة.

قد يبدو وصف الكاتب للعلية في منزله في الفقرة الأولى مسألة تؤخذ حرفيًا عند قراءتها للمرة الأولى، ولكن القارئ يكتشف أنه يجب أن يطبق هذا السيناريو الفوضوي الموجود في منزل المؤلف، على العمليات التي تحدث على مستوى الخلية. وهذه "النقلة" التي لا ترد عادة في مثل هذا النوع من المقالات تقدم لنا موضوع البحث بطريقة ذكية وجذابة.

وفي بقية المقال، يستخدم المؤلف استعارة التخلص من الفضلات والنفايات **waste disposal metaphor**، بطريقة تتفق مع الطريقة التي استخدمها جيمز ومالكوي على مستوى أعم، ولكن طريقته تتميز بأنها أكثر حرية سواءً على مستوى التعبيرات اللغوية المستخدمة (من أمثال "الفضلات تتجمع"، "أجهزة التنظيف الخاصة بعمليات بناء البروتين لا تلقى بالا")، أم على مستوى استغلال إمكانيات المصدر الأصلي (ممثلاً في استخدام العلية المليئة بالأشياء البالية كاستعارة للخلايا المترعة بالسموم **toxin-full cells**).

وبصفة عامة، يمكننا القول إن استعارة التخلص من الفضلات والنفايات قد استخدمت بشكل مبتكر؛ من أجل تبسيط النظرية، بطريقة مقبولة علميًا، ولكنها لا تخلو من روح الدعابة والفكاهة. فالمصدر الأصلي استخدم بشكل موسع، ولكن بأسلوب أقل صرامة؛ ليس فقط لأن قراء مجلة **العالم الجديد** لديهم معرفة بالمصدر المستهدف أقل من قراء دورية **آليات العجز والنمو**، ولكن أيضًا من أجل تقديم المادة العلمية بطريقة واضحة ومسلية.

وكما رأينا إذا كان مؤلفو المقالات العلمية المتخصصة يميلون إلى الإشارة صراحة إلى الصور المأخوذة من المجال المستهدف، والتي يرغبون في إثارتها في ذهن المتلقي، نجد أن الكتاب غير المتخصصين مثل تيرني لا يحاولون التحكم – بنفس الدرجة والكيفية – في الأفكار المأخوذة من المجال الأصلي، إلى المجال المستهدف؛ وهذا ما قد يؤدي بدوره إلى درجة ما من عدم الدقة[١].

على النقيض من مقال جيمز ومالكوي، يتأرجح مقال تيرني بين القصة العلمية **narrative of science**، وبين ما أسماه مايرز بقصص الطبيعة

(١) انظر الدراسة التي قام بها لوفي عام ٢٠٠٥.

narratives of nature، حيث تكون الظاهرة – وليس النشاط العلمي – هي الموضوع، وحيث يكون السرد مرتبًا تاريخيًا **chronological**، وحيث يؤكد تركيب الجمل، واختيار المفردات أن الطبيعة موضوع يخرج عن الممارسات العلمية(١).

يبدو هذا واضحًا في الفقرة الثانية من النموذج الثالث عشر الذي ذكرناه سابقًا، حيث يتتبع المؤلف في سرده العمليات التي تحدث داخل الخلية، وليس الأنشطة التي يقوم بها العلماء الذين يدرسون هذه العمليات. وعلاوة على ذلك، فإن الاستخدام المبتكر للاستعارة؛ لكي يبني الكاتب حجته، ولافتتاح المقال وإنهائه، يعدان من ضمن الظواهر النصية التي أشرت إليها في الفصل الثالث، حينما تحدثت عن علاقة هذه الظواهر بكتابة التقارير السياسية. وبهذا المعنى، فإن استخدام الاستعارة في تبسيط العلوم يشبه كتابة التقارير الإعلامية بصفة عامة، أكثر مما يشبه أجناس الكتابة العلمية المتخصصة(٢).

المناظرات العلمية في وسائل الإعلام: مزيد من الضوء على استعارات علم الوراثة:

كما رأينا، فإن الاستعارات التي استخدمها العلماء لتطوير نظرياتهم وشرحها، قد شكلت موضوعات بحثهم بطرق معينة، وتقودهم بطريقة أكثر طبيعية إلى بعض الفرضيات والنتائج. وتلعب الاستعارات أيضا دورًا مهمًا في المن ت العامة التي تتناول البحث العلمي، وما يرتبط بها من إيحاءات اجتماعية وسياس .

(١) انظر الدراسة التي قام بها مايرز في عام ١٩٩٠، صفحة ١٤٢.

(٢) انظر أيضا كتاب سكوركزيانسكا ودينجان ٢٠٠٦، للاطلاع على دراسة توضح الفروق في استخدام الاستعارة، بين المطبوعات المتخصصة وغير المتخصصة في مجال علم الاقتصاد.

ويجب أن ألفت النظر إلى أنه يمكن استخدام الاستعارات المأخوذة من المجالات العلمية المتخصصة، في مجال تبسيط العلوم، أو مناقشتها في وسائل الإعلام بعدة طرق، بغرض الشرح والإقناع. وهذا الأمر لا يقوم به العلماء فقط، بل والصحفيون، والسياسيون، وممثلو الجهات المعنية، إلى آخره[١].

في مثل هذه السياقات، لا تستخدم الاستعارات لتطوير فهم جديد لبعض الظواهر، وإنما لشرح القضايا والمسائل العلمية؛ من أجل إقناع المتلقين بأهمية بعض الأنواع من الأبحاث، وقيمتها المستقبلية. ويوضح براون هذا الأمر قائلاً:

> **حينما يُنظر إلى القضايا العلمية على أنها من قضايا السياسة العامة، فإن اللغة المستخدمة في مثل هذه المناقشات تلعب أدوارًا جديدة؛ بمعنى أنها تصبح أدوات إقناع؛ وبالتالي تفقد الكثير من ارتباطها بالقضايا العلمية[٢].**

وقد ذكرت بالفعل كيف يمكن أن تؤدي بعض الاستعارات المستخدمة للحديث عن الحامض النووي، مثل استعارة الشفرة، إلى تأييد نظرية الحتمية البيولوجية **biological determinism**، وهي النظرية التي تقوم على فكرة أن الجوهر الحقيقي للإنسان الحقيقي يكمن في جيناته، وأن نموه المستقبلي مقرر حتمًا منذ البداية[٣].

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها هاميلتون في عام ٢٠٠٣.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها نيرليتش وكلارك Nerlich and Clarke في عام ٢٠٠٠، والدراسة التي قام بها ويجمان Weigman في عام ٢٠٠٤.

(٣) انظر الدراسة التي قام بها نيلكين في عام ٢٠٠١، والدراسة التي قام بها نيرليتش ودينجوول في عام ٢٠٠٣؛ لمزيد من الاستعارات التي تتعلق بالحامض النووي.

وقد استخدمت هذه الاستعارة لتأييد حركة علم تحسين النسل **eugenics movement** في الولايات المتحدة الأمريكية في عشرينيات، وثلاثينيات القرن الماضي، حينما كان يُنظر إلى المادة الجينية للفرد على أنها "المفتاح الرئيسي لتاريخه، وروحه، فضلاً على أنها مصدر النظام الاجتماعي والأخلاقي"(١). وهذا كان مبررًا للسياسات التي كانت تفضل نقاء الأجناس، والتخلص من المعاقين(٢).

وتوجد بعض المخاوف هذه الأيام من أن التفسير المتطرف للحامض النووي على أنه شفرة، وكتيب تعليمات، ومخطط عام، قد يؤدي إلى التمييز بين الناس إذا ما كُشف النقاب عن أسرار الناس الجينية لجهات العمل، وشركات التأمين، ومن على شاكلتهم. وقد رأينا أن المقالين اللذين يتناولان العجز – وسبق أن ناقشناهما – يؤكدان أن بعض الطفرات الجينية، قد تؤثر على متوسط عمر بعض الكائنات الحية بشكل ملحوظ.

وإذا ما شاركنا شرودينجر في رؤيته للحامض النووي على أنه "الشفرة القانون، والسلطة التنفيذية"، "وتصميم المهندس، وصنعة البناء" فنستطيع بكل بساطة أن ننتهي إلى أن وجود أو عدم وجود هذه الطفرات هي كل ما نحتاج إلى معرفته؛ لكي نحدد عمر الشخص.

ومما لا يدعو للدهشة أن المناظرات العلنية حول بحوث الوراثة غالبًا ما تتضمن حربًا كلامية حول استخدام الاستعارة:

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها نيلكين في عام ٢٠٠١.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها تشو ولوبيشلر Chew and Laubichler في عام ٢٠٠٣.

> يستخدم علماء الوراثة عددًا لافتًا للنظر من الاستعارات، بغرض نشر علمهم، وتوضيح معانيه، وإقناع الجماهير بأهميته وجدواه، وخاصة فيما يتعلق بالرعاية الصحية، والسياسة الاجتماعية. وبنفس الطريقة، يستخدم منتقدو علم الوراثة تركيبات استعارية؛ للتعبير عن قلقهم من الجوانب الإشكالية للثورة الوراثية. وحتى الجهات العامة والجامعات المعنية تحشد عادة العديد من الصور البلاغية في مناظراتها... وهذه الجهات – بما في ذلك العلماء – أصبحوا يتمتعون بقدرة فائقة على حشد هذه الصور في وسائل الإعلام. كما أن الصحفيين يعرفون كيف يوصلون رسالتهم بطريقة تحقق القبول الشعبي. فمن خلال استخدام التعبيرات الاستعارية، يبدو لنا علم الوراثة، وكأنه طريق الخلاص، أو وسيلة من وسائل التحكم والسيطرة. والسؤال الذي يطرح نفسه هو، هل البشر نتاج جيناتهم أم منتج تاريخي؟ وهل الهندسة الوراثية تعد نعمة (وليس نقمة) للصحة، أم هي طريقة للعبث بالجينات؟ وهل الجهد المبذول لفهم الشريط الوراثي يعد رحلة للبحث عن "الكأس المقدسة" **holy grail**، أم يحاول العلماء أن يتحكموا في الخلق؟[1]

قام كل من بريجيتي نرليتش **Brigitte Nerlich**، ورفاقه (نرليتش ودينجوول ٢٠٠٣) بدراسة الاستعارات التي استخدمها العلماء ورجال السياسة

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها نيكلين في عام ٢٠٠١، صفحة ٥٥٦.

(الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، ورئيس الوزراء البريطاني السابق توني بلير) عند الإعلان عن قرب انتهاء مشروع الجينوم البشري (كشف أسرار الشريط الوراثي) في عام ٢٠٠٠، في مؤتمر صحفي مشترك عبر الأقمار الصناعية. وبالطبع كانت توجد فروق واختلافات في مدى ابتكارية الاستخدام الاستعاري، إلا أن الجميع اتفقوا على استخدام الاستعارة؛ للتأكيد على عظمة هذا الإنجاز، وطمأنة الجمهور بأن الغرض من هذا المشروع هو التوصل إلى نتائج تفيد البشرية (مثل علاج بعض الأمراض المزمنة).

فعلى سبيل المثال، وصف كلينتون الشريط الوراثي بأنه "أهم وأعجب خريطة أنتجتها البشرية"(١). وقد صرح العلماء الذين شاركوا في هذا المؤتمر قائلين: "نستطيع الآن أن نقرأ كتاب التعليمات **instruction book** الخاص بنا"، كما أننا كشفنا النقاب عن المسودة الأولى لكتاب الحياة البشرية" (نرليتش ودينجوول ٢٠٠٣، صفحة ٤١٦). وهذه الاستعارة المستمدة من عالم الكتب **Book Metaphor** لها علاقة مباشرة باستعارة الشفرة، التي استخدمها أحد العلماء البريطانيين كان يمثل هيئة ويلكام ترست **Wellcome Trust**، الذي صرح قائلا "هذه الشفرة هي جوهر الجنس البشري، وسوف تظل هذه الشفرة مستخدمة، وفي بؤرة اهتمامنا طالما وجد الإنسان على هذه الأرض".

وفي معرض تعليقها على نفس الحدث، صرحت ويجمان **Weigman** (٢٠٠٤) أن الاستعارات التي يستخدمها العلماء، ورجال السياسة، يمكن أن تكون مربكة، بل ومضللة. وأشارت تحديدا لاستخدام استعارة الشفرة للحديث عن الحامض النووي، معلقة أن العلماء يحاولون تفسير لغة إلهية مقدسة

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها نرليتش ودينجوول في عام ٢٠٠٣، صفحة ٤١٠.

a divine language. وفي الاحتفال الذي أقيم في البيت الأبيض، وصف العالم فرنسيس كولينز Francis Collins الشريط الوراثي الإنساني بأنه: "كتاب التعليمات الخاص بنا، الذي لم يكن يعرف أسراره من قبل إلا الله"، كما صرح كلينتون قائلا: "نحن نتعلم اليوم اللغة التي خلق بها الله الإنسان"(١).

وإذا ما تبنينا التحليل الذي قال به كنودسين (٢٠٠٣)، يمكننا القول إن العلماء ورجال السياسة يستخدمون الاستعارات "المغلقة" **closed metaphors** – تلك التي ترد في النصوص العلمية المتخصصة – على أنها استعارات مفتوحة **open metaphors**؛ من أجل تحقيق أهدافهم البلاغية.

فقد أسهمت الاستعارات التي استخدمت في الإعلان عن قرب انتهاء مشروع الجينوم البشري في زيادة للإثارة التي أحاطت بالحدث، وأكدت وجهة النظر التي تقول إن المعلومات الموجودة في هذا الشريط من الجوانب الأساسية في فهم ماهية الإنسان، وأن تفسيرها يمكن استخدامه لمصلحة الإنسان في كل مكان. وهذا بلا شك قد أسهم بشكل كبير في طمأنة الناس، وجعلهم يقتنعون أن تمويل هذا المشروع يأتي على قمة الأولويات في مجال البحث العلمي.

وأشار نرليتش (٢٠٠٢) أن اللغة التي استخدمت في المؤتمر الصحفي، نجحت بشكل كبير في التقارير الإعلامية التي صدرت في أعقاب هذا المؤتمر، والتي كانت غالبًا ما تتضمن نفس الاستعارات الإيجابية التي استخدمت في المؤتمر. ولكن كان هناك بعض الصحف التي استخدمت استعارات أخرى؛ للتعبير عن قلقها، مشيرة إلى بعض المخاوف التي دارت حول "تصميم وتفصيل المواليد" **designer babies**، و"الطبقة المتدنية جينيًا" **genetic under-class**. بل أخذها

(١) انظر الدراسة التي قامت بها ويجمان، صفحة ١١٧.

الخوف والقلق بعيدًا، حينما تحدثت عن كوابيس وسيناريوهات مرعبة، سوف يشهدها مستقبل البشرية، ويظهر هذا جليًا في الفقرة التالية المأخوذة من جريدة الميرور The Mirror:

النموذج السادس عشر:

> **تستطيع الهندسة الوراثية هندسة المواليد جينيًا، فالمادة الجينية يمكن تعديلها بحيث يكون لدينا مواليد مثالية perfect babies. كما يمكن استبعاد بل التخلص من الجينات غير النقية (ومن ثم البشر)، كما أن الأشخاص الذين لا يتمتعون بالقدر الكافي من الكمال الجيني، لا يمكن السماح لهم بالإنجاب.(وردت هذه الفقرة في الدراسة التي قام بها نرليتش في عام ٢٠٠٢، صفحتي ٢٦٢ و٢٦٣).**

فالاستعارات المتأنقة التي استخدمت في الإعلان الرسمي والتي بعثت الطمأنينة في قلوب الناس استبدلت بأخرى تثير الفزع والرعب، حيث نرى البشرية تُهندس وراثيًا، كالمنتجات التجارية، وتُستبعد كالحشائش الضارة.

وتظهر هذه الأمثلة أن الاستعارات التي تستخدم عند الحديث عن القضايا العلمية ليس لها علاقة بتقدم البحث العلمي فقط، بل وتتعدى ذلك للتأثير على الجماهير، والرأي السياسي، ومن ثم السياسة العامة (للدولة). وبالتالي تحتاج الاستعارات العلمية لنفس الفحص والتدقيق، الذي تتعرض له الاستعارات السياسية، كما سبق وأن أوضحت في الفصل الثاني؛ لأن كليهما يمكن أن يستخدم في توجيه المتلقي، أو تضليله. وفي هذا الصدد يقول تشو ولوبتشلر (٢٠٠٣) "تقدم لنا الاستعارة تلك المفارقة بين أجيال لها رؤى علمية جديدة، وأجيال ترى الخطر كامنًا وراء العلم وشطحاته" (صفحة ٥٢).

استخدام الاستعارة في النصوص التعليمية:

كنت قد ناقشت من قبل التصنيف الذي قال به بويد، وأقصد به تصنيف الاستعارات إلى الاستعارات المكونة للنظريات، والاستعارات التعليمية، وقلت إن هذا التصنيف يهدف إلى الإشارة إلى الاستخدامات المختلفة للاستعارة، أكثر من كونه تصنيفًا يشير إلى أنواع الاستعارات المختلفة[1]. وسوف أناقش في الصفحات التالية استخدام الاستعارة؛ لتحقيق أهداف تعليمية، في عدد من النصوص التي أعدت لمخاطبة الدارسين من مختلف الأعمار.

يوجد اتفاق بين العلماء والباحثين على إمكانية استخدام الاستعارة كوسيلة تعليمية **educational tool**. فلا شك أن قدرة الاستعارة على نقل المعلومة أو الصورة من المجال الأصلي إلى المجال المستهدف يمكن استغلالها لتوضيح بعض الظواهر غير المعتادة للطلاب، عن طريق الحديث عن ظواهر أخرى تعودوا عليها. ومن ثم، يمكن أن تساعد الاستعارة في توضيح الموضوعات المختلفة وتبسيطها، وهذا يساعد الدارس على التخيل والتذكر. وتبرز أهمية هذا الأمر، حينما يتعرض الدارسون لإحدى الظواهر الجديدة، بل والمعقدة، والتي عادة ما تستعصي على الفهم، مثل الكهرباء وبنية الذرة، ووظائف الحامض النووي. وقد أثبتت العديد من الدراسات أن استخدام الاستعارة في النصوص التعليمية قد أسهم بشكل كبير في زيادة قدرة الدارسين على تذكر المعلومات، والخروج باستنتاجات، والإجابة عن الأسئلة، وحل المشكلات[2].

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها كنودسين في عام ٢٠٠٣.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها جنتنر وجنتنر في عام ١٩٨٣، والدراسة التي قام بها ماير Mayer في عام ١٩٩٣، والدراسة التي قام بها بتري وأورتوني في عام ١٩٩٣). ولكن هذا الأمر لا يخلو من المخاطر، والصعوبات، التي سأشير إليها لاحقا (انظر الدراسة التي قام بها جرين Green في عام ١٩٩٣.

وتوضح لنا الفقرة التالية كيف يمكن أن تستخدم الاستعارة في تقديم ظـــاهرة علمية (الكهرباء) للدارسين. وهذه الفقرة مأخوذة من كتاب كولينز في مراجعة مادة الفيزياء لطلاب الثانوية البريطانية **Collins GCSE Physics Revision Guide**[١]:

النموذج السابع عشر:

> **نموذج مبسط للدائرة الكهربائية: يمكن النظر إلى البطارية في الدائرة الكهربائية على أنها شحنة كهربائية مندفعـــة حـــول الدائرة من أجل خلق تيار كهربي. كما أنها تنقـــل الطاقـــة إلى الشحنة الكهربائية. وتقاس قدرة البطارية بالفولت، في الإشارة إلى مدى قدرتها على "دفع" الطاقة، ومقدار الطاقة التي يمكن أن توصلها للشحنة الكهربائية[٢].**

ولا يمكن ملاحظة وظيفة البطارية داخل الدائرة الكهربائية بشكل مباشر، ومن ثم يعد هذا الأمر برمته مفهومًا مجردًا. وفي الفقرة السابقة، يوجـــد وصـــف استعاري لوظيفة البطارية، قائم على فعل جسدي و هو "الدفع" **pushing**، وهو فعل مادي ومعتاد، كما أنه يسهل تخيله (وتوجد تعبيرات استعارية أخرى، منهـــا علـــى سبيل المثال، استخدام تعبير "تنقل"). وبعد تقديم الاســـتعارة، يـــستخدمها المؤلـــف للإشارة إلى فكرة "الفولت"، والذي يوصف بأنه مدى قدرة البطارية علـــى "دفـــع" الطاقة. وهذا يعني بكل بساطة، أن المؤلف قـــدم لنـــا مجموعـــة مـــن العمليـــات والخصائص غير المعتادة، وغير المرئيـــة، تنطـــوي على قـــــدر مـــن التعقيـــد،

---

(١) تشير اختبارات الجي سي إس إي إلى الاختبارات التي يجب على الطلاب في بريطانيا في سن السادسة عشر اجتيازها في نهاية مرحلة التعليم الأساسي.

(٢) انظر كتاب برادلي وسانلي Bradley and Sunley ٢٠٠٥، صفحة ١.

بشكل استعاري مفهوم ومقبول، من خلال ذكر عمليات وخصائص مماثلة، ولكنها تتسم بأنها مرئية، وبسيطة، ومعروفة للمتلقي.

ويمكنني القول إن هذه الاستعارة اختيرت عن قصد، لما فيها من إمكانيات تعليمية، وأقصد بذلك تبسيط المعلومة للدارسين، كما أنها لا تستخدم عادة لتكوين النظريات في السياقات الأخرى. كما أن غير المتخصصين لا يستخدمونها عادة للحديث عن الكهرباء. ومن الأمور المسلية والملفتة للنظر في نفس الوقت، أن المؤلف قد أشار صراحة إلى الاستخدام الاستعاري مرتين: في المرة الأولى حينما أشار بتعبير "يمكن النظر إلى..."، وفي المرة الثانية حينما وضع كلمة "دفع" بين علامتي تنصيص؛ للإشارة إلى أن هذا التعبير يستخدم بشكل استعاري، وليس حرفيا للإشارة إلى ظاهرة الكهرباء.

وقد ذكرت كاميرون (٢٠٠٣) نصًا مأخوذًا من أحد كتب العلوم، التي تدرس للطلاب في سن العاشرة، والحادية عشرة. وهذا النص يحتوي على عدد أكبر من التعبيرات الاستعارية المختلفة:

القلب:

> يمثل الدم نظام النقل **transport system** داخل الجسم، بينما يمثل القلب مركز هذا النظام. ويحتوي القلب على أربع غرف لها جدران عضلية، وهذه الجدران تنقبض كل ثانية تقريبًا، لتدفع الدم خارج هذه الغرف، داخل أنابيب قوية نسميها الشرايين **arteries**، ومنها يندفع الدم إلى كل أجزاء الجسم. وحينما يرتخي القلب مرة أخرى، تمتلئ غرفه بالمزيد من

الدماء، والتي جاءت عن طريق أنابيب أخرى نسميها الأوردة veins. وهذا الضخ (للدماء) – والذي نسميه نحن دقات القلب – يحدث كل ثانية طيلة عمر الإنسان. ولا توجد آلة صنعها الإنسان تعمل بنفس كفاءة واستمرارية القلب البشري، فيمكن للقلب أن يدق لمدة مائة عام دون الحصول على راحة. وعلاوة على ذلك، فإن القلب يمتلك القدرة على التكيف؛ بمعنى أن يستطيع أن يدق بسرعة أو ببطيء، وهذا يتواكب مع تغيير كمية الدم التي يضخها مع كل دقة، بناء على المجهود الذي يقوم به الإنسان. (هذه الفقرة مأخوذة من كتاب إس. باركر S.Parker الجسم البشري وكيف يعمل The Body and How It Works، صدر في عام ١٩٨٧، وذكرت في كتاب كاميرون ٢٠٠٣، صفحة ٢٠١).

وتفرق كاميرون بين ثلاثة أنواع من التعبيرات الاستعارية المستخدمة في الفقرة السابقة: تعبيرات شبه فنية sub-technical، وأخرى فنية technical، وثالثة فنية ومكونة للنظريات technical + theory constitutive. فعلى سبيل المثال، تضم التعبيرات شبه الفنية وصف "الدم" بأنه نظام النقل، ووصف "الشرايين" بأنها أنابيب، ووصف "القلب" بأنه يمتلك قدرة على التكيف (وتعبير "الدفع" الذي ذكرناه سابقًا يدخل تحت هذه الفئة). وهذه التعبيرات لا تستخدم بشكل تقليدي عند الحديث عن وظيفة القلب؛ وبالتالي لا تعد من التعبيرات المكونة للنظريات في أي سياقات أخرى. واستخدمها المؤلف هنا لما لها من قدرة على توصيل المعلومة للدارس pedagogic potential فهذه التعبيرات تتماشى مع ما يعرفه القارئ (عن النقل، والأنابيب، وقدرة الآلات على التكيف)، وبالتالي يسهل على المؤلف شرح بعض جوانب المجال المستهدف (الدورة الدموية، ووظيفة القلب فيها).

وتشمل الاستعارات الفنية تعبيرات مثل "غرف"، و"جدران"، التي تستخدم عادة في المناقشات العلمية للإشارة إلى مكونات القلب، ولكنها لا تعكس الطريقة التي عادة ما تُشرح بها وظيفة القلب (بمعنى أن القلب لا يصور عادة في شكل بناء). وعلى النقيض من هذا، تضيف كاميرون بعض التعبيرات مثل "ضخ" و"يضخ" على أنها تعبيرات فنية، ومكونة للنظريات في نفس الوقت. فهي ترى أن وظيفة القلب قد فُسرت للمتلقي عن طريق الاستعارة التي تشير إلى أن القلب عبارة عن مضخة **The heart is a pump**، وأول من ابتكر هذه الاستعارة هو ويليام هارفي **William Harvey** في أوائل القرن السابع عشر(١). ولكن يمكننا القول إن السياق السابق يحتوي على وظيفة تعليمية أساسية واضحة لهذه الاستعارة، والاستعارات الفنية الأخرى مثل "غرف"، و"جدران"؛ لأنها تتحدث عن مجال أصلي (سواء أكان فكرة المبنى أم ضخ السوائل) اعتاد عليه الأطفال في حياتهم اليومية.

ولكن العمل الذي قامت به كاميرون مع مجموعة من الأطفال في سن العاشرة، يكشف لنا عن مدى صعوبة توقع تفسيرات الدارسين لهذه الأنواع الثلاثة من الاستعارات(٢). ولكي نكون أكثر تحديدًا، كان المشاركون في الدراسة التي أجرتها كاميرون يتعاملون مع التعبيرات الاستعارية الفنية المغلقة **closed**، في الفقرة السابقة التي تتحدث عن القلب، على أنها تعبيرات مفتوحة **open**(٣)، وقاموا بتطبيق بعض المعرفة المنقوصة التي لديهم عن المجال الأصلي على تفسيراتهم للنص. فعلى سبيل المثال، أثار استخدام لفظ "الجدران" في أذهانهم قوة الحوائط الموجودة في المنازل، وحمايتها لقاطني هذه المنازل، كما أثارت كلمة "الغرف"

---

(١) انظر كتاب كاميرون ٢٠٠٣، صفحة ٢٠٤.

(٢) انظر كتاب كاميرون، الصفحات من ٢٠٥ إلى ٢٠٨.

(٣) انظر الدراسة التي قام بها كنودسين في عام ٢٠٠٣.

في أذهانهم وجود مساحة للتخزين، وأثارت كلمة "الضخ" في أذهانهم "المنفاخ" الذي يستخدمونه في ضخ الهواء في عجلات الدراجة، عند خلوها من الهواء. وانتهى الأطفال إلى أن القلب يضخ الهواء الذي يدفع الدم في كل أجزاء الجسم. وتلخص لنا كاميرون هذه المشكلة قائلة: "إن هذه المشكلة سواء كنا نتحدث عن هؤلاء الأطفال، أو غير المتخصصين، تكمن في عدم قدرتهم على التفرقة بين الاستعارات المقصودة **deliberate metaphors**، والمصطلحات الفنية، التي ربما تكون هي الأخرى عبارة عن استعارات تقليدية"(١).

وبلا شك، لا يمكن إغفال ما ذكرته كاميرون عند الحديث عن استخدام بعض الاستعارات المكونة للنظريات بطريقة أكثر انضباطًا في بعض النصوص التعليمية، من أجل وجود مقدمة واضحة ومبسطة للمجال المستهدف (المجال الذي يهدف النص إلى أن يتعرف الطالب عليه). والنصوص التي انتقيتها للحديث مأخوذة من بعض الدروس التفاعلية المتوفرة على الانترنت في موقع **http://gslc.genetics.utah.edu** التابع لمركز تعلم الوراثة **The Genetic Science Learning Centre**، التابع لجامعة أوتا **University of Utah**، ويوصف هذا الموقع بأنه برنامج تعليمي ممتد يهدف إلى مساعدة الناس على فهم تأثيرات علم الوراثة على حياتهم ومجتمعاتهم.

ويقدم لنا هذا الموقع الإلكتروني أساسيات علم الوراثة تحت الرابط المسمى بالمعلومات الأساسية والمتقدمة **The Basics and Beyond**. وهذا الرابط يأخذك في جولة عبر الموقع، تتعرف من خلاله على الكثير من التفاصيل الخاصة بالحامض النووي والجينات، وتخاطب هذه المعلومات في المقام الأول الطلاب فيما بين

---

(١) انظر كتاب كاميرون، صفحة ٢٣٥.

الحادية عشر والثامنة عشر. وتشمل هذه المعلومات كل ما يحتاجه الطـلاب مـن معلومات عن الحامض النووي، والجينات، والكروموسومات، والوراثـة... إلـخ. ويؤكد الموقع على أنه لا يطلب من الطالب أي معرفة سابقة بعلم الوراثة، ولكن لا شك أن المعرفة الأساسية ببناء الخلية سوف تفيد الطالب كثيرًا.

ولا يتسع المجال هنا؛ لكي أعطي الصور والمرئيات البديعة المتوفرة علـى هذا الموقع (ولكنني أنصح القراء الأعزاء بزيارة هذا الموقع للتأمـل والاسـتفادة). وسوف أركز بشكل أساسي على أحد النصوص التفسيرية المصاحبة لبعض الصور والمرئيات، وهو نص يتحدث عن الحامض النووي تحت عنـوان "مـا الحـامض النووي؟" **What is DNA?**. ويبدأ هذا النص بتقديم معلومات عن الخلايا الموجودة في الأذن الداخلية، ويثير سؤالاً لطيفًا وهو: "كيف تعرف هذه الخلايا أن دورها هو دعم حاسة السمع، وليس أي شيء آخر؟" والإجابة على هذا السؤال كانت كالآتي:

النموذج الثامن عشر:

> **توجد التعليمات التي توفر كل المعلومـات المطلوبـة والضرورية للكائن الحي كي ينمو ويعيش في نواة كل خليـة. وتحدد هذه المعلومات دور كل خلية في الجسم. ولكن كيـف تبدو هذه التعليمات؟**

النموذج التاسع عشر:

> **تأتي هذه التعليمات في شكل جزيئي يـسمى الحـامض النووي، الذي يحتوي بدوره على مجموعة مفصلة من الخطـط، التي تشبه المخطط العام لبناء الأجزاء المختلفة للخلية. ولكـن كيف يحتفظ هذا الجزيئ بالمعلومات؟**

النموذج العشرون:

يأتي الحامض النووي في شكل سلم مجدول twisted ladder، يسميه العلماء بالحلزون (أو اللولب) المزدوج double helix. ودرجات هذا السلم بنيت من أربعة حروف، هي كل حرف هجاء الحامض النووي وهي: A، وC، وT، وG، وهذه الحروف تقترن ببعضها البعض طبقًا لقواعد خاصة. فحرف A يقترن دائما بحرف T، وحرف C يقترن دائمًا بحرف G. ولكن كيف تستطيع هذه الحروف الأربعة أن تخبر الخلية بما يجب أن تفعله؟

النموذج الحادي والعشرون:

و"حبل" الحامض النووي مصنوع من عدة حروف هي:

ATGCTCGAATAAATGTCAATTTG

وهذه الحروف تشكل كلمات هي:

ATG CTC GAA TAA ATG TCA ATT TGA

وهذه الكلمات تشكل جملاً هي:

<ATG CTC GAA TAA> <ATG TCA ATT TGA>

وهذه الجمل هي ما نطلق عليها الجينات، وهذه الجينات هي التي تملي على الخلية أن تنتج جزيئات أخرى نسميها البروتين، وهذا البروتين يعطي الخلية القدرة على أن تقوم بوظائف خاصة، مثل أن تعمل مع مجموعات أخرى من الخلايا لتجعل حاسة السمع تعمل (بكفاءة).

في هذه الفقرات، يُوصف لنا الحامض النووي من خلال استعارة التعليمات instruction metaphor؛ فقد ذكرت كلمة "التعليمات" عدة مرات، كما ذكرت كلمة "المعلومات". كما أن النص التالي الموجود على الموقع وعنوانه "ما الجين؟" What is a gene? يصف لنا الجينات على أنها عبارة عن كتيبات التعليمات instruction manuals لأجسامنا. وهذه الاستعارة يمكن اعتبارها جزءًا من الاستعارات العامة، وهي استعارة اللغة/ الاتصال language/communication metaphor، والتي تستخدم للإشارة إلى الحامض النووي. وهذه الاستعارة – كما سبق أن أشرت – استخدمت في تكوين علم الوراثة منذ بداياته الأولى.

وإذا عدنا إلى النموذج التاسع عشر، فسوف نجد استعارات مشابهة استخدمت لشرح وظيفة الحامض النووي؛ فمثلا تعبير "مجموعة مفصلة من الخطط"، والتشبيه "تشبه المخطط العام لبناء..." يمكن اعتبارهما أشكالاً أخرى لاستعارة التعليمات. كما أن استخدام الحروف الأربعة للحديث عن الحامض النووي يؤكد فكرة أن الحامض النووي عبارة عن مجموعة من التعليمات.

أما في النموذج الحادي والعشرين، فنجد أن حروف الحامض النووي توصف بأنها تشكل كلمات وجملاً، وهذه الجمل هي الجينات. وما يؤكد هذا الوصف ويعززه الصورة الاستعارية التي تُشكل في ذهن القارئ لخلفية ورقة في دفتر (تحتوي على هذه الحروف، والكلمات، والجمل). كما أن خطاب الفعل الجيني discourse of gene action الذي قالت به كيلر (١٩٩٥) يبدو واضحًا في استخدام التشخيص personification: "وهذه الجينات هي التي تملي على الخلية".

وكما سبق ورأينا فإن هذه الاستعارات لها تاريخ طويل في الخطاب الوراثي genetic discourse، فقد استخدمت في البدايات بغرض تكوين النظريات، حينما اكتشفت الجينات والحامض النووي، كما تستخدم في النصوص العلمية المبسطة،

وفي وسائل الإعلام؛ بغرض التفسير والإقناع. ولكننا كنا قد أسلفنا القول بأن هذه الاستعارات قد أثارت تساؤلات حول ما إذا كانت الجينات قد حددت سلفا طريقة نمو الإنسان وتطوره؛ ومن ثم يستطيع العلماء قراءة مستقبل تطور الإنسان وماهيته، من خلال الاطلاع على خريطة الحامض النووي الخاص به.

ولهذا فإن استخدام هذه الاستعارات لأغراض تعليمية، قد يثير العديد من الإشكاليات، وخاصة في الحالات التي تكون فيها اليد العليا لتلك الاستعارة التي تصور كلاً من الحامض النووي، والجين، على أنهما تعليمات (والاستعارة الأخرى التي يمكن ذكرها هي تلك الاستعارة التي تصور الحامض النووي في شكل سلم مجدول، ولكن هذه الاستعارة تتعلق بالصورة المرئية للحامض النووي، أكثر من وظيفته).

وعلاوة على ذلك – وكما سبق أن أوضحت كاميرون في كتابها الصادر في عام ٢٠٠٣ – فإن الدارسين لا يستطيعون عادة التفرقة بين التعبيرات الاستعارية الفنية، والأخرى شبه الفنية؛ وقد يؤدي هذا إلى أن يستخدم الطلاب المصدر الأصلي في غير موضعه، وبصورة يصعب التنبؤ بها. وإذا قمت بجولة على هذا الموقع، فإن هذه الجولة لن تفشل فقط في أن توفر لك أي استعارات بديلة، ولكنها لا تشير أيضًا إلى أن كثيرًا من التعبيرات، هي في واقع الأمر تعبيرات استعارية فنية (والمثال الوحيد الذي أشير فيه إلى مثل هذه التعبيرات هو استخدام علامات التنصيص؛ للإشارة لكلمة "جُمل"). بل إن مصممي هذا الموقع يخلطون التعبيرات الفنية بالأخرى غير الفنية التي تنتمي إلى نفس المجال؛ من أجل عمل مقدمة لموضوع الحامض النووي تتسم بالوضوح والبساطة.

ولكن ما يمكن للمرء أن يفتقده في هذا الجزء من الجولة الذي يتناول الحامض النووي (وفي أجزاء أخرى) هو عدم وجود إحساس أن الظواهر

الموجودة في هذا الموقع قد صيغت استعاريا بطريقة معينة من أجل تفسير هذه الظواهر للطلاب، وأن أي نموذج استعاري **metaphorical model** له محدداته، وضوابطه، وبدائله الممكنة (خاصة إذا ما وضعنا في الاعتبار عمر هؤلاء الدارسين، الذي يتراوح بين الحادية عشرة والثامنة عشرة).

ويؤكد تيبر (٢٠٠١) أنه في حالة استخدام الاستعارات لأغراض تعليمية، فإنه يجب تشجيع الدارسين لكي يقولوا رأيهم بالتفصيل في أوجه الاختلاف والتشابه بين المجال الأصلي، والمجال المستهدف. بل ويرى سبيرو **Spiro** (١٩٨٩) أنه يجب توفير استعارات بديلة تتناول نفس الظاهرة؛ لأن الاعتماد على استعارات بعينها قد يمنع الطلاب مع مرور الوقت من الوصول إلى مستويات أعلى من الفهم والاستيعاب(١).

ويقترح ميلر **Miller** (١٩٨٨) استعارة بديلة لطلاب الجامعة في تفسير مفهوم نمو الكائنات الحية الذي يتضمن تفاعلاً معقدًا بين الجينات والخبرة. ويقول ميلر إنه يستعين بأربعة أنواع من الطعام لتفسير هذه الاستعارة لطلابه (وهي تمثل نتائج النمو)، وهي بعض الأطعمة التي يدخل الدقيق كمكون أساسي فيها (وهو ما يمثل العوامل الوراثية)، ولكن توجد مكونات أخرى ستدخل في عملية تفاعل مع الدقيق بأساليب فريدة (وتمثل وجود مسارات مختلفة لعملية النمو). وبالإضافة إلى هذا، توجد طرق مختلفة للطهي (وهي تمثل العوامل التجريبية والاختبارية)، وهذه الطرق المختلفة تؤثر بدورها على مسارات النمو؛ مما يعطي نتائج مختلفة لعملية النمو(٢).

---

(١) انظر كتاب كاميرون ٢٠٠٣، صفحة ٣٩.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ميلر، صفحة ١٤٨.

ثم يوضح ميلر لطلابه كيف أن مزج الدقيق بالملح والماء يتحول إلى تورتيه **tortilla** (كلمة أسبانية تعني كعكة مسطحة مدورة من دقيق الأرز) إذا حمرناه، وكيف يتحول هذا المزيج إلى خبز فطير **matzo** (نوع من الخبز يأكله اليهود في عيد فصحهم) إذا خبزناه. أما إذا أضفنا الخميرة لهذا المزيج، فسوف نحصل على خبز. ويستخدم ميلر هذه الاستعارة؛ لكي يوضح لطلابه كيف أن نواتج عملية النمو هي في جوهرها عملية معقدة تتضمن الدقيق (الجينات)، ومكونات أخرى، وطبيعة عملية النمو نفسها (طريقة الطهي)[١].

وأعتقد أن هذه الاستعارة أبسط كثيرًا[٢] من استعارة الشفرة أو استعارة التعليمات للحديث عن الحامض النووي، ولكنها تشكل المجال المستهدف بطريقة مختلفة تمامًا؛ ففي استعارة اللغة والاتصال، نجد أن الجينات هي العامل الرئيسي (وربما الوحيد) في عملية النمو والتطور، بينما في استعارة الطهي **cooking metaphor**، تقدم لنا على أنها أحد العوامل الرئيسية. كما أن الاستعارة التي استخدمها ميلر تؤكد أن هناك تفاعلا يتم بين عدة عوامل نمو مختلفة، بطريقة معقدة، ويصعب تفسيرها. وهو ما يصوغه ميلر بطريقة لطيفة حينما يقول: "من الصعب القول بمقدار الكمية اللازمة لكي نقول إن الخبز هو وظيفة الدقيق (عوامل الوراثة)، وهو ما يختلف تمامًا عن عملية الخبيز (عامل البيئة)"[٣].

ويمكن أن نقول إن هذه الاستعارة التي استخدمها ميلر تعكس رؤية مختلفة للجينات، وهي رؤية تختلف عن الرؤى الأولية التي قال بها علماء الوراثة الأوائل

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها ميلر، صفحة ١٤٨.

(٢) من الواضح أن مقادير الطعام وأنواعه التي ذكرها ميلر تنطبق على الثقافة التي ينتمي إليها، ولكن هذه الاستعارة يمكن تطبيقها بسهولة على السياقات الثقافية الأخرى.

(٣) انظر الدراسة التي قام بها ميلر، صفحة ١٤٨.

من أمثال شرودينجر. ولكن يجب أن نلفت النظر إلـــى أن دور العوامـــل البيئيـــة، أصبح من الأمور والحقائق المعترف بها في علم الوراثة؛ ومن ثم، فـــإن اســـتعارة الطهي تعكس الآراء المتداولة حاليًا أفضل من استعارة التعليمات التي ذكرناها آنفًا. والأمر المهم هنا الذي يجب أن نؤكد عليه، هو أنه يجب أن يتوفر لـــدى الـــدارس أكثر من نموذج استعاري للظواهر التي يدرسها؛ من أجل تقليـــل احتمـــال الفهـــم الخاطئ، أو الفهم غير المكتمل للظواهر موضع الدراسة.

المجالات الأصلية في الاستعارات العلمية:

تبين الأمثلة التي ناقشناها في الصفحات السابقة، أنه توجد أوجـــه للتـــشابه والتداخل بين المجالات التي توظف كمجالات استعارية في الخطاب العلمي بـــصفة عامة، وبين تلك المجالات التي رأيناها في مجالات أخرى مثل السياسة. وبـــصفة عامة تتوافق المجالات الأصلية التي يستخدمها العلماء مع مجالات الخبرة الماديـــة المتاحة والمعتادة. فعلى سبيل المثال، هذا هو ما حدث تمامًا في استعارة المـــسرح الديكارتية التي استخدمت عند الحديث عن الوعي، واستعارة التخلص من النفايـــات والفضلات التي استخدمت في الدراسات التي تناولت طول العمر، وهو ما ينطبـــق أيضا على استعارات الشفرة والتعليمات التي استخدمت في علم الوراثة.

كما أن التشخيص من الأدوات الشائعة، ولعل نموذج الجحيم الـــذي ذكرنـــاه عند الحديث عن الوعي هو خير مثال على ذلك، كما يلقي الضوء على ما أســـمته كيلر (١٩٩٥) "بخطاب الفعل الجيني". وكما قلت سابقًا، فإن المجـــالات الأصـــلية الاستعارية تعطي لنا نماذج للظواهر موضع الدراسة، ويجب أن تكون هذه النماذج كما يقول تيير (٢٠٠١) "تعطي صورا مبسطة لأخرى أكثر تعقيدًا؛ حتى تعم الفائدة

المرجوة" (صفحة ٢٢٢). فعلى سبيل المثال، تتسم استعارة الطهي التي ذكرها ميلر عند حديثه عن النمو، بأنها أكثر بساطة وواقعية، من المجال المستهدف (النمـــو)، بينما في استعارة الشفرة المستخدمة في علم الوراثة، نجد أنها تتم عن رؤية بسيطة (تصل لحد السذاجة) للغة والاتصال، وهما اللذان يمثلان المجال الأصلي.

وكما أوضحت سابقًا لا يوجد فرق واضح بين تلك الاستعارات المـــستخدمة لتكوين النظريات في النصوص المتخصصة، وتلك المستخدمة في النصوص غيـــر المتخصصة بغرض التفسير، والإقناع، وتقديم معلومة مبسطة للطلاب. كما ســـبق أن أوضحت أيضًا كيف تطورت الاستعارات المكونة للنظريات، وامتدت في كتـــب تبسيط العلوم، والنصوص التعليمية، والمناظرات الإعلامية.

ومن ناحية أخرى، يوجد رأي يقول إن العلماء غالبًا ما يـــستخدمون نفـــس المصادر الاستعارية المستخدمة بشكل تقليدي في لغة الحياة اليومية (انظر كتـــاب براون ٢٠٠٣). فعلى سبيل المثال، يرى كل من لاكوف وجونـــسون (١٩٨٠) أن استعارة الحاسوب الذي يستخدمها علماء النفس والمتخصـــصون فـــي الأمـــراض العصبية، هي في واقع الأمر امتداد وتفصيل لبعض الاستعارات التـــي عـــادة مـــا تستخدم عند الحديث عن المخ البشري، ومنها الاستعارة التي تصور المخ البـــشري على أنه آلة **The mind is a machine** (كأن يقول الشخص فـــي حياتـــه اليوميـــة "عملت كثيرًا هذا اليوم حتى نفد مني الوقود"). ويرى كل من لاكوف وجونسون أن استخدام مثل هذه الاستعارات التقليدية عند الحديث عن النظريات العلميـــة؛ يجعـــل هذه النظريات تبدو طبيعية ومألوفة (انظر كتابهما، صفحة ٢٠٧).

كما أوضحت في طيات هذا الفصل كيف أن استخدام العلمـــاء للاســـتعارات المكونة للنظريات غالبًا ما ينطوي على قدر كبير من الوضوح والدقة فـــي تحديـــد

أوجه التشابه والاختلاف بين المجـــالات المختلفـــة (المجـــال الأصـــلي والمجـــال المستهدف)، وهذا ما يبدو أكثر وضوحًا في النصوص العلمية منه في النـــصوص السياسية والأدبية.

فحينما تُستخدم مجموعة من الاستعارات على نطاق واسع في مجتمع علمي بعينه، فمعنى هذا أن هذه الاستعارات تزيد الجوانب المأخوذة من المجال الأصـــلي والمطبقة على المجال المستهدف وضوحًا وجلاءً. ومع مرور الوقت، يزيد اعتمـــاد التعبيرات الاستعارية الفنية على المعرفة المتزايدة بالمجال المستهدف، وبقدر أقـــل على الأفكار والصور المأخوذة من المجال الأصلي. ويرى كنودســـين (٢٠٠٣) أن هذه الاستعارات تـــصبح "اســـتعارات مغلقـــة" **closed metaphors**. ولكـــن فـــي النصوص غير المتخصصة يمكن "فتح" **open up** هـــذه الاســـتعارات، ومـــن ثـــم استخدامها بأساليب تتعدى الصور المحددة التي يـــستخدمها الخبـــراء؛ مـــن أجـــل الوصول بالإمكانيات التفسيرية والإقناعية للمجال الأصلي إلى أقصى درجاتها.

ولا شك أن استخدام المجالات المعتادة والمبسطة من الخبرة الإنسانية يبـــدو واضحًا، حينما تُستخدم الاستعارات في النصوص التعليمية، كما هـــو الحـــال فـــي استعارة الطهي التي استخدمها ميلر، واستعارة "الدفع" **pushing metaphor** التـــي وردت في النموذج السابع عشر.

ولكن يجب ألا نغفل أن اختيار المجال الأصلي في الخطاب العلمـــي يعتمـــد أيضًا – وبشكل كبير – على فهم العالِم في الوقت الحالي لظواهر بعينها، ويعتمـــد أيضًا على سعيه لتقديم النتائج التي توصل إليها عن طبيعة هذه الظـــواهر، وتأييـــد هذه النتائج. ولكن هذا المجال الأصلي قد لا يكون بهذه البساطة والـــسهولة التـــي تتسم بها المجالات الأصلية التي يلجأ إليها رجال السياسة والصحافة. ففي المثـــال

الذي ذكره دينيت عند حديثه عن قضية "الوعي"، نجد أن استعارة الشهرة والنفوذ السياسي مأخوذة من مجال أصلي (مجال الشهرة والسياسة)، وهو مجال اعتاد عليه القراء، وسبروا أغواره، أكثر من المجال المستهدف (قضية الوعي)، الذي يتسم بالتجريد والتعقيد. وهذا ما ينطبق أيضا على الاستعارة التي استخدمها روثرفورد حينما شبه الذرة بأنها نظام شمسي مصغر.

ففي تلك الفترة الي ذكر فيها روثرفورد هذه الاستعارة كان النظام الشمسي معلوما ومفهوما للجميع أكثر من بنية الذرة، ولكن سمات هذا النظام وتفاصيله لم تكن بالبساطة، التي يمكن للإنسان أن يلم بها من مجرد الملاحظة المباشرة **direct observation**. ويرى تيبر (٢٠٠١) أن الطالب في عالم اليوم غير ملم بعلم الفلك بالقدر الكافي، ومن ثم قد لا يستفيد من هذه الاستعارة في فهم بنية الذرة.

وفي الواقع، قد يتعدى العلماء أحيانًا الخبرات والتجارب المعتادة (للمتلقي)؛ من أجل التوصل إلى نماذج استعارية؛ للتعبير عن ظواهر بعينها. ولعل المثال الصارخ الذي يرد إلى ذهني هو استعارة الأخطبوط **octopus metaphor** التي استخدمها كوسلين وكوينج؛ للإشارة إلى الشبكات العصبية[1].

ويشير كوسلين وكوينج إلى أن الحاسوب في أيامه الأولى كان يعمل بطريقة تختلف عن الطريقة التي يعمل بها المخ البشري. ولكن في الفترة الأخيرة، تغير هذا الأمر، وأصبحت خصائص الكمبيوتر، تقاس على المقياس الذي تقاس به خصائص المخ البشري **brain-like features** وهذا الشكل الحاسوبي يعرف بحاسوبية الشبكات العصبية **neural network computation**، ويعرف أيضا باسم المعالجة الموزعة المتوازية **parallel distributed processing**، وأيضا باسم

---

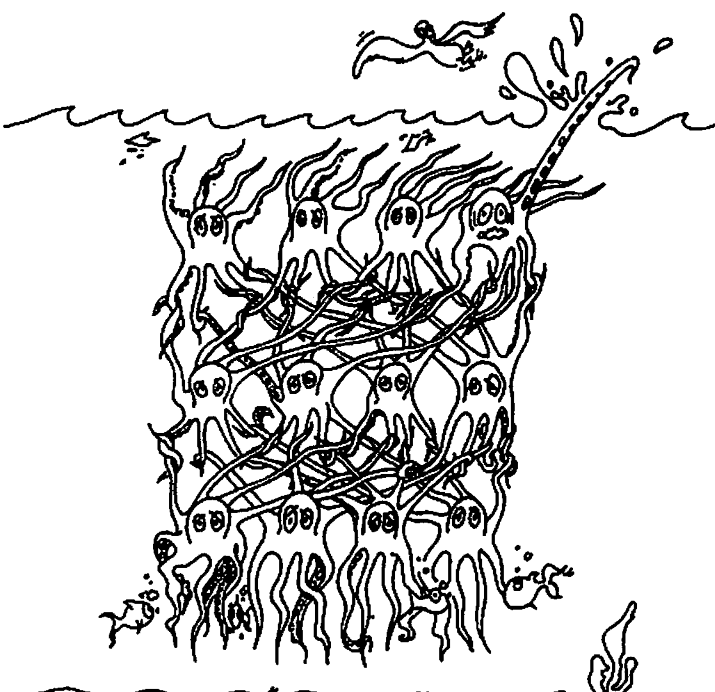
(١) انظر كتاب كوسلين وكوينج ١٩٩٢، الصفحات من ١٩ إلى ٢٤.

التواصلية **connectionism**. وهذا النظام أو الشكل يتضمن مجموعات من الوحدات المتصلة ببعضها البعض، والتي تعمل معًا لكي تقوم بأداء نوع محدد من معالجة المعلومات. ومن أجل شرح السمات الرئيسية لهذا النوع من الأنظمة الحاسوبية، بدأ كوسلين وكوينج فكرتهما بذكر عالم خيالي من الكائنات البحرية كالتالي[1]:

> **كان البروفسير جاك كوستلو Jack Costlow مجبرًا على أن يعمل وفق ميزانية متدنية. ولما كان مفتقدًا للمال الذي يمكن أن يمول الاكتشافات التي كان ينوي القيام بها في أغوار البحار، قرر أن يكتشف ألغاز برك المياه التي خلقها المد والجزر tidal pools. ولكن شهرته بدأت حينما اكتشف بالصدفة شكلا من أشكال الترويح التي تقوم بها الأخاطيب (جمع أخطبوط، وجمعت أيضا على خطابيط، وأخاطب، وأخطبوطات). فهذه الأخاطيب كانت تصطف في ثلاثة صفوف، فكان الصف الأول يتشابك مع الصف الثاني عن طريق المجسات، والثاني مع الثالث في أشكال هندسية بديعة. ولكن البروفسير كوستلو لاحظ أنه إذا ما مس شيء أحد المجسات المتحررة لأحد هؤلاء الأخاطيب في الصف الأول، يقوم هذا الأخطبوط بإقحام مجساته وحشرها مع الأخاطيب في الصف الأوسط، والتي تقوم بدورها بإقحام مجساتها وحشرها مع الصف الثالث. ولكن الشيء الذي جذب انتباه البروفسير هو ما حدث حينما مس شيء العديد من الأخاطيب في الصف**

(١) انظر كتابهما ١٩٩٢، صفحة ١٩.

الأول، والذي جعل هذه الأخاطيب تحشر الأخاطيب في الصف الأوسط. ثم ضغطت بعض الأخاطيب في الصف الأوسط على بعض الأخاطيب في الصف الثالث أكثر وأكثـــر وبنـــاء علـــى الطريقة التي حشرت هذه الأخاطيب بعضها الـــبعض، ظهـــر أخطبـــوط مختلف في الصف الثالث، رافعا يـــده المتحـــــررة خارج المـــــــاء[1].



(١) انظر كتاب كوسلين وكوينج ١٩٩٢، صفحة ١٩.

ويفسر لنا كوسلين وكوينج الأمر، مشيرين إلى أن البروفسير كوستلو قد ظن في بادئ الأمر أنه قد عثر بالصدفة على مجموعة من الأخاطيب السادية، ولكنه اكتشف أن هذه الأخاطيب كانت تتشابك وتنحشر مع بعضها البعض، حتى يتمكن بعضها الموجود في الصف الثالث من إخراج مجساتهم خارج الماء؛ ليعلموا طيور النورس التي تطير في هذه المنطقة بكثافة الأسماك في هذه البقعة.

وبعد أن قدم لنا كوسلين وكوينج هذا السيناريو المتخيل، شرحا لنا كيف أن سمات هذه الشبكة الخيالية من الأخاطيب تماثل الشبكات الحاسوبية المتوازنة الجديدة، والتي يمكن أن ينظر إليها بدورها على أنها نماذج لوظيفة الأعصاب داخل المخ البشري(١). ولا يسمح المجال هنا بأن أعطي هذه الاستعارة حقها من التفسير والتقييم. ولكن هذا المثال يهدف إلى أن يوضح لنا أنه في كثير من الحالات، يمكن استحداث مجالات أصلية؛ من أجل التوصل لنماذج لاستخدامها عند الحديث عن ظواهر بعينها، بدلا من انتقاء بعض المجالات الأصلية من الخبرات "الحقيقية" المعتادة والمألوفة. وبالطبع لا تزال شبكة الأخاطيب أكثر تسلية وبساطة وشفافية من الشبكات المقصودة في المجال المستهدف (الحاسوب والمخ البشري).

ولكن يجب أن أذكر أنه من الواضح أن اختيار مجالات الخبرة المعتادة ليست شرطًا ضروريًا؛ لكي تستخدم الاستعارة بنجاح سواءً عند الشرح، أو استحداث النماذج. ففي مثل هذه الحالات يتم تصميم المجال الأصلي بدقة بحيث يتناسب مع المجال المستهدف (الظاهرة التي نحن بصدد دراستها، وهذا يحدث كثيرًا في الخطاب العلمي scientific discourse، الذي يزخر بالكثير من الظواهر التي تتسم بالتعقيد في بنيتها، فضلاً عن علاقاتها المتشعبة).

---

(١) يشبه سيناريو الأخطبوط الذي ذكره كوسلين وكونيج تلك القصة التي ذكرها دينيت عن ذلك الروائي الذي كان قاب قوسين أو أدنى من الشهرة. فكلاهما عبارة عن قصة رمزية مصغرة افترضها هؤلاء الباحثون؛ بغرض تطبيقها على السيناريو المستهدف.

دراسة الحالة الأولى: الخلايا تي المنظمة Regulatory T Cells في مقالات علمية متخصصة:

سوف أقدم فيما تبقى من هذا الفصل دراستي حالة؛ من أجل الحديث عن أوجه الشبه والاختلاف بين الاستعارات التي يستخدمها الخبراء والمتخصصون للتواصل بينهم من ناحية، وتلك التي تستخدم لمصلحة الدارس، بمعنى تبسيط المعلومة العلمية لطلاب العلم من ناحية أخرى. وتتناول كلا الدراستين استخدام الاستعارة للحديث عن عمل الجهاز المناعي في الجسم البشري. وفي الصفحات التالية، سوف أقوم بتحليل سلسلة من المقالات تضمنها عدد خاص من دورية علمية تسمى Nature Immunology، أما في دراسة الحالة الثانية، فسوف أقوم بتحليل جزء مأخوذ من الموقع الإلكتروني لهيئة الإذاعة البريطانية بي بي سي BBC، والذي يقدم مراجعة للطلاب الذين يستعدون لاختبارات ال جي سي إس إيي (شهادة إتمام التعليم الأساسي) في مادة علم الأحياء.

كان العدد الرابع من الدورية العلمية التي ذكرتها آنفا قد خُصص بالكامل للحديث عن الخلايا تي المنظمة regulatory T cells وتعرف اختصارا ب (T reg cells)، وهذه الخلايا عبارة عن مجموعة فرعية من الكريات اللنفاوية lymphocytes التي تفرزها الغدة الصعترية thymus (وهي غدة صغيرة صماء قرب قاعدة العنق)، وهي مسئولة عن وظيفة هامة وحساسة وهي الحفاظ على المقاومة الذاتية المناعية immunological self-tolerance والتي تمنع الجهاز المناعي في الجسم من أن يقاوم، أو يتخذ أي رد فعل ضد خلايا الجسم السليمة الصحيحة، بينما يقوم بمقاومة العوامل والأجسام الخارجية المضرة.

كما أن أي خلل أو فشل في وظائف الخلايا تي المنظمة يؤدي إلى العديد من أمراض المناعة الذاتية autoimmune diseases. ويأمل العلماء في قدرة المتخصصين على فهم أفضل لهذه الخلايا؛ وهذا سيؤدي بدوره إلى التوصل إلى علاجات جديدة للحساسية، والسرطان، وما شابه.

ويضم هذا العدد الخاص من (الدورية) مقالاً افتتاحيا، وخمس مقالات متخصصة لعدد من العلماء وهم: شوارتز Schwartz ٢٠٠٥، وبيلكيد وروس Belkaid and Rouse ٢٠٠٥، وفونتينوت ورودينسكي Fontenot and Rudensky ٢٠٠٥، وساكاجوتشي Sakaguchi ٢٠٠٥، فون بوهيمر Von Boehmer ٢٠٠٥).

ولكي أقدم لك عزيزي القارئ استعراضًا مبدئيًا لطبيعة التعبيرات الاستعارية وتنوعها في هذا العدد الخاص، فسوف أبدأ بمناقشة بعض الفقرات المأخوذة من المقال الافتتاحي وعنوانه **جوهر التناغم Essence of Harmony**. وتمثل الفقرة التالية (النموذج الثاني والعشرون) مقدمة المقال الافتتاحي، بينما تمثل الفقرة التي تليها (النموذج الثالث والعشرون) قلب المقال، بينما تمثل الفقرة الثالثة (النموذج الرابع والعشرون) خاتمة المقال:

النموذج الثاني والعشرون:

يتطلب الجسم البشري بما فيه من العديد من التعقيدات، تفاعلات متناغمة بين مكوناته؛ من أجل الحفاظ على الاتزان البدني homeostasis (الاتزان بين عناصر الكائن الحي المختلفة)؛ لأن لكل عنصر من العناصر، ومكون من المكونات

"أجندته" الخاصة، وتتمثل في الوجود السلمي المنتج، وهو أمـــر ليس بالهين. ومن حسن الحظ أن الجسم يمتلك وسائل عديـــدة لمنع أي صراعات محتملة ومدمرة بين الاستجابات المناعية لما هو ذاتي وما هو غير ذاتي. وأحد الاستراتيجيات الرئيسية المتبعة هي التأكد من أن مخزون الخلايا المناعية يخلو بالقدر الكافي من تلك التي قد تتسبب في ضرر للذات، بينما يتم حفظ مجموعة كبيرة من تلك التي تتميز بالمهارة في اتخاذ الفعل المناسب ضد الغـــزاة الخارجين **foreign invaders**، والخلايـــا المجهـــدة. ويوجـــد مستوى آخر من التحكم يوفر لنا التنظيم النشط للاستجابات المناعية من خلال مجموعة من التفاعلات الخلويـــة، والوســـائط القابلة للذوبـــان **soluble mediators**. وهـــذه التحكمات والتوازنات هي جوهر التناغم الذي يحافظ على الوضع الراهن **status quo**.

النموذج الثالث والعشرون:

ولكن لماذا هذا الاهتمام الكبير من علم الأحياء بالخلايا تي المنظمة؟ الإجابة تكمن في آثارها بعيدة المدى على صـــحتنا، فهذه الخلايا قد تؤثر على نتائج العدوى، والمناعة الذاتية، ونقل الأعضاء، والسرطان، وحتى الحساسية. ولكن يجب القـــول إن الخلايا تي المنظمة هي في واقع الأمر "سلاح ذو حدين"، فهـــي تخلق الشيء ونقيضه، مما يؤدي إلى نتيجة تعتمد على الســـياق اعتمادًا كليًا.

النموذج الرابع والعشرون:

> ويؤكد وجود الخلايا في المنظمة بهذا التأثير العميق على العديد من الحالات، مدى تعقد النظام المناعي، والحاجة إلى الإشراف المكثف. ولا يمثل هذا النظام حاجزًا استاتيكيًا، ولكنه عبارة عن عملية من التفاعل الديناميكي مع بيئته الصغيرة. ولا شك أن الهدف المرجو هو التوصل إلى ذلك التوازن والتناغم المطلوب؛ للحفاظ على صحة الجسم سواء أكان هذا طبيعيًا أم عن طريق التدخل الاصطناعي artificial intervention. وصوت العقل يقول إن خلايا في المنظمة هي جوهر هذا التوازن ولبه.

في هذه النماذج الثلاثة، نلاحظ أن حالة الاستقرار المثالية للكائن الحي تُوصف لنا من خلال بعض التعبيرات الاستعارية المأخوذة من عدد من المجالات الأصلية كالموسيقى (متناغمة، التناغم)، والتوازن (التوازن) كما توصف العمليات الخلوية – المسئولة عن الحفاظ أو الفشل في الحفاظ – على هذه الحالة المثالية عن طريق عدد من التعبيرات الاستعارية المأخوذة من عدد من المجالات الأصلية مثل: الحرب والصراع الجسدي (صراع، الغزاة الخارجيين، استراتيجيات، ولاحظ كلمة "السلمي" في النموذج الثاني والعشرين)، ومجال الاتصال (التفاعل، الاستجابات، الوسائط)، والبشر وما يرتبط به من سمات وأنشطة (اتخاذ الفعل المناسب)، ومجال الآلات (تحكم، نظام التحكم، تنظيم، المنظمة)، ومجال الأعمال (أجندة، منتج).

لبعض هذه التعبيرات معان استعارية تقليدية في الاستخدام العام للغة. فعلى سبيل المثال، تستخدم كلمة توازن **balance** لوصف مواقف بها العديد من الكيانات والظواهر التي توجد بنسب متساوية (كأن نقول مثلا: تحافظ هذه القصيدة على

التوازن بين العقل والروح). وبنفس الطريقة، تستخدم كلمة "الصراع" بشكل تقليدي؛ للإشارة للخلافات أو المواقف التي يصعب فيها أن تتعايش كيانات مختلفة مع بعضها البعض (مثل قولنا: عبرت هذه الرواية عن الصراع الدائم بين الخير والشر).

ولكن في ذلك السياق من الخطاب المتخصص والذي يتناول قضية المناعة في الكائن الحي، توجد العديد من التعبيرات الاستعارية التي ذكرتها، والتي استخدمت بشكل فني[١]. وبصورة أوضح، يمكنني القول إن التعبيرات الاستعارية التي ذكرتها اكتسبت معانى تقليدية محددة في المجال الأصلي، وتعوّد الخبراء والمتخصصون على استخدامها في مجالاتهم العلمية المتخصصة. وهذا ينطبق على بعض الكلمات والتعبيرات مثل "صراع"، و"استجابات"، و"تحكم"، و"الغزاة الخارجيين"، وهكذا.

ولكي أكون أكثر تحديدًا، يمكنني القول إن التعبيرات المتعلقة بالمجالات الأصلية التي ذكرتها كالتوازن، والحرب، والصراع الجسدي، والاتصالات، والبشر، والآلات لها دور يتعلق بتكوين النظريات في المقال الافتتاحي، وفي الخطاب الذي يتناول الجهاز المناعي بصفة عامة، كما أنها جزء لا يتجزأ من المفردات التي يستخدمها الخبراء والمتخصصون عند الحديث عن المناعة، فضلاً عن أن هذه المجالات الأصلية المذكورة تشكل جوانب مختلفة للفهم الحالي الموجود لدى الكثيرين لوظيفة الجهاز المناعي، وطريقة عمله.

وعلى الجانب الآخر، لا تستخدم التعبيرات المأخوذة من مجالي الموسيقى والأعمال التجارية التي ذكرتها، بشكل تقليدي في الخطاب الخاص بالمناعة،

---

(١) انظر كتاب كاميرون ٢٠٠٣.

وبالتالي لا تعد من المصطلحات أو التعبيرات الفنية **technical terms**. بل على العكس يمكن أن تطبق معانيهم الاستعارية التقليدية المستخدمة في لغة الحياة اليومية على الظواهر التي ناقشها المقال الافتتاحي، كما هو الحال مع كلمة "تناغم"؛ للإشارة إلى حالة التوازن داخل الكائن الحي، أو كلمة "أجندة"؛ للإشارة إلى الاحتياجات والوظائف المختلفة للأجزاء المختلفة من الكائن الحي.

وبصفة عامة، يمكننا القول إننا بدأنا نرى كيف توصف العمليات الجزيئية **molecular processes** التي تميز عمل الجهاز المناعي من خلال مجموعة من المجالات الأصلية البسيطة، والجيدة البناء في نفس الوقت، وهذه المجالات ترتبط ارتباطًا مباشرًا بأنشطة الإنسان المعتادة والمألوفة. وتُستخدم هذه المجالات بأساليب تجعلها تتوافق بشكل كبير مع بعضها البعض، ولكن يبقى لكل مجال جوانب معينة يستطيع هو التعبير عنها، عند الحديث عن المجال المستهدف. كما أن هذه المجالات الأصلية المختلفة تختلف في الأدوار التي تلعبها في فهمنا الحالي لوظيفة الجهاز المناعي، ومن ثم في كم التعبيرات الفنية الاستعارية التي تستطيع هذه المجالات أن تمدنا بها.

وتحتوي النماذج الثلاث التي ذكرتها على أمثلة لاستعارة غير فنية تنطوي على قدر أكبر من الإبداع والبساطة. ميّز المؤلفون هذه التعبيرات عن طريق وضعها بين علامتي تنصيص مثل "أجندة"، و"سلاح ذو حدين". وهي نفس الإستراتيجية التي اُستخدمت في المقال الافتتاحي، وفي الخمس مقالات التي تلته؛ من أجل تمييز بعض التعبيرات الفنية الاستعارية عند استخدامها لأول مرة، ثم تُزال علامات التنصيص حينما يكرر استخدام هذه التعبيرات بعد ذلك. وهذا هو الحال مع تعبيري "ينظم" **regulate**، و"الخلايا القامعة" **suppressor cells**.

على الرغم من أن كل الخلايا تنظم الخلايا الأخرى بطريقة أو بأخرى، فإن الخلايا تي المنظمة تعد حالة استثنائية؛ لأن دورها الرئيسي يكمن في كبت أو قمع الخلايا الأخرى، ومن هنا جاءت تسميتها بالخلايا القامعة(١).

وسوف أنتقل الآن لاكتشاف الأنماط الاستعارية الرئيسية في المقالات الخمس التي ذكرتها، والتي تحتوي على ٢٢٤٣٩ مفردة، وسوف أبني تحليلي على مزيج من الوسائل اليدوية والأوتوماتيكية لمعرفة عدد المفردات المطلوبة للدراسة في المقالات الخمس عن طريق استخدام برنامج وردسميث **Wordsmith Tools**.

المجالات الأصلية للاستعارات المهيمنة في المقالات الخمس التي تناولت الخلايا تي المنظمة:

من المتعارف عليه بين الناس أن وظائف الجهاز المناعي تُشرح لهم عن طريق مجموعة من الاستعارات من بعض المجالات الأصلية كالحرب، والصراع الجسدي، والاعتداء والعدوان بصفة عامة. فعادة ما توصف الفيروسات والبكتيريا التي تهاجم الجسم على أنها عوامل خارجية، بينما يحاول الجهاز المناعي حماية الجسم عن طريق محاولة محو أو سحق أي غزو خارجي مدمر(٢).

واستخدام الاستعارة يتوافق مع الاتجاه العام الذي يرى الأمراض على أنها أعداء يجب على الجسم أو الشخص المريض، أو الأطباء محاربتها ودحرها. ففي المقالات الخمس المذكورة وصفت الأجسام الخارجية بأنها "مولدات المضادات

---

(١) انظر الدورية العلمية المذكورة، صفحة ٢٥.

(٢) انظر كتاب جوتلي ١٩٩٧، الصفحات من ٤٩ حتى ٥١، وكتاب داريان Darian الصادر عام ٢٠٠٣.

الخارجية" foreign antigens (وهي المواد التي ينشأ عن حقنها في الجسم أجسام مضادة لها) (استخدمت الكلمة ثماني مرات)، وهذه الأجسام تريد "غزو" invade (وردت مرتين) الجسم.

أما وظيفة الجهاز المناعي في التعامل مع مولدات المضادات الخارجية فتوصف لنا عن طريق بعض التعبيرات الاستعارية مثل "حماية" protection، و"حمائي" protective، و"يحمي" protect (وردت التعبيرات الثلاثة في عشرة أمثلة إجمالاً)، وتعبيرات مثل "دفاع" defence، و"دفاعي" defensive، و"يدافع" defend (وردت في ستة أمثلة إجمالاً) وكلمتا "حصار" blockade، و"يعوق" block (وردت في ثلاثة عشر مثالاً إجمالاً)، ووصف لنا الدور الذي تلعبه خلايا تي المنظمة في منع الجهاز المناعي من أن يهاجم الجسد نفسه، من خلال بعض التعبيرات مثل "قمع" suppression، و"يقمع" suppress، و"قمعي" suppressive، و"قامع" suppressor (وردت في مائتين وستة وثلاثين مثالاً إجمالاً).

وكانت نتيجة هذا هو وجود سيناريو مختلف لحروب استعارية مختلفة، وخاصة تلك الحرب بين الجهاز المناعي والأجسام الخارجية المدمرة، وتلك الحرب بين الخلايا تي المنظمة، وتجاوزات الجهاز المناعي نفسه (مهاجمته للجسم). كما وصفت لنا الأفعال المتبادلة التي تتخذها الخلايا ضد بعضها البعض، من خلال مجموعة من التعبيرات التي لها علاقة بالاعتداء الجسدي والحرب، ويظهر هذا جليًا في بعض التعبيرات مثل "مدمر" destructive، و"دمار" destruction (وردا في خمسة أمثلة إجمالاً)، وتعبير مثل "القضاء على أو محو" elemination، و"يمحو أو يقضي على" eliminate (وردا في سبعة أمثلة إجمالاً)، وتعبيرات مثل "يقتل" kill و"قاتل" killer (وردا في سبعة أمثلة إجمالا)، وتعبير مثل "أذى أو عطب" damage (ورد في أحد عشر مثالاً إجمالاً)، وتعبير مثل "استراتيجيات" strategies

(ورد في خمسة أمثلة إجمالاً)، وتعبير مثل "يستهدف" targeting، و"أهداف" targets (وردا في ثلاثة وعشرين مثالاً إجمالاً)، وتعبير مثل "عدواني" aggressive (ورد في مثالين). كما أن احتمالية أن تعوق خلايا تي المنظمة بعض العمليات التي تقوم بها الخلايا الأخرى، والتي لا تضر بالجسم، توصف لنا من خلال بعض التعبيرات مثل: عطب الأنسجة المتلازم collateral tissue damage (ورد في مثالين) و"قمع المتفرجين" bystander oppression (ورد في عشرة أمثلة).

كما أنه من المعروف أن العمليات الجزيئية توصف لنا من خلال بعض التعبيرات المأخوذة من مجال أصلي محدد، وهو مجال اللغة والاتصال. ففي المقالات الخمسة، يوصف نشاط كل جزء من أجزاء الجهاز المناعي في محاولته لمنع أنواع العطب المختلفة من خلال بعض التعبيرات مثل: "استجابات" responses، "في حالة استجابة" responding (وردا في مائة وثلاثة وعشرين مثالاً إجمالاً)، و"التفاعل" interaction، و"في حالة تفاعل" interacting (وردا في ثلاثة وخمسين مثالاً إجمالاً). كما يشار إلى بعض العمليات الجزيئية المحددة بتعبيرات مثل "تدوين" transcription (ورد في خمسة عشر مثالاً إجمالاً)، و"إشارة" signal (ورد في سبعة وأربعين مثالاً إجمالاً).

وتوجد بعض الأمثلة القليلة لبعض التعبيرات التي استخدمت للإشارة إلى بعض العمليات، التي تكتسب بها بعض الخلايا بعض الوظائف المحددة، وهذه التعبيرات تشير إلى "التدريس" tutoring، و"التلقين" instruction الذي تقوم به بعض هذه الخلايا مع الخلايا الأخرى (ورد كلا التعبيرين في مثالين). ولكن هذه التعبيرات أقل شيوعا، كما أنها توضع بين علامتي تنصيص، والتي تعد إشارة واضحة على استعاريتها metaphoricity.

كما يوجد نمط استعاري آخر مهيمن في المقالات الخمسة، وهو مأخوذ من مجال الآلات **machinery**. فنجد وصفًا لعدد من العمليات المختلفة بأنها "آليات" **mechanisms** (ورد في أربعة وستين مثالاً إجمالاً)، كما توصف لنا الطريقة التي تؤثر بها بعض الخلايا على الخلايا الأخرى عن طريق بعض التعبيرات مثل "التحكم" **control** (ورد في سبعة وأربعين مثالاً إجمالاً)، و"التنظيم" **regulation** و"منظم" **regulatory** (وردا في واحد وستين مثالاً إجمالاً). وكما هو الحال في المجالات العلمية الأخرى، عادة ما تتضمن استعارات الآلات بعض المفردات التي لها علاقة بالحاسوب على وجه الخصوص. فبعض العمليات الخلوية المحددة توصف لنا من خلال بعض التعبيرات مثل "الحذف" **deletion** (ذكر في خمسة عشر مثالاً)، كما توجد إشارتان إلى الخلايا "المبرمجة" **programmed**. كما وردت تعبيرات أخرى مأخوذة من مجال الحاسوب ولكنها أقل شيوعًا، كما أُشير إليها صراحة من خلال وضعها بين علامتي تنصيص مثل آلية **mechanism**، وصعب التغيير (من حيث أنظمته) **hard-wired**.

وتتضمن الأنماط (الاستعارية) التي وصفتها حتى الآن تشخيص الخلايا في شكل غزاة، وقتلة، ومدافعين، وهكذا. وتتضمن المقالات الخمس عددًا من أنماط التشخيص الأخرى، والمستقاة من أوجه مختلفة من المجال الأصلي، وهو الإنسان في هذه الحالة. فتوصف مجموعات الخلايا بأنها "سكان" **population** (وردت هذه الكلمة في ثلاثين مثالاً)، وتوصف علاقات النمو **developmental relationships** داخل مجموعات الخلايا بأنها "كالعائلة" **family** (ورد هذا التعبير في خمسة أمثلة)، وبأن لها "نسبًا وذرية" **lineage** (ورد في واحد وثلاثين مثالاً). كما وصفت العمليات الأساسية داخل الجهاز المناعي في ضوء العمليات والسمات الإنسانية، مثل "التسامح" **tolerance** (ورد في واحد وسبعين مثالاً إجمالاً)، والكبح والمنع

inhibition و inhibiting (وردا في أحـد عـشر مثـالاً إجمـالاً)، والاعتـراف recognition، ويتعرف على recognizing (وردا فـي ثلاثـين مثـالاً إجمـالا)، و"الشره" avidity (ورد في أربعة عشر مثالاً إجمالاً). أما أنواع التشخيص الأقـل شيوعًا فكان يشار إليها صراحة بوضعها بين علامتي تنصيص، مثل ذكر خلايا تي المنظمة و"بني عمومتها" cousins.

كرر المؤلفون في المقالات الخمس التعبيرات الاستعارية؛ من أجـل نقـل وجهة نظر محددة للظاهرة موضع البحث. وتراكميًا، وجدت أن التعبيـرات التـي ذكرتها في تحليلي تعادل ١٢٥٩ كلمة، وهي تمثـل نـسبة ٥,٥% مـن الكلمـات المستخدمة في المقالات الخمس كالآتي: ٣٩٧ تعبيرا استعاريا مأخوذة من مجـال الحرب والصراع الجسدي، و٤٢٠ مأخوذ من مجـال اللغـة والاتـصال، و١٩٠ مأخوذ من مجال الآلات، و٢٥٢ من الجوانب المختلفة من حياة الإنسان نفسه.

والأهم من ذلك أن السواد الأعظم من هذه التعبيرات هي اسـتعارات فنيـة وتراكمية، تمثل الجزء الأكبر من المصطلحات الفنية التي وردت فـي المقـالات الخمس. وطبقًا لتصنيف بويد، يمكننا القول إن هذه الاستعارات لها وظيفة واضحة في تكوين النظريات الخاصة بالظاهرة موضع الدراسة؛ لأنه لا توجد بدائل غيـر استعارية – في معظم الحالات – للتعبير عن مفاهيم بعينها. فعلى سـبيل المثـال، وصف لنا المؤلفون الخلايا تي المنظمة – موضع الدراسة – من خـلال تعبيـرين استعاريين وهما: التنظيم regulation، والقمع suppression، ولم يذكر المؤلفـون أية تعبيرات استعارية أخرى؛ لوصف نفس الظاهرة.

وعلى نفس المنوال، لا توجد بـدائل غيـر اسـتعارية واضـحة لـبعض المصطلحات الأساسية الخاصة بالمناعة مثل "المقاومـة الذاتيـة"، و"الاسـتجابة".

والأهم من ذلك، يمكن القول إن بعض المفاهيم المأخوذة من المجالات الأصلية الأربعة التي سبق وأن ذكرتها تشكل النموذج الذي بنيت عليه المقالات الخمس، وهذا ينطبق على التعبيرات الأساسية التي ترصد الظاهرة مثل فكرة الهجوم، والدفاع، والاستجابة، والمقاومة الذاتية، والتحكم والتنظيم، وهكذا.

وعلى الرغم من أن كثيرًا من التعبيرات التي ذكرتها استخدمت في المقالات المذكورة بمعان فنية متخصصة، فمن اللطيف أن ألفت النظر إلى أن المؤلفين استخدموا المجالات الأصلية الأربعة؛ بغرض استحداث تعبيرات استعارية مبتكرة مثل تعبير "الخلايا وأبناء العمومة" **cellular cousins**. وهذا يعني أن هذه المجالات ما زالت فاعلة كمجالات أصلية استعارية، على الرغم من أن كثيرًا من التعبيرات المأخوذة منها لها معان فنية تقليدية.

ومن المدهش أن وجهات النظر الأخرى البديلة لعمل الجهاز المناعي، والتي ظهرت في الآونة الأخيرة، تتضمن اقتباسًا واضحًا للاستعارات البديلة للتعبير عن وظيفة الجهاز المناعي. ففي كتابه المعنون **شبكة الحياة The Web of Life**، يقول كابرا **Capra** (١٩٩٦):

> يرى المتخصصون في المناعة من أصحاب المدرسة التقليدية أن الكريات اللنفاوية تحدد الأجسام أو القوى التي تريد التطفل، ثم تهاجم الأجسام المضادة هذه الأجسام المتطفلة، وتحيّدها... وقد أوضحت الأبحاث التي أجريت في الآونة الأخيرة أن الأجسام المضادة المنتشرة في الجسم ترتبط – في الظروف العادية – بالكثير (إن لم يكن كل) أنواع الخلايا بما فيها ارتباطها هي بنفسها. ولذلك يبدو الجهاز المناعي مثل شبكة

من الناس تتحدث مع بعضها البعض، أكثر من كونها مجموعة من الجنود تبحث عن عدو[١].

وطبقًا لوجهة النظر هذه، لا تحتاج الأجسام المضادة إلى التفرقة بين الأجسام الخارجية، وبين خلايا الجسم؛ لكي تقوم بتدمير الأولى، والتعايش مع الثانية. فعلى العكس، ترتبط الأجسام المضادة بكل أنواع الخلايا، وتقوم بتنظيم أعدادها وأنشطتها؛ من أجل التأكد من عدم حدوث أي ضرر للعائل. ومن ثم يتم استيعاب الأجسام الخارجية داخل الجسم، بدلاً من تدميرها. وتدمير هذه الأجسام يحدث في حالة إذا ما دخلت إلى الجسم بأعداد كبيرة لا يمكن السيطرة عليها.

فعلى الرغم من أن كابرا يستخدم العديد من الاستعارات المعتادة عند الحديث عن الجهاز المناعي (وخاصة تلك التي تتعلق بالتنظيم)، فإن فكرة أن الجهاز المناعي عبارة عن شبكة ذاتية التنظيم والمعرفة تمحو ذلك اللغز المتعلق بمهاجمة الجسم لنفسه، وهي الفكرة التي تمثل جوهر المقالات التي تناولت الخلايا تي المنظمة. ويشير كابرا معلقًا على تلك الفكرة: "لا يحتاج الجهاز المناعي ببساطة إلى التمييز بين خلايا الجسم نفسه، والأجسام الخارجية؛ لأن كليهما يتعرض لنفس العمليات التنظيمية والترتيبية" (صفحة ٢٧٣).

ولا شك أن وجهة النظر هذه لها نتائج عملية فيما يتعلق بممارسة الطب على سبيل المثال، وخاصة فيما يتعلق بالأجسام المضادة، كوسيلة مناسبة لمساعدة الجسم على التعامل مع الإصابة[٢]. وسوف أنتقل الآن للحديث عن وجهة النظر السائدة لعمل الجهاز المناعي في أحد النصوص التعليمية:

---

(١) انظر كتاب كابرا، صفحة ٢٧٢، وكتاب جوتلي، صفحة ٥١.

(٢) انظر كتاب جوتلي ١٩٩٧، الصفحات من ٤٩ إلى ٥١.

دراسة الحالة الثانية: الجهاز المناعي في نص تعليمي:

في هذه الدراسة، سوف أتعرض بالتحليل لطريقة عرض عمل الجهاز المناعي في أحد النصوص التعليمية، التي تصدرها هيئة الإذاعة البريطانية لطلاب المدارس في بريطانيا. وتقدم هيئة الإذاعة البريطانية هذه النصوص التعليمية كجزء من الخدمات التي تقدمها على موقعها "**Bitesize revision**" لتبسيط العديد من المواد الدراسية لطلاب التعليم الأساسي. ويبدأ الاستخدام الاستعاري من مجرد العنوان في كلمة "قضمة" **bitesize**، ويمتد حتى الشعار وهو: "مراجعة سهلة الهضم" **Revision that's easier to digest**. وكلا التعبيرين (قضمة، وسهل الهضم) يمثلان جزءًا من نمط استعاري نستخدمه حينما نتكلم عن فهمنا للأفكار الجديدة أو الصعبة، ممثلاً في بعض الألفاظ التي لها علاقة بالهضم[١]. وفي هذا السياق، يُستخدم كلا التعبيرين؛ للإشارة إلى أن الموقع يقدم المعلومة الدراسية بطريقة مبسطة؛ يسهل على الطالب استيعابها، ومن ثم تذكرها، دون بذل مجهود كبير.

ويحتوي القسم المخصص لعلم الأحياء - على هذا الموقع - على جزء يتناول "المحافظة على الصحة" **Maintaining Health**. وسوف أتناول في الصفحات التالية بالتحليل ثلاث صفحات من الجزء المعنون "المناعة السلبية، والمناعة النشطة"، فضلاً عن مزيد من المعلومات عن كرات الدم البيضاء. ويحتوي هذا الجزء على ١٢٨٣ كلمة إجمالاً، تقدم لنا صورة عامة لعمل الجهاز المناعي. وسوف أحاول أن أوضح كيف اُستخدمت هذه الصورة في دراسة الحالة الأولى، ولكن بأسلوب مختلف، يهدف إلى زيادة قدرة الطالب على استيعاب

---

(١) انظر كتاب لاكوف وجونسون ١٩٩٩، صفحة ٢٤١.

المعلومة، ومن ثم تذكرها. وتمثل الفقرتان التاليتان الجزء الافتتاحي الذي يتكلم عن المناعة السلبية، والمناعة النشطة:

النموذج السادس والعشرون:

> **يجب أن تخترق الجراثيم والبكتيريا والفيروسات الجسم، لكي تستطيع أن تنشر المرض، وما إن يدخلوا الجسم، حتى يجدوا ظروفا معيشية مثالية، حيث يتوفر الغذاء والماء والدفء. ولكن الذي يقف لهم بالمرصاد هو الجهاز المناعي، وهي كلمة جامعة لاستجابات الجسم المتزامنة حينما يواجه غزو هذه الكائنات.**

النموذج السابع والعشرون:

> **حينما تنجح الجراثيم والبكتيريا والفيروسات في تخطي خط الدفاع الأول، وتدخل إلى الجهاز المناعي، هنا يتولى الأمر داخل الجسم الجهاز المناعي المكتسب أو النشط. وحينما يكون هناك هجوم محدد من نوع من الأجسام المهاجمة المذكورة، هنا تنشط المناعة النشطة. ولا يفوتنا أن نقول إن رصد أي خلايا أو أجسام خارجية يسمى الاستجابة المناعية.**

تحتوي هاتان الفقرتان على العديد من التعبيرات الاستعارية التي ترتبط بالمجالات الأصلية التي ذكرتها سابقًا عند تحليل المقالات الخمس المتخصصة، وهذه المجالات هي: الحرب والصراع الجسدي (ومثال على ذلك كلمة "هجوم")، والاتصال (ومثال على ذلك كلمة "استجابة")، وحياة الإنسان (ومثال على ذلك تعبير "ظروف معيشية مثالية"). ولكن توجد اختلافات مهمة بين مجموعتي المعلومات

والبيانات المطروحة، سواءً من حيث نوعيات التعبيرات الاستعارية، أو من حيث الاستخدام والتكرار.

تتطابق بعض التعبيرات الاستعارية المستخدمة في النموذجين السابقين (السادس والعشرين والسابع والعشرين) مع الاستعارات الفنية، التي سبق أن ذكرتها في المقالات المتخصصة، مثل تعبيري: "هجوم"، و"استجابة". ولكن يحتوي النموذجان على العديد من التعبيرات الاستعارية المستقاة من نفس المجالات الأصلية، ولكنها ليست مستخدمة كتعبيرات أو مصطلحات فنية. وهذا ينطبق على وجه الخصوص على تعبيرات مثل: "الذي يقف لهم بالمرصاد"، و"خط الدفاع"، وهي تعبيرات مأخوذة من مجال الحرب والصراع الجسدي. كما قُدمت لنا الجراثيم والبكتيريا والفيروسات على أنها تحاول أن "تدخل" الجسم وتنجح في "تخطي خط الدفاع الأول"، فضلاً على أنها تحاول أن تجد "ظروفًا معيشية مثالية"، حيث يتوفر "الغذاء والماء والدفء" (وكلها تعبيرات مستقاة من صلب الحياة الإنسانية).

كما يُصور لنا الجسم على أنه من يوفر هذه الظروف. بينما يضع لنا تعبير "يقف لهم بالمرصاد" الجهاز المناعي في صورة شخص يرفض هذا الغزو الخارجي، وهو تعبير أكثر وضوحًا من استخدام كلمة "استجابة" مثلاً. وتقودنا هذه التعبيرات التشخيصية personifying expressions إلى تصور الجسد كوعاء يمكن لبعض الأجسام الخارجية النفاذ إليه، إذا ما نجحت هذه الأجسام في تخطي "خط الدفاع الأول"، الذي أنشأه الجهاز المناعي.

وتنطبق الظواهر التي لاحظتها في النموذجين القصيرين على بقية النص الذي يتناول الجهاز المناعي على موقع المراجعة للبي بي سي ويكشف تحليل النصوص الثلاثة عن بعض الاختلافات المسلية في المدى الذي يمكن أن يصل إليه استخدام المجالات الأصلية الاستعارية. فمثلاً توجد بعض المجالات التي استخدمت

على نطاق جيد، مثل مجالات الاتصال، والذي اقتصر على بعض التعبيرات مثـل "يستجيب/استجابة" respond/response (وردا في ستة أمثلـة إجمـالاً)، وتعبيـر "العلامات التواصلية" markers (ورد في أربعة أمثلة)، وكلمة "إشـارات" signals (وردت في مثال واحد). وعلى النقيض من هذا، أُستخدمت مجالات مثل الحـرب، والصراع الجسدي، والحياة الإنسانية على نطاق واسـع، عـن طريـق اسـتخدام التعبيرات الاستعارية الفنية وغير الفنية.

كمـا أن المكونـات المختلفة للجهاز المناعـي لم تقـدم لنا "كخط دفـاع" line of defence (ورد في ستة أمثلة إجمالاً)، ولكن "كحواجز" barriers (ورد في أربعة أمثلة إجمالاً)، و"كقوة مقاتلة" a fighting force (ورد في مثال واحد). كمـا أن دور هذه المكونات هو "حماية" protecting الجسم (ورد في مثـالين)، ومنحـه القدرة على "مقاومة" resist الهجمات الخارجية (ورد فـي مثـال واحـد)، بينمـا توصف لنا الأنشطة التي تقوم بها مكونات الجهاز العصبي في علاقاتها بالأجـسام الخارجية على أنها "في حالة ترقب" on the lookout (ورد في مثال واحـد)، قـد تؤدي بها إلى "قتل" هذه الأجسام killing (ورد فـي ثمانيـة أمثلـة)، و"غمرهـا" engulfing (ورد في خمسة أمثلة)، و"تحييدها" neutralizing (ورد في ستة أمثلة)، و"تدميرهـا" destroying (ورد في أربعـة أمثلـة)، و"إبـطال سمومـها" making (toxins) safe (ورد في مثال واحد).

كما قُدمت لنا الأجزاء المختلفة من الجهاز المناعي على أنها تقوم "بنـصب شرك" trapping للأجسام الخارجية، مما قد يثير في الذهن مجال الصيد والقـنص كمجال أصلي. كما أن الأجسام الخارجية قُدمت لنا علـى أنهـا أجـسام "عدائيـة" hostile (ورد في مثال واحد)، و"أجسام خارجية" foreign (ورد في سبعة أمثلـة)، ترغب في غزو invading الجسم (ورد في تسعة أمثلة)، كما أنها كانـت "تهـاجم"

attacking، بل و"تصعد هجومها" mounting on attack (وردا في خمسة أمثلة)، كما تتسبب في "تفجير" استجابة trigger a response (ورد في خمسة أمثلة)...إلخ. واستطعت أن أحدد إجمالاً واحدًا وسبعين تعبيرًا استعاريًا لهـا علاقـة بـالحرب، والصراع الجسدي، وهذا يمثل ٥٠٥ كلمات من إجمالي عدد الكلمات المـستخدمة (١٢٨٣ كلمة إجمالاً). وعلى النقيض من هذا، تمثل التعبيرات المأخوذة من مجـال الحرب، والصراع الجسدي، في الخمس مقالات المتخصصة التي ناقـشناها سـابقًا ١٠٧ كلمات من إجمالي عدد الكلمات المستخدمة.

ويضم موقع البي بي سي الإلكتروني العديد من التعبيرات، التـي تـضفي السلوك الإنساني، وخصائص النفس البشرية، علـى مكونـات الجهـاز المنـاعي والأجسام الخارجية، وقد ذكرت بعضها من قبل. وعلاوة على ذلك، توصـف لنـا الأجزاء المختلفة من الجهاز المناعي بأنها "اللاعب الرئيسي" key player (ورد في مثالين)، وأنها "تتعرف" recognize (ورد في مثالين)، و"تضبط" detect (ورد فـي مثالين) الأجسام المضرة فضلاً عن أنها "تحمل" carry أجسامًا مضادة (ورد فـي ثلاثة أمثلة). والمسلي في هذه التعبيرات ليس في مدى تكرارها، ولكن فـي أنهـا تعبيرات بسيطة تستخدم في لغة الحياة اليومية، كما أنها جزء من الخطاب التقنـي technical discourse.

ويحتوي هذا الموقع الإلكتروني على بعض التعبيرات المستقاة من مجـالات أصلية مختلفة بغرض شرح مفاهيم معينة. وفي النموذج التالي، على سبيل المثال، تقدم لنا فكرة أن الأجسام المضادة المختلفة يمكن استخدامها لمحاربة عدوى معينة، من خلال الإشارة إلى أن هذه الأجسام المضادة تختلف في الشكل، كمـا تختلـف المفاتيح التي يستخدمها لص المنازل burglar من أجل أن يفتح قفلاً فـي منـزل يرغب في سرقته:

النموذج الثامن والعشرون:

> تستجيب الكريات اللنفاوية بأن "تجرب" عددًا من "أشكال" الأجسام المضادة، حتى تصل إلى الأنسب، كلص المنازل الذي يستخدم عددًا من المفاتيح؛ حتى يصل إلى المفتاح المناسب الذي يستطيع أن يفتح به قفلا في باب منزل يريد أن يسرقه.

وبصفة عامة، يمكننا القول إن كلاً من النصوص المتخصصة، والنصوص التعليمية التي تناولت الجهاز المناعي يحتويان على أنماط استعارية تقدم لنا العمليات الخلوية في شكل سلوك إنساني، بما في ذلك الصراع الجسدي، والاتصال. ولكن النصوص المتخصصة التي ذكرتها تعتمد بشكل متساو على أربعة مجالات أصلية رئيسية، وتستخدم الاستعارات الفنية بشكل موسع، وعند اللجوء إلى التعبيرات الاستعارية المبتكرة، فإنها تُحدَّد لنا عن طريق علامتي تنصيص.

وعلى الجانب الآخر، فإن النصوص التعليمية الموجودة على الموقع الإلكتروني للبي بي سي تستخدم مجال الحرب والصراع الجسدي بشكل منتظم، كما أنها تمزج بين التعبيرات الاستعارية الفنية وغير الفنية. والنتيجة هي وجود سيناريو لعمل الجهاز المناعي، تُصور فيها الأجزاء المختلفة من الجسم على أنها تحارب الغزو الذي تقوم به عناصر دخيلة. والنموذج التالي الذي يصف لنا وظيفة كرات الدم البيضاء، هو خير مثال على النصوص الموجودة على هذا الموقع:

النموذج التاسع والعشرون:

> اللاعبون الرئيسيون في الجهاز المناعي النشط هم كرات الدم البيضاء؛ فهي تقوم بتحديد الأجسام الغازية، ثم تقوم بإحدى الخطوات التالية:

- غمر هذه الأجسام وتدميرها
- إنتاج أجسام مضادة تقضي على الأجسام الغازية
- إنتاج مضادات للسموم تقوم بتحييد السموم التي تنتجها الأجسام الغازية.

ومن الواضح لكل ذي عينين، أن مجالات الحرب والصراع الجسدي، والسلوك، هي المجالات التي استخدمت لتوصيل المعلومة العلمية بطريقة يسهل على الطالب استيعابها وتذكرها؛ بحيث يسهل على الطالب الإجابة على أسئلة الاختبار التي تتناول الظاهرة موضع الدراسة. كما تُستغل معرفة القراء بالسيناريوهات المألوفة، والتعبيرات الاستعارية المعتادة؛ من أجل تقديم موضوع غير معتاد بطريقة واضحة ومحددة.

وعلى الجانب الآخر، فإن الحوار العلمي في النص السابق شديد البساطة، ولا تبين للقارئ الفروق بين التعبيرات الاستعارية وغير الفنية. كما أن علامات التنصيص استخدمت في النموذج الثامن والعشرين مع تعبيرات استعارية دارجة مثل "يحاول" و"أشكال"، ولكن لا توجد أي علامات أخرى تستخدم بشكل منتظم للتفرقة بين التعبيرات الفنية وغير الفنية. وهذه هي الحيرة التي أشارت إليها كاميرون في كتابها (٢٠٠٣).

ملخص

لقد حاولت في هذا الفصل أن ألقي الضوء على الدور الذي تلعبه الاستعارة في النصوص العلمية. وناقشت الأسلوب الذي يستخدم به الخبراء والمتخصصون الاستعارة من أجل تفسير نظرياتهم وتطويرها. كما أشرت إلى استخدام الاستعارة

في النصوص غير المتخصصة، وأقصد بها النصوص التعليمية، وتلك التي أُعدت من أجل تبسيط العلوم. وأوضحت أن النصوص التعليمية والإعلامية تستقي استعاراتها من نفس المجالات (الأصلية)، التي تستقي منها النصوص والمطبوعات المتخصصة. وناقشت الاختلافات المهمة في طريقة استخدام المجالات الأصلية في أنواع الكتابة العلمية المختلفة، واضعةً في الاعتبار نوعيات المتلقين الذين تخاطبهم أنواع الكتابة المختلفة. وهذا قد يؤدي بدوره إلى بعض الغموض، أو التبسيط المبالغ فيه، وخاصة في حالة ما إذا لم يجد الدارس استعارات بديلة للإشارة إلى نفس الظواهر التي يدرسها. كما أشرت إلى أن الاستعارات المستخدمة في النصوص العلمية المتخصصة يُشار إليها صراحة وبشكل مباشر، وهو ما لا يحدث عادة في النصوص السياسية والأدبية، ولكني أوضحت أن العلماء يستخدمون الاستعارات أيضًا من أجل بعض المؤثرات البلاغية، فضلاً عن الدور الأيديولوجي المهم الذي يمكن أن تلعبه الاستعارات العلمية المهيمنة.

الفصل الخامس

الاستعارة في أنواع وخطابات أخرى
دراستي حالة إضافيتين

مدخـــــــــل

تلعب الاستعارة دورًا مهمًا في عدد كبير من الأنـــشطة الإنـــسانية وأنمـــاط الاتصال، أكثر بكثير مما يمكن مناقشته في هذا الكتاب. فعلى سبيل المثال، أستخدم أثناء الكتابة حاسوبي للعمل مع "ملفات **files**" و"حافظات ملفات **folders**"، هم جزء من "سطح مكتبي **my desktop**"، وأقوم بأشياء مثـــل "فـــتح **opening**" و"إغـــلاق **closing**" الوثائق، وإرسال بعضها إلى "سلة المهملات **trash**"، وهلم جرا. بصياغة أخرى، فإن واجهات الكمبيوتر التي يستخدمها معظمنا هي مُصاغة جزئيًـــا علـــى شكل استعارة، مجال المصدر فيها هو حجرة المكتب التقليدية، بمكتبها وحافظـــات ملفاتها، وهلم جرا[1]. على نحو مشابه فإن الاستعارات الطبية والعـــسكرية تـــشكل أساس استخدام برمجيات "للدفاع **defend**" عن حواسيبنا من تهديـــدات تقـــوم بهـــا كائنات تعرف بـــ"الفيروسات **viruses**"، و"الحشرات **bugs**"، وهلم جرا.

لقد دُرس استخدام الاستعارة المتصلة في مجموعة واســـعة مـــن فـــضاءات الأنشطة والأنواع والخطابات؛ تتراوح بين خطاب التجارة (مثل دراســـة يوبانـــك ٢٠٠٠) وتعلم اللغة الأجنبية (مثل دراسة ليتلمـــور ولاو **Littlemore and Low 2006**) ومن العلاج النفسي السريري (مثل كومبس وفريـــدمان **Combs and Freedman 1990**) إلى الدين (مثل دراسة كارتريس - بلاك ٢٠٠٤).

سوف أوسع في هذا الفصل من منظور النقاش لأدرس استخدام الاســـتعارة في حقلي نشاط إضافيين: نوع له انتشار طاغ على نحو خاص هو الإعلان، ونوع حساس على نحو خاص هو خطاب المرض. الفصل مقسم، بناء على ذلـــك، إلـــى جزأين، كل منهما يتضمن مقدمة عامة ودراسة حالة.

---

(١) انظر، Fauconnier and Turner 2002: 22-4.

الاستعارة والإعلان

اعتبرت الاستعارة بشكل عام سمة مركزية ومتكررة في الإعلانات، بما فيها كل من استخدام اللغة والصور[١]. يمكن شرح هذا بالإحالة إلى وظيفتين رئيستين يمكن أن تؤديهما الاستعارات في الإعلانات. الأولى، أن الاستعارات يمكن أن تستخدم كأدوات لجذب الانتباه، خاصة عندما تكون جديدة ومتميزة نسبيًا، وعندما تتضمن صورًا بصرية. الثانية: أن الاستعارات يمكن أن تُستخدم لكي تُقدم ما يُعلن عنه بمفردات كيانات أخرى لها خصائص يريد المعلنون أن يربطوها بالمنتج.

على سبيل المثال، تم الإعلان عن بيرة بودنجتون **Boddingtons** في المملكة المتحدة لسنوات عديدة من خلال الربط الاستعاري بين رغوتها ونسيجها والقشطة. تضمنت الإعلانات المطبوعة شعار "**بودنجتون. قشطة مانشستر Boddingtons. The cream of Manchester**"، وعرضت صورًا مثل كوب البيرة الذي يتخذ شكل قطعة كعك، موضوعة فوق طبق تقديم الكعك وتسيل من أحد جوانبها الرغوة/ القشطة[٢]. كانت صور مثل هذه جاذبة للعين جدًا، نظرًا لغرابة الأشياء المتداخلة التي تتضمنها، ولاستخدام خلفية سوداء في مقابل لوني لوحة الصدارة الأصفر والأبيض.

ومن الناحية الأخرى، طُبع الشعار باللون الأسود أسفل الصفحة في مقابل خلفية صفراء، وبذلك أُعلن، بشكل غير مباشر، بما لا يدع مجالا للشك الارتباط الاستعاري بين البيرة والقشطة المقترح في الصورة. استُخدم التعبير التقليدي

---

(١) انظر، (see Leech 1966; Barthes 1981; Myers 1994; Forceville 1996; Cook 2001.

(٢) انظر، Myers 1994:122-3.

"كريمة الـ" لاقتراح أن شيئا ما هو أفضل جزء في شيء آخر، بنفس طريقة كون القشطة (التي تعتبر تقليديا) أفضل جزء في اللبن. بناء على ذلك فإنه في حالة بودينجتون، اقتُرح أن هذا النمط المعين من البيرة هو أفضل شيء في مدينة مانشيستر الإنجليزية.

في إعلانات بودينجتون، تم التعبير عن نفس الارتباط الاستعاري بين القشطة والبيرة مرئيًا ولفظيًا معًا. وفي حالات أخرى، فإن استخدام استعارة معينة للمنتج قد يقتصر على الصورة فقط، أو على الجزء اللفظي من الإعلان(١). مع ذلك، فإن الاختيار الأخير أقل تكرارا نظرا لمركزية ومرونة الصور في إعلان يتضمن مكونًا مرئيًا (كما هو الحال مع الإعلانات في الصحف ولوحات الإعلانات والتليفزيون والشبكة العنكبوتية الدولية). وبغض النظر عن إمكانية اجتذاب الصور للعين فإنها تتيح أيضًا دمج مفاهيم المصدر والهدف في كيان هجين جديد. فالإعلان الذي وصفته للتو – على سبيل المثال- يقدم ملامح شيء هو دمج بين كيانين منفصلين بشكل طبيعي: قطعة كعك تعلوها القشطة، تقوم بوظيفة المفهوم المصدر للاستعارة، وكوب بيرة برغوة على قمته يقوم بوظيفة مفهوم الهدف(٢). هذا النوع من المزج لا يسهل تحقيقه بواسطة الوسائل اللغوية، نظرًا لأن التعبيرات الفردية يمكن عادة أن تذكر أحد المصدرين فقط. (مثل "قشطة" في "قشطة مانشستر") أو تشير إلى هدف الاستعارة (مثل "بودينجتون"). وكما أوضح فورسيفل **Forceville (1996)**، فإنه توجد كذلك حالات تُدرج فيها مفاهيم المصدر والهدف في الصورة ككيانات منفصلة، أو يكون فيها الشيء الذي يقوم بوظيفة المصدر حاضرًا بشكل مرئي فقط. في النوع الثاني، يوضح المكون اللفظي من الإعلان بجلاء العلاقة الاستعارية بين الشيء الممثَّل والمنتج.

---

(١) انظر، Forceville 1996.

(٢) انظر أيضًا، Forceville 1996: 163.

فعلى سبيل المثال تضمن طرد بريدي استقبلته من بنك باركليز في يناير ٢٠٠٧ منشورا يعرض في صفحات متتالية الأشياء التالية: تفاحة، شريحة برتقال، عنقود عنب، طبق من العنبية، وكأس من الماء الصافي. العلاقة بين تلك الأشياء والخدمات التي يقدمها البنك غير واضحة على الإطلاق، لكنها وضحت بجلاء بواسطة الأجزاء اللفظية من المنشور، والخطاب المضمَّن في الطرد البريدي. يشرح الخطاب أن البنك كان يعرض نمطًا جديدًا من القروض يمكن أن يستخدمه العملاء ليجمعوا معًا كل ديونهم، ويردوها بمعدل فائدة قُدِّم بوصفه تنافسيًا. عُرِض هذا القرض في وقت (في بداية السنة) يُحتمل أن يكون فيه متلقو الخطاب في حالة دين، نتيجة للإنفاق الزائد أثناء فترة الكريسماس واحتفالات السنة الجديدة.

استمر الخطاب في ترسيخ تواز بين العواقب المالية للإنفاق الزائد والعواقب الصحية للأكل والشرب المتتابع المرتبط بنفس الفترة في السنة. كل من الخطاب والمنشور يصف البنك كمغذ "للصحة المالية" لعملائه بواسطة عرض "مديونية مطهرة **debt detox**" سوف تتيح للعملاء "تطهير" مدفوعاتهم وإنجاز "موقف مديني أكثر صحية". تلك التعبيرات الاستعارية تقدم مفاهيم وأنشطة مالية بمفردات الصحة الجسدية والمعيشة الصحية. سوف يساعد هذا على شرح مغزى الصور التي وصفتها للتو. لقد نُظر إلى الفاكهة والماء بوصفهما طيبين لصحة الناس، وبأنهما نوع الطعام والشراب المرتبط بالأنظمة "المطهِّرة من السموم **detoxification**". وبالتالي فإنه في ضوء المكونات اللفظية للطرد البريدي، فإن الأنماط المتنوعة من الفاكهة وكوب الماء توازي استعاريا خدمات الدين التي يقدمها باركليز، لكي يتم الربط بين ارتباطات الصحة الإيجابية لتلك الأشياء مع الخدمات المالية التي

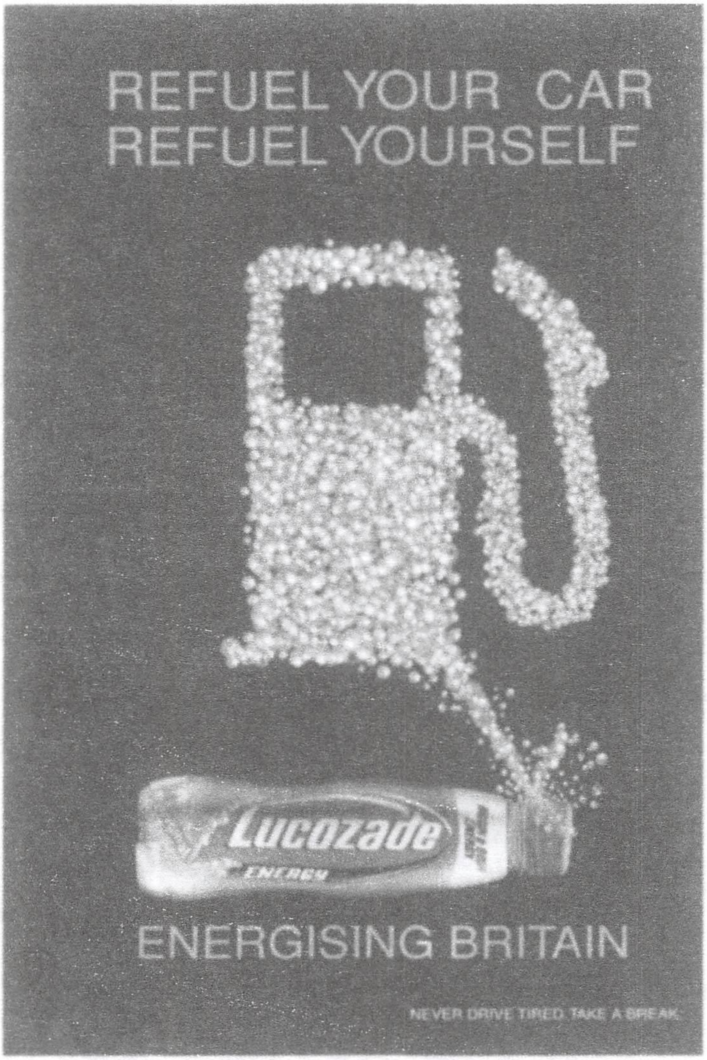
يعرضها البنك. والاقتراح هو، كما أن الناس يأكلون طعامًا أكثر صحية لموازنة آثار موسم الإجازات الراهن، فإنهم أيضًا سوف يأخذون عرض البنك لعلاج الإنفاق المتزايد الذي تورطوا فيه. تم تقديم البنك نفسه بشكل ضمني -بناء على ذلك- كأنه يعمل بدون مصالح، وبإرادة خيرة وليس لمصالح مالية. بمفردات أخرى، فإن اختيار الاستعارات المرئية واللفظية تبرز الخصائص الإيجابية التي يريد البنك أن يرتبط بها (مثل العناية بعملائه)، ويخفف من تلك الارتباطات التي لا يريد أن يرتبط بها (مثل محاولة تحقيق أقصى قدر من الأرباح). في حالات مثل هذه، فإن وظيفة المكونات اللفظية للطرد البريدي في علاقته بالصور يمكن الإمساك بها بواسطة مفهوم رولاند بارت **Barthes (1981)** "للارتكاز **anchorage**": فالنص يوضح الصور بجلاء ويقيد مغزاها، وبذلك يسهل من الاستدلالات المرغوبة لدى المعلنين. ما إذا كان القراء يصلون إلى تلك الاستدلالات بالفعل هو أمر مختلف بالطبع، لكن من المهم الوضع في الذهن أن الإعلان عمومًا ينجز هدفه، على الرغم من عدم الاكتراث والتشكك الذي غالبًا ما يتم تلقيه به(١).

دراسة الحالة رقم (١): إعلان لوكوزاد Lucozade

أناقش في هذا القسم استخدام الاستعارة في إعلان عن المشروب الخفيف لوكوزاد، الذي يُعاد إنتاجه بالأبيض والأسود في شكل رقم (٤).

---

(١) انظر على سبيل المثال، Goddard 1998: 2.


REFUEL YOUR CAR
REFUEL YOURSELF
Lucozade
ENERGY
ENERGISING BRITAIN
NEVER DRIVE TIRED. TAKE A BREAK.

اطلعت على هذا الإعلان في العديد من محطات الخدمة على طــول أحــد طرق إنجلترا السريعة في ربيع ٢٠٠٧. ألصق الإعلان علـــى لوحـــات إعلانيـــة صغيرة تقع بالقرب من مدخل المبنى الرئيسي في كل محطة خدمة، حيث يـــذهب قائدو المركبات للعثور على محلات ومطاعم ومنافذ طعام ســـريع وهلـــم جـــرا. اكتشفت لاحقًا أن الإعلان جزء من حملة إعلانية متعددة الوسائط تكلفت ٥ ملايين جنيه استرليني تديرها وكالـــة الاتـــصال Billington Cartmell، للإعـــلان عـــن مـــشروب الطاقـــة لوكـــوزاد. ووفقًـــا لموقـــع الوكالـــة علـــى الإنترنـــت (http://www.bcl.co.uk/; 2007) فإن الحملة الإعلانية وصلت إلى ما يزيد علـــى مليوني شخص في ٨٦ مدينة، وكان لها مستوى عال من الاســـتدعاء بـــين الفئـــة العمرية التي تمنى لوكوزاد استهدافها (وهم الشريحة العمرية مـــن ١٦ إلـــى ٣٤): وبشكل ظاهر فإن ٧٩% ممن أُجريت مقابلات معهم داخل هذه الشريحة العمريـــة زعموا أنهم شاهدوا الحملة الإعلانية ٢٩ مرة. كانت غاية الحملة (التي حملت اسم "شحن طاقة بريطانيا Energising Britain") استهداف عملاء فـــي نـــوعين مـــن المواقف، حيث، وفقًا لبلينجتون كارتمل Billington Cartmell، "تكـــون الحاجـــة لطاقة لوكوزاد أكبر في العمل وأثناء قيادة السيارة لتوفير دفعة طاقة يومية".

كان الإعلان في الشكل (٤) يستهدف بوضوح الناس المسافرين بالـــسيارة، ممن يتوقفون في محطات خدمة ليأخذوا راحة، أو يذهبون إلى التواليت، أو يأكلون وجبة سريعة، أو يعيدون تزويد سياراتهم بالوقود في حالة الضرورة. الإعلان سهل نسبيًا، بما يتلاءم مع الإعلانات التي يراها الناس وهم يسيرون (في هـــذه الحالـــة الخاصة، السير من جراج السيارة إلى المبنى الرئيسي لمحطة الخدمـــة). يتـــضمن الإعلان سطرين نصيين في أعلاه وسطرا أسفله، مجموعهم سبع كلمـــات. معظـــم الفضاء مشغول بصورة في منتصف الإعلان، الذي يتـــضمن زجاجـــة لوكـــوزاد

وضعت أفقيًا فوق شعار "شحن طاقة بريطانيا". اللون الرئيسي للحروف والصورة هو البرتقالي البراق. يجعلهم هذا متميزين عن الخلفية السوداء، ويربطها بزجاجة لوكوزاد نفسها، التي تتضمن البرتقالي بمصاحبة الأحمر والأصفر والأسود.

يعتمد الإعلان بشكل أساسي على استعارة "التزود بالوقود REFUELLING": وظيفة مشروب **Lucozade Energy** بالنسبة لمشاهدي الإعلان تم تقديمها بمفردات وظيفة الوقود للسيارات. تحققت هذه الاستعارة لفظيًا ومرئيًا معًا. سطرا النص في أعلى الإعلان يكشفان عن نوع التوازي الخطي **graphological** والنحوي والمعجمي، الذي هو سمة معروفة للإعلانات (كما هو الحال في الشعر والخطابة السياسية..إلخ)[١]. السطران مطبوعان فوق بعضهما البعض بنفس البنط واللون. يحتوي كل سطر على جملة أمرية تتكون من نفس الفعل (اشحن **refuel**) متبوعة بشبه جملة تقوم بوظيفة مفعول به مباشر. كل المفعولات المباشرة تحتوي على "كاف الخطاب"، التي تتكرر كمقيد منفصل في السطر الأول وكجزء من كلمة "نفسك" في الثاني. البنى المتوازية من هذا النوع ترتبط نمطيًا بتأثيرات التصدير **foregrounding**[٢]: فهي تميل لجعل النصوص (أو قطاعات منها) ملحوظة وقابلة للتذكر، ومبهجة جماليًا وهلم جرا. بالإضافة إلى ذلك، فإنها يمكن أيضًا أن تجذب الانتباه إلى أجزاء في كل بنية متوازية يكون فيها **اختلاف**، وتدعو القراء إلى إيجاد علاقات مشابهة أو تقابل بينها[٣].

---

(١) انظر، Leech 1966, Myers 1994, Goddard 1998, Cook 2001.

(٢) انظر، Leech 1969.

(٣) انظر، Short 1996.

في حالة السطرين الأعليين للإعلان، يوجد تقابل بـين معنـى التعبيـرين الاسميين، يقوم بوظيفة مفعولات مباشرة "للشحن" ("هذه السيارة" و"نفسك")، ويتقابل هذا مع تأثير تأويل الفعل. في السطر الأول، استخدم "شحن" بمعناه الأساس وهـو "وضع الوقود داخل عربة لكي تستطيع القيام بوظيفتها". في السطر الثاني، استُخدم نفس الفعل فيما يتصل بقراء الإعلان، الذين تتم مخاطبتهم مباشرة عبـر اسـتخدام ضمائر الخطاب. هذا التكرار الثاني "للشحن" استعاري بشكل واضح: وبـالمفردات المستخدمة في الفصل الأول (قسم التعرف على التعبيرات الاستعارية)، فإن المعنى الأساسي للفعل (عملية ملء السيارة بالوقود) يتقابل مع المعنى السياقي، الذي يمكن أن يعاد صياغته كعمليـة حقن شيء سـوف يجعلنا نشعر بأننا أفضـل وأقـوى، كي نستطيع الاستمرار في الشعور بالنشاط. في هذه الحالة المعينـة فـإن الـنمط الأكثر اتصالا بالنشاط هو أن يكون المرء قادرًا على الاستمرار في قيادة الـسيارة حتى يصل إلى محطة وصوله. بصياغة أخرى، فإن التوازي قد استخدم لتـصوير المخاطَبين بالإعلان على أنهم عربات، واقتراح أن المرء – مثل العربة- يحتـاج إلى إعادة التزود بالوقود.

تستغل الصورة نفس الاستعارة لتقديم طاقة لوكوزاد كمنتج يحتاج مـشاهدوه أن يشتروه لكي يقدموا لأنفسهم ما يقدمونه لسياراتهم من خـلال تزويـد أنفـسهم بالوقود. بتحركنا من أعلى إلى أسفل، نرى شيئًا في شكل مـضخة وقـود تتـزين بفقاعات صغيرة تتدفق من زجاجة لوكوزاد ترقد أفقيًا أسفل ذلك. هذا الكيـان هـو نوع من المفعول به الهجين الذي ذكرته للتو: فهو موصول بالمجـال المـستهدف (المنتج) بواسطة عملية تجميله، اللون والأصل، لكن شكله يرتبط بمجال المـصدر الذي سوف يُستدعى كذلك بواسطة استعمال "شحن" بأعلى (سيارات وإعادة شحن).

الشكل الغريب لمضخة الوقود المزينة بالفقاعات البرتقالية المتدفقة من الزجاجة هو في الأمر ذاته جاذب للعين ويُحتَمل أن يكون مسليًا، لكنه كذلك يفرض تأويلا على المشهد المحير. يمكن حل المشهد المحير عبر تأويل غير حرفي للكيان الذي قدمنا شكله هنا. مضخة الوقود ترتبط كنائيًا بالشحن (أعني أن مضخات الوقود والوقود هي متماسة في معرفتنا بالعالم)، ومفهوم الوقود استخدم لإنشاء استعاري للسائل الذي يخرج من زجاجة لوكوزاد. بناء على ذلك تتفاعل المكونات اللفظية والمرئية للإعلان لكي تقدم نفس البناء الاستعاري للمنتج. ويستدعي النص على نحو مباشر الربط الاستعاري بين الناس والسيارات، وبين إعادة التزود بالوقود وفعل المرء شيء ما لنفسه. تقدم الصورة الرسالة الإعلانية الرئيسية من خلال الربط بين الوقود وطاقة لوكوزاد بواسطة صورة مضخة الوقود. بصياغة أخرى، فإن المفردات هنا لا تساند الصورة، كما هو الحال في طرد باركليز البريدي الذي وصفته للتو، بل تقوم المفردات والصور بتبادل التعزيز والتساند.

البناء الأفقي للإعلان هو أيضًا مما له مغزى. لقد لاحظ كريس وليوفن(١) أن التقابل بين القمة والقاع يمكن أن يستخدم لتصوير التقابل بين "المثالي" و"الواقعي". يتضمن هذا التقابل في حالة الإعلان "وعود المنتَج" من ناحية، بالمنتج نفسه من الناحية الأخرى. تحتل استعارة "شحن الطاقة" في إعلان لوكوزاد الجزء الأعلى من الإعلان، بما فيه كل من الاستخدام الاستعاري "للتزود بالوقود" في النص، وشكل مضخة الوقود.

تمَّ استغلال الاستعارات اللفظية والمرئية لتقدم صورة مثالية معينة للمنتج، هي صورة سائل ضروري للناس بنفس درجة ضرورية الوقود (وهو سائل أيضًا)

---

(١) انظر، Kress and van Leeuwen (2006: 186ff.).

للسيارات. بعد ذلك يقدم الجزء الأسفل من الصورة المنتج نفسه، بتفصيل واف لكي يستطيع القراء التعرف عليه فوق أرفف المشروبات في محلات محطات الوقود، أو أي محل آخر قد يزورونه.

الاختيار المحدد للاستعارة في الإعلان ليس جديدا، بالطبع. فاستخدام "إعادة التزود بالوقود" فيما يتعلق بالكائنات البشرية وأنشطتها هو تقليدي بشكل معقول، وغالبًا ما يتم تضمينه في القواميس. في المقتطف التالي المأخوذ من المدونة البريطانية الوطنية، استخدم الفعل استعاريا بنفس الطريقة التي استخدم فيها في الإعلان، للإشارة إلى تأثير أنواع معينة من الشراب على الجسد: "المشروبات الغنية بالكربوهيدرات سوف تساعد على تزويد عضلاتك بالوقود، وسوف تكون في المتناول في غضون ساعة أو ما إلى ذلك بعد السباق، لو أنك غير قادر على أكل أي شيء". يمكن أن يُرى هذا الاستخدام "للتزود بالوقود" كجزء من إنشاء استعاري تقليدي للناس بوصفهم آلات، ينطوي على ربط بين الوقود والأكل/الشرب. هذا الربط نفسه يتحقق أيضا بواسطة تعبيرات تقليدية مثل "البخار ينفد مني"، حيث يقوم نوع آخر من الآلات والوقود بوظيفة المصادر الاستعارية.

استغلال الاستعارات التقليدية شائع على نحو معقول في الإعلانات، نظرا لأن هدف المعلنين عادة ما لا يكون تحدي رؤى العالم الموجودة عند الناس، بل بالأحرى الاعتماد عليها للتأثير على سلوكهم كمستهلكين[١]. في حالة شراب لوكوزاد، فإن الاستعارة تخدم أهداف المعلنين في التأكيد على الأبعاد المرغوبة في المنتج، وتخفي الأبعاد غير المرغوبة بنفس الدرجة. الوقود ضروري، في سيناريو المصدر الاستعاري، لكي تقوم السيارة بوظيفتها، وبناء على ذلك تصبح إعادة

---

(١) انظر Cook 1994. 2001.

التزود بالوقود نشاطًا ضروريًا (وإن يكن بشكل متقطع) في محطات خدمة الوقود. يهدف اختيار المصدر الاستعاري بجلاء إلى اقتراح أن لوكوزاد ضـــروري لكـــل البشر على قدم المساواة، لكنه مهم خصوصًا لقائدي السيارات في الرحلات الطويلة على الطرق السريعة، الذين يحتاجون إلى أن يظلوا محتفظين بحيويتهم ويقظـــتهم. وعلى النقيض من ذلك، فإن الاستعارة "تخفي" الأبعاد الأقل إيجابية للمنـــتج، مثـــل حقيقة أن المشروبات الغنية بالسعرات الحرارية ربما لا تكـــون الاختيـــار الأمثـــل بالنسبة لشخص ينخرط في نشـــاط يتطلب الكثيـــر مـــن الجلـــوس (كـــسائق، أو بدرجة أكبر كراكب).

يحتوي الإعلان كذلك على بعض العناصـــر الإبداعيـــة. التحقـــق المرئـــي للاستعارة هو جديد نسبيًا (على الرغم من أن الربط المفاهيمي الكامن ليس جديدًا)، وتوجد درجة من الأصالة في التفاعل بين المكونات اللفظية والمرئيـــة للإعـــلان. بالإضافة إلى ذلك، فإن اختيار مجال المصدر هو محفز بوضوح بالسياق؛ أعنـــي أنه مُلْهَم بواسطة المكان الذي قصد أن يوضع الإعلان فيه (انظر الكلام عن الجذب بالموضوع والموقف في اختيار مجال المصدر فيما سبق). محطات خدمة الوقـــود هي أماكن يشتري فيها المرء وقودًا لسيارته أو مشروبات ومأكولات لنفسه. بنـــاء على ذلك، قد يضيف الربط بين مكان الإعلان وســـيناريو المـــصدر الاســـتعاري المختار عنصر سخرية وفكاهة إلى الإعلان (انظر أيضًا عناوين الـــصحيفة التـــي ناقشناها في أنماط الاستعارة في الخطاب فيما سبق)، وبالمثل يضيف إلى الرســـالة الإعلانية الشاملة: فنظرا لأن إعادة التزود بالوقود ترتبط بقوة بخـــدمات محطـــات التزود بالوقود فإن البناء الاستعاري للوكوزاد بوصفه وقودًا ربما يساعد في تأسيس ارتباط مشابه بين الشراب ومحطات خدمة الوقود. وأخيرًا فإن اســـتعارة "التـــزود بالوقود" متماسكة مع اسم المنتج (طاقة **Lucozade**) والشعار المطبوع على أســـفل

الصفحة (شحن بريطانيا بالطاقة): فكل من "الطاقة"، و"شحن الطاقة" يمكن أن يُستخدما فيما يتعلق بالكائنات البشرية النشيطة والقوية من جهة، وأن يستخدما من جهة أخرى فيما يتعلق بقدرة الآلات على الشغل بفضل الطاقة المأخوذة من مصادر وقود متعددة الأنواع. تستغل إعلانات أخرى في نفس الحملة المعاني المختلفة "للطاقة" و"شحن الطاقة" بطرق مشابهة.

الخلاصة النهائية أن الاستعارة استُخدمت استراتيجيًا في إعلان لوكوزاد لإنجاز عدد من الأهداف التي تتطابق مع الإعلان المعاصر. الإعلان هو "إعلان منتَج" نمطي؛ أي أن هدفه الرئيسي هو إقناع المشاهدين بشراء منتج بعينه (في مقابل إعلانات الأحزاب السياسية، والجماعات الخيرية، إلخ)[1]. كما شرحت، فإن البناء الاستعاري للوكوزاد بوصفه وقودًا يستغل الترابط بين مكان الإعلان والتزود بالوقود، ويشي بأن استهلاك المشروب ضروري لاستمرار المرء في رحلة بنفس درجة ضرورة ملأ السيارة بالوقود. مع ذلك، وكما اقترح كووك Cook (2001) فإن الإعلان المعاصر بوصفه نوعًا لا يمكن ببساطة أن يعرَّف من زاوية غرض تغيير سلوك المستهلكين، لكن كذلك بواسطة مجموعة من الخصائص الإضافية. يتضمن هذا، من بين أشياء أخرى، التركيب متعدد الأنماط العلاماتية **multi-modal** من اللغة والصورة، واستخدام التوازي **parallelism** والاستعارة، واستغلال المعاني غير المحددة، و"محاولة منح اللذة"[2]. وفي الواقع فإن استخدام الاستعارة مركزي بالنسبة لتقنيات البيع-الناعم **soft-sell technique** المستخدمة في الإعلان، والتي تتضمن درجةً من عدم التحدد، واحتمالية الفكاهة معًا. وعلى الرغم من أن أفعال الأمر استخدمت في السطرين العلويين من النص، فإن المعلنين لم

(١) انظر. Cook 2001: 15.

(٢) انظر. Cook 2001: 221.

يؤثروا أن يختاروا تقنية البيع – الجاف hard-sell technique التي تتضمن إخبار الناس مباشرة وبوضوح بأن يشتروا المنتج (كما في السطر الافتراضي "اشتري مشروب لوكوزاد للطاقة".

يخبرنا السطر الأعلى من النص بأن نشتري الوقود، لكن الوقود ليس هو المنتج الذي يتم الإعلان عنه. الأمر في السطر الثاني من النص يكون وثيق الصلة بالمنتج، لكن يجب أن نستنبط هذه الصلة بأنفسنا من خلال تأويل "التزود بالوقود" استعاريا، ومن خلال الاستدلال من استخدام الكناية والاستعارة في الصورة أن لوكوزاد للطاقة هو نوع الطاقة الذي نريده. بصياغة أخرى، فإن استخدام الاستعارة يمكِّن المعلنين من حث المشاهدين على شراء المنتج دون أية إشارة مباشرة إلى عملية الشراء (أو حتى الشرب)، وبدون تصريحات مباشرة بمزايا المنتج. بالإضافة إلى ذلك، فإن درجة الفكاهة قد تنتج من التلاؤم الموقفي لمجال المصدر (أعني الارتباط الموجود في الواقع الفعلي بين محطات خدمة الوقود وإعادة التزود بالوقود)، ومن التنافر بين شكل مضخة وقود تنبثق من زجاجة.

وفي النهاية، فإن المباشرة والفكاهة بالطبع كلاهما قد يجعلان من المحتمل أن المشاهدين سوف يجدون الإعلان جذابًا، ويستجيبون له بشراء المنتَج.

في القسم الثاني، أتحول إلى موضوع رئيسي آخر لهذا الفصل، هو استخدام الاستعارة في خطابات المرض.

الاستعارة والمرض

الاستعارة وثيقة الصلة بالإنشاء اللغوي والمفاهيمي للمرض بأكثر من سبيل. فالمرض يمكن أن يصاغ استعاريا بواسطة الخبراء بوصفه حالة مادية أو ذهنية

يجب فهمها وعلاجها، مثل أية ظاهرة أخرى تخضع للبحث العلمي. وفي الواقع فإن بعض الاستعارات التي ناقشتها في الفصل الرابع (خاصة تلك التي ترتبط بالجينات ونظام المناعة) لها تطبيقات مباشرة على كيفية فهم المرض ودراسته في العلم والطب. ومع ذلك فإن المرض هو كذلك حالة إنسانية فردية وشخصية، ترتبط عادة بالتعب أو الألم الجسدي، ومع مشاعر القلق، والخوف، والوحدة وربما الخزي. وهي بذلك تنتمي إلى نوع من الخبرات المعقدة والذاتية وضعيفة التحديد التي يعبر عنها عادة لفظيًا ومفاهيميًا بشكل تقليدي بواسطة الاستعارة. ومع ذلك فإن من يعانون من المرض والخبراء فيه يحتاجون، بشكل حاسم، إلى التفاعل والتعاون في عملية العلاج، والاستعارة ربما تستخدم بشكل أقل أو أكثر نجاحًا وحساسية وانسجامًا في إطار تلك التفاعلات. وبشكل أعم، فإن الاستعارة غالبًا ما تلعب دورا في تمثيل المرض في وسائل الإعلام، خاصة في حالة الأمراض ذات الشهرة العالية مثل السرطان أو الأمراض الوبائية مثل سارس **SARS** وإنفلونزا الطيور[1]. قد تؤثر هذه التمثيلات الإعلامية على الخبرة الفردية للمعاناة كذلك، بالإضافة إلى الإدراك الجماهيري بشكل أكثر عمومًا. هذه التمثيلات الإعلامية قد تؤثر على الخبرة الفردية للمعانين، وكذلك على الإدراك العام بشكل أكثر عمومًا.

من المعروف أن سوزان سونتاج **Sontag** كشفت عن الدور المؤذي الذي قد تقوم به الاستعارة في الخطابات المحيطة بالمرض، خاصة ما يتعلق بالسرطان، والإيدز[2]. تبرز سونتاج في كتابها "الاستعارة والمرض **Metaphor and Illness**"، العواقب السلبية لهيمنة استعارات **الحرب** في إنشاء المرض بشكل عام، والسرطان على وجه التحديد. وقد أوضحت كيف أن السرطان وصف تقليديا بواسطة

---

(١) انظر مثلا، Nerlich and Halliday 2007.

(٢) انظر، Sontag 1979, 1988.

سيناريوهات الحرب، حيث المرض هو عدو وقاتل، والمرضى هم ضحايا للغزو، والعلاج هو هجوم مضاد. في إطار هذه الاستعارة، فإن أدوية السرطان، على سبيل المثال، وصِفت تقليديا بأنها "عدائية"، واستخدامها ينطوي على "تفجير جسد المريض بالقنابل bombardment". تحاجج سونتاج بأن هذه إحدى الاستعارات المهيمنة التي تسهم في تحقير المرض، وفي الزيادة غير المبررة لمشاعر الخوف واليأس والوحدة. وتقترح حلا جذريًا للتأثيرات المؤذية للاستعارة: وتحاجج لصالح الحذف التام للاستعارة من الخطابات المحيطة بالمرض، وتتطلع إلى وقت يؤدي فيه التقدم الطبي إلى جعل الاستعارة غير ضرورية.

في حين أن مساهمة سونتاج تظل كاشفة ومؤثرة بدرجة عالية، فإن آراءها حول مستقبل يخلو من استعارات المرض قد نُحِّيت لكونها غير واقعية وغير محبوبة معًا. ليست تلك هي رؤية علماء الاستعارة مثلي فحسب، لكنها أيضًا رؤية خبراء الطب، الذين يعترفون باستحالة تجنب الدور الذي تقوم به الاستعارة في إنشاء المرض، والذين يركزون بشكل متزايد على كيفية استغلال هذا الدور لإحداث تأثيرات مفيدة. وعلى نحو أكثر تحديدًا، فإن عددًا من الدراسات التي قدمها مهنيون طبيون وصفت الاستعارة في نفس الوقت كمصدر مفيد وكخطر محتمل في إنشاء المرض.

لقد نُظِر إلى الاستعارة على أنها حتى الآن تمكن من يعانون المرض من التعبير عن خبراتهم أو مشاركتهم فيها، وتمكن المهنيين من توضيح أبعاد متنوعة للمرض والعلاج. وكما أوضحت سونتاج، فإن الاستعارة تمثل خطرا حين تسهم في تمثيلات للمرض تكون مقوِّضة أخلاقيًا أو مربكة للمرضى ولمن هم مقربون منهم. هذا ضروري تحديدًا في ضوء الأدلة المحتملة بأنه في حالة أمراض مثل السرطان، فإن اتجاهات المرضى والحالة الذهنية تؤثر على طول فترات مقاومتهم

للمرض[1]. بناء على ذلك فإن ما يمكن الدفاع عنه ليس هو التخلص من الاستعارات، بل استخدام أكثر وعيًا وحساسية وفعالية للاستعارة، خاصة من قبل المهنيين المتعاملين مع من يعانون من المرض[2].

فعلى سبيل المثال، يصرح ريزفيلد **Reisfield** أن الاستعارات "يمكن أن يكون لها أثر قوي على ممارسة الطب، وعلى خبرة المرض"، ويواصل لكي يفحص مجالات المصدر الاستعارية الرئيسية التي تنطبق تقليديا على السرطان، وهي على وجه التحديد الحرب والرحلات. ويعلق على هيمنة الاستعارات العسكرية على الطرق التي يتم الكلام تقليديا بواسطته عن السرطان، ليس فحسب بواسطة الممارسين الطبيين، لكن كذلك بواسطة المرضى وشركات الصيدلة.

فهو يشير، على سبيل المثال، إلى كيف أعلن مصنعو دواء معين للسرطان عن أن موقعهم على الإنترنت "صُمِّم ليساعدكِ على أن تقاتلي بجلد، وتردي الهجمة، في معركتكِ ضد سرطان الثدي في مراحله المتأخرة"[3]. كما ناقش كذلك موقع إلكتروني داعم للمرضى اسمه "**cancerbattleplan.com** (خطة معركة السرطان)، التي تمحورت حول رسالة أنه: "يجب عليك أن تقاتل لتفوز بهذه المعركة"[4].

يتتبع ريزفيلد أصل هذه الاستعارة وصولا إلى اكتشاف البكتريا في أواخر القرن التاسع عشر[5]، ويشرح هيمنتها بمفردات ظاهرتين متباينتين. فمن جانب،

---

(١) انظر، Greer 1991.

(٢) انظر على سبيل المثال، Canter 1988; Czechmeister 1994; Skott 2002; Reisfield 2004.

(٣) انظر، http://www.femara.com/home-metastatic.jsp?m=1.

(٤) انظر، http://www.cancerbattleplan.com/.

(٥) انظر أيضًا سونتاج ١٩٧٩.

يعد مجال مصدر الحرب متغلغلا على نحو عام، أو أن لديه - بمصطلحات كوفيزتش (٢٠٠٢)- مجالاً استعاريًا واسعًا.

من جهة أخرى، فإنه من السهل نسبيًا ومن "الطبيعي" بشكل واضح رؤية السرطان بوصفه عدوًا خطيرًا، وممارسي الصحة بوصفهم جيشا، والأطباء بوصفهم قادة عسكريين، والمرضى بوصفهم جنودًا، والأدوية بوصفها أسلحة، وهلم جرا. يشير ريزفيلد مثل سونتاج أيضًا إلى قيود وعيوب هذه الاستعارة (مثل التحامل الذكوري، وإمكانية الهزيمة، والرؤية المحتملة للجسد بوصفه ساحة معركة)، ويتأمل وجهة النظر المختلفة التي تقدمها استعارات الرحلة للسرطان. في إطار مجال مصدر الرحلة، فإن المريض هو مسافر، والطبيب هو مرشد أو دليل، والطرق والاتجاهات المختلفة يمكن دومًا اختيارها. وبشكل حاسم فإنه لا توجد أشياء من قبيل الهزيمة، و"تستمر الرحلة خلال العلاج من المرض وفيما بعدها"[١]. ومع ذلك فإن ريزفيلد - على خلاف سونتاج- يحاجج بأنه لا توجد أية استعارة ضارة بشكل متأصل. وبالأحرى فإن الاستعارات المختلفة قد تكون ملائمة لأشخاص مختلفين، لذا فإنه على الأطباء أن يكونوا حساسين لاحتياجات المرضى، وأن يساعدوهم على استغلال الاستعارات الأكثر فائدة بالنسبة لهم كأفراد.

يصف ريزفيلد على سبيل المثال خبرة مؤرخٍ للحرب العالمية الثانية كانت الاستعارات العسكرية تحديدًا "تمكينية" بالنسبة له كمريض بالسرطان، خاصة في المرحلة الأخيرة من المرض[٢]. فأثناء شفائه من عملية جراحية كتب هذا المريض خطابًا لصديق:

---

(١) انظر، Reisfield 2004: 4026.

(٢) انظر، انظر كذلك Skott 2002.

> كان الهجوم ناجحًا، على الرغم من أنني أتوقع هجومًا مضادًا في أية لحظة من كل الاتجاهات، لو أن أيًا من تلك الأورام خبيثة. ومع ذلك فإنني أحطت نفسي بأسلاك شائكة، وخنادق أرضية، وعديد من فرق قوات المشاة، ونحن جاهزون للقضاء على كل المتسللين(١).

ومع ذلك فإن مرضى آخرين، ربما يجدون أن استعارات **الحرب** قد تكون غير مناسبة ومثبطة للهمة، وربما يشعرون براحة أكبر مع استعارات تقليدية أخرى للمرض، أو ربما في الواقع يبتكرون بإبداع استعاراتهم الخاصة، التي تنبع غالبًا من خبراتهم الشخصية. فعلى سبيل المثال، فإن إحدى الصحفيات ممن يعانون من السرطان تضع في الاقتباس التالي بشكل غير مباشر ملاءمة استعارة **الحرب** للسرطان موضع مساءلة، وتقدم استعارة الرحلة على أنها أكثر ملاءمة في علاقتها الخاصة مع المرض:

> أقرأ النعي وأنظر دائمًا لتاريخ الميلاد. هؤلاء الذين يجايلونني ماتوا غالبًا "بعد معركة طويلة مع السرطان." [..] لماذا يُتوقع من الناس المرضى بالسرطان أن يرفعوا الراية البيضاء؟ من الأفضل أن ننظر للسرطان على أنه رحلة. كل شخص يقول إن كونك إيجابيا يساعدك في المواصلة، وأن كونك إيجابيا أثناء رحلة يبدو أكثر سهولة من كونك إيجابيا أثناء حرب يحاصرك فيها العدو من كل جانب(٢).

---

(١) ورد في Reisfield 2004: 4025.

(٢) انظر، *Observer week-end magazine*, 22 January 2005.

يقود هذا إلى ملاحظات مشابهة للملاحظات التي قدمتها في الفصل الخامس فيما يتعلق بالتعليم. وإجمالا، فإن الاستعارات لا تكون ضارة أو نافعة بطبيعتها، خاصة على مستوى الأفراد: ما يهم هو كيف تُستخدم الاستعارة، وإلى أي مدى يكون الأفراد أحرارا وقادرين على اختيار الاستعارات التي تعمل في صالحهم.

دراسة الحالة الثانية: الاستعارة والاكتئاب في مكالمة تليفونية ببرنامج إذاعي

أناقش في هذا القسم استخدام الاستعارة في مكالمة تليفونية ببرنامج إذاعي حول الاكتئاب الإكلينيكي. أذيع البرنامج في إذاعة البي بي سي فور **BBC Radio 4** على الهواء في الأول من يونيو ٢٠٠٥، كجزء من فترة إذاعية معتادة طويلة تحمل عنوان **ساعة المرأة**. أعقبت المكالمة مناقشة حول الاكتئاب أذيعت في الفترة الإذاعية المماثلة في يوم ٣١ مايو ٢٠٠٥. افتتحت مقدمة البرنامج، جيني موري **Murray**، البرنامج بخبر مفاده أنه: وفقًا لدراسة حديثة فإن الاكتئاب قد حل محل الألم بوصفه السبب الأكثر تكرارا للتغيب عن العمل في المملكة المتحدة. وأضافت، إن ذلك أثار سؤالا عن "ما الذي يجعل المرء شجاعا بما يكفي لكي يتخلص من الاكتئاب". قامت موري بعد ذلك بدعوة المستمعين للاتصال الهاتفي بها لو أنهم خاضوا بأنفسهم تجربة اكتئاب، أو أنه كان لهم اتصال مباشر بمن عانوا منه. تمت إذاعة تصريحين مسجلين من البرنامج السابق، أحدهما من شخص يعاني الاكتئاب، وآخر من معالج نفسي. تحدى المعاني التصور العام للمكتئبين بوصفهم بشرًا لا يقدمون إضافة إلى المجتمع، في حين أشار المعالج النفسي إلى أن الناس المتصلين عن قرب بالمعانين يميلون إلى أن يشعروا بالغضب والإحباط حين يبدو لهم أن جهودهم للمساعدة لا تُحدث أي تقدم.

تضمن بقية البرنامج مساهمات من أربعة عشر متصلا. أقر تسعة من هؤلاء بأنهم أنفسهم كانوا يعانون أو ما زالوا يعانون من الاكتئاب؛ اثنان منهما مهنيان في حقول وثيقة الصلة (طبيبة ومحام حكومي)؛ اثنان هما والدان اعتنوا بأبناء ناضجين يعانون من الاكتئاب؛ وواحدة كانت امرأة ذات أصول أسيوية ذكرت أن الاكتئاب لا يزال تابوها في مجتمعها. اثنان فقط من المتصلين كانوا ذكورا: المحامي الحكومي، ورجل يعاني من عجز كلي. كان في الاستوديو دكتورة ناتاشا بيلاني **Natasha Bijlani** استشارية نفسية، عادة ما تقوم موري بدعوتها لتقدم رأيًا مهنيًا حول الأمور التي يثيرها المتصلون. الخلاصة أن البرنامج استمر لمدة ٥٠ دقيقة، وحين كتبت ما قيل فيه، تكوّن من كلمات تقل قليلا عن ٨٠٠٠ كلمة (بما فيها لحظات التردد، والعبارات المالئة، والتكرارات... إلخ).

ذكر المتصلون مجموعة من الموضوعات. ذكر المعانون والمعانون السابقون الصعوبة التي خبروها في أن يعترف الآخرون بظروفهم وقبولها، خاصة بالنظر لحقيقة أنهم لا **يبدون** مرضى. وتكلموا كذلك عن الإحساس بالذنب والقلق بسبب عدم معرفة ما إذا كانت لديهم بالفعل حالة مرض طبي، وذكروا خبرات إيجابية وسلبية مع العلاج ومع ردود فعل أصحاب العمل. أكد القائمون بالرعاية على الصعوبات التي خبروها في رعاية أبنائهم فيما يتعلق بالمهنيات الطبية. قامت دكتورة بيلاني (التي كانت تخاطبها موري طوال اللقاء باسمها الأول "ناتاشا") بتغطية مجموعة من الموضوعات، بما فيها "محفزات" مختلفة للاكتئاب، وأنماط متباينة من العلاج. تضمنت موضوعات أخرى وصمة العار المرتبطة بالاكتئاب، والاختلافات الثقافية في الاتجاهات نحوه، ونقص المصادر الكافية لعلاج مَنْ يعانون من الاكتئاب في النظام الصحي القومي للمملكة المتحدة **UK National Health System**.

يتأسس اهتمامي بالبرنامج على حقيقة أن الاكتئاب – مثل أنماط أخرى للأمراض الذهنية– يضع مشكلات حادة خصيصًا على الفهم والتواصل. نظرا لأن الاكتئاب ليست له عواقب مادية واضحة، فإنه غالبًا ما يكون من الصعب الحكي والكلام عنه، سواء من قِبَل المعانين أو من يحيطون بهم. والاكتئاب كذلك يتم ربطه بخبرات ذهنية وشعورية مكثفة، ويحمل درجة كبيرة من الوصم الاجتماعي، مثله مثل المرض الذهني عمومًا. أردت من ثمَّ أن أدرس كيف يتكلم منْ يعانون من المرض ومن لا يعانون منه، والأفراد العاديون والخبراء عن الاكتئاب في سياق برنامج مكالمات تليفونية، وكيف أنهم يستخدمون الاستعارة في مساهماتهم.

إجمالا فإن تحليلي للبرنامج يكشف أنه، وفقًا لإجراء التعرف على الاستعارة الموصوف في الفصل الأول (الجزء الخاص بالتعرف على التعبيرات الاستعارية)، فإن ما نسبته ١٣% من الكلمات التي أنتجها المشاركون في النقاش استُخدمت استعاريًا. يتناظر هذا مع كثافة استعارية مقدارها ١٣٠ كلمة لكل ألف كلمة، وهي كثافة أعلى من التي سجلتها كاميرون في التفاعل داخل الفصول (٢٧ كلمة لكل ألف كلمة)، والكلام التصالحي **conciliation** (ما بين ٩٨ و ١٠٧ كلمات لكل ١٠٠٠ كلمة). يبدو أن هذه الأرقام تشي بأن موضوع الاكتئاب مشجِّع على نحو خاص على استخدام التعبيرات الاستعارية، وهو ما قد يرجع إلى ذاتية المرض وتعقيده وحساسيته. لا أحاول هنا أن أدرس **كل** استخدامات الاستعارة في البيانات، لكنني أركز فقط على تلك التعبيرات الاستعارية التي تُعنى بخبرة الاكتئاب (من جانب المعانين أو من يرعونهم)، بالإضافة إلى كل مسببات المرض وأدويته وتوابعه.

في بقية هذا القسم سأوضح كيف استخدم المتصلون مجموعة واسعة من الاستعارات فيما يتصل بالاكتئاب، وأسبابه وتوابعه. وليس من المستغرب، أن الاستعارات المستخدمة بواسطة غير المعانين منه تكشف عن منظور مختلف

للمرض عن منظور هؤلاء الذين عانوا منه، والاستعارات التي استخدمتها دكتورة بيلاني تختلف بشكل معتبر عن تلك التي استخدمها المتصلون الآخرون.

الاستعارات التي استخدمها المعانون من المرض

سوف أبدأ باقتباس جزء من مساهمة إحدى المتصلات، هي فرجينيا. سوف يعطيك هذا لمحة عن البيانات، ويقدم كذلك بعض الاستعارات التي استخدمها المعانون في الكلام عن خبراتهم في الاكتئاب. كما هو الحال مع متصلين آخرين، فإن موري عرّفت بفرجينيا، ثم سألتها "ما الذي كنت ترغبين في قوله؟" (في المقتطف الآتي، "ب" تشير إلى الكلام الذي تقوله مقدمة البرنامج، و"ف" تشير إلى الكلام الذي تقوله فيرجينيا):

النموذج الأول:

> ف: (أأ)، بشكل جوهري أردت أن (أأ) أقول كم هو صعب الاكتئاب، لأنه غامض للغاية، وأن هذا يسبب صعوبة شديدة في قبوله سواء من قبل الشخص الذي يعاني منه أو هؤلاء الذين يحيطون بهم، ويضيف إليه بعدًا جديدًا لعدم اليقين والذنب والقلق ويجب عليكِ أن تحتالي على هذا لأنه ليس معرفًا جيدًا (أأ) لأن الناس لا يستطيعون تعريفه (أأأ)، وأعتقد أن هذا جزء من الصورة السلبية الملتصقة به، وهذا حقيقي لأنه ليس نوعًا من المرض الملموس المرئي (أأ) الجسدي (أأ) الناس لا تعرف كيف تستجيب له، وأنتِ نفسك تشعرين (أأ) بالذنب منه، بالقلق بشأنه، تسألين نفسكِ ما إذا كان حقيقًا أم متخيلا، ربما تستطيعين التخلص منه، (أأ) بسبب أنه غير حقيقي.
>
> ب: ماذا فعلتِ بشأنه فرجينيا؟

ف: (أأ) حسنًا، لقد مررت أساسًا بحالة اكتئـــاب بعـــد الجامعة منذ نحو ثلاث سنوات، و (أأ) وتعاطيت مضاد اكتئاب مخفف، ساعد كثيرا مع هذا النوع من القلـــق، لأنـــه هـــدأني وساعدني على التكيف مع مستوى الحياة اليومية، لكن ما زلت أعاني من شعور مرتبك في ذهني، لم أعلم يقينا ما هو ولا أعلـــم ما هو، (أأ) وأظن أن الناس من حولي يشعرون بنفس ما أعنيـــه بالضرورة، (أ) كنت أود لو انكسرت رجلي وجبستها بجـــبيرة ضخمة، أو، وهذا سيتحول لكي يكون مفزعًا تمامًا لكنه شـــيئ يشبه السرطان وأن يسقط شعري، فقط شيء يستطيع النـــاس تحديده ومعرفته ووضعه في ركن في صـــندوق، وأن أســـتطيع فحسب أن أستريح وأقول أنا مريضة وأريد أن أتعافى وأن هناك مشكلة أعانيها، بخلاف وجود هذا النـــوع مـــن الأشـــياء في الداخل، وأنني/أنني لا أعلم ماذا أفعل معه، والناس الآخـــرين لا يعلمون ماذا يفعلوا معه، (أأ)، لذلك على الرغم من (أأ) أنني خرجت منه بدرجة ما، فإنني ما زالت لدي، كمـــا تعـــرفين، مشاعر في/في ذهني عن/ال صعوبة التعامـــل معـــه في الماضـــي والحاضر، لأنه/لأنه شيء –أعتقد غالبًا– أنـــه لا يُنظـــر إليـــه كمرض خطير بطريقة تجعله مفهومًا، وهذا لأنـــه غـــير مرئـــي كالأمراض الأخرى لكنه مدمر بنفس درجة خطورتما//.

الاكتئاب ككيان مادي

تؤكد فيرجينيا – مثل متصلين آخرين ممن يعانون الاكتئاب – على نقـــص القدرة على لمس ورؤية المرض، وهو ما يُصعب على المرضى الـــشعور بـــأنهم مرضى بشكل مشروع، ويصعـــب على الآخريـــن التعاطف الكامـــل معهـــم.

ومع ذلك فلكي تنقل خبراتها، استخدمت فيرجينيا عددًا من التعبيرات الاستعارية التي تشكل الاكتئاب بوصفه كيانا ماديا مثل التعبيرات التي أضع تحتها خطًا فيما يأتي:

النموذج الثاني:

عما إذا كنت تستطيعين ربما التخلص منه

النموذج الثالث:

شيء يستطيع الناس تحديده ومعرفته ووضعه في فئة في صندوق

النموذج الرابع:

بخلاف وجود هذا النوع من الأشياء في الداخل، وأنني لا أعلم ماذا أفعل معه، والناس الآخرون لا يعلمون ماذا يفعلون معه

إن تعبير "التخلص منه" الوارد في النموذج السابق، لا يتسق بأمانة مع التأكيد السابق على ضعف قابلية الاكتئاب لأن يكون مرئيا، لأنه يقدم الاكتئاب كأنه شيء جاثم على صدر المريض. ومع ذلك، فإن التعبير مستخدم لاقتراح إمكانية أن من يعاني الاكتئاب يستطيع الشفاء منه بسهولة، ودون مساعدة أو علاج. وبالمقابل، فإن وصف الاكتئاب "كشيء" يوجد "داخل" من يعاني منه في النموذج الخامس، يؤكد بوضوح أكبر افتقاد القدرة على رؤية الحالة، في حين يعكس كذلك ميلا عاما نحو تقديم الجسد كوعاء المشاعر[1].

---

(١) انظر، Kövecses 2000: 37.

وعلى نحو أكثر تحديدًا، فإن فرجينيا تصف الخبرة الشعورية والذهنية كشيء مادي، وتنقل لا مرئية الحالة بواسطة وصفها بأنها "داخلية". ويتقابل هذا مع المشكلات الطبية الأخرى التي لها أعراض خارجية واضحة (رجل مجبسة، سقوط شعر ناتج عن أدوية السرطان). ادعاء فيرجينيا بأنها وآخرين لا يعلمون ما يجب عليهم "فعله مع" هذا "الشيء" يقدم القدرة على التعامل بنجاح مع الاكتئاب بمفردات التعامل الناجع مع الاستخدام الناجح للأشياء المادية أو تطويعها. ويمكن أن يُربط هذا بالميل الاستعاري العام الذي يتم فيه الربط بين القدرة على تطويع الكيانات الملموسة ومفاهيم النجاح والسيطرة الأكثر تجريدًا، كما في المثال الآتي المأخوذ من المدونة الوطنية البريطانية: "استفد من موقفي؛ أنت لا تستطيع التعامل مع هذا، هل تستطيع؟".

تستخدم فيرجينيا في النموذج الثالث استعارة تجسيدية أخرى، بهدف التعبير عن أمنيتها بأن يستطيع الآخرون تفهم مرضها. وهي لا تقوم بتقديم الاكتئاب بوصفه كيانا ماديا فحسب، لكنها كذلك تصف الفهم والتصنيف على أنها عمليات وضع شيء في وعاء. هذه الرؤية الاستعارية للتصنيف هي رؤية تقليدية، بالطبع، لكنها جُعلت ملحوظةً على نحو خاص، من وجهة نظري، بواسطة استبدال فيرجينيا "للفئة **category**" غير الاستعارية "بالصندوق **box**" الاستعاري. وفي المجمل، بناء على ذلك، فإن فيرجينيا تستخدم في المثالين المستشهد بهما ثلاثة سيناريوهات استعارية منفصلة، يكون الاكتئاب فيها كيانًا ماديًا:

الاكتئاب في السيناريو الأول شيء يمكن التخلص منه، ويكون في الثاني شيئًا تتمنى لو كان كيانًا تستطيع وضعه في فئة/صندوق، ويكون في الثالث شيئًا داخليا، لا هي ولا الآخرون يعرفون ما يفعلونه معه.

لم يستخدم أي متصل آخر هذا الكم من الاستعارات التجسيدية الذي استخدمته فيرجينيا. ومع ذلك فإن إحدى من تعانى من الاكتئاب وصفته بأنه "جزء" منها، والاستعارات التي استخدمها العديد من المتصلين تصور الاكتئاب ضمنيًا على أنه كيان مادي. وينطبق هذا تحديدًا على الاستعارات شديدة التقليدية المستخدمة للفعل "عنده have"، في التعبير "عنده اكتئاب **have a depression**"، والذي يتم فيه تقديم المعاناة من المرض ضمنيًا بمفردات امتلاك شيء. نفس الاتجاه لوحظ بالنسبة لكل الحالات العاطفية[1]، وكذلك بالنسبة للحالات الجسدية أو الذهنية بشكل أكثر عمومًا (مثل "عنده شكوك"، "وعنده صداع"..إلخ). بالإضافة إلى ذلك فإن اثنين ممن يعانون من المرض وصفا نفسيهما أو اكتئابهما بواسطة تعبير استعاري تقليدي هو "حمل ثقيل **burden**"، الذي يصف الحالة كثقل يقيد حرية المرء نفسه والآخرين في الحركة.

الاكتئاب بوصفه رحلة

النمط الاستعاري الأكثر انتشارا في البيانات، يتضمن كلا من التكرار والتواتر، ويتضمن بناء خبرة الاكتئاب على أنها رحلة. تقول فيرجينيا في النموذج الخامس السابق أنها "مرت أساسًا بحالة اكتئاب بعد الجامعة"، وأنها "خرجت منه الآن بدرجة ما". استخدم ثلاثة متصلين آخرين (اثنان منهما معانيان من المرض والآخر يرعى مريضًا) تعبير "الخروج من الاكتئاب **coming out of (depression)**"، واستخدمت موري كلا من هذا التعبير وبديله "يجتاز **coming through**". بالإضافة إلى ذلك فإن أحد من يعانون المرض،

---

(١) انظر، Kövecses 2000: 36.

وتدعى مونيكا، تتحدث عن أنها ما تزال "في منتصف اكتئابها"، وتذكر أنها – عند نقطة معينة من حياتها– "لم تكن في الموضع الذي يمكن [لعلاج معين] فيه أن يكون مفيدًا".

تختلف هذه التعبيرات الاستعارية عن شواهد استعارات الرحلة التي ناقشتها في فصول سابقة، وعن تلك التي تدرس عادة في إطارة نظرية الاستعارة المفهومية. فلا يتضمن سيناريو المصدر هنا حركة عبر طريق من نقطة انطلاق إلى نقطة وصول. لكنه ينطوي على الدخول في منطقة أو فضاء مغلق ثم الخروج منه. وقد لاحظ كوفيستش أن وجود المشاعر يتم تصويره عمومًا بشكل تقليدي على أنه وجود في مكان مغلق (مثل "كانت في نشوة"). مع ذلك فإن هذا المكان المغلق، في حالة الاكتئاب، يتم وصفه ضمنيًا بأنه غير سعيد، ويصعب الخروج منه، ولذلك – كما تقول مونيكا– يمكنك أن تقضي وقتًا طويلا "في المنتصف". ومن المثير للاهتمام أنه يبدو أن من يعانون المرض في المدونة يستخدمون هذا النوع المحدد من استعارات الرحلة، وليس استعارات المنخفض **down** للتعبير عن حالة المشاعر السلبية التي عادة ما تُناقش فيما يتصل بالاكتئاب والمشاعر السلبية عمومًا (مثل "أشعر بالإحباط (بالتدهور) **"I'm feeling down** "هو في الحضيض بالفعل هذه الأيام **'He's really low these days'**)[1].

تحتوي المدونة كذلك على شواهد لاستعارات أخرى للرحلة، استخدمها أفراد معينون. في النموذج الخامس تتحدث فيرجينيا عن "اللايقين، والذنب، والقلق"، المرتبطين بالاكتئاب بوصفهم عقبة على المرء أن "يتفاداها **walk around**". يتحدث شخص آخر، يعاني من الاكتئاب، هو جيل، في المقتطف التالي عن أهمية الشعور

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 15; McCullen and Conway 2002.

بالراحة مع المعالج للاستفادة من الاستشارة أو أية أنواع أخرى للعلاج النفسي (وضعتُ خطًا تحت التعبيرات الاستعارية):

النموذج الخامس:

يوجد في بعض الأحيان أشياء عليك أن تستكشفها، وتشعر بأنها غير آمنة للغاية، تلك أماكن لا يمكنك أن تذهب إليها لو أن المرء الذي بمعيتك ليس شخصًا محبوبًا وموثوقًا به، لا تستطيع الذهاب إلى هناك، إنه ليس من الآمن أن تذهب هناك.

تم تصوير المشاكل التي جربها المُعاني هنا على أنها كيانات محسوسة ("أشياء")، وعمليات التناقش حولها على أنها استكشاف ("يستكشف **explore**"). تم تطوير هذا لاحقًا إلى سيناريو استعاري كامل تكون فيه موضوعات ومسائل صعبة "أماكن" غير آمنة، لا يستطيع المعانون "أن يذهبوا إليها" إلا إذا كانت لديهم علاقة إيجابية قائمة على الثقة مع المعالج. بصياغة أخرى، تم تصوير خبرة الاكتئاب على أنها موقف لا يمكن فيه بأمان الوصول (أي الكلام عن أو التفكير في) بعض الأماكن (أي الموضوعات) بدون الثقة في رفيق السفر (أي المعالج النفسي).

وعلى الرغم من الاختلاف بين كل هذه الاستعارات للرحلة، فإن تلك التي استخدمها المعانون تتضمن سيناريوهات تكون فيها الحركة صعبة و/أو غير مبهجة و/أو غير آمنة. ويساعد هذا على التعبير عن مدى الصعوبات الذهنية والانفعالية التي يخبرونها.

استعارات أخرى استخدمها المعانون

استخدم المعانون من الاكتئاب مجموعة أخرى من التعبيرات الاستعارية المتصلة بتجاربهم حول الاكتئاب، مشتقة من عدد كبير من مجالات مصدر مختلفة.

استخدم اثنان من المعانين تعبيرًا استعاريا شديد التقليدية بخصوص اكتئابهم، هو "التعطل"، الذي يصور المرض العقلي بمفردات تعطل آلة. تشتمل البيانات على عدة تعبيرات إضافية تم تصوير المعاني فيها على أنه آلة لا تعمل على نحو سليم. وفي الواقع فإن دكتورة بيلاني هي التي استخدمت معظم هذه التعبيرات، لكن إحدى المعانيات قالت إن "أعراض المرض أعطبتها **symptoms have disabled her**". تحدثت، أليسون، وهي معانية أخرى من المرض عن الوقت الذي كانت فيه "مغلقة حرفيًا **literally shut down**"، وبذلك تقدم نفسها ككيان مادي (مثل دكان **a shop**) لم يعد مفتوحًا، ومن ثمَّ لم يعد يؤدى وظيفته الطبيعية. استخدم كذلك تعبير "إغلاق" استعاريًا بشكل تقليدي فيما يتعلق بالآلات التي لا تعمل، ويبدو أن هذا المعنى وثيق الصلة بالفعل باختيار وتأويل هذا التعبير في تلفظ أليسون. وربما أذكر أيضًا ملاحظة أن حدوث ظرف المكان "أسفل **down**" في كل من "**break down**"، و"**shut down**" يتسق مع الترابطات الاستعارية التقليدية للحالات المعنوية السلبية مع أن يكون "أسفل" أو "منخفضًا"، على الرغم من انخراط سيناريوهات استعارية متباينة في كل حالة.

توجد كذلك حالتان على الأقل في البيانات يتوازى فيهما اتجاه الحركة لأسفل استعاريًا مع تغير إيجابي، خاصة بالنسبة لتراجع خبرة القلق التي يتعرض لها المعانون من الاكتئاب. تستخدم فيرجينيا في النموذج الخامس التعبير شديد التقليدية

"هدأني calmed me down" للإشارة إلى حقيقة أن مضادات الاكتئاب جعلتها تشعر بقلق أقل. ويمكن أن نرى تعبيرا مشابهًا أقل تقليدية في المقتطف التالي، حيث تتحدث معانية (وتدعى جيل Gill) عن الفوائد التي حصلتها من العلاج النفسي السلوكي المعرفي Cognitive Behavioural Therapy، وقد وضعتُ خطًا تحت التعبير الاستعاري المقصود:

النموذج السادس:

> **لقد علمني أن (أأ) القلق هو شيء يمكنك بالفعل السيطرة عليه إلى حد ما، لكنك تستطيع السيطرة عليه، يمكنك أن تدفعه لأسفل من النقطة القصوى، أنت تعلم، التي لا تكون قادرا فيها على التنفس:: إلى النقطة حيث يمكنك بالفعل التفكير فيه، وما إن تستطيع التفكير فيه فإنك تستطيع البدء في فحصه وما إن تبدأ في فحصه حتى تبدأ في رؤية أنه في الواقع لا يستند إلى أي شيء.**

لقد وصفت خبرة القلق هنا بمفردات السيناريو الاستعاري حيث يرتفع شيء متجاوزًا المستوى الآمن، ويتعين إخفاضه حتى موضع مناسب. يعبر هذا عن الخوف واليأس المرتبط بالقلق، والصعوبات المرتبطة بمحاولة السيطرة عليه.

وختامًا فإن المعانين استخدموا مجموعة من الاستعارات التي تم من خلالها تقديم خبراتهم بمفردات سيناريوهات مادية ملموسة مختلفة. الاستعارات المتنوعة هي مختلفة تمامًا عن بعضها البعض، لكن المثير للانتباه أنها لا تُستخدم مطلقًا في شرح أسباب الاكتئاب أو في ربط المرض ببعض الصفات الشخصية لمن يعاني منه. وفي الواقع، فقد لوحظ في دراسات أخرى أن المعانين من الاكتئاب يميلون إلى شرح المرض على أنه نتيجة لظروف خارجة عن سيطرتهم (مثل مآسي

الطفولة، والضغط، وسوء الحظ)، ويقترحون أن أي شخص في نفس الظروف كان ليعاني من اكتئاب مزمن[1]. لا يفعل كل المشاركين في برنامج **ساعة المرأة** هذا، لكن ليس من المستغرب أن أيًا منهم لم يُرجع الاكتئاب إلى مقاربتهم الشخصية للحياة. وفي القسم التالي سوف أكشف عن أن الموقف مختلف مع المساهمات التي قدمها غير المعانين في النقاش.

الاستعارات التي استخدمها الراعون والخبيرة

دكتورة بيلاني، الاستشارية النفسية المدعوة إلى الاستديو لكي تقوم بدور "الخبير" حول موضوع الاكتئاب، هي صاحبة أكبر مساهمة في النقاش في برنامج ساعة المرأة. طلبت المذيعة منها خلال البرنامج أن تقدم رأيها حول الموضوعات التي طرحها المتصلون، وكان لها ١٨ مداخلة، بمجموع مفردات يزيد قليلا عن ١٦٠٠ كلمة (تمثل ما يزيد بقليل عن ٢٠% من الحديث في البرنامج ككل). تتعامل دكتورة بيلاني مع مجموعة من الموضوعات، تشمل أسباب الاكتئاب وعلاجاته، وردود الفعل الشائعة في بيئة العمل، ونقص الموارد في النظام الصحي القومي **National Health System**.

ليس من المثير للدهشة، بالنظر إلى حجم مساهمة دكتورة بيلاني، أنها أنتجت أيضًا أكبر عدد من الاستعارات للاكتئاب في البرنامج وأكثرها تنويعًا. مع ذلك، فإنها أيضًا أنتجت العديد من الاستعارات الممتدة التي، فيما أظن، ربما تكون جزءًا من ذخيرتها المتخصصة لشرح الأبعاد المتنوعة للاكتئاب. أركز في هذه الجزء تحديدًا على استعارات دكتورة بيلاني، وأوضح كيف أن هذه الاستعارات تتداخل بدرجة أكبر مع تلك التي استخدمها الرعاة أكثر من تلك التي استخدمها المعانون.

---

(١) انظر، Kangas 2001.

الاكتئاب بوصفه مشكلات في الرؤية

أكثر التقابلات لفتًا للنظر بين تفسير المعانين وغير المعانين للاكتئاب، هو أن غير المعانين يُرجعون المرض في بعض الأحيان لنمط حياة المعانين. عبرت دكتورة بيلاني وإحدى الأمهات عن هذا استعاريًا بمفردات المشاكل البصرية والتقابل اللوني (في الأمثلة التالية يشير الحرب (ب) إلى كلام دكتورة بيلاني، ويشير الحرف (م) إلى كلام مارجريت التي تعاني ابنتها من الاكتئاب، تم وضع خط تحت التعبيرات *وثيقة الصلة* فحسب):

النموذج السابع:

> ب. [..] تقليديًا يستطيع/يبدأ الناس الذي يصبحون مكتئبين في التفكير بمفردات السواد الداكن والبياض الناصع، الأشياء التي حولهم تبدو شديدة السوداوية، وكل شخص آخر يعيش حياة بيضاء وردية للغاية، إنهم يعظمون أي شيء سيء يحصل لهم، ويرون فقط الجانب الكارثي والغائم من الحياة، نوعًا ما أنت تقابل المعالج مرة واحدة في الأسبوع في العلاج النفسي المعرفي السلوكي، تحصل على واجب منزلي، ويأخذك المعالج تدريجيًا نحو طريق الكلام المؤدي لفهم أن الحياة ليست أبيض وأسود، بل هناك رمادية/مساحة رمادية يمكن رؤيتها، يمكن/ كما تعلم أن تنطبق عليك بالفعل وهكذا فإنها تجعلك تفكر بشكل أكثر إيجابية//.

النموذج الثامن:

م: نعم ولا، بوضوح لو أنك تميلين نحو التشاؤم وتأخذين نظرة سلبية للحياة [..]

النموذج التاسع:

م: [..] لقد كانت/هي الآن في الحادي والأربعين من عمرها، وكانت دومًا شخصًا ينظر إلى الجانب الأسود من الأشياء، وتجعل الأشياء تتراكم عليها [..]

في النموذج السابع تستخدم بيلاني استعارة ممتدة لتصف نمط الحياة الذي يؤدي "تقليديًا" إلى الاكتئاب، وتشرح كيف يستطيع العلاج النفسي المعرفي السلوكي تقديم المساعدة. وتقوم باستغلال بعض التقابلات الاستعارية التقليدية بين ألوان مختلفة، وكذلك الصياغة المفهومية التقليدية للتفكير والفهم بمفردات الرؤية[١]. يستخدم التعبير "أبيض وأسود" تقليديا ليشي بإدراك تقابل حاسم، غالبًا ما يُقدم بوصفه مبالغًا في التبسيط. يبدأ هذا التعبير في مفتتح النموذج السابع في اقتراح أن من يعانون من الاكتئاب يميلون إلى المبالغة في التقابل بين خبراتهم السلبية الخاصة وخبرات الآخرين الإيجابية. ومن ثمّ، فإن التعارض الاستعاري بين الأشياء التي تبدو "شديدة السواد"، أو "شديدة البياض والوردية" يشي بتقابل إضافي بين السلبية والحزن ("السواد") والإيجابية والسعادة ("أبيض"، "وردي")[٢]. تم تقديم هذا التقابل كنتيجة لعدم قدرة المعاني على "رؤية" الأشياء على نحو سليم. وتم التعبير عن هذا كذلك بواسطة الاستخدام التقليدي للفعل "تضخيم **magnify**"،

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1999: 238ff.

(٢) انظر على سبيل المثال، Kövecses 2000: 25; see also McMullen and Conway 2002.

الذي يشي باهتمام مبالغ فيه بالأبعاد السلبية لحياتهم. ثم وصفت مساهمة المعالج كمحاولة لتقدير إمكانية تطبيق المساحة "الرمادية" على حياة الفرد. وعادة ما تشي كلمة "رمادي" في تعبير "مساحة رمادية" إلى نقص الوضوح، بما له من إيحاءات أقرب إلى السلبية، كما في نحو "كانت هناك مساحة رمادية من اللايقين تسيِّج تلك المشكلات"، وهو مثال مأخوذ من المدونة الوطنية البريطانية[1]. ومع ذلك فإن القدرة على ملاحظة رمادية الحياة هنا تم تقييمها إيجابيًا في مقابل الإدراك الأبيض- الأسود، نظرا لأنها تتوازى مع اعتراف بأن حياة المرء اليومية لها أبعاد إيجابية وسلبية.

تشي الطبيعة الجلية نسبيًا لاستخدام الاستعارة في النموذج السابع بأن هذا ربما يكون أحد الطرق التي تشرح دكتورة بيلاني من خلالها بشكل طبيعي سببًا محتملا من أسباب الاكتئاب لجمهور غير متخصص. تتكرر نفس الاستعارة في النموذج الثامن في الاستخدام الاستعاري التقليدي لاسم هو "منظر/مطل **outlook**"، الذي له معنى أساسي ذو علاقة بالرؤية، لكنه يمكن أن يستخدم للإشارة إلى اتجاه شخص ما نحو شيء ما. تستخدم مارجريت كذلك استعارة لها علاقة بالرؤية لكي تنقل الخصائص التي تربطها بالميول الاكتئابية عند ابنتها. فهي تصف اتجاه ابنتها نحو الحياة بمفردات الانشغال البصري المكثف "التحديق في **looked on**" الأبعاد السلبية للحياة، التي يشار إليها استعاريًا بوصفها "الجانب الأسود من الأشياء".

قد يكون استخدام مارجريت للاستعارة صدى للاستعارات التي استخدمتها دكتورة بيلاني (على الرغم من أن النموذج التاسع يحدث بعد النموذج السابع بأربعة آلاف وخمسمائة كلمة). ومع ذلك فمن اللافت للاهتمام أن كلا من استخدام

---

(١) انظر Deignan 1995: 187ff لاستعارات اللون التقليدية.

الخبيرة وغير الخبيرة للاستعارة يقدم الاكتئاب على أنه نتاج للاتجاه الخاص بالمعاني نحو الحياة، وليس نتاجًا للتنوع الفعلي. وكإخصائية نفسية فإن إرشادات دكتورة بيلاني سوف تخلو من أي اقتراح باللوم. وفي المقابل، فإن كلمات مارجريت تشير إلى درجة من الإحباط من منظور ابنتها للحياة. وفي الواقع، فإن استعارة "الأسود والأبيض" في النموذج التاسع يتم إتباعها بتعبير "تجلب الأشياء فوق كاهلها". ويقدم هذا التعبير الخبرات السلبية استعاريًا بمفردات الأشياء الملموسة التي تسقط على شخص ما، لكن الفعل "يجلب" يشي بأن الشخص المسئول نفسه يتسبب في هذا بفاعلية.

الاكتئاب بوصفه تشقق شريحة ممغنطة

استخدمت دكتورة بيلاني استعارة ممتدة واضحة بشكل معقول في استجابتها للسؤال المتعلق بما إذا كان الناس، استعاريًا، يتعايشون مع قدر لا نهائي من الضغط في محل العمل (تم وضع خط تحت الاستعارات وثيقة الصلة، في حين تم وضع خط منقوط تحت التشبيهات):

النموذج العاشر:

ب: أعتقد مرة ثانية أنه اتجاه جاهل، وأن ثمة إدراكًا خاطئًا بأن أحدًا يستطيع التعايش مع ضغط لا نهائي، الضغط أمر مقبول إلى حد معين لكن لو تحول إلى ضغط مستمر، فإن الجسد يستطيع التعامل فحسب مع حد أقصى للضغط مثل الشريحة الممغنطة. لو أنك ستأخذ تشبيه الشريحة الممغنطة فإنك كلما طرقتها ستتمدد، لكنها تصل إلى نقطة معينة حيث يكون

> لكل شيء حد، وأنها سوف تتشقق، عقل الكائنـــات البـــشرية بشكل ما تشبه الشريحة الممغنطة يمكنك أن تضغط عليه وسوف يعمل بكفاءة إلى نقطة محددة لكن لو أنك وضعت ضغطًا غـــير محدود عليه فإنه سوف يتشقق، وسوف يكون لديك أعـــراض اكتئابية نتيجة لذلك.

لكي تصف التأثيرات السلبية للضغط المستمر، بدأت دكتورة بيلاني بتـــشبيه ("إنه يشبه شريحة ممغنطة") وتذكر بوضوح أنها تستخدم مشابهة. ثم تشير إلى أن الشريحة الممغنطة تتشقق لو أنها طُرقت بشكل مفرط، ثم تكرر التشبيه فيما يتصل بعقل الكائنات البشرية. ثمَّ فسرت التشبيه بواسطة تعبيرات استعارية تصف الضغط بمفردات التمدد، والأعراض الاكتئابية بمفردات تشقق الشريحة الممغنطة.

يستدعي الجمع بين التشبيه والتعبيرات الاستعارية (انظر أيـــضًا النمـــوذج الثامن في الفصل الأول) سيناريو بالغ المحسوسية والمرئية، استُخدم للتعبير عـــن نوع محدد من الخبرة الذهنية.

هذه الصياغة الاستعارية للضغط هي جديدة بشكل كامل بالطبع: مـــصطلح "ضغط" نفسه هو تعبير استعاري شديد التقليدية يعمل على نحو مشابه، نظـــرًا لأن "الضغط" له معنى أساسي ذو صلة بالضغط المادي. مهما يكن من أمر، يبـــدو أن الطريقة التدريجية والواضحة التي تم من خلالها تقديم السيناريو الاستعاري تـــشي بأن هذا كان أيضًا أحد طرق دكتورة بيلاني المعتادة في شرح العلاقة بين الضغط والاكتئاب للإنسان العادي. الطريقة التي تم بها تقديم التناظر بين مجـــال المـــصدر والهدف هي في الواقع من بقايا بعض الأمثلة التي ناقشتها من قبـــل فـــي الفـــصل الخاص بالعلوم والتربية، (الفصل الرابع).

يبين النموذج العاشر أيضا أن دكتورة بيلاني تستخدم استعارات متباينة لتقديم سيناريوهات مختلفة ربما يصبح الناس مكتئبين بواسطتها. ففي حين وُصف الاكتئاب في النموذج السابع والثامن كناتج -جزئيًا- عن صفات المُعاني، وصف في النموذج العاشر كنتيجة لظروف خارجة عن تحكم المُعاني.

استعارات أخرى استخدمها أساسًا غير المعانين

استخدم غير المعانين عددًا آخر من الاستعارات على مدار البرنامج. فقد استغلت كل من الدكتورة بيلاني وأحد المعانين استعارة شديدة التقليدية هي **السعادة علو، والحزن انخفاض**(١). فقد تحدثت دكتورة بيلاني، على سبيل المثال، عن الناس الذين "في أعماق أعماق اكتئاب حاد". تقدم سلسلة من التعبيرات الاستعارية وثيقة الصلة والمتساوية في تقليديتها عملية معاونة المعانين بمفردات الدعم المادي. تحدث مشاركون آخرون عن "دعم **support**" المعانين، ووصفت إحدى المعانيات محاولتها في "مساندتهم **bolster**". التعبير الأخير هو أكثر تحديدًا من "دعم **support**"، نظرًا لأن الاسم **bolster**، في معناه الأكثر أساسية، يشير إلى نوع معين من المساند الطويلة الصلبة. ومع ذلك فإنه يمكن النظر إلى كلا التعبيرين على أنهما تمثيل للاستعارة المفهومية الأكثر عمومًا **المساعدة/المساندة هي الدعم**، التي يمكن أن تنطبق على مجموعة واسعة من مجالات هدف معينة(٢).

تستخدم دكتورة بيلاني، كما ذكرت من قبل، مجموعة أوسع من التعبيرات الاستعارية التي يستخدمها بقية المشاركين. وتتنوع السيناريوهات الاستعارية

---

(١) انظر، Lakoff and Johnson 1980b: 15.

(٢) انظر، Grady 1997a, Semino 2005.

المقترحة بواسطة تلك التعبيرات، تبعًا للدور المنسوب إلى المعانين من الاكتئاب في بدايات المرض وتطوره، من بين أشياء أخرى، ومن ثمَّ، تبعًا لدرجة التعاطف التي يتم التعبير عنها نحو صعوباتهم. وفي حين أن الاستعارات المرئية التي ناقشتها سابقًا تشي بأن الاكتئاب ربما ينتج عن منظور المعاني الخاص للحياة، فإن دكتورة بيلاني تستخدم كذلك العديد من الاستعارات التي يتم فيها تصوير الاكتئاب كمهاجم خارجي. فهي توضح على سبيل المثال أن الاكتئاب "يمكن أن يضرب أي شخص"، وتصف المعانين بأنهم "ضحايا". تعبر هذه التعبيرات عن تعاطف أكبر مع المعانين، وتشي بأن المرض ليس متعلقًا باتجاهات المرضى أو أفعالهم تجاهه. وعلى الرغم من أن الصياغة المفاهيمية للمرض بوصفه عدوًا، كما سبق أن ذكرت، تعد شديدة التقليدية، فإن معانيًا واحدًا هو الذي استخدمها في البيانات التي لدي، وهو يصف نفسه على أنه ما يزال "يعارك **battling**" مع الاكتئاب.

وأخيرًا فإن أحد مساهمي دكتورة بيلاني يضمِّن تعليقًا على أصل الاستعارة التأثيلية التي يستخدمها أحد المشاركين بشكل متكرر، وهي على وجه التحديد "وصمة **stigma**" مرتبطة بالاكتئاب:

النموذج الحادي عشر:

> **ينظر المجتمع إلى الناس الذين لديهم أمراض عقلية على أنهم مختلفون وموصومون (أأ) يعر/يعرف قاموس أكسفورد للغة الإنجليزية الوصمة كعلامة على العار وسوء السمعة، ومن ثمَّ فإن أي شيء يقصي الناس عن بقية المجتمع بشكل سلبي، يسبب وصمة تنطبق على ذلك الشخص.**

وفي الواقع فإن "الوصمة" لها معنى (ارتكازي باتساع) ذات صلة بالعلامات المادية التي توجد على جلود الناس الذين اقترفوا جرائم معينة. هذا النوع من

التعليقات الشارحة لغويا تسهم في تأكيد دور الدكتورة بيلاني كخبيرة، لكنها تشي أيضا بإدراكها لأن الناس يحتاجون إلى الوعي بالأصول (الاستعارية) المرتبطة بالاكتئاب، وللوعي بكيفية اكتساب المفردات لمعانيها وإيحاءاتها الحالية.

ملاحظات ختامية

لقد أوضح تحليلي، في المحصلة النهائية، أن المشاركين في برنامج *ساعة المرأة* استخدموا مجموعة من الاستعارات للتعبير عن خبراتهم أو فهمهم لمجموعة من أبعاد الاكتئاب. وينطبق هذا خصوصًا على العديد من أبعاد الاكتئاب التي تكون شديدة الذاتية والتجريد والتعقيد مثل الطرق التي ربما يبدأ بها الاكتئاب أو حساسية كون المرء مكتئبًا. وعمومًا فإن البيانات تكشف عن ظاهرة يسميها جواتلي "التنوعيَّة **diversification**"، أي استخدام مجالات مصدر أو سيناريوهات مختلفة فيما يتعلق بنفس المجال المستهدف الواسع. لقد أوضحت، بمفردات نصية، كيف استُغِلت سيناريوهات ومجالات المصدر المختلفة بواسطة التكرار (مثل "دعم" المرضى) والتواتر (مثل استخدام تعبيرات لها صلة بالحركة)، والامتداد (كما هو الحال في مثال "الشريحة الممغنطة"). يمكن رؤية شواهد التكرار والتواتر عبر المتكلمين كدليل على أن المشاركين يردد كل منهم الاستخدامات الاستعارية للآخر، إلى حد ما على الأقل. على الرغم من ذلك فإن معظم التعبيرات المتضمنة هي شديدة التقليدية، لذا من الصعب تقديم ادعاءات محددة بالتأثيرات المتبادلة في استخدام الاستعارة.

يمكن النظر إلى العديد من الأمثلة التي درستها على أنها عناقيد استعارية، نظرًا لأن كثافتها الاستعارية أعلى من المتوسط بالنسبة للبرنامج ككل. تميل العناقيد

الاستعارية إلى التناظر مع لحظات يحاول فيها المشاركون التعبير عن خبرات مهمة على نحو خاص، أو اقتراح تفسيرات معينة. يستخدم جيل **Gill**، في النموذج الخامس، على سبيل المثال، استعارة ممتدة **للرحلة** (مثل "هناك أماكن لا يمكنك الذهاب إليها فحسب") للتعبير عن حقيقة أن بعض الموضوعات تستحيل مناقشتها ما لم يكن المريض يثق في المعالج ثقة تامة. ووفقًا لتحليلي فإن المقتطف ذا الخمسين كلمة الذي استشهدت به فيما سبق يحتوي على ١٢ كلمة استخدمت استعاريًا (انظر الكلمات الموضوع تحتها خط في النموذج الخامس). يتناظر هذا مع الكلمات المائتين والأربعين التي استخدمت استعاريًا من بين ١٠٠٠ كلمة، وهو ما يزيد عن المعدل بالنسبة للبرنامج ككل (١٣٠ كلمة لكل ألف كلمة).

لقد أوضحت كذلك كيف أن اختيار مجال أو سيناريو المصدر يؤثر على الطريقة التي يتم من خلالها تصوير الاكتئاب، وخاصة الطريقة التي يُنظر بواسطتها إلى دور المعانين. من المثير للاهتمام أن المعانين وغير المعانين يستخدمون استعارات مختلفة على مدار البرنامج، خاصة فيما يتعلق ببداية الاكتئاب. يبدو أن هذا يعكس منظورات متباينة حول المرض: فعلى الرغم من أن المعانين يميلون إلى الشعور بالذنب، فإنهم لا يقدمون أنفسهم كمسئولين بأي شكل عن المرض، في حين أن غير المعانين يرون الاكتئاب بوصفه نتيجة محتملة لسمات المرضى الخاصة. كذلك لا يبدو أن المرضى يستخدمون الاستعارات التي تسند إليهم دورا محوريًا في عملية التعافي، إلا فيما يتعلق بسيناريو يحاول فيه شخص الخروج من منطقة أو وعاء غير سار. وأخيرًا فقد أوضحتُ كيف تستخدم الخبيرة التي كانت المساهم الرئيسي في المناقشة مجموعة أوسع من الاستعارات من تلك التي استخدمها المشاركون، وتمدها بطرق تبدو مجهزة سلفا، إلى حد ما على الأقل. توفر تلك الاستعارات المهنية صياغة مفاهيمية مختلفة للمرضى

وللمريض، وتستخدم لشرح ظواهر متباينة بمفردات سهلة لكي تقدم منظورات متباينة حول قضايا معينة (مثل بداية الاكتئاب)، وللتعبير عن التعاطف والتفهم (مثل استعارة "الضحايا").

ملخص

درست في هذا الفصل دور الاستعارة في نوع واسع الانتشار على نحو خاص (الإعلان) وخطاب بالغ الحساسية (خطاب المرض). أوضحت في الحالة الأولى - التي تتضمن إعلان ملصق عن شراب لوكوزاد - كيف استُغلت الاستعارة لجذب انتباه المشاهدين، وكذلك لكي تُسقط صفات إيجابية على المنتج. ناقشت التفاعل بين الاستعارة اللفظية والبصرية، ولاحظت كيف كان المكان الذي قُصد أن يُرى فيه الإعلان حافزًا على اختيار مجال المصدر.

اهتمت دراسة الحالة الثانية ببرنامج اتصال هاتفي في الراديو حول موضوع الاكتئاب. أوضحت كيف استخدم المشاركون مجموعة من الاستعارات للحديث عن الأبعاد المختلفة للمرض، ولاحظت بعض الاختلافات المهمة بين الاستعارات التي استخدمها منْ يعانون من المرض، واستعارات غير المعانين، والاستعارات التي يستخدمها المعالج النفسي في مقابل غير الخبراء. وقد سعى هذا الفصل في المجمل إلى البرهنة على أن مركزية الاستعارة في التواصل والفكر تتجاوز كثيرا الحقول والأنواع التي درستها في الفصل الثاني والثالث والرابع.

الفصل السادس

المدونة والاستعارة

مثال تمهيدي: الاستخدامات الاستعارية للصفة "ثري":

استعنت في الفصول السابقة بالمدونة اللغوية الإلكترونية؛ من أجل توضيح بعض النقاط، ومساندة بعض الآراء التي تخص الأنماط التقليدية في استخدام الاستعارة. وفي هذا الفصل سوف أحاول كشف النقاب عن الدور الذي أسهم به علم لغويات المدونة **corpus linguistics** في دراسة الاستعارة. ويعد مجال دراسة الاستعارة من خلال المدونة **corpus-based metaphor**، مجالاً جديداً نسبيًا، ولكنه حقق بعض النتائج الملحوظة، كما تلوح في الأفق إمكانية التقدم الكبير في هذا المجال. وسوف أبدأ - كما هي العادة - بمثال تمهيدي.

يرى لاكوف (١٩٩٣) أنه توجد علاقة وثيقة بين استعارتين تقليديتين لهما علاقة بالمفاهيم وهما: الحياة عبارة عن رحلة **Life is a journey**، والحياة الغائية تجارة[١] **A purposeful life is a business**. وتقوم هذه العلاقة التي يصفها لاكوف بالازدواجية **duality** على العديد من الأساليب التي تستخدم الاستعارة؛ للإشارة إلى الغرض من هذه الحياة، من خلال تصوير الحياة على أنها مقصد أو جهة وصول **destination** في تعبير "الحياة عبارة عن رحلة"، وأنها عبارة عن غنيمة أو تجارة يسعى الإنسان للحصول عليها في تعبير "الحياة الغائية تجارة". وأود أن أشير إلى أنني لن أشغل القارئ بمناقشة رأي لاكوف الذي يشير إلى أن الازدواجية هي ظاهرة مهمة وشائعة، ولكن الذي يهمني أن ينشغل القارئ به هو الدليل اللغوي الذي يطرحه لاكوف مؤيدًا استعارة "الحياة الغائية تجارة" كما يلي:

---

(١) يرى لاكوف أن كلمة الازدواجية duality تصف هذه الظاهرة؛ بمعنى أن بعض الاستعارات تشكل "أزواجًا" يتم داخلها (داخل هذه الأزواج) تشكيل المفهوم كشيء أو مكان.

يحيا فلان حياة الأثرياء. وهذه تجربة ثرية. أريد أن أحصل على أقصى ما أستطيع عليه من هذه الحياة. هو مشغول بأمور الحياة اليومية. حان الوقت أن أحصل على نصيب من هذه الحياة[١].

وإذا تأملنا الجمل التي ذكرها لاكوف، لاكتشفنا أن اثنين من الأمثلة اللغوية الخمسة التي ذكرتها تحتوي على تعبيرات استعارية تثير في النفس المجال الأصلي وهو تحقيق المغانم والربح التجاري، مثل "احصل على نصيب من هذه الحياة". كما أن جملة "أريد أن أحصل على أقصى ما أستطيع أن أحصل عليه من هذه الحياة" تحتوي على مفردات عامة، لها علاقة بصورة الإناء والوعاء الذي يود الجميع أن يغترف منه. وفي الجملتين الأوليين، نجد أن هناك لفظين لهما علاقة بفكرة المغنم والربح التجاري هما "الأثرياء" و"ثرية". ومن النظرة الأولى، يبدو الأمر منطقيًا في عالمنا المعاصر، حيث توجد علاقة وثيقة بين الثروة والتجارة.

وفي الواقع يشير لاكوف لهذه الثقافة (التجارية المسيطرة)، والتي يقصد بها ثقافة أمريكا الشمالية، حينما يشير إلى أن النشاط الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يحصل منه على ما يصبو إليه هو مجال التجارة والأعمال. ولكن ما زال ذكر كلمتي "الأثرياء" و"ثرية" تحت مظلة تعبير "الحياة الغائية تجارة" يمثل إشكالية لي؛ لأن التعبيرات الاستعارية التقليدية عادة ما تعكس صورًا للمجتمعات والثقافات السابقة، ومن ثم لا نستطيع أن نفسرها تفسيرًا كاملاً في ظل معطيات هذا العصر[٢]. وبصفة عامة، فإن اهتمامي بهذه الأمثلة يثير قضية تتعلق بتوفر الدليل الكافي على وجود مثل هذه الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم.

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها لاكوف في عام ١٩٩٣، صفحة ٢٢٧.

(٢) انظر الدراسة التي قامت بها ديجنان في عام Deignan ٢٠٠٣، والدراسة التي قام ماكارثر McArthur في عام ٢٠٠٥.

وسوف أنتقل الآن للحديث عن الصفة ثري (أو غني) rich (ومشتقاتها)، موضحًا كيف يمكن للتحليل المبني على المدونة corpus-based analysis الإسهام في فهمنا لكيفية استخدام هذه الكلمة استعاريًا. وللقيام بهذا العمل، قمت باستخدام البرنامج الحاسوبي المعروف باسم ووردسميث تولز WardSmith للبحث عن الكلمة المذكورة في عينة من المدونة البريطانية الوطنية والتي تحتوي على ٢ مليون كلمة، وهي جزء من المدونة البريطانية الوطنية التي تتكون من ١٠٠ مليون كلمة. وتحتوي العينة التي اخترتها على بيانات صوتية وكتابية، ويحتوي الجزء المكتوب على وجه الخصوص على أمثلة مأخوذة من فنون وأنواع الكتابة المختلفة كالرواية، والتقارير الإخبارية والنصوص الأكاديمية (ولمزيد من التفاصيل، أرجو زيارة هذا الموقع الإلكتروني www.comp.lancs.ac.uk).

وقد انتهيت في بحثي عن الكلمة في العينة المذكورة إلى تكوين فهرس أبجدي يحتوي على ١٣٩ مثالاً، سواء استخدمت فيها هذه الكلمة صفة أو اسمًا (أو أحد المشتقات الأخرى). وفي واقع الأمر، ساعدني برنامج ووردسميث تولز على فتح آفاق لغوية جديدة لي، وخاصة إذا أردت أن أدرس أمثلة بعينها لمزيد من الفحص والتمحيص.

وهذا التحليل المبني على الفهرس الأبجدي يمثل حالة مثالية لإجراء دراسة لغوية وبلاغية لعدد أكبر من الأمثلة التي تتناول تعبيرات بعينها، خاصة إذا كانت هذه التعبيرات شائعة بين الناس، كما هو الحال مع كلمة "ثري" (أو "غني" ومشتقاتها). ولكني هنا أريد أن أوضح مدى النفاذ الاستبصاري الذي يمكن أن يصل إليه المرء، إذا ما استخدم عددًا صغيرًا (نسبيًا) من النصوص، وعددا كبيرًا من الأمثلة.

RICH: 139 entries (sort: File,File)

N	Concordance	Set	File
1	mment cannot and should not do everything. In Britain we have a rich reserve of good will, energy, commitment in our voluntary se		cg'jng.txt
2	Is being encouraged, it's to lower wages and condition and give rich financial benefits to the few. There is a rule for a central rese		cg'hlw.txt
3	. but I've been very happy you know, ups and downs. Never very rich. And n no great heights and no great depths either. D d		g'hem.txt
4	I a million people, in operations large and small. Few will ever get rich, but between them they've produced, in recent years, nearly t		g'he4.txt
5	e production of base load electricity. It's a market that despite our rich coal reserves, is fixed in such a way that it ensures that befor		cg'hd?.txt
6	get changed the basic rules which ensure that a country which is rich in coal resources ensures that it makes the most of the use o		cg'hdt.txt
7	dad what politics were about and he said, well Tories are for the rich and Labour's for the poor. The only thing the Tories can't tax		cg'hdt.txt
8	eds a balanced energy policy, which ensures that our varied and rich reserves are utilized in the most efficient way. The qualificati		cg'hdt.txt
9	teract with our systems though an interactive self teaching sentry rich environment. So we can get rid of all of those different costly		g'hdg.txt
10	storically, poor countries were introduced to international trade by rich ones like ours, because they were introduced as colonies. T		g'g3u.txt
11	ed. The poorest countries still produce the raw materials. But the rich countries, ourselves, do the rest. They provide the shipping. I		g'g3u.txt
12	he the reason this has occurred is because of a poverty amongst rich countries rich people which is causing poverty amongst poor		g'g3u.txt
13	this has occurred is because of a poverty amongst rich countries rich people which is causing poverty amongst poor people which		g'g3u.txt
14	using poverty amongst poor people which is material. Maybe this rich people's poverty is, is a moral poverty. When we think of love		g'g3u.txt
15	And Jose in fact talked er in terms of the poor evangelizing the rich. That was how he put it in his theological terms. And that wa		g'g3u.txt
16	unning short of cash. Well they, they better start with perhaps the rich? And er, by the way, pensions, pensions are er, are taxed!		cg'fx5.txt
17	re's no good leaving nothing to the spouse, unless that spouse is rich in his or her own right Rich in comparative terms, then there		cg'fms.txt
18	g to the spouse, unless that spouse is rich in his or her own right Rich in comparative terms, then there may be good reasons not t		cg'fms.txt
19	you know the grace of our lord Jesus Christ, that though he was rich for your sakes he became poor, so that you through his pove		cg'flu.txt
20	sakes he became poor, so that you through his poverty might be rich, god, he's purpose follows his people, he's not that we've ad		cg'flu.txt
21	mothy in his first letter in chapter six it is command those who are rich in this present world not to be arrogant or to put their hope in		cg'flu.txt
22	I feel like to eat my Mars bar now me, rich. I was gonna say me and rich, no I dont think so no that's j		g'kpg.txt
23	me, rich. I was gonna say me and rich, no I don't think so no that's just where they 'll be a flush. Do		g'kpg.txt
24	ple have money if the people have money Well they do, look, the rich people can buy a house any time they want Mm, mm		g'kdu.txt
25	can buy a house any time they want Mm, mm and the rich will buy a house in this area, like you have Embassy people		g'kdu.txt
26	asily got Oh my God. Well I remember a doctor and a rich man saying to me, I'm gonna get out of this place, it's just lik		g'kdu.txt
27	Yeah, I mean she wants to get out and She wants a rich good looking chap then, she		g'kdm.txt
28	oh who've you been on the phone to tonight? Mat and Rich, but, but Mat last are you seeing Katie this week?		g'kd6.txt
29	Wealth. Ingots. Rich. Ingots. He got Wealth, Ingots. Rich. Ingots. He got him, he got		g'kd0.txt
30	got it? What was it? Rich. Sounds like ditch. Oh blim		g'kd0.txt
31	in the afternoon, so I don't know. God! Rich bastard. But I says how can they make money now, how ca		cg'kca.txt
32	ing girls right, but they've both married, they're both involved with rich farmers. Liz married a farmer from when they got married, ju		cg'kca.txt
33	thing to say but I don't necessarily mind people robbing from the rich but when it's poor people robbing from the poor, it's a really		cg'kc7.txt

من بين ال ١٣٩ مثالاً التي وجدتها لكلمة "ثري" (أو "غني")، يوجد سبعة أمثلة لا علاقة لها بتحليلي، فبعضها كان اسم علم **proper name**، الاسم الأول أو الثاني لبعض الناس، والبعض الآخر كان مستخدمًا من قبل بعض اللاعبين في لعبة تكوين الكلمات **scrabble** (وهي لعبة يقوم فيها اللاعبون باستخدام حروف في شكل قطع لتكوين الكلمات على لوح). وكشف لي التحليل اللغوي أن ٦١ مثالاً من ال ١٣٢ المتبقية كان استخدام الكلمة فيها استخدامًا حرفيا (غير استعاري). وإليكم بعض الأمثلة التي استخدمت فيها كلمة ثري بمعناها المحض، بمعنى الإشارة إلى الثروة والإمكانيات المادية، فيما يتعلق بالناس والجماعات، والدول:

- **تمتلك بريطانيا مخزونًا ثريًا من الطاقة.**
- **عشت الحياة بحلوها ومرها، لكني ما كنت ثريًا في يوم من الأيام.**
- **تمتلك الدولة الثرية مستقبلاً أفضل فيما يتعلق بمستوى المعيشة.**
- **يعاني بعض الأثرياء من الفقر الأخلاقي.**
- **تزوجت ليزا من مزارع ثري يمتلك مزارع واسعة.**

النموذج الأول: صرح قائلاً: "حزب المحافظين هو حزب **الأثرياء**، وحزب العمال هو حزب الفقراء".

النموذج الثاني: ساعدت الدول **الغنية** – كدولتنا – الدول الفقيرة في دخول مجال التجارة الدولية.

أما في الـ ١٧ مثالاً المتبقية، فكان استخدام كلمة "ثري" (أو "غني") فيها استخدامًا استعاريًا، بمعنى أنها لم تستخدم للإشارة للثروة المادية، ولكن للإشارة إلى مجموعة من الصفات، تتشكل استعاريًا عن طريق فكرة الثروة. ويمكن تحديد الأنماط الأكثر تحديدًا داخل الأمثلة الاستعارية، وإليكم بعض النماذج:

النموذج الثالث: يتميز هذا السوق الغني بمخزونه من الفحم بالثبات.

النموذج الرابع: يتميز متنزه جيمسبوك الوطني **بثراء** الحياة البرية.

النموذج الخامس: تنمو سيقان النباتات ذات الأوراق في التربة الرطبة **الغنية** بالعناصر المختلفة.

النموذج السادس: تضيف المهرجانات والمعارض **ثراءً** إلى ثقافات الشعوب وتراثها الفني والمعماري و الموسيقي.

النموذج السابع: لدينا في بريطانيا مخزون **ثري** من الحماس، والطاقة، والالتزام تجاه العمل التطوعي.

في هذه النماذج الخمسة، يتبين لنا أن كلمة "ثري" (أو "ثراء" أو "أثرياء"، أو "الغني" أو "الغنية") استخدمت للإشارة إلى وفرة شيء، ينظر إليه الجميع بعين التقدير. ولكن يختلف كل نموذج عن الآخر في نوعية الوفرة، والمجال المستهدف المقصود. ففي النموذج الثالث، استخدمت كلمة "ثري"؛ للإشارة إلى وفرة مورد طبيعي له قيمته المادية والمالية. أما في النموذج الرابع، فنجد أن كلمة "ثراء" تشير إلى وفرة شكل معين من أشكال الحياة في منطقة محددة، ويشار إليه بشكل إيجابي، ولكنه ليس له أي مردود مالي مباشر. أما في النموذج الخامس، فإن كلمة "الغنية" استخدمت للإشارة إلى خصوبة التربة، وجودتها العالية. أما في النموذجين السادس والسابع، فنجد أن كلمتي "ثراء" و"ثري" قد استخدمتا؛ للإشارة إلى المجردات ممثلة في الوفرة الثقافية، وتنوع الأنشطة في مكان بعينه. وفي المثال السابع على وجه التحديد، نجد إشارة إلى وفرة سمات إيجابية بعينها في شعب بعينه (وبالمناسبة كلمة مخزون في هذا المثال استخدمت بشكل استعاري).

ويشمل الفهرس الأبجدي **concordance** ما بين ستة لثمانية أمثلـــة أخـــرى، استخدمت فيها كلمة "ثري" (أو مشتقاتها) استعاريًا، وهو ما يصل بنا إلـــى نـــصف الأمثلة الموجودة في مدونة الكلمة. وتشمل مدونة الكلمة مثالين لتعبير درج النـــاس على استخدامه وهو العائدات (الغنائم) القيمة **rich pickings**، وهو تعبير يشير إلى يسر كسب المال، أو الأشياء ذات القيمة المادية. أما معظم الأمثلة التي وردت فيها كلمة "ثري" (ومشتقاتها) بشكل استعاري في الفهرس الأبجدي الذي أعددتـــه، فلهـــا علاقة بسمات بعض الأشياء التي تستقبلها الحواس، وإليكم بعض هذه الأمثلة:

النموذج الثامن: نسعى لإنتاج أقمشة لها نعومة الحرير، ومظهر يـــنم عـــن **ثراء** الألوان.

النموذج التاسع: رأيت أوراق الشجر في الخريف تجمع **ثراء** اللون الأحمر مع حيوية اللون الأخضر.

النموذج العاشر: يتميز صوت هذا المطرب بقوته **وثراء** عروضه الموسيقية.

النموذج الحادي العاشر: يتميز الهواء في هذه المنطقـــة الـــساحلية **بثـــراء** عجيب في الروائح الطيبة.

ففي النموذج الثامن، نجد أن كلمة "ثراء" تشير إلى أن الأقمـــشة المقـــصودة تبدو غالية الثمن، ولكنها أيضًا تبدو جميلة، ولها تأثير بصري **visual effect** طيب. ويمكنني القول إن إحداث التأثير الطيب هو الرابطة التي جمعت بين النماذج الثلاثة التالية. سواء أكان هذا التأثير له علاقة بالرؤية، أم الصوت، أم حاسة الـــشم. كمـــا يوجد لديّ مثالان استخدمت فيهما كلمة غني؛ للإشارة إلى حاسة التذوق (مثل كعكة غنية بالشيكولاتة) **rich chocolate cake**. وكلمة "غني" هنا توحي بوفرة عناصـــر بعينها؛ مما يعطي مذاقا معينا للطعام.

ولأن الفهرس الأبجدي الذي أعددته كان يضم عددًا صغيرًا نسبيًا من الأمثلة، فقد تمكنت من استخلاص أكثر من خمسين كلمة أو تعبيرًا تتصاحب لفظيًا collocate مع كلمة "ثري" (أو "غني" ومشتقاتها) موجودة في المدونة البريطانية الوطنية، وهو يحتوي – كما ذكرت سابقًا – على تسعين مليون كلمة مأخوذة من مدونة مكتوبة باللهجة البريطانية، وعشرة ملايين كلمة من التراث الشفاهي منذ نهاية القرن العشرين، وحتى يومنا هذا.

ولكي أكون أكثر تحديدًا، لجأت للنسخة الموجودة على شبكة الإنترنت من المدونة البريطانية الوطنية، واستخدمت بعض الوسائل والأدوات، التي مكنتني من الحصول على قائمة بالمفردات التي تتصاحب لفظيا مع كلمة "ثري"[(١)]. وأكد تحليلي لهذه الصواحب اللفظية ملاحظتي الشخصية التي استقيتها من الفهرس الأبجدي الخاص بي. وعلاوة على ذلك، لفت هذا التحليل نظري إلى استخدام كلمة "غني"؛ للإشارة إلى بعض الأطعمة "الغنية" بالدهون، والتي يصعب هضمها، وهي من الأمثلة التي لم تلق مني الاهتمام الكافي في قائمة الاستخدامات التي لها علاقة بالحواس، والتي ذكرتها سابقًا (وخير مثال على ذلك هذه الجملة: "أصبح الأطباء على وشك حل لغز طالما حيرهم، وهو كيف يأكل الفرنسيون أطعمة **غنية** بالدهون، ولا يمارسون الرياضة بالقدر المطلوب، ومع ذلك لا يصابون بأمراض القلب، بنفس النسبة التي تصاب بها بقية الشعوب).

فما هي يا تُرى النتائج التي يمكن الوصول إليها بناءً على هذا النوع من التحليل؟ بمعنى أدق ما المعاني المتضمنة والإيحاءات الخاصة بالتحليل الذي قمت

---

(١) يشير "التصاحب اللفظي" هنا إلى مجموعة من الكلمات، تبلغ خمس كلمات، ترد على يمين ويسار الكلمة التي نحن بصدد دراستها.

به للتراث النصي، فيما يتعلق برأى لاكوف أن تعبير: "كان يحيا حياة الأثرياء" يعد دليلاً على وجود استعارة لها علاقة بالمفاهيم، وهي استعارة أن "الحياة تجارة"؟

لا يستطيع التحليل الذي قمت به أن يتحدى الرأي الذي يقول إنه توجد بعض الأنماط الاستعارية في اللغة الإنجليزية التي تعد دليلاً على وجود استعارة تشير إلى مفهوم "الحياة تجارة". ولكن المقصد من التحليل الذي قمت به هو إثارة تساؤل حول ما إذا كان تعبير "حياة ثرية" (أو "حياة الأثرياء") **rich life** يعد جزءًا من نمط له علاقة وثيقة بالاستعارة المذكورة. وفي واقع الأمر فإن كلمة "الحياة" لا تدخل في قائمة أكثر خمسين كلمة تتصاحب لفظيًا مع كلمة "ثري"؛ وحينما بحثت في المدونة البريطانية الوطنية عن هذا التصاحب، لم أجده موجودًا إلا في أربعة أمثلة، أحدها كان اسمًا لشركة تجارية.

ويجب الإشارة إلى أن البيانات والإحصائيات المأخوذة من المدونة، تشير إلى أن كلمة "ثري" يشيع استخدامها استعاريًا مع بعض العناصر والصفات المستقاة من عدد من المجالات المستهدفة، التي تشمل على وجه الخصوص مجالات مثل: الموارد الطبيعية، والأراضي، والثقافة، والطعام، والحواس. وتثير كلمة "ثري" في الذهن معاني، وصفات، وخصائص، لها علاقة بالوفرة في المقام الأول، والتنوع والكثافة في بعض الحالات. ويتضح هذا جليًا في النماذج التي ذكرتها سابقًا.

وفي معظم الحالات، نجد أن كلمة "ثري" توحي بوجود تقدير إيجابي، بمعنى أن الوفرة التي تشير إليها الكلمة، هي وفرة ذات قيمة، ولها مردود إيجابي. وهذا يمكن تفسيره؛ لأن كلمة "ثري" تشير إلى توفر المال وربما الممتلكات، وهو شيء يجده الإنسان أمرًا إيجابيًا. ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن الوفرة قد تكون أحيانًا سلبية، كما هو الحال في المثال الذي كان يتحدث عن "وفرة" الدهون في بعض الأطعمة[1].

---

(١) وتستخدم كلمة rich أيضا بالمعنى السلبي في تعبير دارج وهو "That's (a bit) rich"، والذي يستخدم حينما ينتقد شخص الآخرين على شيء يفعله هو نفسه.

وإذا عدنا مرة أخرى لرأي لاكوف، فسنجد أن تعبير "حياة ثرية" أو "حياة الأثرياء" (وهو تعبير شائع في اللهجة البريطانية) ليس جزءًا من النمط الذي ينقل المصدر الأصلي، وهو التجارة، إلى المصدر المستهدف، وهو الحياة. فعلى العكس يمثل هذا التعبير جزءًا من النمط الذي ينقل الوفرة (فضلاً عن التنوع والكثافة) من شيء – له عادة – معان إيجابية إلى عدد من المجالات المستهدفة، من خلال استخدام لغة الثروة والمال. ومن ثم فإن الصورة التي تتشكل لدينا ليست صورة كسب المال والممتلكات، وإنما صفة امتلاكهما.

وبصفة عامة، يمكنني القول إن الثروة أصبحت ترتبط بالأنشطة التجارية في العصور القريبة نسبيًا، فالتاريخ اللغوي لكلمة "ثري" بدأ في عصور كانت الثروة فيها تُورّث، ولا تُكتسب من الأنشطة التجارية (وأول استخدام لهذه الكلمة ذكر في قاموس أكسفورد يعود إلى عام ٩٠٠ ميلاديا). كما أن تشكيل الثروة في شكل الوفرة، والتنوع يمكن أن يفسر لنا بشكل مرض تعبير "يحيا حياة الأثرياء" والذي يعطي إيحاءات بأن حياة الشخص (المقصود) بها تجارب وخبرات تتسم بالاختلاف، والكثافة، والإيجابية. فإذا كان هناك وجود لاستعارة "الحياة تجارة"، فإن الدليل على وجودها ليس في المدونة التي أشرت إليها[1]. وسوف أحاول في بقية هذا الفصل توضيح كيف يمكن استخدام الأساليب القائمة على المدونة في طرح الأسئلة حول الآراء التي وردت في نظرية الاستعارة المعرفية؛ لإلقاء المزيد من الضوء على دراسة الاستعارة بصفة عامة. ولهذا استخدمت المدونة لإجراء

---

(١) يجب أن أوضح أن الاستعانة ببعض القواميس كان سيؤدي بأي باحث إلى نفس الملاحظات التي توصلت إليها من خلال الاستعانة بالتراث النصي، وخاصة تلك القواميس القائمة على التراث النصي مثل قاموس ماكميلان، وقاموس كولينز ولكن لن تجد في هذه القواميس المعلومات المتعلقة بعدد مرات ورود كلمة rich ولا تعبير "rich life".

استقصاء عن استخدام اللغة في بعض أنواع الكتابة، فضلاً عن عقد مقارنات بين الاستعارة المستخدمة في لغات وثقافات مختلفة، ولعل السبب الذي جعلني أقوم بدراسة حالة واحدة في هذا الفصل، هو أنني قمت بالفعل بشرح مدى قابلية أساليب الدراسة القائمة على المدونة للتطبيق.

اختيار المدونة والعثور على التعبيرات الاستعارية:

ولعل الأمر أصبح واضحًا الآن أنني أستخدم كلمة مدونة **copora** للإشارة إلى مجموعة من النصوص المخزونة في شكل إليكتروني، ويمكن البحث فيها باستخدام بعض البرامج الحاسوبية. ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن هذه النصوص تختلف من حيث الحجم، واللغة، والنماذج اللغوية التي تحتوي عليها، فضلاً عن أي معلومات إضافية يمكن أن تضاف لها.

فبعض هذه النصوص تعطي لنا صورة عن لغة بعينها، في مكان أو منطقة (من العالم) بعينها، في زمان بعينه. وتبدو هذه المدونة "ضخمةً"، ولكن "ضخامتها" تزيد بزيادة "ضخامة" التطور الذي تشهده البرامج الحاسوبية. والمدونة التي استخدمتها في هذا الكتاب، هي المدونة البريطانية الوطنية **BNC**. وتحتوي هذه المدونة على مائة مليون كلمة مأخوذة من اللهجة البريطانية منذ أواخر القرن العشرين وحتى الآن.

وتتكون هذه المدونة من عشرة ملايين كلمة موصَّفة صوتيًا **transcribed**، مأخوذة من عدد كبير من المحادثات، والاجتماعات، والمحاضرات. أما التسعون مليون كلمة الأخرى (المكتوبة) فمأخوذة من عدد من النصوص التي تمثل أنواع الكتابة المختلفة، والتي تنتمي لتسعة مجالات مثل: الكتابة الإبداعية، والعلوم البحتة،

والعلوم الطبيعية،...إلخ. وقد خضعت هذه المدونة الضخمة لبعض البرامج الحاسوبية، التي قسمت الكلمات الواردة فيها إلى أنواع كالاسم، والصفة، والفعل. ولمزيد من المعلومات أرجو الدخول على الموقع الآتي **www.natcorp.ox.ac.uk**.

ولا شك أن استخدام المدونة البريطانية الوطنية يمثل وسيلة مريحة للاطلاع، ومن ثم التحليل، ولكني أود أن أقدم استعراضًا سريعًا لأنواع المدونات الأخرى (لمزيد من المعلومات عن المدونات واللغوية الأخرى[1]). فعلى سبيل المثال، يختلف بنك المدونة الإنجليزية **Bank of English Corpus** عن المدونة البريطانية الوطنية في عدة أوجه (لمزيد من التفاصيل أرجو زيارة الموقع **www.titania.bham.ac.uk**). فالبنك يحتوي على نصوص كاملة، بينما في كثير من الأحوال تحتوي المدونة البريطانية الوطنية على عينات من النصوص. كما أن البنك يحتوي على بيانات نصية ومنطوقة من مختلف لهجات اللغة الإنجليزية، بينما لا تحتوي المدونة البريطانية الوطنية إلا على اللهجة البريطانية فقط. كما يمكن إضافة مواد جديدة للبنك، بينما للتراث النصي القومي حجم ثابت (ففي عام ٢٠٠٢ مثلاً بلغ حجم الكلمات التي يحتويها البنك ٤٥٠ مليون كلمة، ولكن هذا العدد آخذ في الزيادة). كما لا يوجد تساو بين أنواع الكتابة والمجالات التي يحتويها البنك، فضلاً على أن الكلمات فيه ليست مصنفة إلى فعل، واسم، وصفة...إلخ، كما هو الحال في المدونة البريطانية الوطنية. ولكن توجد وسائل بحثية تمكنني من البحث عن أي كلمة، كما هو الحال في المدونة الوطنية.

وتختلف المدونات الأخرى عن هاتين المدونتين في أنها تجمع نصوصًا تنتمي للهجات اللغة الإنجليزية المختلفة (مثل **مدونة براون للهجة الأمريكية**

---

(١) انظر كتاب بايبر Biber ١٩٩٨، وكتاب مكينيري وويلسون McEnery and Wilson.

(Brown Corpus of American English)، والفترات التاريخيــة المختلفــة للغــة الإنجليزية (مثل مدونة هيلسنكي للغة الإنجليزية القديمة والوسطى والحديثة فـــي عــصورها الأولـــى Helsinki Corpus of Old Middle and Early Modern English)، فضلاً عن وجود نصوص تنتمي للغات أخرى.

وبالإضافة إلى هذا، توجد بعض المدونات التي لا تهدف إلى إلقـــاء الــضوء على لغة برمتها، وإنما تحتوي على نصوص متخصصة تعبر عن أنواع معينة مـــن فنون الكتابة المختلفة. وهذه المدونات تتسم بأن حجمها ليس في ضـــخامة المـــدونات الأخرى العامة، كما أنها مُصممة بطريقة تمكن الباحث من البحــث عـــن ظـــواهر بعينها. فعلى سبيل المثال، قام العلماء المتخصصون في البلاغـــة بدراســـة المدونـــة الخاصة بالفصول الدراسية (كاميرون ٢٠٠٣)، والبيانات السياسية (تـــشارتريزبلاك Charterisblack ٢٠٠٤)، والمقالات التجارية الصحفية (كولر ٢٠٠٤)،...إلخ. كما تناولت بعض الدراسات المدونات التي تحتوي على مقارنات بين نـــصوص تنتمـــي للغات مختلفة، مثل المقالات الصحفية التي تناولت بعض القضايا الأوربية، والمكتوبة بالإنجليزية، والإيطالية (سيمينو ٢٠٠٢)، والألمانية (موسولف Musolff ٢٠٠٤).

ولكن بعد أن قمت بجمع النصوص المناسبة، وجدت نفسي أمام مهمة كبيرة، وهي تحليل الاستعارة المستخدمة فيها. وقد قـــام بعـــض المتخصـــصين بـــبعض المحاولات للوصول إلى برنامج حاسوبي يحدد التعبيرات الاستعارية في النصوص المختلفة[١]، وتوجد محاولات أخرى تجري في هذه الآونة؛ للوصول لنفس الهدف، بما في ذلك المحاولة التي أقوم بها بنفسي بالاشتراك مع زملاء لـــي فـــي جامعـــة لانكستر Lancaster University[٢].

---

(١) انظر ميسون Mason ٢٠٠٤.

(٢) انظر هاردي Hardie ٢٠٠٧.

ولكن حتى الآن لا توجد وسيلة إلكترونية موثوق فيها، يمكن بهـا التعـرف على التعبيرات الاستعارية في النصوص المتوفرة لـدينا. كمـا لا توجـد مدونـة خضعت لدراسة، وحُددت فيه الاستخدامات الاستعارية، ولكن هذا الوضع سـيتغير قريبًا بفضل العمل الذي يجري حاليًا فـي إحـدى جامعـات أمـستـردام وهـي **Free University**. ولكن توجد بعض الأساليب التي يمكن البحث بها عن الأنمـاط الاستعارية في المدونات على نطاق واسع(١).

وكما أوضحت سابقًا، يمكن عمل بعض الفهارس الأبجدية لبعض التعبيرات من مدونة بعينها، وهذا يمكّننا من أن نعرف السياق اللغوي **co-text** الذي يرد فيـه التعبير، بمعنى الكلمات التي تأتي قبله وبعده. ثم يستطيع المرء تحليل هذه الفهارس يدويًا من أجل التفرقة بين الاستخدامات الاستعارية، وغيـر الاسـتعارية لـبعض التعبيرات، ومـن ثـم فحـص الأنمـاط الاسـتعارية المـستخدمة **patterns of metaphoricity**. وهذه هي طريقة البحث التي اتبعتها في تحليل كلمة "ثري"، ولكن هذه النظرية استخدمت بطريقة مثالية في البحث الذي أجرتـــه أليـــس ديجنـــان **Alice Deignan** في عامي ١٩٩٩، ٢٠٠٥.

كما أنه من الممكن استخدام برنامج حاسوبي مناسب للبحث عن المصاحبات اللفظية **collocates** التي عادة ما ترد مع التعبيرات الاستعارية في المدونة، بمعنى التوصل إلى الكلمات التي عادة ما ترد مع التعبيرات الاستعارية موضع الدراسـة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن برنامج ووردسميث تولز (انظر سكوت **Scott** ١٩٩٩) له خاصية تسمح بالبحث عن الكلمات الرئيسية والمهمة **key words**، وهي الكلمـات

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها موسولف في عام ٢٠٠٤، الصفحات من ٦٣ إلى ٨٢، وكتاب سـتيفانوفيتش وجرايس Stefanowitsch and Gries الصادر في عام ٢٠٠٦.

التي تـــرد بشكـــل متكـــرر على غير المألـــوف في نـــصوص بعينهـــا، إذا مـــا قارنتها بالمدونة الكاملة. ومن ثم يمكن البحث عن التعبيرات الاستعارية بين هـــذه الكلمات الرئيسيـــة.

ويمكن للمرء أيضا استخدام المدونة من أجل البحث عن الكلمات التي ترتبط بمجالات أصلية بعينها، وهي المجالات التي يرى الباحثون أن لها اليد العليـــا فـــي النصوص التي يقومون بدراستها. فعلى سبيل المثال، يمكن للباحث أن يبحث عـــن الاستعارات المرتبطة بالحرب **war metaphors** في مدونة تقارير المال والأعمال، عن طريق إعداد قوائم من التعبيرات التي تتضمن المفردات المستخدمة في مجـــال الحرب (بالاستعانة بالقواميس المعروفة، وقواميس المترادفات بـــصفة خاصـــــة)، ومن ثم وضع هذه التعبيرات في شكل فهارس أبجدية داخل المدونة[1].

ويتخذ هذا الأسلوب البحثي شكلاً مختلفًا، عـــن طريـــق اســـتخدام مدونـــة مصغرة، إلى جانب مدونة أخرى كبيرة الحجم. ثم يقوم الباحث بتحليـــل المدونـــة المصغرة يدويًا من أجل تحديد أكثر التعبيرات الاســـتعارية اســـتخدامًا، واتـــصالاً بموضوع البحث، وهذه الطريقة هي ما يسميها تـــشارتيريزبلاك (٢٠٠٤) مفـــاتيح الاستعارة **metaphor keys**[2] ثم يقوم الباحث بالبحـــث فـــي المدونـــة الـــضخمة أوتوماتيكيًا؛ من أجل العثور على أمثلة أخرى على هذه التعبيرات[3].

(١) انظر كتاب كولر Koller ٢٠٠٤؛ لمزيد من المعلومات عن هذا المدخل.

(٢) مفاتيح الاستعارات هي التعبيرات الاستعارية التي يجدها الباحث مسلية ومتكررة في التحليـــل اليـــدوي لمجموعة من البيانات، هذه التعبيرات عادة ما توضع في شكل فهارس أبجدية.

(٣) انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو في عام ٢٠٠٢، والدراسة التي قام بها كاميرون وديجنان في عـــام ٢٠٠٣، وكتاب تشاريتريز بلاك ٢٠٠٤، وكتاب موسلوف ٢٠٠٤.

وتستخدم كولر (٢٠٠٤) مدخلاً يجمع بين قواميس المترادفات والمدونة المصغرة من أجل إعداد قائمة بالتعبيرات الاستعارية التي تريد البحث عنها في مدونة المواد التجارية الإعلامية المطبوعة المتوفرة لديها. وقد أشارت إحدى الدراسات الاستطلاعية التي أجريت مؤخرًا إلى أن هذا المدخل يمكن ميكنته عن طريق تصنيف البيانات المتوفرة دلاليًا؛ بمعنى استخدام برنامج حاسوبي مثل دبليوماتريكس تول **Wmatrix tool** (أرجو زيارة الموقع الإلكتروني **http://ucrel.lancs.ac.uk/wmatrix/**) من أجل تحديد المجال الدلالي (أو أكثر) الذي تنتمي إليه كل كلمة، أو تعبير. وهذا يجعل إعداد قوائم بالتعبيرات التي تشير إلى المجال الدلالي الخاص بالحرب – على سبيل المثال – أمرًا ممكنًا، ثم يحلل الباحث هذا المجال؛ للتوصل إلى التعبيرات الاستعارية[١].

ويوجد مدخل آخر مختلف، وهو ذلك المدخل الذي يبحث عن المفردات التي لها علاقة بالمجال المستهدف (مثل التعبيرات التي لها علاقة بالمشاعر على سبيل المثال)، ثم يقوم الباحث ببحث السياق اللغوي المحيط بالكلمة؛ من أجل التوصل إلى التعبيرات الاستعارية التي لها علاقة بالموضوع[٢]. وسوف أستخدم وجهًا آخرًا لهذه الطريقة في دراسة الحالة التي ستجدونها في الصفحات التالية.

وفي النهاية، يجب أن أذكر أنه من الممكن البحث عن بعض الرموز أو الإشارات الاستعارية **metaphorical signals** في المدونة[٣]، وأقصد بها تلك التعبيرات التي تستخدم أحيانًا؛ للإشارة لتعبيرات تقترب من مستوى الاستعارات اللغوية مثل "إذا جاز لنا القول" **as it were**، و"حرفيا تعني.." **literally**. كما تجدر

(١) انظر الدراسة التي قام بها هاردي في عام ٢٠٠٧.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ستيفانوفيتش في عام ٢٠٠٦.

(٣) انظر كتاب جوتلي ١٩٩٧، والدراسة التي قامت بها كاميرون وديجنان ٢٠٠٣.

الإشارة إلى أنه يجوز الجمع بين أكثر من طريقة وأسلوب، ولكن الـذي يحـدد أي الطرق أكثر مناسبة للاستخدام هو أهداف البحث نفسه.

مداخل لدراسة الاستعارة مؤسسة على المدونة:

من الممكن التفرقة بين ثلاثة أنواع من الدراسات التي تناولت الاستعارة من خلال تحليل المدونة. يتضمن النوع الأول استخدام المدونة العامة؛ من أجل البحث عن أنماط استعارة سائدة في لغة ما بصفة عامـة، ودراسـة المعـاني الـضمنية، والإيحاءات الخاصة بالأنماط موضع الدراسة، والتي تشكل ماهية الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم. وتهدف هذه الدراسة إلى وضع بعض الآراء التي تندرج تحت نظرية الاستعارة المعرفية تحت الاختبار.

أما النوع الثاني فيتناول بالفحص والتمحيص الأنماط الاستعارية فـي مدونـة أقل حجمًا، تمثل أحد فنون الكتابة، في فترة تاريخية محددة. وعادة ما يكـشف هـذا النوع من الدراسة النقاب عن بعض أوجه الشبه والاختلاف في الاستخدام الاستعاري بين فنون وأنواع الكتابة المختلفة، فضلاً عن الأبعاد البلاغية والأيدلوجية للاسـتخدام الاستعاري. وترى كاميرون (١٩٩٩) أن هذين النوعين من الدراسات يركزان علـى الأنماط الاستعارية العامة (بالنسبة للنوع الأول)، والأنماط الاسـتعارية المنـضبطة والمنتظمة خطابيًا **discoursally systematic** (بالنسبة للنوع الثاني).

أما النوع الثالث فيتناول الاستخدامات المختلفة في اللغات المختلفة بـالفحص والدراسة، وعقد المقارنات؛ من أجل التوصل إلى أوجه الـشبه والاخـتلاف فـي الاستخدام الاستعاري بين اللغات والثقافات المختلفة. وسوف أحاول في الـصفحات التالية تناول كل نوع بمزيد من التفصيل.

المدونة والأنماط الاستعارية العامة:

تلائم أساليب البحث القائمة على تحليل المدونة ذلك التوجه لدراسة استخدام التعبيرات الاستعارية التقليدية، وخاصة فيما يتعلق بمدى تكرار هذه التعبيرات، ونسب وجودها في النصوص المختلفة، فضلاً عن المفردات التي تتصاحب معها لفظيًا، وهكذا. وقد استهدفت العديد من الدراسات المهمة وضع الآراء المنسوبة لنظرية الاستعارة المعرفية تحت الاختبار. وقد سبق أن ذكرت أن هذه النظرية قد تعرضت لكثير من النقد؛ لأنها اعتمدت على مجموعات صغيرة من الأمثلة، استحدثها الباحث بنفسه، أو قام بجمعها بأسلوب تغلب عليه العشوائية في كثير من الأحيان. كما أن استخدام أسلوب البحث القائم على المدونة له القدرة على وضع نظرية الاستعارة **metaphor theory** على أساس تجريبي **empirical footing** أكثر رسوخًا وملاءمة، خاصة فيما يتعلق بإثبات الفرضيات الخاصة بالاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم بناءً على أدلة لغوية دامغة. فإذا تم التأكد من وجود استعارات بعينها لها علاقة بالمفاهيم ومتضمنة في أنماط تقليدية وسائدة من التعبيرات الاستعارية في الاستخدام اللغوي، فهذا يعني أن أسلوب البحث القائم على المدونة يتناسب مع نظرية الاستعارة المعرفية؛ لأن هذا الأسلوب يمكّن الباحث من استدعاء وتحليل أعداد كبيرة من أمثلة لتعبيرات بعينها، ترد في السياقات المختلفة بشكل طبيعي.

وبصفة عامة، فقد أكدت الدراسات الخاصة بالأنماط الاستعارية والمبنية على المدونة في اللغة الإنجليزية إلى حد ما الآراء التي قال بها من يؤمنون بنظرية الاستعارة المعرفية، كما أظهرت أيضًا – إلى حد ما – روح التحدي لهذه الآراء. كما كشفت جوانب كثيرة للتأمل، وأثارت قضايا أخرى للدراسة والبحث.

ويبدو هذا واضحًا على وجه الخصوص في ذلك العمل الرائد الذي قامت به ديجنان، وأقصد به ذلك البحث المتعلق ببنك المدونة الإنجليزية (١٩٩٩-٢٠٠٥). فقد وجدت ديجنان في عدد من الدراسات المبنية على تحليل بعض البيانات المتوفرة في شكل فهارس أبجدية دليلاً آخر على وجود أنماط ثابتة في استخدام التعبيرات الاستعارية التقليدية، ولكنها وجدت أيضًا أن هذه الأنماط تتسم "بالديناميكية"، و"الثبات" في نفس الوقت، بصورة أكبر مما ورد في نظرية الاستعارة المعرفية. كما وجدت ديجنان أيضا درجة عالية من عدم التوقع فيما يخص استخدام مفردات ترتبط بمجالات أصلية محددة عند استخدامها للحديث عن المجال المستهدف (أو مجموعة من المجالات المستهدفة التي ترتبط ببعضها البعض). كما أنها وجدت أن السمات الاستعارية التقليدية وسلوكياتها (اللغوية) لا يمكن التنبؤ بها بناءً على معانيها الأساسية غير الاستعارية. وسوف أحاول باختصار إلقاء الضوء على هاتين الظاهرتين العامتين، من خلال الإشارة إلى بعض دراسات الحالة التي قامت بها ديجنان.

فعلى سبيل المثال، قامت ديجنان (٢٠٠٥، الصفحات من ١٧٤ وحتى ١٨٣) بدراسة استعارة لها علاقة بالمفاهيم وهي: "الأنظمة المجردة المعقدة عبارة عن نباتات" **Complex abstract systems are plants**. وطبقًا لنظرية كوفيكستش في هذا المجال (٢٠٠٢، الصفحات من ٩٨ حتى ١٠١)، فهذه الاستعارة تشير إلى مفهوم شاع بين الناس، وهو مقارنة – أو النظر إلى – الأنواع المختلفة من الأنظمة المجردة (بما في ذلك الشركات، والأنظمة السياسية والاقتصادية، والأفكار، وحتى الناس)، بخصائص النباتات ودورات حياتها. وهذه الاستعارة نجدها في تعبير مثل:"فرع الشركة بمدينة لندن"[1].

---

(١) يمكن تصنيف هذه الاستعارة العامة (التي لها علاقة بالمفاهيم)، تحت الاستعارة الأعم التي قال بها جونسون ولاكوف، وهي استعارة أن الأفكار عبارة عن نباتات (مثل قولنا: "إن بذور أفكاره العظيمة زرعت في عمر الشباب واليفاعة. انظر كتاب لاكوف وجونسون ١٩٨٠، صفحة ٤٧.

وقد استطاعت ديجنان تكوين فيارس أبجدية لمثل هذه الكلمات، والتي بلغت عشرين كلمة مثل: "نبات" **plant**، و"بذرة" **seed**، و"حصاد" **harvest**، و"التبرعم" **budding**... إلخ. وقد وجدت ديجنان العديد من الأدلة (اللغوية) التي تشير إلى استخدام جوانب متعددة من حياة النبات كمجال أصلي للإشارة إلى العديد من المجالات المستهدفة، التي تنطوي على فكرة النمو والتبرعم والتفرع. وقد لاحظت ديجنان أيضًا أن هذه الفكرة تنطبق على وجه الخصوص على عدد من المجالات المستهدفة الفرعية المنبثقة من مجالات مجردة أكثر تعقيدًا وعمومية، وخاصة مجال التجارة والأعمال، والعلاقات، والأفكار، والبشر.

والأهم من ذلك، أن البيانات المستخلصة من المدونة قد أشارت إلى أن بعض التعبيرات الاستعارية المستقاة من مجال النبات كمجال أصلي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بأحد هذه المجالات الفرعية المستهدفة على وجه الخصوص، ونادرًا ما تستخدم مع المجالات الأخرى. فعلى سبيل المثال، عادة ما يشار إلى الناس، والأعمال، بتعبيرات مثل "تزدهر" **flourishing**، و"تينع" **blooming**، ولكن لا ترد معها كلمة يذبل **withering**؛ لأن الزهور عادة ما تستخدم استعاريًا للأعمال والمشروعات التي لها علاقة بالإبداع والنجاح. كما أضافت ديجنان أن الاستخدامات الاستعارية لبعض الكلمات التي لها علاقة بالنباتات يقتصر وجودها في بعض التعبيرات الثابتة **fixed expressions**. فكلمة "برعم" **bud** مثلاً لم تستخدم في البيانات المتوفرة إلا في تعبير واحد وهو: "يقضي عليها في المهد" **nip in the bud** (بمعنى قضى على البرعم قبل أن يتحول إلى فرع). وفي نهاية تحليلها، لاحظت ديجنان أن المعاني الاستعارية لبعض التعبيرات لا تتلاءم مع النمط العام، بمعنى استخدام صفات النبات ودورة حياته (المجال الأصلي)؛ للإشارة إلى صفات كيانات أخرى، ومدى تطورها (المجال المستهدف). فمثلا كلمة "كرمة" **grapevine**

تستخدم للإشارة إلى ترويج الإشاعات أو وجود مصدر سري للمعلومات، وهـذا لا علاقة له بالازدهار والنمو الذي يمثله النبات.

وقد كشفت تحليلات ديجنان للمدونـة عـن وجـود فـروق طريفـة بـين الاستخدامات الاستعارية وغيـر الاسـتعارية لـنفس التعبيـرات (أو التعبيـرات المتشابهة)، وهذه النقطة لم تلق الاهتمام البحثي الكافي، كما أنها لم تُفسر التفـسير المقبول في النظرية الاستعارية. فعلى سبيل المثال، يمكن التعرف على الكثير مـن الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحيوان عن طريق بعض الأفعال التي لهـا معـان استعارية (مثل "يكرر كالببغاء" **to parrot**، "يلازمه ملازمة الكلب" **to dog**، "يتسلل خفية" **to squirrel**)، بينما الأسماء من هذه الأفعال ترد بمعانيها الحرفية ("ببغـاء" **parrot**، و"كلب" **dog**، و"سنجاب" **squirrel**). ويمكن تفسير هذا إذا اعتبرنا أن هذه الحيوانات (بالمعنى الحرفي لأسمائها) كيانات يشار إليها بالأسماء (التـي ربمـا لا تقبل المعاني الاستعارية كما هو الحال في حالة الأفعال). ولكن الاستعارات التـي تتضمن ذكرًا للحيوان عادة ما تجذب الانتباه إلى سلوكيات بعينها[1].

وتوجد حـالات يكـون للنهايـات الإعرابيـة أو التـصريفية **inflections** استخدامات استعارية تقليدية مختلفة. ولنأخذ مثالاً وجدتـه ديجنـان يوضـح هـذه الفكرة، وهو كلمة "صخرة" **rock**. فقد اكتشفت ديجنان أن هذه الكلمة لهـا معـان وإيحاءات إيجابية، إذا استخدمت في حالة المفرد كأن نقول: "**الحرية هـي الـصخرة** التي تُبنى عليها المجتمعات **Freedom is the rock on which societies are built**". وتتحول هذه المعاني والإيحاءات إلى معان وإيحاءات سلبية، إذا اسـتخدمت نفـس

(١) انظر كتاب ديجنان ٢٠٠٥، الصفحات من ١٥٢ إلى ١٥٥، وكتاب جوتلي ١٩٩٧، صفحة ٩٢ وخاصة ذلك الجزء الذي يتحدث عن الاستعارة، والعمليات الاشتقاقية المستخدمة في تكوين الكلمة.

الكلمة في صيغة الجمع كأن نقول: "أصبح زواجهما على **شفير الهاوية**" **Their marriage has been on the rocks**. وتستخدم هذه المعاني كجزء من استعارة عامة وشائعة، وأقصد بها استعارة الرحلة **journey metaphor**؛ للإشارة إلى الصعوبات والكبد الذي يعانيه الإنسان في حياته[1].

ويوجد تناقض لطيف ومسل يظهر جليًا في الاستخدامات الاستعارية التقليدية لبعض الكلمات المتضادة مثل "النور" **light**، و"الظلام" **dark**[2]. فعادة ما تستخدم كلمة "النور" في تعبيرات استعارية لها علاقة بالمعرفة كأن نقول: "العلم نور"[3]. وعلى النقيض من هذا، تستخدم كلمة "الظلام" في التعبيرات الاستعارية التي تشير إلى حالات عاطفية سلبية كأن نقول: "لم ينس جاك **ظلام** أيام السجن"[4]. وبصفة عامة، يمكننا القول إن الدراسات التي قامت بها ديجنان للتراث النصي تؤكد أهمية البحث المفصل لاستخدامات وأنماط التعبيرات الاستعارية المستخدمة في لغة الحياة اليومية، وتثير العديد من القضايا التي لم تنل الاهتمام البحثي الكافي، كما أنها لم تُفسر التفسير الوافي الذي يرضي الجميع، وخاصة من قبل المؤمنين بنظرية الاستعارة.

كما أمكن التوصل إلى نتائج مشابهة عن طريق استخدام المدونة؛ للبحث عن تعبيرات لها علاقة بمجالات مستهدفة محددة. فعلى سبيل المثال، قام ستيفانوفيتش (٢٠٠٦) بإعداد فهارس أبجدية لمجموعات من الكلمات التي لها علاقة بالمشاعر، والموجودة في المدونة البريطانية الوطنية (مثل "غضب" **anger**، و"فرح" **joy**،

(١) انظر كتاب ديجنان ٢٠٠٥، صفحة ١٥٨.

(٢) انظر كتاب ديجنان ٢٠٠٥، الصفحات من ١٨٣ إلى ١٩١.

(٣) انظر المرجع السابق، صفحة ١٨٦.

(٤) انظر المرجع السابق، صفحة ١٨٨.

و"خوف" fear، و"سعادة" happiness)، فضلاً عن قيامه بدراسة السياق اللغوي في كل حالة من أجل تحديد التعبيرات الاستعارية، التي تستخدم للإشارة إلـى مفهـوم عاطفي وثيق الصلة. وأوضح أن هذه الطريقة ساعدته في التوصل إلى مجموعـة مقبولة من الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم، والتي تعبر عن المشاعر المختلفة. كما يرى أن هذه الطريقة تتميز بالدقة والإنجاز، ومن ثم يمكن الاعتمـاد عليها أكثر من الطريقة التي اقترحها كوفيكستش، من خلال ما أسماه سـتيفانوفيتش "بالأسلوب الاستبطاني" introspective method.

وأنا شخصيًا قمت بدراسة مماثلة، استخدمت فيها ربع مليون كلمة مـأخوذة من القصص "المكتوبة" في المدونة البريطانية، وهذه العينة من الكلمات كانت قـد دُرست من قبل بحثًا عن الأمثلة التي تحتوي على إشارات لعملية القراءة والكتابـة (مثل العبارة التي تقول: "لقد ناشدتهم، ثم تملقتهم، ثم ما لبثت أن دخلت معهم فـي حرب كلامية عنيفة")[1].

وبفضل الحواشي والشروح التي وجدتها، استطعت أن أقوم بإعداد عدد مـن الفهارس الأبجدية للتعبيرات التي لها علاقة بالمجال المستهدف، وهـو الاتـصال؛ للكشف عن الأساليب التي تحولت بها العديد من جوانب هذا المجال إلى تعبيـرات استعارية في المدونة. وقد أيدت النتائج التي توصلت إليها – إلى حد كبير – الآراء المتداولة في هذا المجال[2]، ولكني حاولت أن أتوصل إلى صورة أكثـر شـمولية للكيفية التـي يتحول بها مجال الاتصالات إلى تراكيب وتعبيرات اسـتعارية فـي اللغة الإنجليزية.

---

(١) انظر الدراسة التي قامت بها سيمينو عام ٢٠٠٥.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ريدي Reddy في عام ١٩٩٣، والدراسة التـي قـام بهـا جريـدي فـي عام ١٩٩٨.

ولكي أكون أكثر تحديدًا، استطعت أن أبيّن كيف درج الناس على تحويل مجال الاتصال إلى تراكيب استعارية من خلال مجموعة من المجالات الأصلية (مثل "الحركة" **motion**، و"الدعم" **support**، و"الاعتداء الجسدي" **physical aggression**)، وأن أيًا من هذه المجالات يجذب الانتباه إلى جانب محدد، أو مكون معين من جوانب أو مكونات مجال الاتصال. فعلى سبيل المثال، درج الناس على الإشارة إلى الاتفاق على أمر ما عن طريق تعبيرات لها علاقة "بالدعم الجسماني" **physical support**، مثل قولنا: "**أيد** (من يد) رئيس الوزراء الخطة التي ترمي لرفع مستوى المعيشة"، بينما يشار إلى الخلاف والنقد من خلال بعض التعبيرات التي لها علاقة بالاعتداء الجسدي، مثل قولنا: "**هاجم** النواب قانون الضرائب الجديد". وسوف أعود لتفاصيل هذه الدراسة لاحقًا.

المدونة والأنماط الاستعارية الخاصة بمجال بعينه:

ذكرت في الفصل الثاني أن جوتلي (١٩٩٧) قد قام بجمع مجموعة من النصوص الإنجليزية التي تنتمي لستة مجالات مختلفة[١]؛ وهي: المحادثة **conversation**، والتقارير الإخبارية المحلية **national news reports**، وكتب تبسيط العلوم **popular science**، وإعلانات المجلات **magazine advertising**، والروايات الحديثة **modern novels**، وأخيرا الشعر الإنجليزي الحديث **modern English poetry**. ثم قام بتحليل يدوي (وليس إلكتروني)، استطاع من خلاله التوصل إلى تصور كمي للجوانب المتنوعة للاستخدام الاستعاري في المجالات المشار إليها. فعلى سبيل المثال، وجد جوتلي أن الشعر هو أكثر

---

(١) انظر. الصفحات من ٢٩٣ إلى ٣٢٧.

المجالات الستة استخدامًا للتعبيرات الاستعارية المبتكرة من بين الاستعارات اللغوية التي تم تحديدها (بنسبة ٥٦%)، ثم إعلانات المجلات (بنسبة ٣١%)، ثم الروايات الحديثة (بنسبة ٢٨%)، ثم كتب تبسيط العلوم (بنسبة ١٨%).

والشيء الطريف الذي لاحظه جوتلي هو أن الاستعارات المستخدمة في الروايات الحديثة عادة ما يشار إليها داخل النص نفسه من خلال بعض التعبيرات مثل: "من باب المجاز وليس الحقيقة"، "إذا جاز التعبير" أكثر من المجالات التي تستخدم فيها الاستعارات بشكل أقل، مثل التقارير الإخبارية، والمحادثات (ارجع للفصل الأول لمزيد من التفاصيل). كما وجد جوتلي أن التقارير الإخبارية، والمحادثات، هي أقل المجالات الستة استخدامًا للاستعارات التي تمتد عبر النص **textually extended metaphors**.

ويجب الإشارة إلى أن نتائج هذه الدراسة أكدت – تجريبيًا وعمليًا – الاعتقاد بأن الاستخدام المبتكر للاستعارة (واللغة بصفة عامة) هو إحدى السمات الجوهرية للشعر. ولكن كان هناك بعض النتائج غير المتوقعة، والتي لا يملك المرء أمامها إلا أن يتوقف للتأمل وإعادة النظر. فعلى سبيل المثال، وجد جوتلي نسبة عالية – في الأربعة مجالات الأخرى – من الاستعارات المبتكرة التي تحتوي على أسماء **nouns**، أكثر من الأفعال **verbs** (عكس المتعارف عليه والمشار إليه في الصفحات السابقة). ولعل هذا يرجع إلى أن استخدام الأسماء في التعبيرات الاستعارية يكون أكثر وضوحًا من أنواع الكلام الأخرى؛ لأن الأسماء تشير إلى كيانات، ومن ثم يصبح من اليسير أن يستوعب المرء التناقض بين هذه الكيانات وما تثير في النفس، حينما تستخدم حرفيًا، عنها إذا ما استخدمت استعاريًا. (فمثلا كلمة **رأس** تشير إلى أحد أعضاء الجسم (حرفيًا) في مقابل شخص يدير أو "**يرأس**" منظمة أو مؤسسة (استعاريًا)[١].

---

(١) انظر الدراسة التي قام بها جوتلي ١٩٩٧، الصفحات من ٨٢ وحتى ٨٦.

واللطيف في الأمر أن أقل المجالات استخدامًا لهذه الطريقة هما الشعر والمحادثات، واللذان يختلفان عن بعضهما البعض تمامًا وكليًا فيما يتعلق بتكرار التعبيرات الاستعارية المبتكرة. ففي مجال المحادثات، يرى جوتلي أن التعبيرات الاستعارية المبتكرة تنتج عن "زلات اللسان" **slips of tongue** في أغلب الأحوال. أما في مجال الشعر، فيرى جوتلي أن التعبيرات الاستعارية التي ترتبط بالأفعال، أكثر من تلك التي ترتبط بالأسماء، وهو ما يراه جوتلي إحدى سمات الشعر حيث "تفيض البلاغة الاستعارية على ضفاف نهر التعبير، فلا توقفها سدود **الأسماء**، وإنما تحتويها سهول **الأفعال** الواسعة"(١).

وفي دراسة أخرى مختلفة، قام كل من سكوركزيانسكا وديجنان (٢٠٠٦) بالتركيز على الكيفية التي تتنوع بها أشكال ووظائف التعبيرات الاستعارية نتيجة للاختلافات بين المجالات المختلفة؛ فقاما بجمع عينة بحثية من ٤٠٠٠٠٠ كلمة تتناول مجال التجارة والأعمال، وتضم مجموعة من المقالات المتخصصة، وأخرى من التي تخاطب عموم القراء، والمنشورة في مجال ذا إيكونوميست **The Economist**. وقد قام الباحثان بتحليل عينتين تتكون كل منهما من ٣٠٠٠٠ كلمة يدويًا؛ من أجل تحديد التعبيرات الاستعارية ذات الصلة، والتي وضعت في شكل فهرس أبجدي في كلتا الحالتين.

---

(١) انظر كتاب جوتلي ١٩٩٧، صفحة ٣١٥، ولاحظ أن هذه النتائج التي توصل إليها جوتلي تنطبق على التعبيرات الاستعارية المبتكرة. وقد أشارت كاميرون في الدراسة التي قامت بها في عام ٢٠٠٣ (صفحة ٨٨) حول استخدام الاستعارة اللغوية داخل الفصول الدراسية إلى أن الاستعارات المبنية على استخدام الاسم noun metaphors أقل استخدامًا، خاصة إذا قارناها بتلك الاستعارات المبنية على استخدام الأفعال وحروف الجر.

وقد كشف تحليل العينتين عن فروق جوهرية بين كلا النوعين من النصوص سواء من حيث التعبيرات الاستعارية المستخدمة، أو من حيث المجالات الأصلية المسيطرة. فقد وجد الباحثان أن المقالات التي تخاطب عموم القراء تحتوي على باقة متنوعة من التعبيرات الاستعارية المستقاة من مجموعة أكبر من المجالات الأصلية من تلك التي تضمنتها المقالات المتخصصة. وعلاوة على ذلك فإن التعبيرات المستخدمة في المقالات العامة هي جزء من الاستخدام العام للغة (الأمثلة تضم استخدام بعض الكلمات مثل "سلاح" **weapon**، و"حطام" **shipwreck**، بينما ضمت المقالات المتخصصة تعبيرات شديدة الصلة بالتخصص (لا تخاطب عموم القراء)، ولها معان فنية محددة (مثل النقابي المتمتع بالخدمات والأنشطة التي تقدمها نقابته **free rider** وارتفاع أسعار الأسهم **bull market**).

كما أن نصف الاستعارات (المتخصصة) التي وردت في المقالات المتخصصة؛ استخدمت بغرض وضع نموذج أو تصور لظواهر محددة من أجل تغيير هذه الظواهر، واقتراح الاستراتيجيات المناسبة. وهذا الجانب يوجد بصور أقل في المقالات العامة، حيث تستخدم الاستعارة لتقريب الأفكار إلى عموم القراء من خلال استخدامها في الوصف والتفسير. ويجب ألا ننسى أن العينتين تنتميان لنفس المجال، وتتناولان نفس الموضوعات، إلا أن اختلاف نوعية القراء، والهدف من كتابة هذه المقالات، هما العاملان اللذان يؤثران على استخدام التعبيرات الاستعارية. كما يجب علينا ألا نغفل الجانب التعليمي للنتائج التي توصل إليها الباحثان، وأقصد به ما رمى إليه الباحثان من أن قيام القراء من غير المتحدثين الأصليين للغة الإنجليزية بالاطلاع على المقالات العامة المنشورة في مجلة ذا إيكونوميست لن يساعدهم كثيرًا في التعامل مع المقالات المتخصصة (أرجو الرجوع للفصل الرابع لمراجعة بعض الحقائق التي ذكرتها).

كما قامت كولر (٢٠٠٤) بدراسة استخدمت فيها طريقة بحث تقوم على تحليل مجموعة من النصوص؛ من أجل الكشف عن الإيحاءات والمعاني الأيدلوجية لبعض التعبيرات الاستعارية السائدة في خطاب المال والتجارة **business discourse**. وقد اشتملت هذه الدراسة على عدد من النصوص في شكل بعض المقالات المأخوذة من بعض الصحف والمجلات عن التسويق والمبيعات من ناحية، والمؤسسات التجارية المندمجة من ناحية أخرى، (حوال ١٦٠٠٠٠ كلمة). وقد حددت كولر – بناء على الدراسات السابقة وتحليلات بعض عينات البيانات – ثلاثة مجالات أصلية مهيمنة، فضلا عن مجال رابع "بديل".

ففي مجال التسويق والمبيعات، كانت المجالات الثلاثة الرئيسية هي الحرب **war**، والرياضة **sport**، والألعاب **games**، أما المجال الرابع البديل فهو الرومانسية **romance**. أما في مجال المؤسسات التجارية المندمجة، فكانت المجالات الثلاثة الرئيسية هي: القتال **fighting**، والزمالة **mating**، والتغذية **feeding**، أما المجال الرابع البديل فكان الرقص **dance**.

وقد استخدمت كولر العديد من الطرق لتكوين ٣٥ قائمة للتعبيرات التي تنتمي لمجال المفردات التي ترتبط بكل مجال من المجالات المذكورة؛ ثم قامت بترتيب هذه الاستعارات في شكل فهارس أبجدية في الحالتين. وأشارت النتائج الكمية والإحصائية التي توصلت إليها إلى أن الاستعارات المأخوذة من الحرب **war metaphor** هي أكثر الاستعارات المستخدمة في النصوص الخاصة بالتسويق والمبيعات، بينما كانت الاستعارات المأخوذة من مجال القتال **fighting metaphor** هي أكثر الاستعارات المستخدمة في مجال المؤسسات التجارية المندمجة بنسبة تصل إلى ٧٠% (من إجمالي الاستعارات).

بالإضافة إلى التحليلات الكمية والإحصائية المبنية على الفهارس الأبجدية، أعطت كولر أهمية خاصة لتوزيع التعبيرات الاستعارية، واستخدامها في شكل عناقيد استعارية **metaphorical clustering**، وقامت بدراسة مفصلة للنصوص التي تمثل كلا الجانبين. وكان من بين النتائج التي توصلت إليها وجود دليل على تحيز ذكوري **masculine bias** في نماذج المفاهيم **conceptual models** التي يشترك فيها الصحفيون مع قرائهم، وأشارت إلى أن الأنماط الاستعارية المسيطرة تعكس أيدلوجية ترى الصفقات والمعاملات التجارية في شكل عدوان ومراوغة، فضلاً عن إهمال المرأة وتهميش دورها في مثل هذه المعاملات.

وقد تبنى تشارترليز بلاك (٢٠٠٤) منهجًا مشابهًا في مجموعة من الدراسات التي قام بها لعدد من الخطب السياسية، والتقارير الصحفية والخطب الدينية. وفي كل دراسة، قام الباحث بتحليلات لعينات البيانات؛ من أجل الوصول إلى قوائم للتعبيرات الاستعارية المهمة (أو مفاتيح الاستعارة **metaphor keys**). ثم رتب هذه التعبيرات في شكل فهارس أبجدية في كل مجال من المجالات الثلاثة، ثم استخدم هذه الفهارس في استنتاج الاستعارات المهيمنة؛ للوصول إلى نتائج فيما يتعلق بالوظائف الأيدلوجية، والعاطفية، والإقناعية للاستعارة، في المجالات الثقافية والمجتمعية المختلفة.

وقد برهنت كل هذه الدراسات أن استخدام طرق البحث القائمة على المدونة تؤدي إلى نتائج موضوعية مقبولة. ففي كل حالة، كان هناك تحليل عميق للعينات، وبحث موضوعي في السياقات المختلفة، وخاصة السياق اللغوي. وبصفة عامة، يمكننا القول إن المدخل التحليلي القائم على المدونة لا تكمن أهميته في دراسة الاستخدام الاستعاري، والاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم فقط، ولكن أيضًا في دراسة الوظائف البلاغية والأيدلوجية للاستعارة، فضلاً عن الدور الذي تلعبه في فنون ومجالات وخطابات بعينها.

المدونة ودراسة الاستعارة في اللغات المختلفة:

تتصل طرق البحث القائمة على المدونة اتصالاً مباشرًا بالدراسات التي تدرس الاستخدام الاستعاري في اللغات المختلفة. ولكن في مثل هذه الحالة، يحتاج الباحث إلى تحليل كميات ضخمة من البيانات والمعلومات.

وقد ركز عدد من الدراسات على وجه الخصوص على استخدام الاستعارة والكناية التي تتضمن ذكرًا لأحد أعضاء الجسم في عدد من اللغات. ويرى مؤيدو نظرية الاستعارة المعرفية أن خبراتنا الجسدية المادية لها دور محوري في التشكيل والتكوين الاستعاري لخبراتنا غير المادية. وإذا كان البشر يشبهون بعضهم البعض بيولوجيًا، فهذا يعني أن هناك تشابهًا في الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للجسد في اللغات المختلفة. ومن ناحية أخرى، من الحقائق المتعارف عليها أن الثقافة تؤثر في الأساليب والطرق التي نعي بها أجسامنا، بما في ذلك أعضاء الجسم المختلفة، ووظائفها. وقد يؤدي هذا إلى وجود اختلاف بين اللغات المختلفة في استخدام الاستعارات التي لها علاقة بالجسد[١].

وقد قام كل من ديجنان وبوتر Potter (٢٠٠٤) بدراسة أربع كلمات تشير إلى نفس الأعضاء في كل من اللغة الإنجليزية، واللغة الإيطالية. وهذه الأعضاء الأربعة هي: "الأنف" nose، و"الفم" mouth، و"العين" eye، و"القلب" heart في اللغة الإنجليزية وبالإيطالية: naso، bocca، occhio، cuore. وقد وضع الباحثان هذه الكلمات الأربع بأشكالها المختلفة في فهارس أبجدية في بنك المدونة الإنجليزية، وفي بنكين للمدونة الإيطالية يحتويان على خمسة وثلاثين مليون كلمة.

---

(١) انظر كتاب كوفيكستش ٢٠٠٥.

وجد الباحثان بعض أوجه الشبه والاختلاف في طرق استخدام هذه الكلمات حينما تستخدم بشكل استعاري (غير حرفي). ووجد الباحثان أن بعض هذه الجوانب المحددة من الخبرات الجسمانية هي السبب في وجود أوجه التشابه. فعلى سبيل المثال، نجد في اللغة الإنجليزية تعبيرًا مثل "يرى أبعد من طرف أنفه" **look beyond the end of one's nose** (وهو تعبير يشير إلى بعد النظر)، ونجد له ما يماثله في اللغة الإيطالية وهو **vedere al di la del proprio naso**. وفي كلا الحالتين نجد أن هناك إشارة إيجابية إلى بعد النظر وسعة الأفق تتجسد في قدرة الإنسان على رؤية أبعد من حدود الجسد المعروفة، وخاصة الأنف (وهو أكثر عضو ناتئ في رأس الإنسان). ويرى ديجنان وبوتر أن المعنى الاستعاري لكلا التعبيرين هو محصلة النزعة التقليدية التي ترى التفكير كرؤية **Thinking as seeing**.

ويمكن أن نعزو الاختلافات التي حددها الباحثان في العينتين – إلى حد كبير – إلى الاختلافات بين اهتمامات وقيم الثقافتين. فعلى سبيل المثال، وجد الباحثان أن النصوص الإيطالية المختارة تحتوي على كنايات واستعارات لها علاقة أكثر "بالفم" من النصوص الإنجليزية. فإذا تكلمنا عن الكنايات، نجد أن كلمة "فم" تستخدم في الإشارة إلى الأكل والشهية، أما في حالة الاستعارة، فتشير إلى المشاعر والسلوكيات. فعلى سبيل المثال، يوجد تعبير في الإيطالية وهو "يملأ فمه ب....." ويستخدم للإشارة إلى شخص يتحدث بلغة منمقة عن موضوع لا يبدي له الحماس المطلوب. وهذا التنوع الواضح في الاستعارات والكنايات التقليدية التي لها علاقة بالفم ما هو إلا انعكاس للدور المحوري الذي يلعبه الأكل والطعام في الثقافة الإيطالية، على خلاف الثقافة الإنجليزية.

وبصفة عامة، فقد أثارت الدراسة التي قامت بها ديجنان وبوتر بعض الأسئلة عن نظرية الاستعارة، ولكنها أماطت اللثام أيضًا عن بعض أوجه الشبه المهمة بين اللغتين. فعلى سبيل المثال، تشترك اللغتان في استخدام بعض الصور الاستعارية المأخوذة من الجسم (المجال الأصلي) للإشارة إلى العقل (المجال المستهدف). كما أن استخدام الكنايات أكثر انتشارًا من الاستعارات في اللغتين.

وإذا كانت الدراسة التي قامت بها ديجنان وبوتر قد تضمنت تحليل لغتين متقاربتين تاريخيًا، فقد قام تشارتريز بلاك (٢٠٠٣) باستخدام منهج البحث المبني على المدونة لدراسة لغتين وثقافتين بعيدتين ومختلفتين عن بعضهما البعض تمامًا وهما: اللغة الإنجليزية، ولغة الملايو **Malay**. وقد كشف تحليله لكلتي اللغتين عن وجود عدد من الاختلافات المهمة بين الطريقتين التي يستخدم بها متحدثو اللغتين الاستعارات والكنايات التي لها علاقة بأعضاء الجسم.

وتعد تلك الدراسات – كتلك التي قامت بها ديجنان وبوتر – المعادل المتعدد اللغات **cross-linguistic equivalent**، لتلك الدراسات القائمة على المدونة في لغة واحدة والتي أشرنا إليها سابقًا. وقد أجريت دراسات أخرى بين اللغات المختلفة، ولكن في مجال محدد، وفي نطاق عدد من الموضوعات المحددة. وتتضمن مثل هذه الدراسات (المحددة) عددًا أقل وأكثر تخصصًا من النصوص، وتهدف عادة إلى البحث عن الاختلافات بين وجهات النظر التي ارتبطت بفترة تاريخية محددة، فضلاً عن الفروق الثقافية العامة.

فعلى سبيل المثال، قمت أنا شخصيًا بدراسة في عام ٢٠٠٢، عقدت فيها مقارنة بين الاستعارات المستخدمة للإشارة إلى العملة الأوربية الموحدة (اليورو) في عدد من المقالات الإنجليزية والإيطالية. وقد جمعت هذه المقالات في حوالي

ثلاثة أسابيع، وهي الفترة التي واكبت استخدام اليورو في الأول من يناير عام ١٩٩٩. وقد وضعت التعبيرات الاستعارية التي جمعتها من العينتين في شكل فهارس أبجدية. وكشفت هذه الفهارس عن وجود عدد من الأنماط (الاستعارية) المتشابهة في العينتين، مثل ذلك الوصف الاستعاري الذي كان يصف بداية استخدام اليورو "بالميلاد الجديد".

وعلى الرغم من أن الأنماط الاستعارية المذكورة كانت تخص النصوص المنتقاة فقط، فإنها عكست المواقف المختلفة التي سيطرت على الرأي العام، وعلى جزء كبير من الأطياف السياسية في كل دولة. فقد اشتملت المقالات الإيطالية على العديد من الأنماط الاستعارية التي أشارت إلى أهمية وصعوبة الوفاء بمعايير اتفاقية ماستريخت، للسماح للدولة بالانضمام لمنطقة اليورو. فعلى سبيل المثال، كان الانضمام لمنطقة اليورو يوصف بأنه "اختبار" و"معركة".

وعلى النقيض من المقالات الإيطالية، نجد أن المقالات الإنجليزية احتوت على الكثير من الاستعارات التي عكست وجود شكوك بين الناس حول جدوى توحيد العملة، وهي الشكوك التي جعلت المملكة المتحدة لا تنضم للعملة الموحدة. فعلى سبيل المثال، كانت معدلات الفائدة الجديدة التي يعلن عنها البنك الأوربي، لكل دول منطقة اليورو، توصف بأنها "الصفر الذي يناسب الجميع"، وهو وصف استعاري يوحي بأن هذه الأسعار قد لا تناسب أي دولة في الاتحاد الأوربي[١]. وبعبارة أخرى، يهتم هذا النوع من الدراسات بعقد مقارنات بين الآراء والمواقف في منعطف تاريخي بعينه، فضلاً عن الاختلافات الثقافية العامة.

---

(١) انظر كتاب موسولف ٢٠٠٤ لتحليل أوسع لمقالات إنجليزية وألمانية عن الاتحاد الأوربي منذ سقوط حائط برلين، وحتى نهاية القرن العشرين.

وبعد أن قدمت استعراضًا لطرق البحث الرئيسية، ونتائج مداخل دراسة الاستعارة المبنية على المدونة، أنتقل الآن للحديث عن حالة محددة:

دراسة الحالة: البناء الاستعاري للاتصال في هيئة اعتداء جسدي في الصحافة البريطانية:

يعد الاتصال اللفظي أحد أهم مجالات الخبرات الإنسانية التي يُعبر عنها استعاريًا، أو بعبارة أخرى، هو العمليات المعقدة التي من خلالها نستخدم اللغة لنقل المعاني، والمواقف، والمشاعر، والعلاقات الشخصية، وهكذا. وتعد استعارة "الجدل حرب" **Argument is war** أولى الاستعارات (التي لها علاقة بالمفاهيم) التي ناقشها لاكوف وجونسون في كتابهما **الاستعارات التي نحيا بها**. والمجال المستهدف من هذه الاستعارات هو التفاعل التواصلي **communicative interaction**.

وقد حاول لاكوف وجونسون الاستدلال على هذه الاستعارة من خلال تحليل بعض التعبيرات اللغوية التقليدية مثل: "**أصاب** نقده الهدف"، و"**قضى** فلان على حجج غيره **قضاءً** مبرمًا". ويرى لاكوف وجونسون أن هذه الاستعارة لا تتحدث ببساطة عن أسلوب الكلام عن الجدل، ولكنها تشكل وتكوّن الأسلوب الذي نستوعب به الجدل ونمارسه[1]. كما يريان أن هذا الإطار المفهومي المحدد للجدل هو جزء لا يتجزأ من خبراتنا بالصراع الجسدي، والذي يعد مكونًا رئيسيًا لكل من التفاعل الحيواني والإنساني، والذي طوره الإنسان بعدة طرق، أحدها هو شن الحرب[2].

---

(١) انظر كتاب الاستعارات التي نحيا بها، صفحة ٤.

(٢) انظر المرجع السابق، صفحة ٦٢، وكتاب كوفيكسيس ٢٠٠٢، صفحتي ٧٤ و٧٥.

وقد أشار لاكوف وجونسون مرارًا وتكرارًا إلى المجال العام وهو الصراع البدني، والحرب البدنية في معرض حديثهما عن الأساس التجريبي لفكرة أن الجدل حرب. ويرى الباحثان أن هذا المجال العام يضم مجموعة من الأنشطة العنيفة بدءًا بمصارعة اليدين، وانتهاء بالهجوم العسكري. ولكن تكوين استعارة "الجدل حــرب" يحصر المصدر الأصلي في الأنشطة العسكرية، وهذا الرأى تعرض لكثير من النقد مؤخرًا؛ لعدم تقديم تفسير مناسب لعدد من التعبيرات الاستعارية التي تــشير إلــى الصراع اللفظي من خلال تعبيرات الصراع الجسدي.

فعلى سبيل المثال، لاحظ ريتشي **Ritchie** (٢٠٠٣) أن كثيرًا من التعبيرات الاستعارية التي تندرج عادة تحت استعارة "الجدل حرب"، يمكن تفسيرها من خلال مجالات أصلية أخرى مثل الرياضة، والألعاب كالشطرنج والبريدج. ويرى لاكوف وجونسون أن القائمة الأصلية للأمثلة اللغوية التي تجسد فكرة أن "الجــدل حــرب" تضم تعبيرات مثل: "لم أفز عليه قط في جدل دار بيننا"، حيث يمكن بسهولة القــول إن الفعل "أفز" له علاقة بالرياضة كمجال أصلي[١].

ويرى ريتشي أن المجال الأصلي الذي ينطبق على الجدل يجــب أن يُــرى على نطاق أوسع؛ ليضم مجموعة متنوعة من أنواع الصراع الجسدي بــدءًا مــن الألعاب، ومرورًا بمصارعة اليدين، ووصولاً إلى الحروب الشاملة[٢].

وقد قام باحث آخر وهو فانباريز **Vanparys** (١٩٩٥) بدراسة سابقة قائمــة على القواميس، سماها "استعارات ما وراء اللغــة" **meta linguistic metaphors**،

---

(١) انظر كتاب كوفيكستش صفحتي ٧٤ و٧٥ للإطلاع على الصلة الوثيقة التي تربط مجال الحرب بمجــال الرياضة.

(٢) انظر الدراسة التي قام بها ريتشي في عام ٢٠٠٣، صفحة ١٣٥.

وأشار فيها أن استعارة "الجدل حرب" يجب أن تدخل تحت مظلة أكبر لها علاقة بنفس المفهوم وهي استعارة: "الاعتداء اللفظي هو اعتداء جسدي" **Verbal aggression is physical aggression.**

وفي دراسة قمت بها أنا شخصيًا لتحليل الاستعارة التي لها علاقة بمجال الاتصال والتواصل في عدد من النصوص، وجدت أنه توجد حاجة ماسة لصيغة عامة؛ من أجل جذب الانتباه إلى الأساليب المختلفة التي تستخدم للكلام عن الصراع في مجال الاتصال من خلال الصراع الجسدي. وسوف أبدأ بوصف نتائج دراسة ضيقة النطاق، وهذه النتائج نشرت في أماكن أخرى[1]. ثم أقوم بعرض الأدلة والبراهين من خلال استخدام عدد أكبر من النصوص. وفي كلتا الحالتين، أركز على الكيفية التي يُصور بها الصراع اللفظي استعاريًا في الصحف البريطانية.

تصوير الاتصال كاعتداء جسدي في عدد من التقارير الصحفية البريطانية:

يتناول الجزء الأول من دراسة الحالة تحليل مجموعة من التقارير الإخبارية الصحفية التي نشرت في الصحف البريطانية في تسعينيات القرن الماضي. وتضم هذه التقارير ٨٣٠٠٠ كلمة. ويبلغ عدد المقالات المختارة للدراسة والتحليل أربعين مقالاً، ويتكون كل مقال منها من ٢٠٠٠ كلمة في المتوسط. وهذه المقالات مأخوذة من صحيفتين من كبرى الصحف البريطانية وهما الديلي ميل **The Daily Mail**، والجارديان **The Guardian**.

---

(١) انظر الدراستين التي قامت بهما سيمينو في عامي ٢٠٠٥، و٢٠٠٦، والدراسة التي قام بها هيوود Heywood وسيمينو في عام ٢٠٠٧.

وكانت هذه العينة من المقالات قد صنفت – كجزء من مشروع بحثي كبير[١] – بحثًا عن أي إشارات لغوية للاتصال الملفوظ أو المكتوب وخاصة التعبيرات التي لها علاقة بنقل الكلام المباشر مثل "قال فلان"، و"كتب فلان"، وأي إشارات إلى القوة الإنجازية illocutionary force من العبارات أو النصوص (مثل الجملة التي تقول: "قام كبار الشخصيات في حزب المحافظين بطرح أسئلة مباشرة حول قرار رئيس الوزراء")، وأية إشارات بسيطة إلى الاتصال سواء عن طريق الكلام أو الكتابة (مثل الجملة التي تقول: "يتحدث جاك إلى أحد العرافين المشاهير أسبوعيًا").

وبعبارة أخرى، فقد تعرضت هذه المقالات للتحليل بحثًا عن أية تعبيرات لها علاقة بالاتصال كمجال مستهدف. ومن ثم استطعت أن أضع هذه التعبيرات في شكل فهارس أبجدية، والتعليق عليها؛ بهدف الوصول إلى أكبر عدد من الإشارات إلى فكرتي الكلام والكتابة. ثم قمت بتحليل هذه الفهارس لتحديد التعبيرات الاستعارية وثيقة الصلة، ثم وضعها في شكل مجموعات، طبقا للمصادر الأصلية التي تنتمي إليها.

فعلى سبيل المثال، استخدم تعبير "يطرح أسئلة" في الجملة التي كانت تقول: "قام كبار الشخصيات في حزب المحافظين **بطرح أسئلة** مباشرة حول قرار رئيس الوزراء" بطريقة غير استعارية (حرفية) للإشارة إلى الأنشطة الكلامية أو اللفظية **verbal activities** لمجموعة من رجال السياسة. وعلى النقيض من هذا، نجد النموذج التالي يتضمن إشارة استعارية لمجال الاتصال:

---

(١) انظر كتاب سيمينو وشورت ٢٠٠٤.

النموذج الثاني عشر:

> كانت توجد مجموعة من البرلمانيين تجلس في المقاعد الخلفية تريد أن تقتنص **sniping** أي شاردة وواردة لانتقاد أسلوب توني بلير في إدارة البلاد. (هذا النموذج مأخوذ من جريدة الجارديان، العدد الصادر في ١٣ مايو ١٩٩٦).

المعنى الأساسي للفعل "يقتنص" له علاقة بالهجوم المسلح، بمعنى وجود شخص أو قوة تربض في مكان خفي؛ بغرض إصابة العدو، أو القضاء عليه. وفي النموذج السابق، استخدمت الكلمة (تقتنص) استعاريًا؛ للإشارة إلى نقد لاذع من أعضاء خلصوا نجيًا في المقاعد الخلفية، في عدم وجود الشخص المنتقد بينهم. وبعبارة أخرى، هذا نوع معين من النقد صيغ استعاريًا، من خلال استخدام ألفاظ تشير إلى الاعتداء الجسدي باستخدام السلاح.

ومن بين ٢٢٣٨ كلمة وقع عليها الاختيار من المقالات، وجدت ٢١٤٦ إشارة للكلام، و٩٢ إشارة للكتابة، ووجدت من بينها ٥٣٦ كلمة استخدمت في شكل تعبير استعاري (بنسبة ٢٣,٩%). وهذه التعبيرات الاستعارية قسمت إلى مجموعات طبقًا للمجال الأصلي الذي جاء منه التعبير (مثل مجال الحركة **motion**، ونقل الأشياء **transfer of objects**).

وفي السطور التالية، سوف أركز على اثنين وستين مثالاً تشير إلى مجال الاتصال بشكل استعاري، من خلال استخدام تعبيرات لها علاقة بالصراع والاعتداء الجسدي، فضلاً عن الكشف عن المدى الذي يمكن عنده أن تندرج هذه التعبيرات تحت استعارة "الجدل حرب". أما في الأنماط الاستعارية الأخرى التي اكتشفتها فقد ناقشتها وحللتها في دراسات أخرى صدرت في عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦، وفي دراسة مشتركة مع هيبود في عام ٢٠٠٧.

ولقد وجدت في بعض الأمثلة القليلة، أن الجدل اللفظي في المقالات المختارة يُشار إليه بتعبيرات مأخوذة من مجال الحرب (كمجال أصلي). وهذا يظهر في الأمثلة التالية، بعد أن وضعت خطا تحت هذه التعبيرات:

النموذج الثالث عشر:

حذر السيد ميجر الفصائل المتناحرة داخل الحزب (وردت هذه الجملة في جريدة الديلي تيليجراف، في العدد الخامس من ديسمبر عام ١٩٩٤).

النموذج الرابع عشر:

صعَّد قاضي القضاة كينيث كلارك أمس حرب العصابات التي يشنها على اليمين المحافظ بإصراره على.... (وردت هذه الجملة في جريدة الجارديان في العدد الثالث عشر من مايو ١٩٩٦).

ولكن مثل هذه الأمثلة لا يمكن فصلها بسهولة عن نطاق أكبر من التعبيرات، ترتبط معانيها الأساسية بأنواع الصراع الجسدي المختلفة). ولنقرأ الأمثلة التالية:

النموذج الخامس عشر:

ومرة أخرى استأنفنا إطلاق الأسئلة (الديلي ميرور، ١٣ مايو ١٩٩٦).

النموذج السادس عشر:

هاجم النائب ديلورز ليلة أمس فكرة النائب بالادور حول النظر لأوربا في شكل دوائر، بمعنى أن كل دولة من

الدول الأعضاء يمكن أن تسعى للتقدم بإيقاع يناسبها (الـديلي تليجراف، ١٢ ديسمبر ١٩٩٤).

النموذج السابع عشر:

دافع قاضي القضاة أيضًا عن موقفه تجاه العملة الأوربية الموحدة (الديلي ستار، ١٣ مايو ١٩٩٦).

النموذج الثامن عشر:

وجه ضحايا الجرائم أمس ضربة موجعة للخطط الرامية لتوفير خدمة خمسة نجوم للمجرمين في أعيـاد الكريـسماس في محبسهم (الصن The Sun، ٥ ديسمبر ١٩٩٤).

يمكن اعتبار الاستخدام الاستعاري لكلمة "إطلاق" (مع كلمـة أسـئلة) فـي النموذج الخامس عشر أحد التعبيرات المأخوذة من مجال الحرب كمجال أصـلي. ولكن فكرة إطلاق (الطلقات)، أو استخدام الأسلحة النارية ليست بالضرورة جـزءًا من الحرب، ولكن جزءًا من العنف المسلح بصفة عامة. ويمكن تفسير الاسـتخدام الاستعاري لكلمة "هاجم" في النموذج السادس عشر، وكلمة "دافـع" فـي النمـوذج السابع عشر من خلال الصراع والاعتداء الجسدي بصفة عامة سواء أكـان هـذا باستخدام السلاح أم بدونه (ونجد في المدونة البريطانية الوطنية الكثير من الأمثلـة التي تحتوي على الاستخدام غير الاستعاري لكلمة "يدافع" مثل "دافع بيلي عن أخيه توم"). أما في النموذج الثامن عشر، فنجد أن تعبير "يوجه ضربة موجعـة" يـشير استعاريًا إلى الغضب والنقد في شكل إطلاق ضربات موجعة، ولـيس فـي شـكل عنف مسلح.

وتراكميا، تبين هذه الأمثلة أن بعض جوانب مجال الاتصال قد تشكلت تقليديًا واستعاريًا من خلال المفردات الخاصة بالصراع والاعتداء الجسدي، بدءًا من التلاكم، ومرورا بالهجوم المسلح، ووصولاً للحرب الشاملة. وبدلاً من محاولة فرض حدود بين هذه المجموعات من التعبيرات، أرى أنهم ينتمون للمجال الأصلي العام وهو الصراع الجسدي، أو الاعتداء الجسدي كما أسماه فانبريز (١٩٩٥)[1]. ويمكن تفسير الفروق في المعنى بين التعبيرات الاستعارية المختلفة – إلى حد ما على الأقل – من خلال وجود سيناريوهات مختلفة تندرج تحت المجال الأوسع وهو الاعتداء الجسدي.

فعلى سبيل المثال، يمكن تفسير كلمة "يقتنص" التي وردت في النموذج الثاني عشر والتي تشير إلى نقد خفي من خلال الإشارة إلى سيناريو قنص **sniping scenario**، حيث يتم إطلاق النار من مكان خفي. وعلاوة على ذلك، توضح النماذج التي ذكرناها أن المجال المستهدف المقصود أوسع وأكثر رحابة من ذلك المجال الذي توحي به استعارة "الجدل حرب". ويوجد العديد من الأمثلة التي تتحدث عن الجدل والنقاش، والذي ليس بالضرورة أن يكون وجهًا لوجه (ارجع للنماذج الثالث عشر، والرابع عشر، والسابع عشر).

ولكن توجد أمثلة أخرى لها علاقة بصفة عامة بالتعبير عن النقد (مثل ما ورد في النماذج الثاني عشر، والسادس عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر)، أو لها علاقة بموقف عدواني قوي في الاتصال بالآخرين كما هو الحال في

---

(١) يرى كل من لاكوف وجونسون في الطبعة الثانية من كتاب الاستعارات التي نحيا بها (٢٠٠٣، صفحة ٢٦٥) أن استعارة "الجدل حرب" نشأت من استعارة أخرى أكثر بدائية وهي استعارة "الجدل صراع" Argument is struggle، والتي عادة ما تنشأ من التلامس الجسدي بين الطفل وأبويه (انظر الدراسة التي قام بها جريدي ١٩٩٧؛ لمزيد من المعلومات عن فكرة الاستعارات الأساسية).

النموذج الخامس عشر. ولذلك اقترحت أن النمط الملاحظ في المقالات التي حللناها يمكن أن يكون أكثر عمومية من استعارة "الجدل حرب"، وعبرت عنه بعبارة الاتصال العدائي هو اعتداء جسماني **Antagonistic communication is physical aggression**(١). وبعبارة أخرى، تؤكد نتائج دراسة هذه المقالات الاقتراحات التي قال بها فانباريز (١٩٩٥) وريتشي (٢٠٠٣)، وهي الاقتراحات التي تناسب الأمثلة الخاصة بلاكوف وجونسون أكثر من استعارة "الجدل حرب".

وبعد أن قدم لنا لاكوف وجونسون استعارة "الجدل حرب" (١٩٨٠)، انتقلا لدراسة المعاني الضمنية لهذه الاستعارة (التي لها علاقة بالمفاهيم) عن طريق مقارنتها باستعارة بديلة افتراضية تشير إلى أن الجدل في جوهره نوع من الرقص. وتؤكد هذه المقارنة حقيقة أن المجال الأصلي وأقصد به الاعتداء الجسدي يؤكد على الآثار المترتبة على الجدل، والتي تتمثل في المواجهة، والتنافس، والعدوان، وربما الضرر، وبمعنى أعم المترتبة على الاتصال العدائي.

وداخل هذا الإطار المفهومي للاتصال، نجد أن المشاركين في الجدل يظهرون كخصوم وأعداء، لا يهتمون إلا بنشر آرائهم، وإحباط أهداف الآخرين، وإلحاق الضرر بصورتهم. وعلى نفس المنوال، يُصور النقد على أنه نشاط يؤدي إلى إلحاق المهانة بالآخرين، بعد أن يفقدوا ماء وجوههم. وهذا كله يوحي بعدم إمكانية أن يتحول التواصل بين الناس إلى حالة تتشكل فيها الآراء الجديدة المشتركة، ويتأكد فيها الفهم المتبادل (وفي هذه الحالة توجد استعارات أكثر مناسبة، مثل الاستعارة التي تشير إلى أن "الجدل رحلة" **Argument is a journey**(٢).

---

(١) ارجع للدراسة التي قامت بها سيمينو في عام ٢٠٠٥، والدراسة التي قام بها هيبود وسيمينو ٢٠٠٧.

(٢) انظر كتاب كوفيكسيس ٢٠٠٢، صفحة ٨٠.

وإذا ما عقدت مقارنة بين البيانات التي توصلت إليها من تحليل المقالات الصحفية، وأي بيانات أخرى من أي مجال آخر، فلسوف نجد أن استخدام استعارات الاعتداء الجسدي في مجال الاتصال والتواصل بين الناس يرد بشكل أكبر في التقارير الصحفية، حيث تستخدم هذه الاستعارات لتأكيد الصراع في التواصل بين الأفراد من ذوي الحيثية (وخاصة رجال السياسة)، وهذا يؤدي إلى تأكيد القيمة الخبرية للاتصال نفسه(١). وقد وجدت أن معظم الاستعارات الخاصة بالاعتداء الجسدي ترد في مقالات الصحف التابلويد، حيث يبدو أن هذا جزء من الاتجاه العام لإضفاء جوٍ من الدراما والإثارة على الأحداث (اللفظية).

ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن عدد المقالات التي قمت بتحليلها يبدو قليلاً، بحيث لا يمكن للمرء أن يصل إلى نتائج حاسمة في هذا الموضوع. وفي الصفحات التالية، سوف أقوم بمناقشة نتائج دراسة أخرى أجريت على عدد أكبر من النصوص. ولمزيد من التوضيح سوف أشير للمقالات التي ناقشتها حتى الآن بتعبير "النصوص الصغيرة".

تصوير الاتصال كاعتداء جسدي في عدد أكبر من النصوص الصحفية البريطانية:

من أجل المزيد من العمق في ماهية الأنماط (الاستعارية) التي ذكرتها في الصفحات السابقة، قررت اللجوء إلى المدونة البريطانية الوطنية، التي تحتوي على عينات وبيانات صحفية، يبلغ عدد كلماتها عدة ملايين من الكلمات. ولمزيد من

---

(١) انظر الدراسة التي قامت بيا سيمينو ٢٠٠٦.

التحديد، دخلت على الموقع الإلكتروني للمدونة البريطانية الوطنية **http://escorp.unizh.ch/**، وقد قمت بتكوين مجموعتين فرعيتين من النصوص التي تتناسب مع أهداف الدراسة. وهاتان المجموعتان هما: مجموعة من النصوص المأخوذة من الجرائد ذات القطع الكبير المعتاد **broadsheet** وبلغ عدد كلماتها ١٨٦٠١٣٤ كلمة، مأخوذة من جريدتي الصفوة والمثقفين وهما: **الاندبندانت The Independent**، و**الجارديان The Guardian**. وضمت المجموعة الثانية مجموعة من النصوص المأخوذة من الجرائد التابلويد، وبلغ عدد كلماتها ١٩٧٧٣٣٥ كلمة، مأخوذة من جريدتين شعبيتين وهما: **الديلي ميرور The Daily Mirror**، و**توداي Today** (وهذه الجريدة الأخيرة لم تعد تطبع). ثم قمت باختيار مجموعة من الاستعارات اللغوية التي تشير إلى مجال الاتصال بلغة الاعتداء الجسدي، وقمت بوضع هذه الاستعارات في شكل فيارس أبجدية في كلتا الحالتين.

تنتمي مجموعة الاستعارات اللغوية التي اخترتها للبحث إلى مصدرين: يضم المصدر الأول مجموعة من التعبيرات المحددة والمأخوذة من تحليل "النصوص الصغيرة" التي ناقشتها سابقا. وتضم هذه المجموعة كلمات مثل فعل "يهاجم" **attack** (بكل أشكاله المختلفة)، وفعل "ينسف" **blast** (بكل أشكاله المختلفة)، وفعل "يقصف" **bombard** (بكل أشكاله المختلفة)، وفعل "يطلق النار" **fire** (بكل أشكاله المختلفة)، وفعل "يضرب بالمدفعية" **flak**، وفعل يرد (الصاع) **hit back**، وفعل يضرب (بطريقة هستيرية) **hit out**، وفعل "ينتقد بقسوة" **rap** (بكل أشكاله المختلفة)، وفعل "يوبخ" **slam** (بكل أشكاله المختلفة)، وفعل "يقتنص" **snipe** (بكل أشكاله المختلفة)، وتعبير "ضربة عنيفة" **swipe**، وكلمة "حرب" **warfare**، وتعبير "ميدان القتال" **war-ring**.

وضم المصدر الثاني مجموعة أصغر من التعبيرات المذكورة في الدراسة التي قام بها كل من لاكوف وجونسون (١٩٨٠، صفحة ٤)، كأمثلة على الوجود اللغوي لاستعارة "الجدل حرب". وضمت هذه المجموعة تعبيرات مثل: "متعذر الدفاع عنه" **indefensible**، "إصابة مباشرة" **right on target**، و"يطلق" **shoot**، و"يُردي" **shoot down**. وقد وضعت هذه التعبيرات في شكل فهارس أبجدية. وفي بعض الأحوال الأخرى استخدمت الفهرس الأبجدي الإلكتروني للبحث عن "مدخل معجمي" **lemma** بعينه، فضلاً عن البحث عن كل الأشكال الممكنة لفعل بعينه. فمثلا هناك أشكال مختلفة لفعل "يهاجم" **attack** في الفهرس مثل **"attacking"،"attacked"،"attacks"**.

وبعد أن أصبح لدي مجموعة من الفهارس الأبجدية لكل فرع على حدة، قمت بتحليل كل فهرس من أجل تحديد أي استخدام استعاري له علاقة بمجال الاتصال. وهذا يعني أنني لم ألتفت لأية معانٍ استعارية تقليدية (فمثلاً استخدام كلمة **"fire"** في عبارة مثل "يلهب الخيال" **fire the imagination**). ومن الآن فصاعدًا، سوف تقتصر إشاراتي على التعبيرات الاستعارية التي لها علاقة بمجال الاتصال فقط.

والتعبيرات الوحيدة التي لم أجد لها أمثلة ذات صلة بموضوع البحث في العينتين هما التعبيران المأخوذان من الأمثلة التي ذكرها لاكوف وجونسون، وأقصد بها تعبير "يطلق" وتعبير "إصابة مباشرة". أما تعبير "يُردي" فوجدت له مثالاً واحدًا في عينة التابلويد. وحتى لو أخذنا في الاعتبار الفروق بين اللهجة البريطانية واللهجة الأمريكية، فإن هذا يدل على أهمية الأمثلة الواردة بشكل طبيعي، عند الحديث عن وجود أدلة لغوية على الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم.

ولكن من ضمن مجموعة التعبيرات التي ذكرها لاكوف وجونسون، وجدت أن تعبيرًا مثل "متعذر الدفاع عنه" يرد في حوالي ١٢ مثالاً في العينتين.

وفي واقع الأمر، فإن كل الأمثلة التي ورد فيها هذا التعبير لها علاقة بمجال الاتصال بصفة عامة، ومجال الجدل بصفة خاصة، كما هو الحال في المثال الذي يقول: "صرح زعيم حزب العمال نيل كينوك **Neil Kinnok** أنه يحاول أن يدافع **عما يتعذر الدفاع عنه**".

وعلى النقيض من ذلك، فإن الثلاثة عشر تعبيرًا التي استخرجتها من خلال تحليلي "للنصوص الصغيرة" كانت تحتوي على عدد من الأمثلة وثيقة الصلة، وتراوح هذا العدد ما بين ٤ إلى ١٦٥ مثالاً في العينتين (ويجب أن ألفت النظر إلى أن أكثر عدد من الأمثلة كان للفعل "يهاجم" وهو أحد الأفعال التي ذكرها لاكوف وجونسون في الأمثلة التي استعانوا بها).

ويبين الجدول الآتي عدد ورود التعبيرات الاستعارية التي لها علاقة بالاعتداء الجسدي، وتستخدم للإشارة إلى مجال الاتصال في عينتين من المقالات الصحفية الموجودة في المدونة البريطانية الوطنية:

التعبيرات موضع الدراسة	عدد الاستخدامات الاستعارية التي لها علاقة بمجال الاتصال والمذكورة في الصحف ذات القطع الكبير (ونسبة التواتر لكل مليون كلمة)	عدد الاستخدامات الاستعارية التي لها علاقة بمجال الاتصال والمذكورة في الصحف التابلويد (ونسبة التواتر لكل مليون كلمة)
يهاجم (كل أشكال الفعل)	٩٢ (٤٩,٤٥)	73 (36.٩١)
ينسف (كل أشكال الفعل)	١ (٠,٥٣)	١١١ (٥٦.١٣)
يقصف (كل أشكال الفعل)	٢ (١,٧)	٧ (٣.٥٤)

يطلق (النار) (كل أشكال الفعل)	٤ (٢,١٥)	٨ (٤.٠٤)
يضرب بالمدفعية (كل أشكال الفعل)	٤ (٢,١٥)	١٢ (6.٠٦)
يرد (الصاع)	٣ (١,٦١)	٣٩ (١٩.٧٢)
يضرب (بطريقة هستيرية)	١ (٠,٥٣)	٢٥ (١٢.٦٤)
متعذر الدفاع عنه	١٠ (٥,٣٧)	٢ (36.٩١)
ينتقد (بقسوة) (كل أشكال الفعل)	٣ (١,٦١)	٢٠ (١ .٠١)
يوبخ (كل أشكال الفعل)	١ (٠,٥٣)	٧٢ (٣٦.٤١)
يقتنص (كل أشكال الفعل)	٣ (١,٦١)	٥ (٢.٥٢)
ضربة عنيفة	٤ (٢,١٥)	٧ (3.٥٤)
حرب	٢ (١,٠٧)	٢ (١ .٠١)
متناحر	٣ (١,٦١)	٨ (٤.٠٤)
الإجمالي	١٣٣ (٧١,٥٠)	٣٩١ (١٩٧.٧٤)

ويبين هذا الجدول نتائج التحليل الذي قمت به للفهارس الأبجدية (للثلاثة عشر تعبيرًا) التي ذكرتها، فضلاً عن تعبير "متعذر الدفاع عنه" الذي ذكره لاكوف وجونسون في مجموعتهما. وقد ذكرت العدد الإجمالي لورود كل تعبير (أو "الفعل" كمدخل معجمي كلما كان ذلك مناسبًا) في كل عينة، كما ذكرت نسبة التواتر frequency لكل مليون كلمة بين قوسين. وأنا لا أركز في تحليلي على السلوك المميز لكل تعبير استعاري (وهذا ما ستشير إليه ديجنان في الصفحات التالية)، ولكن على أوجه التشابه والاختلاف بين العينتين.

أما التعبيرات التي لا تتكرر كثيرًا فلها عدد تكرار مقارب في كل عينة. فمثلاً فعل "يقتنص" ورد ثلاث مرات في العينة، وخمس مرات في العينة الثانية، وتعبير "ضربة عنيفة" ورد أربع مرات في العينة الأولى، وسبع مرات في العينة الثانية، ولكن كلمة "الحرب" وردت مرتين في كلتا العينتين. وبعد تحليل مجموعات مختلفة الأعداد، أعتقد أنه من الصعب أن يصل المرء إلى نتائج حاسمة حول الاختلافات بين الصحف ذات القطع الكبير، وصحف التابلويد. وهذا ينطبق على تعبيرات وكلمات مثل "يقصف"، و"يضرب بالمدفعية"، و"متناحر".

ولكن من اللطيف أن نلاحظ أن كل هذه التعبيرات قد استخدمت بشكل متكرر للإشارة إلى مجال الاتصال في صحف التابلويد أكثر من الصحف ذات القطع الكبير، وهذا النمط هو الذي كان سائدًا أيضا في "النصوص الصغيرة". والتعبير الوحيد الذي ورد ذكره بشكل أكبر في الصحف ذات القطع الكبير كان "متعذر الدفاع عنه". واللطيف في هذا التعبير أنه يختلف عن التعبيرات التي حللتها حتى الآن في أنه تعبير فصيح، كما أن له علاقة بالدفاع وليس الهجوم. ومن ثم، فإن استخدام هذا التعبير الفصيح لا يتناسب مع الأسلوب غير الفصيح (العامي) والمثير الذي تتسم به صحافة التابلويد.

وترد كل التعبيرات المتبقية الواردة في الجدول (ما عدا الفعل "يهاجم") في صحف التابلويد أكثر من الصحف ذات القطع الكبير. والجدول الآتي يؤكد هذه الحقيقة:

التعبير	الصحف التابلويد	الصحف ذات القطع الكبير
ينسف	١١١	١
يضرب (بطريقة هستيرية)	٢٥	١

يرد (الصاع)	٣٩	٣
ينتقد (بقسوة)	٢٠	٣
يوبخ	٧٢	١

وسوف أذكر بعض الأمثلة المأخوذة من مقالات صحف التابلويد والتي ذكرت فيها هذه التعبيرات:

النموذج التاسع عشر:

نسفت عارضة الأزياء السابقة كريستي برينكلي Christie Brinkley (٣٩ عامًا) سمعة المسئولين في السي إن إن لإلغاء برنامجها عن الأزياء.

النموذج العشرون:

رد داونتج ستريت (مقر رئيس الوزراء البريطاني) الصاع صاعين، ودخلت العلاقات الإنجليزية الفرنسية في مرحلة من الفتور.

النموذج الواحد والعشرون:

انتقدت الصحافة هيئة السكك الحديدية البريطانية بقسوة لعدم القيام باختبار الكشف عن تعاطي المخدرات لأحد سائقي القطارات الذي تسبب في حادث أودى بحياة شخصين وإصابة خمسمائة آخرين.

النموذج الثاني والعشرون:

وبخت شركات النقل سائقيها من متبلدي الحس بسبب القيادة المتهورة.

توحي هذه النتائج بأن صحف التابلويد تستخدم – وبشكل منتظم – مجموعة من التعبيرات الاستعارية التي لها علاقة بالاعتداء الجسدي؛ للإشارة إلى مجال الاتصال، وهذه التعبيرات يندر استخدامها في الصحف ذات القطع الكبير. ويوجد تعبير واحد من بين التعبيرات الخمسة له علاقة بالشجار الجسدي غير المسلح، وليس العنف المسلح والحرب (وهذا ما ينطبق على تعبيرات وأفعال مثل يرد الصاع، ويضرب بطريقة هستيرية، وينتقد بقسوة، يوبخ)[1]. وبعبارة أخرى، تُظهر مقالات التابلويد ميلاً نحو تكوين الحوار الجدلي أو التعبيرات النقدية من خلال استخدام المفردات التي لها علاقة بالتلاكم **fisticuffs** بين هؤلاء المشتركين في الحوار. وهذا يوازي ذلك الميل في الإبلاغ عن أحداث العنف الحقيقية من نفس النوع بين الرياضيين، ورجال الأعمال.

ولكن الفعل "ينسف" يمكن أن يستخدم حرفيا للإشارة إلى الدمار الذي لا علاقة له بالصراع المسلح أو الحرب، مثل قولنا: "**تسفت** المادة الكاوية الألوان على الحائط نسفًا، بحيث أصبحت أثرًا بعد عين".

وبصفة عامة، يمكنني القول إن تحليل "المقالات المنشورة في صحف التابلويد يكشف عن نمط سائد يصف الاتصال العدائي **antagonistic communication** من خلال تعبيرات عامية إلى حد كبير، وكلمات أحادية المقطع **monosyllabic words** ذات أصول جرمانية تثير سيناريو من التلاكم والدمار الجسدي. وهذا يضفي مبالغة – وربما متعة وتسلية – لصورة السلوك اللفظي.

---

(١) تندرج المعاني الأساسية لكثير من هذه التعبيرات تحت مجال الاعتداء الجسدي.

كما أن استخدام الفعل "يهاجم" في المقالات المنشورة في الصحف ذات القطع الكبير يرد أكثر من الصحف التابلويد (ورد هذا الفعل في ٩٢ مثالاً في النوعية الأولى من الصحف، وفي ٧٣ مثالاً في النوعية الثانية). ولا يتناقض هذا بالضرورة مع الملاحظات التي ذكرتها حتى الآن. فالاستخدام الاستعاري للفعل "يهاجم" للإشارة إلى مجال الاتصال هو أمر تقليدي وشائع، كما أنه له العديد من الأمثلة في العينتين. ولكن هذا الفعل أكثر "عامية" **informal** وتحديدًا من التعبيرات التي يفضلها الكتاب في صحف التابلويد، كما أنه لا يثير سيناريو بعينه، بل يشير إلى مفهوم الاعتداء الجسدي بصفة عامة.

قد يفسر هذا السبب زيادة عدد الاستخدامات لهذه الكلمة في الصحف ذات القطع الكبير أكثر من صحف التابلويد، والتي تفضل الألفاظ الأكثر تحديدًا وإثارة. وفي واقع الأمر، وجدت أن الفهارس الأبجدية التي أعدتها تشير إلى أن صحف التابلويد غالبًا ما تستخدم الفعل "ينسف"، بينما تستخدم الصحف ذات القطع الكبير الفعل "يهاجم". واللطيف في الأمر، أن هذه الاعتبارات تنطبق تمامًا على تعبير "متعذر الدفاع عنه"، الذي يبدو تعبيرًا فصيحًا يشير إلى الحالة (عدم الدفاع) أكثر من الإشارة إلى العملية نفسها (عملية عدم الدفاع)، فضلاً على أنه لا يثير سيناريو محددًا يكتنفه العنف.

وبصفة عامة، فقد أكد التحليل الذي قمت به لكلتا العينتين (المأخوذتين من المدونة البريطانية الوطنية) وجود أنماط استعارية تقليدية، تشير إلى أنواع الاتصال المختلفة من خلال المفردات التي لها علاقة بالصراع الجسدي. ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أن أكثر التعبيرات استخدامًا ليست تلك التعبيرات التي لها علاقة بالحرب أو العنف المسلح. وهذا يؤكد الرأي الذي يقول إن هذا النمط موجود بقوة في استعارة عامة لها علاقة بالمفاهيم وهي: "الاتصال العدائي اعتداء جسدي"[١].

---

(١) وأنا هنا أشير إلى أن هذه الصياغة تعبر بنجاح عن النزعة التقليدية للإشارة إلى مجال الاتصال من خلال التعبيرات التي تشير إلى الاعتداء الجسدي والعنف. وفي الحقيقة، فإن بعض التعبيرات التي قمت بتحليلها تستخدم استعاريًا؛ للإشارة إلى مجالات مستهدفة أخرى، كما هو الحال مع الفعل "يهاجم" في عبارة "هاجم المرض الغدد الليمفاوية"، وهو مثال موجود في المدونة البريطانية الوطنية.

وبصفة عامة، فقد أوضح التحليل الذي قمت به أن صحف التابلويد تستخدم الاستعارات التي لها علاقة بالاعتداء الجسدي؛ للإشارة إلى مجال الاتصال أكثر من الصحف ذات القطع الكبير. ولكن يُعزى هذا الاختلاف إلى التعبيرات التي تشير إلى صراع جسماني متدن، والذي يعتبر جزءًا لا يتجزأ من أسلوب صحف التابلويد (مثل "يرد الصاع"، و"يضرب بطريقة هستيرية"، و"ينتقد بقسوة"، و"يوبخ"). ولكن التعبيرات الأخرى الأعم والأفصح نسبيًا مثل "يهاجم" و"متعذر الدفاع عنه" ترد بشكل أكبر في الصحف ذات القطع الكبير (منها في صحف التابلويد).

ويمكن تفسير الاختلافات بين النوعين من الصحافة من خلال الاختلافات الأيديولوجية بينهما، بمعنى أن الاستعارات العامة التي تشير إلى الاتصال تستخدم بنفس القدر في النوعيتين، ولكن استخدامها في صحف التابلويد يعكس وجهة النظر التي ترى أن العلاقات بين الناس أصبحت عدوانية بشكل ملحوظ، وحيث تستعر الحرب بين الأخيار والأشرار، أو بيننا وبينهم.

وإذا عدنا للجدول الذي ذكرنا فيه نسبة ورود بعض الكلمات في كلا النوعين من الصحف، فسوف نجد أن النتائج لا تُظهر فقط أن الاستعارات التي لها علاقة بالصراع الجسدي ترد بشكل ملحوظ في صحف التابلويد، بل وتظهر أن هذه التعبيرات ترد في عدد يتراوح بين ٧١ إلى ١٩٧ مثالاً في كل مليون كلمة. وهذا يعادل ذكر التعبير مرة في كل ١٤٠٠٠ كلمة في الصحف ذات القطع الكبير، أو مرة كل ٥٠٠٠ كلمة في الصحف التابلويد.

أما إذا تكلمنا عن "النصوص الصغيرة"، فسوف نجد أن النسبة أعلى من هذا بكثير، فقد وجدت ٦٢ مثالاً للاستعارات التي تشير إلى الصراع الجسدي في عينة مكونة من ٨٣٠٠٠ كلمة، وهو ما يعادل مثالاً في كل ١٣٠٠ كلمة تقريبًا. ويوجد سببان رئيسيان لهذا الاختلاف أحدهما عرضي، والآخر سبب جوهري؛ أما السبب

العرضي فهو أن النصوص الصغيرة قد تعرضت للتحليل اليدوي، وهذا أدى إلى ضم قطاع كبير ومتنوع من التعبيرات الاستعارية.

أما عن السبب الجوهري فيمكنني القول إن هذا التحليل يختلف تمامًا عن التحليل الذي قمت به لعينة المقالات التي سبق أن أشرت إليها (مقالات التابلويد ومقالات الصحف ذات القطع الكبير)، حيث استخدمت الفهارس الأبجدية (الإلكترونية)، ولذلك لم يدخل في الإحصائيات إلا نسبة معينة من الاستعارات التي تشير إلى الاعتداء الجسدي. والأهم من ذلك، أن النصوص الصغيرة كانت عبارة عن مجموعة من التقارير الإخبارية، يتضمن الكثير منها نماذج من الاتصال اللفظي، التي وردت كأحد الأخبار المهمة (مثل المناظرات السياسية، والمبادرات السياسية وهكذا) أما المقالات المأخوذة من الصحف فتضم مقتطفات من كل صفحات الصحف (مثل المقالات الافتتاحية، وصفحة المجتمع، والصفحة الفنية وهكذا)، ومن ثم، يوجد عدد أقل من النصوص التي تتناول الاتصال اللفظي على وجه الخصوص.

وبصفة عامة، أتمنى أن أكون قد نجحت في توضيح كيف يمكن استخدام المدونة؛ للبحث عن كل من الأنماط الاستعارية العامة، والاختلافات المحددة بين أنواع النصوص والكتابة، التي تخاطب قطاعات مختلفة من القراء، من خلال استخدام بعض وسائل التقنية البسيطة.

ملخص

بدأت هذا الفصل بتوضيح كيف يمكن استخدام المدونة لاختبار صحة – بل وتحدي – الآراء التي وردت في النظريات المختلفة مثل نظرية الاستعارة المعرفية، والمبنية على دليل لغوي غير كاف. ثم انتقلت لمناقشة أساليب البحث

المبنية على المدونة، وكيف يمكن استخدامها لدراسة الأنماط الاستعارية في لغة بعينها، أو في نصوص بعينها، أو بين اللغات المختلفة. وقد استخدمت دراسة الحالة الوحيدة في هذا الفصل، والتي استخدمت فيها عددًا من النصوص المختلفة؛ لكي أقدم اقتراحي الخاص بوجود صيغة بديلة للاستعارة التي ذكرها لاكوف وجونسون (١٩٨٠)، والخاصة بالمفاهيم، وأقصد بها استعارة "الجدل حرب"، فضلاً عن عقد مقارنة بين استخدام الاستعارات التي لها علاقة بالاعتداء الجسدي؛ للإشارة إلى مجال الاتصال في الصحف البريطانية ذات القطع الكبير، وصحف التابلويد.

الخاتمة

يجمع المدخل البحثي لدراسة الاستعارة الذي تبنيته في هذا الكتاب بين الكثير من التقاليد البحثية التي قد تبدو مختلفة ظاهرياً، ولكنها تكمل بعضها البعض، وخاصة المدارس والتوجهات الآتية:

- نظرية الاستعارة المعرفية، واهتمامها بالعلاقة بين الأنماط التقليدية للتعبيرات الاستعارية في اللغة من ناحية، وأنماط الفكر التقليدية من ناحية أخرى.
- علم الأسلوب **stylistics** واهتمامه بالعلاقة بين الأنماط والاختيارات اللغوية من ناحية، ومجموعة متنوعة من التأثيرات (الجمالية في المقام الأول) من ناحية أخرى.
- التحليل النقدي للخطاب **critical discourse analysis**، واهتمامه بالعلاقة بين الاختيارات والأنماط المختلفة من ناحية، والحفاظ على الأيديولوجيات وعلاقات القوة، والتفاوض بشأنها، من ناحية أخرى.
- علم اللغة النصي، والأدوات التي يمنحها للباحث من أجل دراسة الأنماط التقليدية للاستخدام اللغوي.

وقد جمعت بين التحليل التفصيلي لاستخدام التعبيرات الاستعارية في سياقات محددة (وهو ما يحدث دائمًا في علم الأسلوب، والتحليل النقدي للخطاب)، مع الاهتمام بالكيفية التي تربط بعض الاستخدامات المحددة بالأنماط الاستعارية

التقليدية (وهذا ما يحدث في نظرية الاستعارة المعرفية). وقد أوضحت كيف يمكن دراسة هذه الأنماط بشكل متميز من خلال استخدام المدونة اللغوية (يوجد مدخل مشابه لدراسة الاستعارة في كتاب تشارتريز بلاك ٢٠٠٤، وكتاب كولر ٢٠٠٤، وموسولف ٢٠٠٤).

وبصفة عامة، أتمنى أن تكون التحليلات التي قمت بها، والنقاشات التي أوردتها قد قامت بتوضيح النقاط الرئيسية الآتية:

- أن الفهم المناسب لظاهرة الاستعارة بصفة عامة يتطلب الاهتمام بصورها ووظائفها في اللغة، فضلاً عن الاهتمام بدورها العام كأداة معرفية **cognitive tool**.
- أن الفهم المناسب للاستعارة في الخطاب يتطلب تحليلاً مفصلاً لاستخدامات محددة في نصوص، وخطابات، وأنواع كتابة بعينها من ناحية، والاهتمام بالكيفية التي تربط استخدامات بعينها بالأنماط الاستعارية العامة، والاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم من ناحية أخرى.
- تلعب الاستعارة دورًا مهمًا في أنواع الكتابة المختلفة. وتكمن وظيفتها الأساسية في وضع إطار أو تصور لبعض جوانب خبرة ما (بما في ذلك الشرح، والإقناع، واستحداث النماذج...إلخ)، ولكن يمكن أن يكون للاستعارة وظائف على المستوى الشخصي (مثل الدعابة، والمشاركة العاطفية، فضلاً عن الوظائف النصية **textual functions** مثل الإسهام في تحقيق الترابط الفكري للنص، والتأكيد على أفكاره الرئيسية).
- وإذا كان يمكننا القول إن الاستعارة لها وظائف أساسية مختلفة في أنواع النصوص المختلفة (مثل الإقناع في الخطب السياسية، والشرح

والتوضيح في النصوص التعليمية)، فإن التعبيرات الاستعارية تُستخدم لأغراض مختلفة داخل النص الواحد. فعلى سبيل المثال، تستخدم الاستعارات في المقالات العلمية؛ من أجل الإقناع، وأحيانا الدعابة، فضلاً عن الشرح والتوضيح واستحداث النماذج.

- في كثير من مجالات الحياة (كالطب والتعليم مثلاً)، يجب أن يصبح الناس قادرين على أن يكوّنوا رؤية للظواهر والخبرات المختلفة من خلال الاستعارات المختلفة، لكي يستطيعوا أن يختاروا الاستعارة التي تناسبهم، أو يستفيدوا من الرؤى والتصورات المختلفة التي تخلفها الاستعارات المختلفة.

- يعد التفاعل بين الابتكار والتقليدية والذي يبدو جليًا في الوجود اللغوي للاستعارة سمة للعديد من النصوص، وفنون الكتابة المختلفة، وليس ظاهرة أدبية في المقام الأول. وقد أوضحت على سبيل المثال، كيف لا ينطبق هذا على الخطب السياسية والإعلانات فقط، بل يمتد أيضًا إلى الكتابة العلمية المتخصصة، وغير المتخصصة.

- لا يمكن شرح أشكال ومعاني التعبيرات اللغوية في البيانات اللغوية الحقيقية والموثوق بها شرحًا وافيًا في كل الأحوال من خلال التصورات العامة للتداخل بين المجالات المختلفة في النظرية المعرفية؛ لأن هذا يتطلب عادة بعض التفسيرات من خلال تصورات أصغر وأكثر تحديدًا، والتي يمكن وصفها بأنها "كالمشاهد" أو "السيناريوهات"(١).

---

(١) انظر الدراستين اللتين قام بهما جريدي في عامي ١٩٩٧ و١٩٩٨، وكتابي موسولف ٢٠٠٤، ٢٠٠٦.

- على الرغم من وجود مجموعة صغيرة نسبيا من المصادر الأصلية الاستعارية الواسعة النطاق (كمجالات الحركة، والرحلات، والحرب)، فإن الاستخدامات المبتكرة للاستعارة قد تنطوي على نطاق أكبر من المجالات والسيناريوهات المهملة عادة، بما في ذلك المجالات والسيناريوهات التي يتم استحداثها. وفي بعض الأحيان قد يكون موضوع النص أو الموقف الذي يتم فيه الاتصال هو الدافع وراء اختيار مجال أصلي أو سيناريو بعينه.
- تُعد المدونة معينًا لا ينضب وموردًا لا يقدر بثمن للبحث عن الأنماط الاستعارية في اللغة من ناحية، وللاستدلال على الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم من خلال الأدلة اللغوية من ناحية أخرى. وفي الحقيقة، يجب أن أقول إن توفر هذه المدونات، وسهولة استخدامها يجعل استحداث الأمثلة المصطنعة (التي يستحدثها أو يخترعها الباحث)؛ لإثبات رأي معين فيما يتعلق بالاستخدام اللغوي (الاستعاري) أمرًا غير مقبول.

وسوف أحاول في بقية هذا الفصل إلقاء المزيد من الضوء على المعاني الضمنية للفصول السابقة، فيما يتعلق بدراسة الابتكار في استخدام الاستعارة، ثم أتوقف قليلاً عند ظاهرتين لهما علاقة ببعضهما البعض، وثبت مع الوقت أنهما من الأهمية بمكان أكثر مما كنت أظن وأعتقد، وأقصد بهما ظاهرة الاستعارات التي تستحدثها المواقف، وتلك التي تستحدثها الموضوعات.

خواطر وتأملات أخيرة عن الابتكار الاستعاري:

كنت قد ذكرت سابقًا (في الفصل الثاني) أن الكثيرين أصبحوا يعترفون أن الابتكار في استخدام اللغة أصبح ظاهرة واسعة الانتشار، وأن لها العديد من

الوظائف والتجليات في أنواع النصوص والكتابة المختلفة[١]. وقد أثبتت التحليلات المختلفة التي قمت بها في طيات هذا الكتاب أن الابتكار في استخدام الاستعارة على وجه الخصوص يتسم بالانتشار، وتعددية الوظائف. فعلى سبيل المثال، حاولت أن أوضح كيف يمكن استخدام الاستعارات المبتكرة؛ للتعبير عن التجارب الذاتية البدائية التي يصعب التعبير عنها (مثل استخدام الاستعارة التي تتضمن ذكرًا للحيوانات للتعبير عن آلام مرض الشقيقة والتي ذكرتها في الفصل الثاني)، ووضع الظواهر المعقدة في شكل نماذج وتصورات يسهل على الإنسان استيعابها (مثل استخدام استعارة الأخطبوط للإشارة لشبكة الخلايا العصبية، والتي ذكرتها في الفصل الرابع).

وقد ذكرت أيضًا في صفحات هذا الكتاب أن أي وصف مقبول للإبداع في الاستخدام الاستعاري يحتاج أن يأخذ المرء المستوى اللغوي والمفهومي للاستعارة في الاعتبار. كما يجب أخذ العناصر غير اللفظية في النصوص متعددة النماذج في الاعتبار، فضلاً عن التفاعل الذي يحدث بين هذه العناصر غير اللفظية (ولعل المثال الأوضح الذي يرد إلى ذهني هو التحليل الذي قمت به لإعلان لوكوزاد في الفصل الخامس). ولكني أعتقد عزيزي القارئ أنك قد لاحظت أنني استخدمت كلمة "مبتكر" للإشارة إلى العديد من الظواهر الاستعارية التي تختلف في درجة الابتكار، ونوعيته.

ويمكن أن يوصف اختيار تعبير استعاري محدد في سياق معين بأنه "مبتكر"؛ لأن المعنى الاستعاري لهذا التعبير ليس من المعاني التقليدية التي يجدها المرء في القاموس. وهذا ينطبق على كل من الاستخدامات الاستعارية النادرة والمتفردة. وبالإضافة إلى ذلك، فقد أشرت إلى أنه يمكن تأسيس بعض أنماط التعبيرات الاستعارية الرئيسية داخل النص الواحد، وبين النصوص المختلفة،

(١) انظر كتاب كارتر ٢٠٠٤، والدراسة التي قام بها كارتر ومكارثي في عام ٢٠٠٤.

من خلال التكرار، والامتداد النصي، والإشارات فيما بين النصوص المختلفة، وهكذا (ارجع للفصل الأول).

وقد اتبعت ذلك التصنيف الذي وضعه لاكوف وترنير (١٩٨٩)، حينما ميزا بين التعبيرات الاستعارية المبتكرة والتي يمكن أن يكون لها علاقة بالاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم، والتعبيرات الاستعارية التي تحقق التصورات المفهومية المبتكرة وغير التقليدية.

وما أتمنى أن أركز عليه هنا هو أن كثيرًا من الأمثلة الدالة على الابتكار الاستعاري التي ناقشتها تنطوي على استخدام مبتكر لا يمكن أن يوصف بأنه "أنواع مختلفة من السيناريوهات".

السيناريوهات الاستعارية والابتكار:

وكما ذكرت من قبل، تؤيد التحليلات التي قمت بها بعض الدراسات التي نُشرت في الآونة الأخيرة في مجال نظرية الاستعارة، والتي تفسر الاستخدامات التقليدية للاستعارة، من خلال الإشارة إلى تصورات ذهنية تبدو "كالمشاهد" **scenes**، أو "السيناريوهات" **scenarios**، وليس فقط من خلال المجالات المفهومية الواسعة. ومن ناحية أخرى، يمكن أن يكون من المفيد أن نصوغ الاستعارات التي لها علاقة بالمفاهيم من خلال مجموعات من التصورات بين المصادر الأصلية المعقدة، كما هو الحال في استعارة "الحياة رحلة" على سبيل المثال.

وقد يكون هذا مناسبًا على وجه الخصوص عند البحث عن الطريقة التي يتشكل بها مصدر أصلي استعاريًا، كما هو الحال في دراستي لمجال الاتصال كمجال مستهدف (ارجع للفصل السادس). ولكن يجب أن ألفت النظر إلى أنه يمكن

شرح وتفسير بعض المعاني والاستخدامات الفردية لتعبيرات بعينها بشكل جيد، من خلال الإشارة إلى تصورات عقلية أصغر وأكثر تحديدًا، لها علاقة بمواقف محددة، وكيانات، وأفعال، وأهداف ترتبط بهذه المواقف.

ويفسر لنا جريدي (١٩٩٧) في نظريته عن الاستعارات الأولية **primary metaphors** بعض الظواهر المهمة في الاستخدام الاستعاري، كنتيجة للتصورات الأساسية التي تنطوي على ما يسميه هو "بالمشاهد الأولية" **primary scenes**، والتي تماثل الخبرات الحسية الحركية الأساسية البسيطة مثل التقارب الجسماني **physical closeness** أو الوصول إلى المقصد أو جهة الوصول **arriving at a destination**.

ففي معرض تحليله للتقارير الإعلامية التي تناولت الاتحاد الأوربي، قام موسولف (٢٠٠٤، و٢٠٠٦) بتحليل سيناريوهات أصلية أكثر ثراءً وتعقيدًا، وأقصد بها حفلات أعياد الميلاد، ورحلات القطار، وكيف تمنح هذه السيناريوهات الباحث نوعًا مناسبًا من الفئات الذهنية التي تفسر الاستخدامات البلاغية للاستعارة في البيانات المتوفرة لديه. كما يرى موسولف أن هذه السيناريوهات تمنح الباحث خطوطًا قصصية وسردية يمكن استخدامها لكي يتنبأ بالبنية السردية **narrative structure** للمواقف التي تعد مجالات مستهدفة. ويربط كل من جريدي وموسولف بين المشاهد والسيناريوهات من ناحية، وبين مجالات مفهومية أكبر واستعارات مفهومية شديدة التعقيد من ناحية أخرى بطريقة مختلفة[1].

(١) يوجد تشابه بين "المشاهد" التي قال بها جريدي و"السيناريوهات" التي قال بها موسولف من ناحية، والتصورات الذهنية التي وردت في كتب علم النفس المعرفي الكلاسيكية مثل فكرة "النصوص" scripts التي قال بها كل من شانك وأبيلسون Schank and Abelson في عام ١٩٧٧، وفكرة "الأطر" frames التي قال بها مينسكي Minsky وجوفمان Goffmann في عام ١٩٧٥ من ناحية أخرى. ويستخدم شانك (١٩٨٢، ١٩٩٩) أيضًا كلمة "المشهد"، كما يستخدم كل من جونسون ليرد وجارنهام (1979) Johnson-Laird and Garnham كلمة "سيناريو".

وتشير التحليلات النصية التي قمت بها في هذا الكتاب أن فكرة "السيناريو" تعد مفيدة في وصف الكثير من استخدامات الاستعارة على وجه الخصوص. ولنتأمل – على سبيل المثال وليس الحصر – بعض الحالات التي ذكرتها في هذا الكتاب مثل استعارة بونو **Bono** الخاصة بتسلق الجبال؛ للإشارة إلى مؤتمر القمة الخاص بالدول الثماني الكبرى **G8** (الفصل الأول)، والاستعارة التي استخدمها مكوين والتي تتضمن ذكرًا للحيوان؛ للإشارة إلى مرض الشقيقة (الفصل الثاني)، واستعارة القطار، للإشارة إلى اليورو (الفصل الثالث)، واستعارة الأخطبوط التي استخدمها كوسلين وكوينج للإشارة إلى الشبكات العصبية (الفصل الرابع)، ووصف علاج السرطان بأنه كالهجوم والهجوم المضاد (الفصل الخامس).

وفي كل الحالات، يستخدم الكاتب أو المتحدث مزيجًا من التعبيرات التقليدية والمبتكرة التي تنطوي على استخدام مبتكر لبعض السيناريوهات الأصلية المحددة؛ من أجل استحداث تصور محدد للموقف الذي يمثل المجال المستهدف. وبنفس الطريقة، يمنح السيناريو الأصلي في كل حالة خطًا سرديًا **narrative line** يمكن استخدامه لتشكيل الموقف المستهدف من خلال سلسلة من الأحداث لها بداية، ووسط، ونهاية. فعلى سبيل المثال، صور لنا مكوين (الفصل الثاني) نوبة الألم المرتبطة بمرض الشقيقة من خلال سلسلة من الأفعال يقوم بها حيوان، كما أن مستقبل منطقة اليورو قد قُدم لنا من خلال رحلة قطار، ربما تنتهي بخروج هذا القطار عن القضبان. وكنت قد أوضحت في الفصل الخامس أن مؤلفي الكتب العلمية التي تخاطب جمهور القراء تستخدم الإمكانية السردية **narrative potential** للسيناريوهات الأصلية، أكثر من المؤلفين الذين يخاطبون المتخصصين (ارجع للفصل الرابع). مع ذلك فإنه يوجد تنوع معقول في أنواع السيناريوهات التي قد تستغل إبداعيا. فبعض الأمثلة التي ذكرتها للتو تتضمن

سيناريوهات استخدمت استعاريًا بشكل تقليدي، ويمكن أن يتم ربطها باستعارات أولية تتضمن مشاهد أو مخطط صور أولية، وباستعارات أكثر تعقيدًا تتضمن مجالات مفهومية أوسع. ينطبق هذا، على سبيل المثال، على سيناريو **تسلق الجبل** لبونو، الذي يجد أساسه في مخطط صورة **الطريق**، ويمكن أن يُرى كجزء من مجال مصدر **الرحلة** العام. وعلى نحو مشابه، فإن سيناريوهات **الهجوم ATTACK والهجوم المضاد COUNTERATTACK** التي يستدعيها الوصف العسكري لعلاج السرطان في النموذج الثالث يمكن أن ترتبط باستعارة أولية هي **الصعوبات خصوم DIFFICULTIES ARE OPPONENTS (Grady 1997a)**، وكذلك بمنظور مجال المصدر الأرحب **للحرب**. تنتج الإبداعية، في مثل هذه الحالات، عن استخدام تعبيرات استعارية جديدة، ومن استغلال أبعاد السيناريو وثيق الصلة الذي لم يستغل استعاريًا بشكل تقليدي، مثل مفهوم النظر لأسفل إلى الوادي، في استعارة تسلق الجبل لبونو، ومفهوم السلك الشائك، في الاستعارة الحربية لمعالجة السرطان. يمكن أن تنتج الإبداعية أيضًا من استخدام تعبيرات استعارية تجمع بين السيناريوهات التقليدية المتباينة. على سبيل المثال، وُصِفت حالة حزب المحافظين البريطاني استعاريًا بواسطة الجمع بين سيناريو **المرض** وسيناريو **المعركة**. تدعم كل هذه الأمثلة بشكل عام فرضية لاكوف وتيرنر بأن الاستعارات الجديدة ربما تتضمن استغلالا إبداعيا لاستعارات تقليدية، على الرغم من أن لاكوف وتيرنر لم يدرسا بشكل مباشر دور السيناريوهات في هذه العملية.

ومع ذلك فإن اختيار السيناريو الاستعاري في بعض الحالات، إما يكون غير مرتبط بالاستعارات المفهومية التقليدية أو ضعيف الارتباط بها، و حتى قد تُخترع سيناريوهات معينة بذاتها لصالح أوصاف استعارية محددة. وفي الواقع فإن العديد من الأمثلة التي ناقشتها على مدار هذا الكتاب تتضمن مواقف غير واقعية

وفانتازية، وربما حتى مواقف مستحيلة. في حالة استعارة الحيوان في رواية مكوين، فإن سيناريو المصدر، بشكل ما، مألوف نسبيًا، نظرًا لأنه ينطوي على مخلوق يستيقظ، ويتحرك داخل فضاء مغلق، وأخيرًا يغادر ذلك الفضاء. ومع ذلك فإن حقيقة أن هذا الفضاء المغلق يتناظر مع مريض بالصداع النصفي يُضفي عنصرًا لإمكانية الوصف الاستعاري للخبرة الشخصية للألم. استدعت استعارة كوسلين وكوينج للشبكات المحايدة على نحو أكثر وضوحًا سيناريو غير واقعي، ينطوي على أخطبوطات، تضم أذرعها وتبسطها لكي تشير للطيور التي تطير بأعلى بأن السمك قد حضر. في هاتين الحالتين، فإن الإبداعية أكثر راديكالية بكثير من الأمثلة المذكورة في الفقرة الثانية، بمفردات لغوية ومفهومية. استعارة اليورو قطار التي نوقشت في استعارات **الرحلة/الطريق** تتشارك بعض الخصائص مع كل من الأمثلة الإبداعية الأكثر راديكالية والأقل لفتًا للنظر. من ناحية فإن سيناريو مصدر **القطار** يمكن أن يرتبط باستعارات **الرحلة والآلة**؛ مع ذلك فإنه بالأحرى بعيد الاحتمال، نظرًا لأنه ينطوي على قطار لكل عربة فيه محرك ومهندس خاص. وكما هو الحال مع استعارة الأخطبوط، فإن سيناريو المصدر هو موقف متخيل تم اختراعه لكي يوازي تمثيل الهدف الذي يرغب الكاتب في التعبير عنه.

من المهم الإشارة إلى أن تلك الأمثلة من الإبداعية الاستعارية لا تقتصر على الأدب، لكنها مأخوذة من مجموعة من الأنواع، بما فيها الروايات ومقالات الصحف، وكتب المدارس العلمية، وهلم جرا. ومع ذلك، كما ذكرت بالفعل، فإن وظائف الاستخدامات الإبداعية للاستعارة يمكن أن تتنوع بدرجة كبيرة استنادًا إلى النوع، وهناك كذلك اختلافات حاسمة في مدى تقيد الكتاب بتأويلات الاستعارات الإبداعية عبر تعليقات مباشرة. وعلى خلاف الكتاب الأدبيين فإن العلماء، على سبيل المثال، يميلون إلى التوضيح الصارم بتفصيل عظيم لكيف يريدون أن يتم تأويل استعاراتهم. وهذه هي الحالة خصوصًا مع الاستعارات الإبداعية الجديدة، التي ليس لها بعدُ تأويلات تقليدية داخل الجماعة العلمية.

تأملات أخيرة حول الاستعارات المحفزة بالموضوع والمحفزة بالموقف

لقد ناقشت بشكل متكرر، على مدار هذا الكتاب، أمثلة من التعبيرات الاستعارية حيث يكون اختيار مجال أو سيناريو المصدر محفَّز ببعض أبعاد الموضوع المناقش أو الموقف الاتصالي. أطلقت كولر (٢٠٠٤) على النوع الأخير من الاستعارات "المحفزة بالموضوع **topic-triggered**"؛ وعلى نحو مشابه، فقد أطلقتُ على النوع الثاني الاستعارات "المحفزة بالموقف **situationally triggered**" (انظر أنماط الاستعارة في الخطاب، والجزء الذي ناقشت فيه دور الموضوع والسياق في اختيار مجال المصدر في الفصل الثالث. لقد لاحظ كوفيستش كذلك، كيف يُحتمل أن يتأثر اختيار مجال المصدر الاستعاري بالموضوع أو ببعض أبعاد الموقف الاتصالي، نتيجة لما يطلق عليه "ضغوط التماسك المعنوي **pressure of coherence**". مع ذلك، فإن هذه الظاهرة تلقت في المجمل اهتمامًا محدودًا. ولذلك فسوف أقدم خلاصة لتجلياتها ووظائفها في النصوص التي ناقشتها على مدار هذا الكتاب.

تتضمن الاستعارات المحفزة بالموضوع استخدام بعض أبعاد الموضوع الذي تم مناقشته، كمجال أو سيناريو مصدر. ينطبق هذا، على سبيل المثال، عندما يتضمن عنوان صحيفة تعبيرا استعاريًا يرتبط معناه الأساسي على نحو مباشر بموضوع المقال نفسه. ذكرت في أنماط الاستعارة في الخطاب مقالا حول انهيار العلاقات الدبلوماسية بين بلدين إفريقيين بسبب السيطرة على جزء من منطقة الصحارى، تم تقديمه بعنوان رئيسي هو "صحراء دبلوماسية". ينطبق المعنى الأساسي لكلمة "صحراء" حرفيًا على موضوع المقال، لكن الاسم استخدم استعاريًا في العنوان الرئيسي ليشي بافتقاد العلاقات الدبلوماسية. وعلى نحو مشابه، استُخدم

العنوان الرئيسي "رؤيةٌ أم نبوءة عرافة؟ لماذا يجد العلماء أن تشخيصات فتاة "أشـعة إكس" صعبة الهضم" **'x-ray" girl hard to stomach"**؟ لتقديم مقال يتعلق بمراهقـة روسية زُعم أنها قادرة على "رؤية" ما بداخل أجساد البشر، وتشخيص أمراضـهم[1]. تعبير "صعب الهضم **hard to stomach**" استُخدم تقليديا ليصف شيئًا ما من الـصعب قبوله. ومع ذلك فإن المعنى الأساسي "للمعدة" ينطبق حرفيًا على موضـوع المقـال، نظرًا لأن الفتاة الصغيرة موضوع البحث افتُرض أنها قادرة على رؤيـة الأعـضاء الداخلية للبشر، بما فيها مَعِدَاتهم. وكما ذكرت من قبل، يتـضمن هـذا النـوع مـن الاستعارة المحفزة بالموضوع إنتاج لمحات فكاهية، وبشكل مبـدئي يقـوم بوظيفـة فكاهية وجاذبة للاهتمام، وهو ما يناسب عناوين الصحف على وجه الخصوص.

اقترحت مع ذلك في الفصل الثالث أن الاستعارات المحفزة بالموضوع قـد تُستغل بطرق أقل وضوحًا لتعزيز واستغلال ارتباطات قائمة بين مجالات المصدر والهدف (انظر دور الموضوع والسياق في اختيار مجال المـصدر فـي الفـصل الثالث). ينطبق هذا، على سبيل المثال، على وصف رودلف جيلياني لصدام حسين بأنه "سلاح دمار شامل"، لتبرير غزو العراق في ٢٠٠٣: لقد كان ادعاء أن صدام حسين يمتلك أسلحة دمار شامل هو الحافز الرسمي الرئيسي للحـرب، لكـن تلـك الأسلحة لم يتم العثور عليها في الحقيقة. ومع ذلك فإن جيلياني يبرز جرائم صـدام القديمة، بما فيها حقيقة أنه استخدم أسلحة دمار شامل. ومن ثـمَّ، فـإن اسـتخدام تصور سلاح الدمار الشامل كمفهوم مصدر في وصف صدام نفسه قد يُدرك علـى أنه مناسب، تحديدًا من قِبَل جمهور جيلياني في مؤتمر الحزب الجمهـوري لعـام ٢٠٠٤، الذين ربما يكونون قد أُقنِعوا بأن الأسلحة الاستعارية قـد تبـرر الحـرب بنفس قدرة الأسلحة الحقيقية على تبريرها.

---

(١) انظر، *Guardian Unlimited*, 25 September 2004.

أمثلتي الأخرى على الاستعارات المحفَّزة بالموضوع في السياسة كانت أقل ملحوظية بكثير، وتضمنت الكثير من التعبيرات الاستعارية التقليدية. فعلى سبيل المثال، يرسخ منشور الحزب القومي البريطاني الذي ناقشته في حالة الدراسة الثانية في الفصل الثالث بشكل واضح ارتباطًا قويًا مؤسسًا في العالم الحقيقي بين طالبي اللجوء والهجمات الإرهابية في أوروبا، ويصف بشكل منظم كذلك تأثيرات وصول طالبي اللجوء إلى بريطانيا بواسطة الإحالات الاستعارية إلى القنابل والمتفجرات والدمار المادي. وفي مثل هذه الحالات، فإنه لا توجد أية تورية أو لعبة كلمات واضحة بين المعاني الحرفية والاستعارية للتعبيرات وثيقة الصلة. ومع ذلك فإن اختيار الاستعارات المحفزة بالموضوع قد يزيد من القوة البلاغية للنص بالنسبة لجمهور معين، نظرا لأن هذه الاستعارات تستند إلى ترابطات قارة غير استعارية وتقييمية بدرجة عالية بين مجالات المصدر والهدف. لقد لوحظت هذه الظاهرة في دراسات أخرى للاستعارات المستخدمة بخصوص الهجرة، التي تميل إلى أن تكون موصوفة (سلبيًا) من منظور خصائص ترتبط "حرفيًا" بالمهاجرين، بواسطة قطاع من الجمهور العام على الأقل. يناقش أوبريان، على سبيل المثال، الاستعارات المستخدمة في النقاش حول قيود الهجرة في الولايات المتحدة الأمريكية في بدايات القرن العشرين، وقدم الفكرة التالية حول تكرار التعبيرات الاستعارية، التي تقدم المهاجرين على أنهم بكتريا أو مخلوقات مسببة للمرض:

> علاوة على ذلك، فإنه كان يُخشى دومًا من المهاجرين كحاملين للمرض، وهكذا فإن العامة كانوا محكومين بالتفكير فيهم على هذا النحو. تم تمرير السياسات المبكرة المقيدة للهجرة استجابةً للخوف الفعلي للغاية من انتشار المرض من الأجانب

> القادمين [..]. وما إن تشكل الرابط بين المرض والمهاجرين أصبح من الميسور لغويًا وصف كل المهاجرين على أنهم كائنات يحتمل أن تكون حاملة للمرض بما يهدد صحة الأمة"[1].

تنطبق اعتبارات مشابهة على ما أُطلق عليه "الاستعارات المحفزة بالموقف"، حيث مجال المصدر أو السيناريو المختار يتم ربطه ببعض أبعاد الموقف التواصلي وثيق الصلة. وعلى سبيل المثال فإن إعلان لوكوزاد الذي ناقشته في الفصل الخامس، قصد منه أن يُشاهَد في محطات خدمة الوقود، ويستغل عملية تزود السيارات بالوقود ليصف المنتج: بصياغة أخرى، فإن المفاهيم والسيناريوهات التي تقوم بوظيفة المصادر الاستعارية هي جزء مهم من السياق المكاني الذي يوضع فيه الإعلان بشكل ملموس. أما في الطرد البريدي المتضمن لإعلان بنك باركليز الذي وصفته كذلك في الفصل الخامس فإن الحالة الصحية المرتبطة بتوقيت معين في السنة هي التي تلهم باختيار الاستعارة. أرسل الطرد البريدي أوائل يناير، وكان يستهدف تحديدًا الناس الذين كان لإفراطهم المتتابع في أكلهم وشربهم ونفقاتهم في فترة الإجازات القريبة تأثير سلبي على صحتهم وحالتهم المالية. ومن ثمَّ فإن القروض التي يعرضها البنك توصف استعاريًا كبرنامج معزز للصحة، ومخلّص من التسمم. يتم إدراك استخدام الاستعارة في مثل هذه الحالات على أنه ساخر وفكاهي (وليس كعناوين الصحف التي وصفتها فيما سبق)، لكنها كذلك تستغل بشكل استراتيجي الارتباطات الواقعية لكي تقدم استهلاك المنتج على أنه جزء ضروري و"طبيعي"، على التوالي، من التوقف في محطات خدمة الوقود، وبداية حياة "جديدة" في بداية العام.

---

(١) انظر، O'Brien 2003: 36.

كما هو الحال مع الاستعارات المحفزة بالموضوع فإن استخدام استعارات محفزة بالموقف في الخطاب السياسي له وظيفة إقناعية مهيمنة. ذكرت في الفصل الثالث في الجزء الخاص بدور الموضوع والسياق في اختيار مجال المصدر استخدام سيلفيو بيرلسكوني المتكرر والمبدع لاستعارات كرة القدم في بداية حياته السياسية في عام ١٩٩٤، بما فيها اختيار اسم وعلم الحزب السياسي الذي أوجده **(Forza Italia)**. اختيار مجال المصدر، في هذه الحالة، مرتبط بأنشطة المتكلم نفسه، الذي اشتهر بنجاحه كمالك لنادي كرة القدم إيه سي ميلان. وكما ذُكر في هذا الجزء فإن بيرلسكوني اقترح ضمنيًا في مناسبات عديدة أنه يمكن أن يفعل لإيطاليا ما فعله لناديه لكرة القدم، وأن مواطني إيطاليا يجب أن يحذوا حذو فريق إيه سي ميلان[١]. وفي هذه الحالة فإن الاستعارة المحفزة بالموقف، تقوم بوضوح شديد بوظيفة أداة بلاغية، خاصة في جهود إضفاء الشرعية على بيرلسكوني كسياسي محنك وأهل للثقة.

ومع ذلك فإن اختيار الاستعارات المحفزة بالموضوع أو الموقف لا يتم دومًا بشكل متعمد. فقد درس بويرز **Boers**، على سبيل المثال، استخدام التعبيرات الاستعارية في مدونة من المقالات مأخوذة من جريدة الإيكونوميست، ولاحظ أن استعارات **الصحة** استخدمت بشكل متكرر أثناء شهور الشتاء الباردة (في النصف الشمالي من الكرة الأرضية)؛ بما يعني أنه وقت من السنة يجعل التكرار العالي للإصابات الفيروسية الناس أكثر وعيًا بأجسادهم وحالتهم الصحية. واستنتج أنه، حينما يكون عدد من الاستعارات التقليدية متاحًا لنفس مجال المصدر، فإن "الأكثر

---

(١) انظر أيضا، Semino and Masci 1996.

احتمالا هو استخدام مجال مصدر للربط الاستعاري، لأنه يصبح أكثر محورية في الخبرة اليومية(١).

تشي هذه الأمثلة بأن التحفيز بالموضوع والموقف في استخدام الاستعارة، ربما يكون أكثر تكرارا مما يستنتجه المرء من ندرة الدراسات في هذا الحقل. وأود أن أبرهن على أن هذه الظواهر وثيقة الصلة بعلماء الاستعارة في أمرين. فهي من ناحية، تشير بقوة إلى أن اختيار الاستعارة يمكن أن يكون متأثرا – بالإضافة إلى أشياء أخرى– بخبرات تعد محورية في الوقت الراهن وبتمثيلات ذهنية نشطة في الوقت الراهن، سواء أكانت مرتبطة بالموضوع الذي تتم مناقشته أم بالمتكلم/الكاتب، أم بالوقت من السنة، وهلم جرا. ثانيًا، توضح العديد من الأمثلة أن اختيار مجال أو سيناريو مصدر مرتبط بالموضوع أو الموقف التواصلي ربما يكون استراتيجية متعمدة هدفها ليس التسلية فحسب، بل كذلك الإقناع والتأثير في السلوك، خاصة في حقلي الإعلان والسياسة. وبالتالي فإن هذه الظواهر تستحق دراسة إضافية أكثر تنظيمًا.

يجدر بي أن أشير في الخاتمة إلى أن النصوص التي درستها بالتفصيل على مدار هذا الكتاب تم اختيارها لكونها مثيرة بشكل أصيل، وأنها بذلك ليست شكلا تراكميًا من مدونة بيانات ممثِّلة ومتوازنة. ويعني هذا أن أطروحاتي حول انتشار وتوزيع وتكرار ظاهرة معينة (مثل استخدام التعبيرات الاستعارية الإبداعية، أو الاستعارات المحفزة بالموضوع) لا يمكن إلا أن تكون مشروطة، وتتطلب فحوصًا أخرى أكثر نسقية ومبنية على مدونة. ومع ذلك فإنني آمل أن أكون قد أوضحت أن دراسة الخطاب تتطلب فهمًا لتجليات الاستعارة ووظائفها، وأن أكون قد قدمت بعض الإرشادات للقراء الذين يحتاجون إلى التعامل مع تعقيدات استخدام الاستعارة في البيانات الحقيقية.

---

(١) انظر، Boers 1999: 55.

مسـرد

الترجمة	المصطلح
الابتعاد عن الأنماط التقليدية	**departure**
الابتكار الاستعاري	**metaphorical creativity**
إتقان استخدام الاستعارة	**command of metaphor**
أداة معرفية	**cognitive tool**
الازدواجية	**duality**
أساس تجريبي	**empirical footing**
استعارات أحادية التركيز	**integrated focus metaphors**
الاستعارات التصويرية	**image metaphors**
الاستعارات التعليمية (التدريسية)	**pedagogical metaphors**
الاستعارات التفسيرية	**exegetical metaphors**
الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحاسوب	**computer metaphors**
الاستعارات التي تتضمن ذكرًا للحيوان	**animal metaphors**
الاستعارات التي لها علاقة بالآلات	**machine metaphors**
الاستعارات التي لها علاقة بالحشائش والأعشاب	**weed metaphor**

conceptual metaphors	الاستعارات المفهومية
mega metaphors	الاستعارات الكبرى
war metaphors	الاستعارات المأخوذة من الحرب
fighting metaphors	الاستعارات المأخوذة من مجال القتال
noun metaphors	الاستعارات المبنية على استخدام الاسم
verb metaphors	الاستعارات المبنية على استخدام الفعل
closed metaphors	الاستعارات المغلقة
open metaphors	الاستعارات المفتوحة
deliberate metaphors	الاستعارات المقصودة
theory-constitutive metaphors	الاستعارات المكونة للنظرات
textually extended metaphors	الاستعارات الممتدة عبر النص
primary metaphors	الاستعارات الأولية
technical +theory constitutive metaphors	استعارات فنية ومكونة للنظريات
meta linguistic metaphors	استعارات لغوية شارحة
visual metaphors	استعارات مرئية
split focus metaphors	استعارات مقسمة التركيز
octopus metaphor	استعارة الأخطبوط
waste disposal metaphor	استعارة التخلص من الفضلات والنفايات

instruction metaphor	استعارة التعليمات
pushing metaphor	استعارة الدفع
journey metaphor	استعارة الرحلة
code metaphor	استعارة الشفرة
fame/clout metaphor	استعارة الشهرة و النفوذ
language / communication metaphor	استعارة اللغة/الاتصال
book metaphor	الاستعارة المستمدة من عالم الكتب
information metaphor	استعارة المعلومات
extended metaphor	الاستعارة الممتدة
metaphoricity	الاستعارية
introspective method	الأسلوب الاستبطاني
proper name	اسم علم
speech disorders	اضطرابات الكلام
narrative frame	إطار سردي
conceptual extension	امتداد المفاهيم
textual extension	الامتداد النصي
linguistic deviation	الانحراف اللغوي
verbal activities	الأنشطة الكلامية أو اللفظية

implicit metaphorical splitting	انقسام استعاري ضمني
patterns of metaphoricity	أنماط الاستعارية
linguistic patterns	الأنماط اللغوية
complex textual patterns	أنماط نصية معقدة
metaphoric hints	الإيماءات الاستعارية
narrative structure	بناء سردي
Bank of English Corpus	بنك المدونة الإنجليزية
visual effect	تأثير بصري
aesthetic effect	تأثير جمالي
linguistic realization	التحقق اللغوي
textual analysis	التحليل النصي
critical discourse analysis	التحليل النقدي للخطاب
masculine bias	تحيز ذكوري
British National Corpus (BNC)	المدونة البريطانية القومية
combination	التركيب والجمع
novel combinations	التركيبات المبتكرة
personification	التشخيص
questioning	التشكك (في الاستعارات التقليدية التي لها علاقة بالمفاهيم)

personifying expressions	التعبيرات التشخيصية
sub-technical expressions	تعبيرات شبه فنية
technical expressions	تعبيرات فنية
catachresis	التعسف المجازي
metaphorical clustering	التعنقد الاستعاري
elaboration	التفصيل
conceptual integration	تكامل المفاهيم
extension	التمديد
parallelism	التوازي (اللغوي)
sustained metaphorical undercurrents	تيارات أو موجات استعارية خفية وممتدة
The Movement	الحركة (شعراء الحركة)
novel mapping	الربط المبتكر
conceptual mapping	الربط المفاهيمي
narrative line	خط سردي
public discourse	الخطاب العام
scientific discourse	الخطاب العلمي
discourse of gene action	خطاب الفعل الجيني
technical discourse	الخطاب الفني
business discourse	خطاب المال و التجارة

discourse of gene action	خطاب النشاط الجيني
genetic discourse	الخطاب الوراثي
creation of patterns	خلق الأنماط
quantitative evidence	دليل كمي
merging	الدمج
first-person narrator	الراوي الذي يتحدث بضمير المتكلم
metaphorical signals	الرموز أو الإشارات الاستعارية
intertextual connections	الروابط النصية
modern novels	الروايات الحديثة
romance	الرومانسية
chains of metaphorical expressions	سلاسل من التعبيرات الاستعارية
literariness	السمت الأدبي
sonnet	السونيتة (قصيدة تتكون من أربعة عشر بيتًا)
scenario	سيناريو
metaphorical scenario	سيناريو استعاري
modern English poetry	الشعر الإنجليزي الحديث
Imagist poetry	الشعر التصويري
modern lyric poetry	الشعر الغنائي الحديث
inner conflict	صراع داخلي

textual phenomenon	ظاهرة نصية
cognitive habits	عادات معرفية
zeugma	العبارة الجامعة
contiguity	علاقة تماس
corpus linguistics	علم اللغويات النصية
cognitive psychology	علم النفس المعرفي
translation process	عملية الترجمة
illocutionary force	القوة الإنجازية
poetic thought	الفكر الشعري
verbal art	الفن اللفظي
concordance	الفهرس الأبجدي
allegory	القصة الرمزية/ الكناية
mini-allegory	القصة الرمزية المصغرة
narrative of science	القصة العلمية
narratives of nature	قصص الطبيعة
poetic metaphor conceptual power	القوة المفهومية للاستعارة الشعرية
artistic value	القيمة الفنية
metaphoric writers	الكتاب الاستعاريين (من مؤيدي استخدام الاستعارة)

metonymic writers	الكتاب من مؤيدي استخدام الكناية
monosyllabic words	كلمات أحادية المقطع
key words	الكلمات الرئيسية والمهمة
collocates	الكلمات المتصاحبة
metonymy	الكناية
literal language	اللغة الحرفية
divine language	لغة إلهية مقدسة
corpus-based analysis	التحليل المبني على المدونة
knife metaphor	الاستعارة التي تحوي ذكرًا للسكين
extra figuration	المجاز الفائض أو الإضافي
source domain	المجال أو النطاق الأصلي
target domain	المجال أو النطاق المستهدف
lemma	مدخل معجمي
chronological	مرتب تاريخيًا
primary scenes	مشاهد أولية
scene	مشهد
technical terms	المصطلحات الفنية
cross-linguistic equivalent	المعادل المتعدد اللغات
metaphorical battle	معركة استعارية
metaphorical significance	المغزى الاستعاري
metaphor keys	مفاتيح الاستعارة

discoursally systematic	منضبط ومنتظم خطابيًا
transcribed	موصفة صوتيًا
metaphor theory	نظرية الاستعارة
Cognitive Metaphor Theory (CMT)	نظرية الاستعارة المعرفية
Blending Theory	نظرية الدمج/ المزج
folk theory of communication	نظرية شعبية للاتصال
conceptual models	نماذج المفاهيم
metaphorical model	نموذج استعاري
structural model	النموذج البنائي
Multiple Drafts Model	النموذج المتعدد المسودات
inflections	النهايات الإعرابية أو التصريفية
textual function	الوظيفة النصية

References

Abrams, M. H., Donaldson, E. T., Smith, H., *et al.* (1979). *The Norton Anthology of English Literature*. New York: W. W. Norton & Co.

Allbritton, D. W. (1995). When metaphors function as schemas: some cognitive effects of conceptual metaphors. *Metaphor and Symbolic Activity*, 10 (1), 33–46.

Allen, G. (2000). *Intertextuality*. London: Routledge.

Avise, J. C. (2001). Evolving genomic metaphors: a new look at the language of DNA. *Science*, 294 (5540), 86–7.

Baars, B. J. (1988). *A Cognitive Theory of Consciousness*. Cambridge: Cambridge University Press.

Baker, P. and McEnery, T. (2005). A corpus-based approach to discourses of refugees and asylum seekers in UN and newspaper texts. *Journal of Language and Politics*, 4 (2), 197–226.

Balbus, I. (1975). Politics as sport: the political ascendancy of the sports metaphor in America. *Monthly Review*, 26 (10), 26–39.

Barcelona, A. (1995). Metaphorical models of romantic love in *Romeo and Juliet*. *Journal of Pragmatics*, 24 (6), 667–88.

Barthes, R. (1981). *Image, Music, Text*. Glasgow: Fontana Press.

Belkaid, Y. and Rouse, B. T. (2005). Natural regulatory T cells in infectious disease. *Nature Immunology*, 6 (4), 353–60.

Biber, D., Conrad, S. and Reppen, R. (1998). *Corpus Linguistics: Investigating Language Structure and Use*. Cambridge: Cambridge University Press.

Black, M. (1962). *Models and Metaphors: Structure in Language and Philosophy*. Ithaca, N.Y.: Cornell University Press.

(1993). More about metaphor. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 19–41. Cambridge: Cambridge University Press.

Boers, F. (1999). When a bodily source domain becomes prominent: the joy of counting metaphors in the socio-economic domain. In R. W. Gibbs, Jr. and G. J. Steen (eds.), *Metaphor in Cognitive Linguistics*, pp. 47–56. Amsterdam: John Benjamins.

Boyd, R. (1993). Metaphor and theory change: What is 'metaphor' a metaphor for? In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 481–532. Cambridge: Cambridge University Press.

Bradley, M. and Sunley, C. (2005). *GCSE Physics Revision Guide*. London.

Brown, P. and Levinson, S. C. (1987). *Politeness: Some Universals in Language Usage*. Cambridge: Cambridge University Press.

Brown, T. L. (2003). *Making Truth: Metaphor in Science*. Urbana, Ill.: University of Illinois Press.

Cameron, L. (1999). Operationalising 'metaphor' for applied linguistic research. In L. Cameron and G. Low (eds.), *Researching and Applying Metaphor*, pp. 3–28. Cambridge: Cambridge University Press.

(2003). *Metaphor in Educational Discourse*. London: Continuum.

Cameron, L. and Deignan, A. (2003). Combining large and small corpora to investigate tuning devices around metaphor in spoken discourse. *Metaphor and Symbol*, 18 (3), 149–60.

Cameron, L. and Low, G. (2004). Figurative variation in episodes of educational talk and text. *European Journal of English Studies*, 8 (3), 355–73.

Cameron, L. and Stelma, J. H. (2004). Metaphor clusters in discourse. *Journal of Applied Linguistics*, 1 (2), 107–36.

Canter, D. (1988). How do we know that it works? Therapeutic outcome as negotiation. *Complementary Medical Research*, 2 (3), 98–106.

Capra, F. (1996). *The Web of Life: A New Synthesis of Mind and Matter*. New York: Anchor Books.

Carter, R. (2004). *Language and Creativity: The Art of Common Talk*. London: Routledge.

Carter, R. and McCarthy, M. (2004). Talking, creating: interactional language, creativity, and context. *Applied Linguistics*, 25 (1), 62–88.

Carter, R. and Nash, W. (1990). *Seeing through Language: A Guide to Styles of English Writing*. Oxford: Basil Blackwell.

Chabot, C. N. (1999). *Understanding the Euro: The Clear and Concise Guide to the New Trans-European Economy*. New York: McGraw-Hill.

Chantrill, P. A. and Mio, J. S. (1996). Metonymy in political discourse. In J. S. Mio and A. N. Katz (eds.), *Metaphor: Implications and Applications*, pp. 171–84. Mahwah, N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.

Charteris-Black, J. (2003). Speaking with forked tongue: A comparative study of metaphor and metonymy in English and Malay phraseology. *Metaphor and Symbol*, 14 (4), 289–310.

(2004). *Corpus Approaches to Critical Metaphor Analysis*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

(2005). *Politicians and Rhetoric: The Persuasive Power of Metaphor*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Chew, M. K. and Laubichler, M. D. (2003). Natural enemies – metaphor or misconception? *Science*, 301 (5629), 52–3.

Chiappe, D., Kennedy, J. M. and Smykowski, T. (2003). Reversibility, aptness, and the conventionality of metaphors and similes. *Metaphor and Symbol*, 18(2), 85–105.

Childs, P. (1999). *The Twentieth Century in Poetry: A Critical Survey*. London: Routledge.

Chilton, P. (1985). *Language and the Nuclear Arms Debate: Nukespeak Today*. London: Pinter.

(1996). *Security Metaphors: Cold War Discourse from Containment to Common House*. New York: Peter Lang.

(2004). *Analysing Political Discourse: Theory and Practice*. London: Routledge.

Chilton, P. and Schäffner, C. (2002). Introduction: themes and principles in the analysis of political discourse. In P. Chilton and C. Schäffner (eds.), *Politics as Talk and Text: Analytic Approaches to Political Discourse*, pp. 1–41. Amsterdam: John Benjamins.

Ching, M. K. L. (1993). Games and play: pervasive metaphors in American life. *Metaphor and Symbolic Activity*, 8 (1), 43–65.
Combs, G. and Freedman, J. (1990). *Symbol, Story, and Ceremony: Using Metaphor in Individual and Family Therapy*. New York and London: Norton.
Conquest, R. (1962). *New Lines*. London: Macmillan.
Cook, G. (1994). *Discourse and Literature: The Interplay of Form and Mind*. Oxford: Oxford University Press.
(2001). *The Discourse of Advertising*. London: Routledge.
Cooper, L. (2005). *Aristotle on the Art of Poetry*. Whitefish, Mont.: Kessinger Publishing.
Corts, D. P. and Pollio, H. R. (1999). Spontaneous production of figurative language and gesture in college lectures. *Metaphor and Symbol*, 14 (2), 81–100.
Crisp, P. (1996). Imagism's metaphors: a test case. *Language and Literature*, 5 (2), 79–92.
(2001). Allegory: conceptual metaphor in history. *Language and Literature*, 10 (1), 5–19.
(2003). Conceptual metaphor and its expressions. In J. Gavins and S. Gerard (eds.), *Cognitive Poetics in Practice*, pp. 99–113. London: Routledge.
Croft, W. and Cruse, D. A. (2004). *Cognitive linguistics*. Cambridge: Cambridge University Press.
Czechmeister, C. A. (1994). Metaphor in illness and nursing: a two-edged sword. *Journal of Advanced Nursing*, 19, 1226–33.
Darian, S. (2000). The role of figurative language in introductory science texts. *International Journal of Applied Linguistics*, 10 (2), 163–86.
(2003). *Understanding the Language of Science*. Austin, Tex.: University of Texas Press.
De Souza, L. H. and Frank, A. O. (2000). Subjective pain experience of people with chronic back pain. *Physiotherapy Research International*, 5 (4), 207–19.
Deane, P. D. (1995). Metaphors of centre and periphery in Yeats' *The Second Coming*. *Journal of Pragmatics*, 24 (6), 627–42.
Deignan, A. (1995). *Collins Cobuild Guides to English 7: Metaphor*. London: Harper Collins.
(1999). Corpus-based research into metaphor. In L. Cameron and G. Low (eds.), *Researching and Applying Metaphor*, pp. 177–99. Cambridge: Cambridge University Press.
(2000). Persuasive uses of metaphor in discourse about business and the economy. In C. Heffer and H. Sauntson (eds.), *Words in Context: A Tribute to John Sinclair on His Retirement*, pp. 156–68. Birmingham: English Language Research Discourse Analysis Monographs.
(2003). Metaphorical expressions and culture: an indirect link. *Metaphor and Symbol*, 18 (4), 255–71.
(2005). *Metaphor and Corpus Linguistics*. Amsterdam: John Benjamins.
(forthcoming). Linguistic data and conceptual metaphor theory. In M. Cavalcanti, M. Zanotto and L. Cameron (eds.), *Confronting Metaphor in Applied Linguistics*. Amsterdam: John Benjamins.
Deignan, A. and Potter, L. (2004). A corpus study of metaphors and metonyms in English and Italian. *Journal of Pragmatics*, 36 (7), 1231–52.
Dennett, D. (2001). Are we explaining consciousness yet? *Cognition*, 79 (1–2), 221–37.

Dickens, C. (1994). *Hard Times*. London: Penguin.

Dirven, R., Frank, R. M. and Pütz, M. (2003). *Cognitive Models in Language and Thought*. Hawthorne, N. Y.: Mouton de Gruyter.

Drew, P. and Holt, E. (1998). Figures of speech: figurative expressions and the management of topic transition in conversation. *Language in Society*, 27 (4), 495–522.

El Refaie, E. (2001). Metaphors we discriminate by: naturalized themes in Austrian newspaper articles about asylum seekers. *Journal of Sociolinguistics*, 5 (3), 352–71.

Emmott, C. (2002). 'Split selves' in fiction and in medical life stories: cognitive linguistic theory and narrative practice. In E. Semino and J. Culpeper (eds.), *Cognitive Stylistics: Language and Cognition in Text Analysis*, pp. 153–81. Amsterdam: John Benjamins.

Encyclopaedia Britannica (1999). CD-ROM. Chicago, Ill.: Encyclopaedia Britannica Inc.

Eubanks, P. (2000). *A War of Words in the Discourse of Trade: The Rhetorical Constitution of Metaphor*. Carbondale: Southern Illinois University Press.

Eysenck, M. W. and Keane, M. T. (2000). *Cognitive Psychology: A Student's Handbook*. Hove: Psychology Press.

Fairclough, N. (1992). *Discourse and Social Change*. Cambridge: Polity Press.

Fauconnier, G. and Turner, M. (2002). *The Way We Think: Conceptual Blending and the Mind's Hidden Complexities*. New York: Basic Books.

Fontenot, J. D. and Rudensky, A. Y. (2005). A well adapted regulatory contrivance: regulatory T cell development and the forkhead family transcription factor Foxp3. *Nature Immunology*, 6 (4), 331–7.

Forceville, C. (1996). *Pictorial Metaphor in Advertising*. London: Routledge.

Forster, E. M. (1924). *A Passage to India*. London: Edward Arnold.

Freeman, D. C. (1993). 'According to my bond': King Lear and re-cognition. *Language and Literature*, 2 (1), 1–18.

(1995). 'Catch[ing] the nearest way': Macbeth and cognitive metaphor. *Journal of Pragmatics*, 24 (6), 689–708.

(1999). 'The rack dislimns': schema and metaphorical pattern in Anthony and Cleopatra. *Poetics Today*, 20 (3), 443–60.

Freeman, M. H. (1995). Metaphor making meaning: Emily Dickinson's conceptual universe. *Journal of Pragmatics*, 24 (6), 643–66.

(2000). Poetry and the scope of metaphor: toward a cognitive theory of literature. In A. Barcelona Sánchez (ed.), *Metaphor and Metonymy at the Crossroads: A Cognitive Perspective*, pp. 253–81. Berlin: Mouton de Gruyter.

Gems, D. and McElwee, J. J. (2005). Broad spectrum detoxification: the major longevity assurance process regulated by insulin/IGF-1 signaling? *Mechanisms of Ageing and Development*, 126 (3), 381–7.

Gentner, D. and Bowdle, B. F. (2005). The career of metaphor. *Psychological Review*, 112 (1), 193–216.

Gentner, D. and Gentner, D. R. (1983). Flowing waters or teeming crowds: mental models of electricity. In D. Gentner and A. L. Stevens (eds.), *Mental Models*, pp. 447–80. Hillsdale, N. J.: Elrbaum.

Gentner, D. and Grudin, J. (1985). The evolution of mental metaphors in psychology: a 90-year retrospective. *American Psychologist*, 40 (2), 181.

Gentner, D. and Jeziorski, M. (1993). The shift from metaphor to analogy in Western science. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 447–80. Cambridge: Cambridge University Press.

Gibbs, R. W. Jr. (1994). *The Poetics of Mind: Figurative Thought, Language, and Understanding*. Cambridge: Cambridge University Press.

Giora, R. (2003). *On Our Mind: Salience, Context, and Figurative Language*. Oxford: Oxford University Press.

Glucksberg, S. (2001). *Understanding Figurative Language: From Metaphors to Idioms*. Oxford: Oxford University Press.

Goatly, A. (1997). *The Language of Metaphors*. London: Routledge.

(2002). Conflicting metaphors in the Hong Kong special administrative region educational reform proposals. *Metaphor and Symbol*, 17 (4), 263–94.

(2007). *Washing the Brain: Metaphor and Hidden Ideology*. Amsterdam: John Benjamins.

Goddard, A. (1998). *The Language of Advertising*. London: Routledge.

Goffmann, E. (1975). *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience*. Harmondsworth: Penguin.

Goossens, L., Pauwels, P., Rudzka-Ostyn, B., Simon-Vandenbergen, A.-M. and Vanparys, J. (1995). *By Word of Mouth: Metaphor, Metonymy and Linguistic Action in a Cognitive Perspective*. Amsterdam: John Benjamins.

Grady, J. (1997a). Foundations of meaning: primary metaphors and primary scenes. Unpublished PhD thesis. Berkeley: University of California.

(1997b). THEORIES ARE BUILDINGS revisited. *Cognitive Linguistics*, 8 (4), 267–90.

(1998). The 'Conduit' metaphor revisited: a reassessment of metaphors for communication. In J.-P. Koenig (ed.), *Discourse and Cognition: Bridging the Gap*, pp. 205–18. Stanford, Calif.: CSLI Publications.

(1999). A typology of motivation for conceptual metaphor: correlation vs. resemblance. In R. W. Gibbs Jr. and G. Steen (eds.), *Metaphor in Cognitive Linguistics*, pp. 79–100. Amsterdam: John Benjamins.

Green, T. F. (1993). Learning without metaphor. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 610–20. Cambridge: Cambridge University Press.

Greer, S. (1991). Psychological response to cancer and survival. *Psychological Medicine*, 21 (11), 43–9.

Halliday, M. A. K. (1978). *Language as Social Semiotic: The Social Interpretation of Language and Meaning*. London: Edward Arnold.

(2004). *The Language of Science*. London: Continuum.

Halliday, M. A. K. and Hasan, R. (1985). *Language, Context, and Text: Aspects of Language in a Social-semiotic Perspective*. Victoria: Deakin University.

Hamilton, C. (1996). Mapping the mind and the body: on W. H. Auden's personifications. *Style*, 36, 408–27.

(2003). Genetic roulette: on the cognitive rhetoric of biorisk. In R. Dirven, F. Roslyn and M. Pütz (eds.), *Cognitive Models in Language and Thought*, pp. 353–93. Berlin: Mouton de Gruyter.

Hardie, A., Koller, V., Rayson, P. and Semino, E. (2007). Exploiting a semantic annotation tool for metaphor analysis. *Proceedings of Corpus Linguistics 2007*, University of Birmingham.

Harris, J. (1999). *Chocolat*. London: Doubleday.
Heywood, J. and Semino, E. (2007). Metaphors for speaking and writing in the British press. In S. Johnson and A. Esslin (eds.), *Language in the Media: Representations, Identities, Ideologies*, pp. 25–47. London: Continuum.
Hiraga, M. (1999). 'Blending' and an interpretation of haiku: a cognitive approach. *Poetics Today*, 20, 461–82.
(2005). *Metaphor and Iconicity: A Cognitive Approach to Analysing Texts*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.
Hobbes, T. (1651). *Leviathan, or, The Matter, Forme & Power of a Common-Wealth Ecclesiasticall and Civill*. London: Andrew Crooke.
Hoffman, R. R., Cochran, E. L. and Nead, J. M. (1990). Cognitive metaphors in experimental psychology. In D. E. Leary (ed.), *Metaphors in the History of Psychology*, pp. 173–229. Cambridge: Cambridge University Press.
Howe, N. (1988). Metaphor in contemporary American political discourse. *Metaphor and Symbolic Activity*, 3 (2), 87–104.
Jäkel, O. (1999). Kant, Blumenberg, Weinrich: some forgotten contributions to the Cognitive Theory of Metaphor. In R. W. Gibbs Jr. and G. J. Steen (eds.), *Metaphor in Cognitive Linguistics*, pp. 9–27. Amsterdam: John Benjamins.
Jakobson, R. (1956). Two aspects of language and two types of aphasic disturbances. In R. Jakobson and M. Halle (eds.), *Fundamentals of Language*, pp. 53–82. The Hague: Mouton.
(1960). Closing statement: linguistics and poetics. In T. A. Sebeok (ed.), *Style and Language*, pp. 350–77. Cambridge, Mass.: Massachussetts Institute of Technology Press.
Jansen, S. C. and Sabo, D. (1994). The sport/war metaphor: hegemonic masculinity, the Persian Gulf war and the New World Order. *Sociology of Sports Journal*, 11, 1–17.
Jennings, E. (1979). *Selected Poems*. Manchester: Carcanet.
Johnson, M. (1987). *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination, and Reason*. Chicago: University of Chicago Press.
Johnson-Laird, P. N. and Garnham, A. (1979). Descriptions and discourse models. *Linguistics and Philosophy*, 3, 371–93.
Kangas, I. (2001). Making sense of depression: perceptions of melancholia in lay narratives. *Health*, 5 (1), 76–92.
Keller, E. F. (1995). *Refiguring Life: Metaphors of Twentieth-century Biology*. New York: Columbia University Press.
Kesey, K. (1973). *One Flew Over the Cuckoo's Nest*. London: Picador.
Kittay, E. F. (1987). *Metaphor: Its Cognitive Force and Linguistic Structure*. Oxford: Clarendon.
Knowles, M. and Moon, R. (2006). *Introducing Metaphor*. London: Routledge.
Knudsen, S. (2003). Scientific metaphors going public. *Journal of Pragmatics*, 35 (8), 1247–63.
Koller, V. (2002). 'A shotgun wedding': co-occurrence of war and marriage metaphors in mergers and acquisitions discourse. *Metaphor and Symbol*, 17 (3), 179–203.
(2003). Metaphor clusters, metaphor chains: analysing the multifunctionality of metaphor in text. *Metaphorik.de*, 5, 115–34.
(2004a). Businesswomen and war metaphors: 'possessive, jealous and pugnacious?' *Journal of Sociolinguistics*, 8 (1), 3–22.

(2004b). *Metaphor and Gender in Business Media Discourse: A Critical Cognitive Study.* Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Kosslyn, S. M. and Koenig, O. (1992). *Wet Mind: The New Cognitive Neuroscience.* New York: Free Press.

Kövecses, Z. (2000). *Metaphor and Emotion: Language, Culture, and Body in Human Feeling.* Cambridge: Cambridge University Press.

(2002). *Metaphor: A Practical Introd*[illegible]. Oxford: Oxford University Press.

(2005). *Metaphor in Culture: Uni*[illegible]*ality and Variation.* Cambridge: Cambridge University Press.

Kress, G. R. and van Leeuwen, T. (2006). *Reading Images: The Grammar of Visual Design.* London: Routledge.

Lakoff, G. (1987). *Women, Fire, and Dangerous Things: What Categories Reveal about the Mind.* Chicago: University of Chicago Press.

(1991). Metaphor and war: the metaphor system used to justify war in the Gulf. *Journal of Urban and Cultural Studies,* 2 (1), 59–72.

(1993). The contemporary theory of metaphor. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought,* pp. 202–51. Cambridge and New York: Cambridge University Press.

(1996). Sorry, I'm not myself today: the metaphor system for conceptualizing the self. In G. Fauconnier and E. Sweetser (eds.), *Spaces, Worlds and Grammar,* pp. 91–123. Chicago: University of Chicago Press.

(2001). September 11, 2001. *Metaphorik.de.* www.metaphorik.de/aufsaetze/lakoff-september11.htm

Lakoff, G. and Johnson, M. (1980a). The metaphorical structure of the human conceptual system. *Cognitive Science,* 4, 195–208.

(1980b). *Metaphors We Live By.* Chicago: University of Chicago Press.

(1999). *Philosophy in the Flesh: The Embodied Mind and its Challenge to Western Thought.* New York: Basic Books.

(2003). *Metaphors We Live By.* Second edition. Chicago: University of Chicago Press.

Lakoff, G. and Turner, M. (1989). *More than Cool Reason: A Field Guide to Poetic Metaphor.* Chicago: University of Chicago Press.

Lascaratou, C. (2007). *The Language of Pain: Expression or Description.* Amsterdam: John Benjamins.

Leary, D. E. (1990a). *Metaphors in the History of Psychology.* Cambridge: Cambridge University Press.

(1990b). Psyche's muse: the role of metaphor in the history of psychology. In D. E. Leary (ed.), *Metaphors in the History of Psychology,* pp. 1–78. Cambridge: Cambridge University Press.

Leech, G. N. (1966). *English in Advertising: A Linguistic Study of Advertising in Great Britain.* London: Longman.

(1969). *A Linguistic Guide to English Poetry.* London: Longman.

Lindop, G. (2001). Elizabeth Jennings. *The Guardian Newspaper,* 31 October 2001.

Lipsky, R. (1981). *How We Play the Game: Why Sports Dominate American Life.* Boston, Mass.: Beacon Press.

Littlemore, J. and Low, G. (2006). *Figurative Thinking and Foreign Language Learning.* Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Lodge, D. (1977). *The Modes of Modern Writing: Metaphor, Metonymy, and the Typology of Modern Literature.* London: Edward Arnold.

(2001). *Thinks.* London: Secker & Warburg.
(2002). *Consciousness and the Novel.* London: Secker & Warburg.
Low, G. (2003). Validating metaphoric models in applied linguistics. *Metaphor and Symbol,* 18 (4), 239–54.
(2005). Explaining evolution: the use of animacy in an example of semi-formal science writing. *Language and Literature,* 14 (2), 129–48.
MacCormac, E. R. (1985). *A Cognitive Theory of Metaphor.* Cambridge, Mass.: Massachusetts Institute of Technology Press.
Macmillan English Dictionary for Advanced Learners (2002). London: Macmillan.
Mahon, J. E. (1999). Getting your sources right: what Aristotle didn't say. In L. Cameron and G. Low (eds.), *Researching and Applying Metaphor,* pp. 69–80. Cambridge: Cambridge University Press.
Margolin, U. (2003). Cognitive science, the thinking mind, and literary narrative. In D. Herman (ed.), *Narrative Theory and the Cognitive Sciences,* pp. 27–94. Stanford: CSLI Publications.
Mason, Z. (2004). CorMet: a computational, corpus-based conventional metaphor extraction system. *Computational Linguistics,* 30 (1), 23–44.
Mayer, R. E. (1993). The instructive metaphor: metaphoric aids to students' understanding of science. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought,* pp. 561–78. Cambridge: Cambridge University Press.
McArthur, F. (2005). The competent horseman in a horseless world: observations on a conventional metaphor in Spanish and English. *Metaphor and Symbol,* 20 (1), 71–94.
McCarthy, J. (1959). *Symposium on the Mechanization of Thought Processes.* London: HMSO.
McEnery, T. and Wilson, A. (2001). *Corpus Linguistics: An Introduction.* Edinburgh: Edinburgh University Press.
McEwan, I. (2001). *Atonement.* London: Jonathan Cape.
McMullen, L. M. and Conway, J. B. (2002). Conventional metaphors for depression. In S. R. Fussell (ed.), *The Verbal Communication of Emotions: Interdisciplinary Perspectives,* pp. 167–81. Mahwah, N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.
Miller, D. B. (1988). The nature–nurture issue: Lessons from the Pillsbury Doughboy. *Teaching of Psychology,* 15 (3), 147.
Minsky, M. (1975). A framework for representing knowledge. In P. E. Winston (ed.), *The Psychology of Computer Vision,* pp. 211–77. New York: McGraw-Hill.
Mio, J. S. (1996). Metaphor, politics and persuasion. In J. S. Mio and A. N. Katz (eds.), *Metaphor: Implications and Applications,* pp. 127–46. Mahwah, N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.
(1997). Metaphor and politics. *Metaphor and Symbol,* 12 (2), 113–33.
Mithen, S. J. (1998). *Creativity in Human Evolution and Prehistory.* London and New York: Routledge.
Moon, R. (1998). *Fixed Expressions and Idioms in English: A Corpus-based Approach.* Oxford: Clarendon Press.
Mukařovský, J. (1970). Standard language and poetic language. In D. C. Freeman (ed.), *Linguistics and Literary Style,* pp. 40–56. New York: Holt, Rinehart and Winston.
Musolff, A. (2004). *Metaphor and Political Discourse: Analogical Reasoning in Debates about Europe.* Basingstoke: Palgrave Macmillan.

(2006). Metaphor scenarios in public discourse. *Metaphor and Symbol*, 21 (1), 23–38.
Myers, G. (1990). *Writing Biology: Texts in the Social Construction of Scientific Knowledge*. Madison, Wis.: University of Wisconsin Press.
(1994). *Words in Ads*. London: Arnold.
Nelkin, D. (2001). Molecular metaphors: the gene in popular discourse. *Nature Review Genetics*, 2 (7), 555–9.
Nerlich, B. and Clarke, D. (2000). Clones and crops: the use of stock characters and word play in two debates about bioengineering. *Metaphor and Symbol*, 15 (4), 223–39.
Nerlich, B. and Dingwall, R. (2003). Deciphering the human genome: the semantic and ideological foundations of genetic and genomic discourse. In R. Dirven, F. Roslyn and M. Pütz (eds.), *Cognitive Models in Language and Thought*, pp. 395–427. Berlin: Mouton de Gruyter.
Nerlich, B. and Halliday, C. (2007). Avian flu: the creation of expectations in the interplay between science and the media. *Sociology of Health and Illness*, 29 (1), 46–65.
Nerlich, B., Dingwall, R. and Clarke, D. (2002). The book of life: how the completion of the Human Genome Project was revealed to the public. *Health: An Interdisciplinary Journal for the Social Study of Health, Illness and Medicine*, 6 (4), 1363–93.
Nowottny, W. (1962). *The Language Poets Use*. London: Athlone Press.
O'Brien, G. V. (2003). Indigestible food, conquering hordes, and waste materials: metaphors of immigrants and the early immigration restriction debate in the United States. *Metaphor and Symbol*, 18 (1), 33–47.
Ortony, A. (1993). The role of similarity in simile and metaphor. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 342–56. Cambridge: Cambridge University Press.
Parker, S. (1987). *The Body and How it Works*. London: Dorling Kindersley.
Petrie, H. G. and Ortony, A. (1993). Metaphor and learning. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 579–609. Cambridge: Cambridge University Press.
Plath, S. (1965). *Ariel*. London: Faber and Faber.
Popova, Y. (2002). The Figure in the Carpet: discovery or re-cognition. In E. Semino and J. Culpeper (eds.), *Cognitive Stylistics: Language and Cognition in Text Analysis*, pp. 49–71. Amsterdam: John Benjamins.
Pragglejaz Group (2007). MIP: A method for identifying metaphorically used words in discourse. *Metaphor and Symbol*, 22 (1), 1–39.
Reddy, M. J. (1993). The conduit metaphor: a case of frame conflict in our language about language. In A. Ortony (ed.), *Metaphor and Thought*, pp. 164–201. Cambridge: Cambridge University Press.
Reisfield, G. M. (2004). Use of metaphor in the discourse on cancer. *Journal of Clinical Oncology*, 22 (19), 4024–7.
Richards, I. A. (1936). *The Philosophy of Rhetoric*. Oxford: Oxford University Press.
Ritchie, D. (2003). 'ARGUMENT IS WAR' – Or is it a game of chess? Multiple meanings in the analysis of implicit metaphors. *Metaphor and Symbol*, 18 (2), 125–46.
Rohrer, T. (1991). To plow the sea: metaphors for regional peace in Latin America. *Metaphor and Symbolic Activity*, 6 (3), 163–81.
Romaine, S. (1996). War and peace in the global greenhouse: metaphors we die by. *Metaphor and Symbol*, 11 (3), 175–94.
Sakaguchi, S. (2005). Naturally arising Foxp3-expressing CD25+CD4+ regulatory T cells in immunological tolerance to self and non-self. *Nature Immunology*, 6 (4), 345–52.

Schank, R. C. (1982). *Dynamic memory: A Theory of Reminding and Learning in Computers and People.* Cambridge: Cambridge University Press.
(1999). *Dynamic Memory Revisited.* Cambridge: Cambridge University Press.
Schank, R. C. and Abelson, R. P. (1977). *Scripts, Plans, Goals and Understanding: An Inquiry into Human Knowledge Structures.* Hillsdale, N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.
Schrödinger, E. (1944). *What is Life?: The Physical Aspect of the Living Cell.* Cambridge: Cambridge University Press.
Schwartz, R. H. (2005). Natural regulatory T cells and self-tolerance. *Nature Immunology,* 6 (4), 327–30.
Scott, M. (1999). *WordSmith Tools.* Oxford: Oxford University Press.
Searle, J. R. (1997). *The Mystery of Consciousness.* London: Granta Books.
Segrave, J. O. (1994). The perfect 10: 'sportspeak' in the language of sexual relations. *Sociology of Sports Journal,* 11, 95–113.
Semino, E. (1997). *Language and World Creation in Poems and Other Texts.* London: Longman.
(2002a). A cognitive stylistic approach to mind style in narrative fiction. In E. Semino and J. Culpeper (eds.), *Cognitive Stylistics: Language and Cognition in Text Analysis,* pp. 95–122. Amsterdam: John Benjamins.
(2002b). A sturdy baby or a derailing train? Metaphorical representations of the euro in British and Italian newspapers. *Text,* 22 (1), 107–39.
(2005). The metaphorical construction of complex domains: the case of speech activity in English. *Metaphor and Symbol,* 20 (1), 35–69.
(2006a). Blending and characters' mental functioning in Virginia Woolf's 'Lappin and Lapinova'. *Language and Literature,* 15 (1), 55–72.
(2006b). Fictional characters and individual variation in metaphor use. In R. Benczes and S. Csábi (eds.), *The Metaphors of Sixty: Papers Presented on the Occasion of the 60th Birthday of Zoltán Kövecses,* pp. 227–35. Budapest: Eötvös Loránd University.
(2006c). A corpus-based study of metaphors for speech activity in British English. In A. Stefanowitsch and S. T. Gries (eds.), *Corpus-Based Approaches to Metaphor and Metonymy,* pp. 35–60. Berlin: Mouton de Gruyter.
Semino, E. and Masci, M. (1996). Politics is football: metaphor in the discourse of Silvio Berlusconi in Italy. *Discourse and Society,* 72, 243–69.
Semino, E. and Short, M. (2004). *Corpus Stylistics: Speech, Writing and Thought Presentation in a Corpus of English Writing.* London: Routledge.
Semino, E. and Steen, G. (forthcoming). Metaphor in literature. In W. J. Gibbs Jr. (ed.), *Handbook of Metaphor,* Cambridge: Cambridge University Press.
Semino, E. and Swindlehurst, K. (1996). Metaphor and mind style in Ken Kesey's *One Flew over the Cuckoo's Nest. Style,* 30 (1), 143–66.
Semino, E., Heywood, J. and Short, M. (2004). Methodological problems in the analysis of a corpus of conversations about cancer. *Journal of Pragmatics,* 36 (7), 1271–94.
Short, M. (1996). *Exploring the Language of Poems, Plays and Prose.* London: Longman.
Silberstein, S. (2002). *War of Words: Language, Politics, and 9/11.* London: Routledge.

Simon-Vandenbergen, A.-M. (1993). Speech, music and de-humanisation in George Orwell's *Nineteen Eighty-Four*: a linguistic study of metaphors. *Language and Literature*, 2, 157–82.

Skorczynska, H. and Deignan, A. (2006). Readership and purpose in the choice of economics metaphors. *Metaphor and Symbol*, 21 (2), 105–20.

Skott, C. (2002). Expressive metaphors in cancer narratives. *Cancer Nursing*, 25 (3), 230–35.

Smith, Z. (2005). *On Beauty*. London: Penguin.

Sobolev, D. (2003). Hopkins's rhetoric: between the material and the transcendent. *Language and Literature*, 12 (2), 99–115.

Sontag, S. (1979). *Illness as Metaphor*. London: Allen Lane.

(1988). *AIDS and its Metaphors*. London: Penguin.

Sperber, D. and Wilson, D. (1995). *Relevance: Communication and Cognition*. Oxford: Blackwell.

Spiro, D., Feltovitch, P., Coulson, R. and Anderson, D. (1989). Multiple analogies for complex concepts: antidotes for analogies-induced misconceptions in advanced knowledge acquisition. In S. Vosniadou and A. Ortony (eds.), *Similarity and Analogical Reasoning*, pp. 498–531. Cambridge: Cambridge University Press.

Steen, G. (1994). *Understanding Metaphor in Literature: An Empirical Approach*. London: Longman.

(1999). From linguistic to conceptual metaphor in five steps. In R. W. Gibbs Jr. and G. J. Steen (eds.), *Metaphor in Cognitive Linguistics*, pp. 57–77. Amsterdam: John Benjamins.

Steen, G. J., Biemacka, E. A., Dorst, A. G., Kaal, A. A., López-Rodríguez, I. and Pasma, T. (forthcoming). Pragglejaz in practice: finding metaphorically used words in natural discourse. In L. Cameron (ed.), *Researching and Applying Metaphor in the Real World*.

Stefanowitsch, A. (2006). Words and their metaphors: A corpus-based approach. In A. Stefanowitsch and S. T. Gries (eds.), *Corpus-Based Approaches to Metaphor and Metonymy*, pp. 63–105. Berlin: Mouton de Gruyter.

Stefanowitsch, A. and Gries, S. T. (2006). *Corpus-based Approaches to Metaphor and Metonymy*. Berlin: Mouton de Gruyter.

Stern, J. (2000). *Metaphor in Context*. Cambridge, Mass.: Massachusetts Institute of Technology Press.

Sternberg, R. J. (1990). *Metaphors of Mind: Conceptions of the Nature of Intelligence*. Cambridge: Cambridge University Press.

Sunderland, J. (2004). *Gendered Discourses*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Swan, J. (2002). 'Life without parole': metaphor and discursive commitment. *Style*, 36 (3), 446–65.

Sweetser, E. (1990). *From Etymology to Pragmatics: The Mind-as-Body Metaphor in Semantic Structure and Semantic Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

Taber, K. S. (2001). When the analogy breaks down: modelling the atom on the solar system. *Physics Education*, 36 (3), 222–6.

Thompson, A. and Thompson, J. O. (1987). *Shakespeare: Meaning and Metaphor*. Brighton: Harvester.

Simon-Vandenbergen, A.-M. (1993). Speech, music and de-humanisation in George Orwell's *Nineteen Eighty-Four*: a linguistic study of metaphors. *Language and Literature*, 2, 157–82.

Skorczynska, H. and Deignan, A. (2006). Readership and purpose in the choice of economics metaphors. *Metaphor and Symbol*, 21 (2), 105–20.

Skott, C. (2002). Expressive metaphors in cancer narratives. *Cancer Nursing*, 25 (3), 230–35.

Smith, Z. (2005). *On Beauty*. London: Penguin.

Sobolev, D. (2003). Hopkins's rhetoric: between the material and the transcendent. *Language and Literature*, 12 (2), 99–115.

Sontag, S. (1979). *Illness as Metaphor*. London: Allen Lane.

(1988). *AIDS and its Metaphors*. London: Penguin.

Sperber, D. and Wilson, D. (1995). *Relevance: Communication and Cognition*. Oxford: Blackwell.

Spiro, D., Feltovitch, P., Coulson, R. and Anderson, D. (1989). Multiple analogies for complex concepts: antidotes for analogies-induced misconceptions in advanced knowledge acquisition. In S. Vosniadou and A. Ortony (eds.), *Similarity and Analogical Reasoning*, pp. 498–531. Cambridge: Cambridge University Press.

Steen, G. (1994). *Understanding Metaphor in Literature: An Empirical Approach*. London: Longman.

(1999). From linguistic to conceptual metaphor in five steps. In R. W. Gibbs Jr. and G. J. Steen (eds.), *Metaphor in Cognitive Linguistics*, pp. 57–77. Amsterdam: John Benjamins.

Steen, G. J., Biernacka, E. A., Dorst, A. G., Kaal, A. A., López-Rodríguez, I. and Pasma, T. (forthcoming). Pragglejaz in practice: finding metaphorically used words in natural discourse. In L. Cameron (ed.), *Researching and Applying Metaphor in the Real World*.

Stefanowitsch, A. (2006). Words and their metaphors: A corpus-based approach. In A. Stefanowitsch and S. T. Gries (eds.), *Corpus-Based Approaches to Metaphor and Metonymy*, pp. 63–105. Berlin: Mouton de Gruyter.

Stefanowitsch, A. and Gries, S. T. (2006). *Corpus-based Approaches to Metaphor and Metonymy*. Berlin: Mouton de Gruyter.

Stern, J. (2000). *Metaphor in Context*. Cambridge, Mass.: Massachusetts Institute of Technology Press.

Sternberg, R. J. (1990). *Metaphors of Mind: Conceptions of the Nature of Intelligence*. Cambridge: Cambridge University Press.

Sunderland, J. (2004). *Gendered Discourses*. Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Swan, J. (2002). 'Life without parole': metaphor and discursive commitment. *Style*, 36 (3), 446–65.

Sweetser, E. (1990). *From Etymology to Pragmatics: The Mind-as-Body Metaphor in Semantic Structure and Semantic Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

Taber, K. S. (2001). When the analogy breaks down: modelling the atom on the solar system. *Physics Education*, 36 (3), 222–6.

Thompson, A. and Thompson, J. O. (1987). *Shakespeare: Meaning and Metaphor*. Brighton: Harvester.

Thompson, S. (1996). Politics without metaphor is like a fish without water. In J. S. Mio and A. N. Katz (eds.), *Metaphor: Implications and Applications*, pp. 185–202. Mahwah, N. J.: Lawrence Erlbaum Associates.

Toolan, M., Bhaya Nair, R. and Carter, R. (1988). Clines of metaphoricity, and creative metaphors as situated risktaking. *Journal of Literary Semantics*, 17 (2), 20–40.

Traugott, E. C. and Dasher, R. B. (2002). *Regularity in Semantic Change*. Cambridge: Cambridge University Press.

Tsur, R. (1992). *Toward a Theory of Cognitive Poetics*. Amsterdam: Elsevier Science Publishers.

(2003). *On the Shore of Nothingness: A Study in Cognitive Poetics*. Thorverton: Imprint Academic.

Tudge, C. (1999) The language of the future. *Index on Censorship*, 28 (3), 172–80.

Turney, J. (2005). Why humans grow old grungily. *New Scientist*, (2499), 44.

van Dijk, T. A. (1987). *Communicating Racism: Ethnic Prejudice in Thought and Talk*. London: Sage.

(1998). *Ideology: A Multidisciplinary Approach*. London: Sage.

(2002). Ideology: political discourse and cognition. In P. Chilton and C. Schäffner (eds.), *Politics as Talk and Text: Analytic Approaches to Political Discourse*, pp. 143–69. Amsterdam: John Benjamins.

van Peer, W. (1986). *Stylistics and Psychology: Investigations of Foregrounding*. London: Croom Helm.

van Teeffelen, T. (1994). Racism and metaphor: the Palestinian–Israeli conflict in popular literature. *Discourse and Society*, 5 (3), 381–405.

Vanparys, J. (1995). A survey of metalinguistic metaphors. In L. Goossens, P. Pauwels, B. Rudzka-Ostyn, A.-M. Simon-Vandenbergen and J. Vanparys (eds.), *By Word of Mouth: Metaphor, Metonymy and Linguistic Action in a Cognitive Perspective*, pp. 1–34. Amsterdam: John Benjamins.

von Boehmer, H. (2005). Mechanisms of suppression by suppressor T cells. *Nature immunology*, 6 (4), 338–44.

Walsh, C. (2003). From 'capping' to intercision: metaphors/metonyms of mind control in the young adult fiction of John Christopher and Philip Pullman. *Language and Literature*, 12 (3), 233–51.

Watson, J. D. and Crick, F. (1953). Genetical implications of the structure of deoxyribonucleic acid. *Nature*, 171, 964–7.

Weigman, K. (2004). The code, the text and the language of God. *Embo Reports*, 5 (2), 116–18.

Werth, P. (1999). *Text Worlds: Representing Conceptual Space in Discourse*. London: Longman.

Whorf, B. L. (1956). *Language, Thought, and Reality: Selected writings of B. L. Whorf*. Edited by John B. Carroll. Cambridge, Mass.: Technology Press of Massachusetts Institute of Technology.

Wodak, R. (2001). The discourse-historical approach. In R. Wodak and M. Meyer (eds.), *Methods of Critical Discourse Analysis*, pp. 63–95. London: Sage.

(2002). Fragmented identities: redefining and recontextualizing national identity. In P. Chilton and C. Schäffner (eds.), *Politics as Talk and Text: Analytic Approaches to Political Discourse*, pp. 143–69. Amsterdam: John Benjamins.

Wodak, R. and Meyer, M. (eds) (2001). *Methods of Critical Discourse Analysis.* London: Sage.
Wodak, R., de Cillia, R., Reisigl, M. and Liebhart, K. (1999). *The Discursive Construction of National Identity.* Edinburgh: Edinburgh University Press.
Wolf, H.-G. and Polzenhagen, F. (2003). Conceptual metaphor as ideological stylistic means: An exemplary analysis. In R. Dirven, F. Roslyn and M. Pütz (eds.), *Cognitive Models in Language and Thought,* pp. 245–74. Hawthorn, N. Y.: Mouton de Gruyter.
Zinken, J. (2003). Ideological imagination: intertextual and correlational metaphors in political discourse. *Discourse and Society,* 14 (4), 507–23.

المؤلفة فى سطور:

إليـنــا سيـمينـو

- تعد إلينا سيمينو من كبار المحاضرين في قسم اللغويات واللغة الإنجليزيـــة في جامعة لانكستر الإنجليزية.
- صدر لها حتى الآن:

- **Cognitive Stylistics: Language and Cognition in Text Analysis.**
- **Corpus Stylistics: Speech, Writing and Thought Presentation in a Corpus of English Writing.**

المترجمان فى سطور:

د/ عماد عبد اللطيف

- مدرس البلاغة وتحليل الخطاب بجامعة القاهرة.
- درس بجامعة القاهرة وجامعة لانكستر الإنجليزية.
- ينشر بالعربية والإنجليزية في تحليل الخطاب السياسي والبلاغة المعاصرة. من كتبه: لماذا يصفق المصريون؟ وتحليل الخطاب البلاغي.

- **emad.abdulatif@gmail.com**

د/ خالد توفيق

- أستاذ مساعد الترجمة وعلم اللغة بقسم اللغة الإنجليزية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، وعضو اتحاد الكتاب.

له العديد من الأعمال المؤلفة والمترجمة(٢٩ عملاً) بعضها نشر، والآخر قيد النشر.

kh_tawfiq@yahoo.com

التصحيح اللغوى: عايدي جمعة
الإشـــراف الفنى: حسن كامل